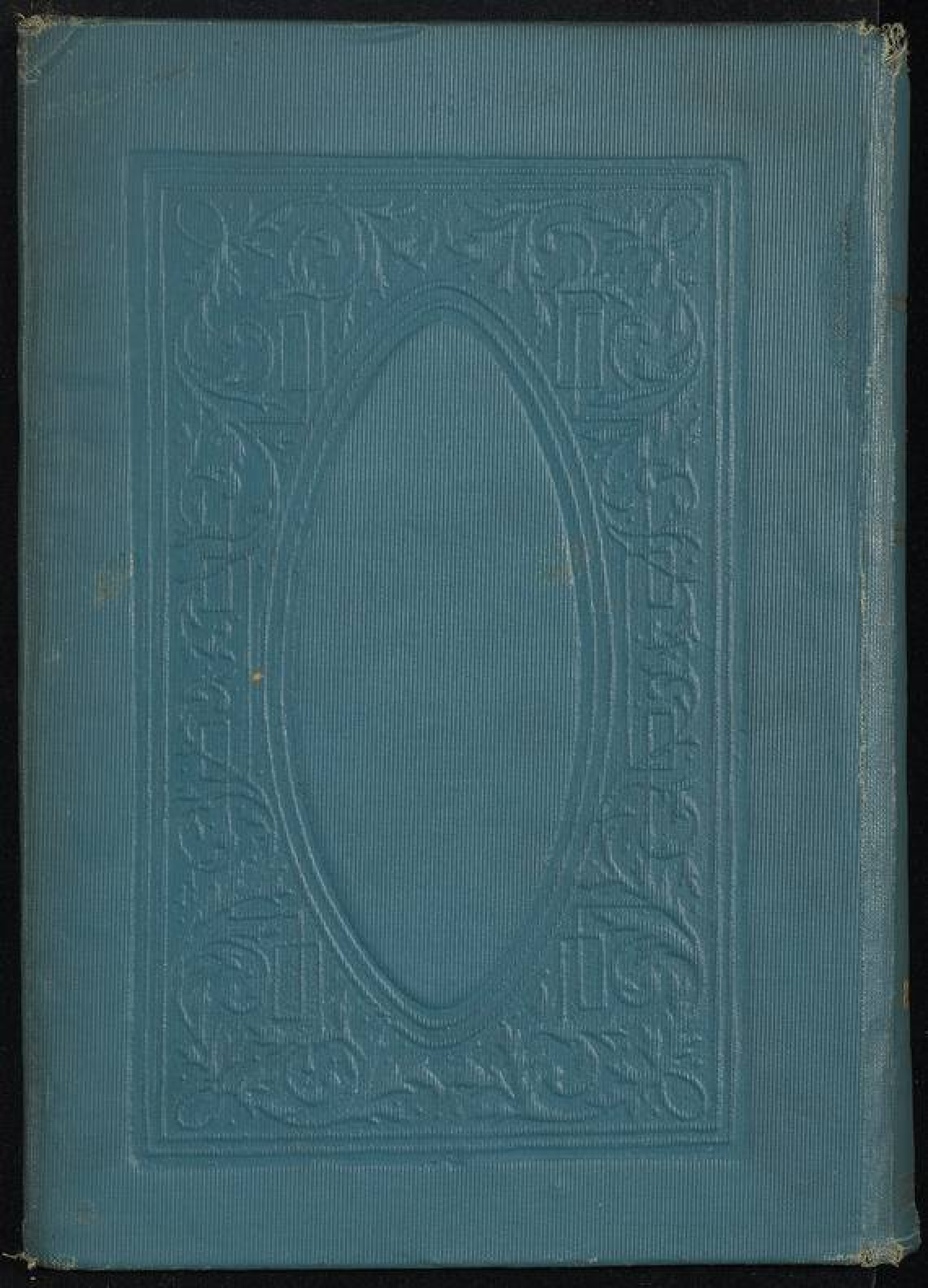
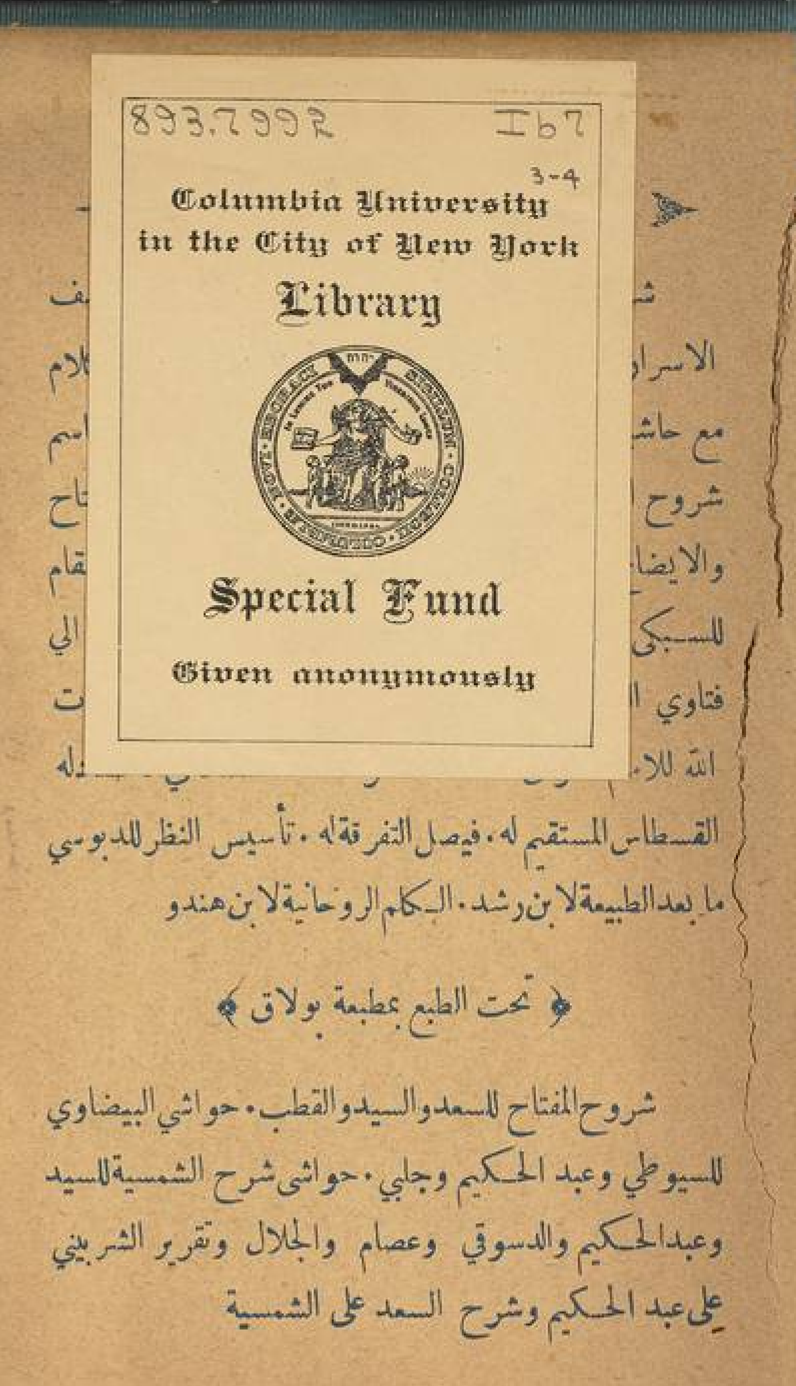




شـ ... ف

الاسرار ... كلام

مع حاشـ ... اسم

شروح ا ... تاح

والايضا ... مقام

للسبكي ... الي

فتاوي ا ... ت

الله للا ... له

القسطاس المستقيم له . فيصل التفرقة له . تأسيس النظر للدبوسي

ما بعد الطبيعة لابن رشد . الحكم الروحانية لابن هندو

﴿ تحت الطبع بمطبعة بولاق ﴾

شروح المفتاح للسعد والسيد والقطب . حواشي البيضاوي

للسيوطي وعبد الحكيم وجلبي . حواشي شرح الشمسية للسيد

وعبد الحكيم والدسوقي وعصام والجلال وتقرير الشربيني

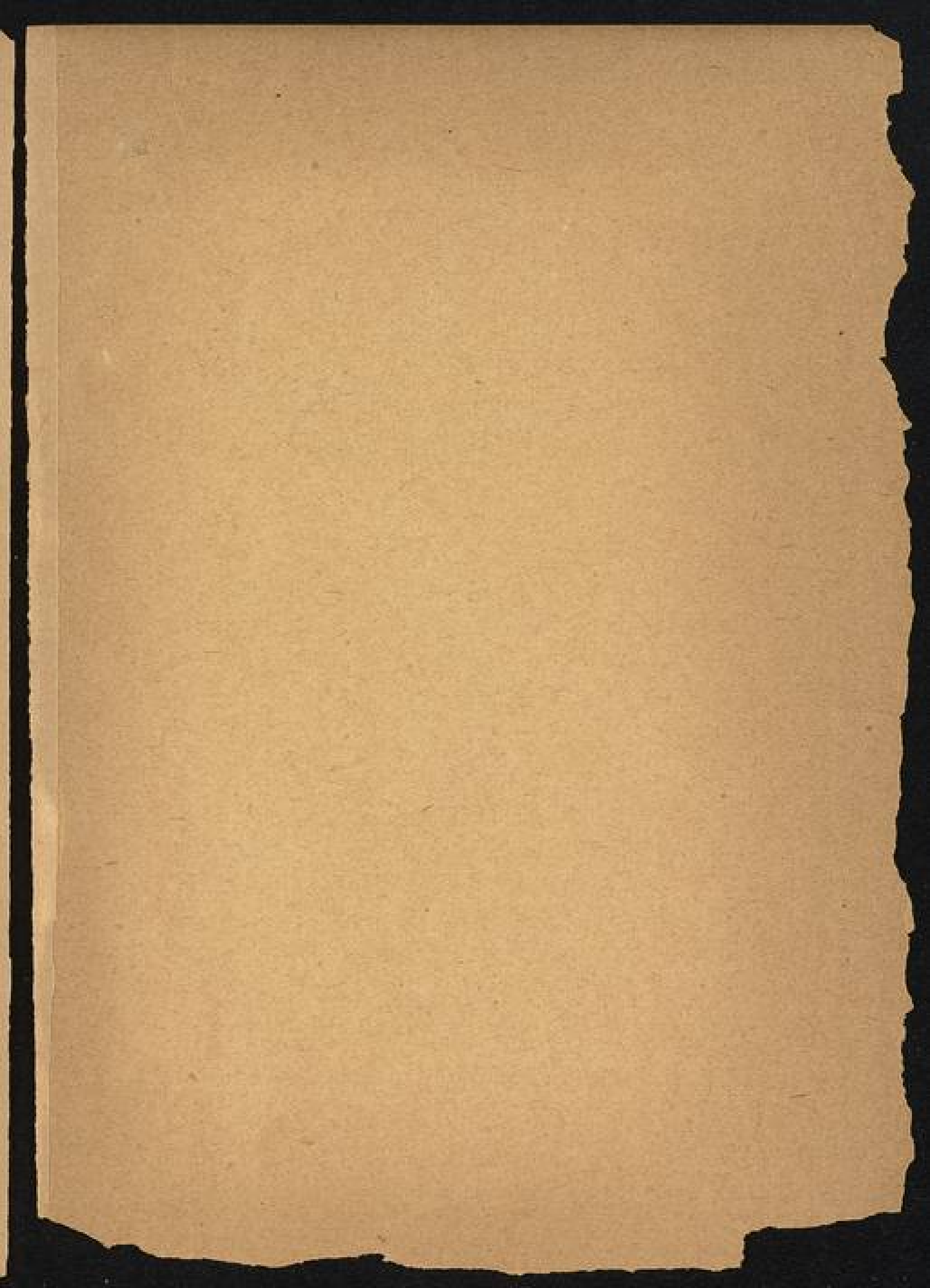
على عبد الحكيم وشرح السعد على الشمسية

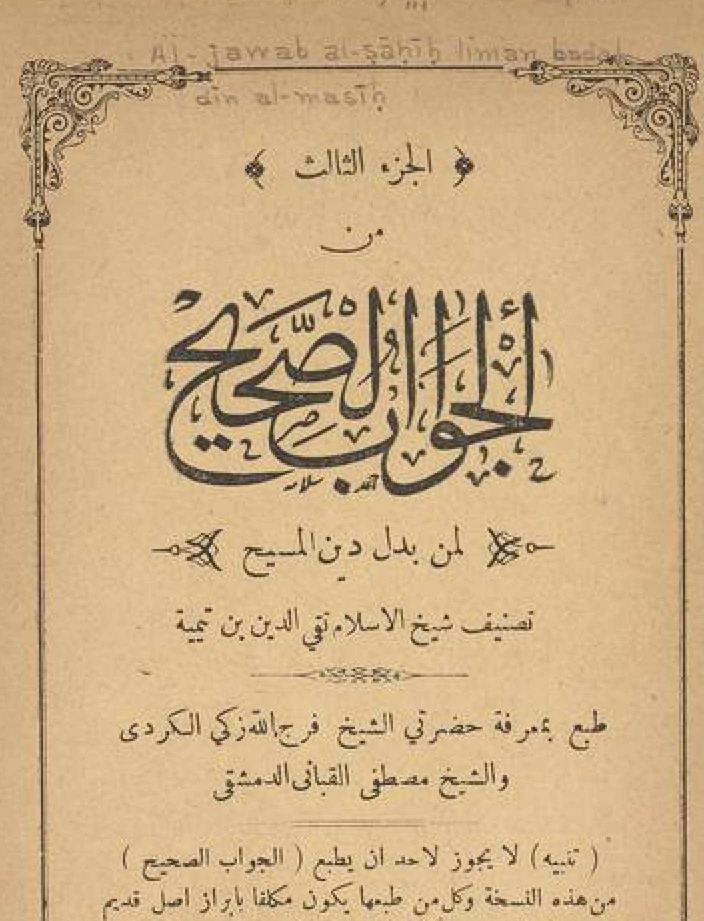
DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
	SEP 22 1949		
C28 (449) M50			

سنة [illegible]

مطبعة النيل بمصر

بشارع محمد علي [illegible]





الجزء الثالث

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردى
والشيخ مصطفى القبانى الدمشقى

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

مطبعة النيل بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحسن بن أيوب وقد بينا الحجج فى بطلان كل قول لكم مما عقدتم به شريعة ايمانكم ووجدنا قوما منكم اذا نوظروا فى ذلك قالوا قد وجدنا أكثر الاديان يختلف أهلها فيها ويتفرقون على مقالات شتى هم عليها وكل منهم يدعى ان الصواب في يده وهذا أيضاً من سوء الاختيار وذهاب القلوب عن رشدها وانصرامها عن سبيل حقها فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه الا أهل ملل النصرانية فقط وسائر من سواهم انما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم ومثل اختلاف المسلمين فى القدر فنهم من قال به ومنهم من دفعه وفي تفضيل قوم من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم على الههم ومعبودهم وخالقهم وان الله اله الخلق كلهم واحد لاشريك له ولا ولد ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لايشكون فيه وعلى القرآن وانه كتاب الله المنزل على محمد المرسل لايختلفون فيه فاذا صح اتفاقهم على هذه الاصول كان ما سواها جللا لايقع معه كفر ولا يبطل به دين والبلاء العظيم الاختلاف فى المعبود فلو ان قوما لم يعرفوا لهم الهاً ولا ديناً ثم عرض عليهم دين النصرانية وجب ان يتوقفوا عنه اذ

كان اهله لم يتفقوا على شيء فيه ودل اختلافهم في مقالاتهم ومابينها مما فى كتبهم على باطله • فاما قولنا فى باب التوحيد واعترافنا بواحدانية الله تعالى ونفينا عنه الشركاء والانداد والامثال والاولاد فهو قول لا يشكون فى صحته ولا يشك فيه أحد من اهل الكتب وسائر الملل ولا غيرهم من أهل القول بالدهر وسائر عبدة الاصنام والاوثان وكل منهم يقر به ويرجع اليه إلا ان منهم من يتابعنا على تحديد التوحيد • ومنهم من يدخل العلل فيه بان يقول ثلاثة ترجع الى واحد وصنماً نعبده اجلالاً لله ليقربنا الى ربنا وربه ومدبر للامور قديم لابد ان نعترف به خالقها وباريها وكل منهم مقر بقولنا وذاهب الى مذهبنا على الاعتراف بالله على الجهة التي يذهب اليها وانه واحد لاشريك له فقد صح عقدنا بلا شك منكم ولا من أحد من الامم فيه ولا في شيء منه بل تقودكم الضرورة الى الاقرار به والاجتماع معنا عليه والحمد لله رب العالمين على توفيقه واياه نسأل ان يتم علينا تسديده بقدرته وان يحيينا ويميتنا على الاسلام غير مشركين ولا جاحدين ولا مبدلين انه على كل شيء قدير وكل مستصعب عليه يسير وهو بمن خافه واتقاه وطلب ما عنده ولم يلحد في دينه رؤف رحيم قلت هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من اجلاء علماء النصارى وأخبر الناس باقوالهم فنقله لقولهم أصح من نقل غيره وقد ذكر في كتابه من الرد على مايحتجون به من الحجج العقلية والسمعية وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية مايبين ذلك . ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم المنتصرين لدين النصرانية وتذكر ما ذكروه

من حججهم مثل ابن البطريق بترك الاسكندرية فانه صنف كتابه الذى سماه نظم الجوهر وذكر فيه أخبار النصارى ومجامعهم واختلافهم وسبب احداثهم ما أحدثوه مع انتصاره لقول الملكية والرد على من خالفهم . قال سعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية فى تاريخه المعروف عند النصارى الذى سماه نظم الجوهر وذكر فيه مبدأ الخلق وتواريخ الانبياء والملوك والامم وأخبار ملوك الروم وأصحاب الكراسى برومية وقسطنطينية وغيرها ووصف دين النصرانية وفرق أهلها وهو ملكي رد على سائر طوائف النصارى لما ذكر مولد المسيح صلوات الله عليه وانه ولد في عهد ملك الروم قيصر المسمي اغسطس لثنتين وأربعين سنة من ملكه قال وملك ستا وخمسين سنة قال وملك بعده ابنه طيباريوس قيصر برومية وللمسيح خمسة عشرة سنة وكان لقيصر هذا صديق يقال له بلاطس من قرية على شط البحر الذى تحت قسطنطينية ويسمى ذلك البحر السطس ولذلك يسمى بلاطس النبطي فولاه على أرض يهوذا قال وفى خمس عشرة سنة من ملك طيباريوس قيصر هذا ظهر يحيي بن زكريا المعمداني فعمد اليهود فى الاردن لغفران الخطايا فجاء المسيح الى يحيي بن زكريا فعمده يحيي في الاردن ولسيدنا المسيح ثلاثون سنة وذكر قصة قتل يحيي وقصة الصلب المعروفة عند النصارى الى ان قال وكتب بلاطس الى طيباريوس الملك يخبر سيدنا المسيح وما تفعل تلاميذه من العجائب الكثيرة من ابراء المرضى واحياء الموتى فاراد ان يؤمن بسيدنا المسيح ويظهر دين النصرانية فلم يتابعه اصحابه على ذلك وملك اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وذكر

ان في عصره بنيت مدينة طبرية مشتقة من اسمه قال وملك بعده قيصر آخر اربع سنين وثلاثة أشهر قتل بلاطس وولي شخصاً كان شديداً على تلاميذ المسيح وقتل رئيس الشهداء والشمامسة فرجم بالحجارة حتى مات وذكر انه لقي التلاميذ من اليهود ومن الروم شدة شديدة وقتل منهم خلق كثير وانه مات هذا وولى بعده قيصر آخر وفي زمنه وقع جوع ووباء وفي زمنه كتب متى وبين انجيله بالعبرانية في بيت المقدس وفسره من العبرانية الى الرومية يوحنا صاحب الانجيل قال وفى تسع سنين من ملكه كان مرقس صاحب الانجيل بمدينة الاسكندرية يدعو الناس الى الايمان بالمسيح وانه اول شخص جعل بطريركا على الاسكندرية وانه صير معه اثنى عشر قسيساً وأمرهم اذا مات البطريرك ان يختاروا واحداً من الاثنى عشر قسيساً ويضع الاثنى عشر أيديهم على راسه ويبركونه ويصلحونه بطريركا ثم يختارون رجلا فاضلا قسيسا ويصيرونه معهم بدل القسيس الذى اصلحوه بتركا ليكونوا اثنى عشر ابداً فلم يزل رسمهم بالاسكندرية على هذا الى زمن الثلاثماية وثمانية عشر فامرهم بطريرك الاسكندرية الذي كان من جملة الثلاثماية وثمانية عشر ان لايفعل هذا فيما بعد ومنع ان يصلح الاقساء البترك بل يختاروا من اى بلد كان رجلا فاضلا واذا مات البترك اجتمع الاساقفة فاصلحوا البترك من اى بلد كان من اولئك الاقسة أو من غيرهم فانقطع الرسم الاول من اصلاح الاقساء البترك وجعل التيسير لهم في اصلاح البترك بابا ثم سمي بترك الاسكندرية بابا ومعناه الجد ومن حنانيا الذى أصلحه مرقس البشير الى حادي عشر بطركا بالاسكندرية لم يكن في

عمل مصر أسقف ولم يكن البطاركة قبله اصلحوا أسقفا وان العامة لما سمعت الاساقفة يسمون البطريرك ابا قالوا اذا كنا نحن نسمى الاسقف ابا والاسقف يسمي البطريرك ابا فيجب علينا ان نسمى البطريرك بابا أي الجد اذ كان ابا لابينا فسمي بطريرك الاسكندرية من وقت هرقل بابا أى الجد قال وخرج مرقس الى برقة يدعو الناس الى الايمان بالسيد المسيح ومات فلوريوس قيصر وملك بعده ابنه بارون ثلاثة عشرة سنة قال وهو اول من هاج على النصارى الشر والبلاء والعذاب قال وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين الانجيل انجيل مرقس عن مرقس بمدينة رومية ونسبه الى مرقس قال وفى عصر هذا الملك كتب لوقا انجيله بالرومية الى رجل شريف من عظماء الروم يقال له فوفيلا فكتب له أيضاً الابركسس الذي فيه أخبار التلاميذ وقد كان لوقا البشير صاحب بولس الرسول يقول في بعض رسائله ان لوقا الطبيب يقول عليكم السلام وقال واخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه منكساً ثم قتله لان بطرس قال له ان أردت ان تصلبنى فاصلبنى منكساً لئلا اكون مثل سيدى المسيح فانه صلب قائما وضرب عنق بولس الرسول بالسيف واقام بطرس بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة قال وكان مرقس صاحب الانجيل بالاسكندرية وبرقة يدعو الناس الى الايمان فاقام سبع سنين وفى اول سنة من ملك بارون قيصر قتل مرقس بالاسكندرية وأحرق جسده بالنار وذكر بعده عدة قياصرة وذكر ان طيطس خرب البيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد ان حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم وقتل كل من كان فيها

من ذكر وانثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون باطفالهم الصخور وخرب المدينة والهيكل واضرم بهما النار واحصى القتلى على يده فكانوا ثلاثة آلاف الف وذكر عدة قياصرة بعد ذلك وانه ولي واحد منهم خمس عشرة سنة يقال له ذوما طيانوس وكان شديداً جداً على اليهود وانه بلغه ان النصارى يقولون ان المسيح ملكهم وان ملكه الى الدهر فغضب غضباً شديداً وأمر بقتل النصارى وان لا يكون في ملكه نصرانى وكان يوحنا صاحب الانجيل هناك فسمع بهذا فخاف وهرب الى افسس ثم انه أمر باكرامهم وترك الاعتراض عليهم ثم تولى بعده قيصر آخر سنة وبعض اخرى ثم ملك آخر بعض تسع عشرة سنة يسمي طرايانوس قال وهذا الملك أثار على النصارى بلاء عظيما وحزنا طويلا وقتل شهداء كثيرة وقتل بطريرك انطاكية برومية وقتل أسقف بيت المقدس وصلبه وله مائة وعشرون سنة وأمر ان يستعبد النصارى اذ ليس لهم دين ولا شريعة فلشدة ما استعبد النصارى وغاظ ما نالهم من القتل رحمتهم الروم وشهد وزراء الملك عنده ان النصارى لهم شريعة ودين وانه لايحل ان يستعبدوا فكف عنهم الاذية قال وفى عصره كتب يوحنا انجيله بالرومية في جزيرة يقال لها تيمرا من أرض الروم من أرض اثينة في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له مومودس قال وفى ذلك العصر رجع اليهود الى بيت المقدس فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا ان ملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر طيباريوس قيصر فوجه بقائد من قواده بجيش عظيم الى بيت المقدس فقتل من اليهود مالا يحصى كثرة قال وخرج على قيصر هذا خارجي مقاتل ببابل فخرج اليه بنفسه

فوقعت بينهم حرب شديدة وقتل من الفريقين خلق عظيم وقتل قيصر
في الحرب وملك بعده اندريانوس قيصر عشرين سنة فخرج الى ذلك
الخارجي ببابل فهزمه وصار الى مصر فلقي منه أهل مصر شدة
شديدة وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من النصارى خلقاً كثيراً
وأصاب ايليا ابنه علة في بدنه فكان ينفذ الى البلدان يطلب شفاء
لعلته فوصفوا له بيت المقدس فلما وافاه رآها خراباً ليس فيها
أحد الا كنيسة للنصارى فامر ان تبنى المدينة وتحصن بحصن قوي فلما
سمع اليهود اقبلوا من كل بلد وكل مدينة فما كان الازمان قليل
حتى امتلأت منهم المدينة فلما كثروا ملكوا عليهم ملكا فاتصل الخبر
بايليا بن قيصر اندريانوس فوجه اليهم بقائد من قواده مع خلق كثير
فحاصر المدينة فمات كل من فيها من الجوع والعطش ثم فتحها فقتل من
اليهود مالا يحصى وهدم الحصن وخرب المدينة حتى صيرها صحراء قال
وهذا آخر خراب بيت المقدس وهرب من اليهود من هرب الى مصر والى
الشام والى الجبال والى الغور وأمر الملك ان لايسكن المدينة يهودى
وان يقتل اليهود ويستأصلوا وان يسكن المدينة اليونانيون وبنوا على
باب الهيكل برجا ويجعل فوقه الواح ويكتبوا عليها اسم ايليا الملك
وذلك من ثمان سنين من ملكه قال والبرج اليوم على باب مدينة بيت
المقدس وسمى محراب داود قال فسمي بيت المقدس الى هذا الوقت
ايليا فمن الخراب الاول الذى أخربه طيطس الى هذا الخراب ثلاث
وخمسون سنة وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين فنظروا الى النصارى
يأتون الى تلك المزبلة التي فيها القبر والاقرانيون فيصلون

فنعوهم من ذلك وبنى اليونانيون على تلك المزبلة هيكلا على اسم الزهرة فلم يقدر أحد من النصارى بعد ذلك ان يقرب ذلك الموضع قال ثم مات ايليا الملك وملك بعده انطونينوس قيصر برومية اثنى وعشرين سنة قال وفى إحدى عشرة سنة من ملكه صير يهودا اسقفا على بيت المقدس أقام سنتين ومات قال فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الاول الى يهودا أسقف بيت المقدس هذا كانت الاساقفة الذين صيروا على بيت المقدس مختونين وذكر انه ولى بعد هذا قيصر آخر اسمه مرقس تسع عشرة سنه وانه اثار على النصارى بلاء عظيما وحزنا شديداً واستشهد في زمانه شهداء كثيرون قال وكان فى أيامه جوع شديد ووباء عظيم لم تمطر السماء سنين وكاد الملك وجميع اهل مملكته ان يهلكوا من الجوع فسألوا النصارى ان يبتهلوا إلى الههم فدعوا فامطر الله عليهم مطراً عظيما وارتفع الوباء والقحط قال وكان بأيامه بأرض اليونانين مغنوس الحكيم قال وفي خمس سنين من ملكه صير يوليانوس بطريركا وهو أول بطريرك اصلح الاساقفة في عمل مصر أقام ثلاثاً وأربعين سنة ومات

(فصل) قال وفي ذلك العصر كتب بطريرك الاسكندرية الى أسقف بيت المقدس وبطرك أنطاكية وبطرك رومية فى حساب فصح النصارى وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود فوضعوا في ذلك كتباً كثيرة على ماهو عليه اليوم قال وذلك ان النصارى كانوا بعد صعود سيدنا المسيح الى السماء إذا عيدو اعيد الغطاس من الغد يصومون أربعين يوما ويفطرون كما فعل سيدنا يسوع المسيح لان

سيدنا المسيح لما اعتمد بالاردن خرج الى البرية فاقام بها صائماً أربعين يوما وكان النصارى اذا أفصح اليهود عيدواهم الفصح فوضع هؤلاء البطاركة حساباً للفصح ليصوم النصارى أربعين يوما ويكون فطرهم يوم الفصح ليتم فرحهم بذلك*قلت فقد أخبر عن المسيح انه لما صام اربعين يوما عقب المعمودية وكان يعيد مع اليهود فى عيدهم لا يعيد عقب صومه شاركه النصارى فى ذلك مدة فصاروا يصومون أربعين عقب الغطاس الذي هو نظير المعمودية ويعيدون مع اليهود العيد ثم انهم بعد هذا ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقب الغطاس بل نقلوا الصوم الى وقت يكون عيدهم مع عيد اليهود فيكون عيدهم مع عيد اليهود وهو فصح المسيح ويكون ذلك وقت قيامته من قبره قال ومات مرقس الملك وملك بعده قوموذوس قيصر برومية اثنى عشر سنة وفى أيامه كان فى أرض اليونانيين فى مدينة افرغامس جالينوس الحكيم صاحب صناعة الطب وذكر جالينوس في فهرست كتبه انه ربي قوموذوس الملك وذكر جالينوس في المقالة الأولى من الكتاب المعروف بكتاب اخلاق النفس انه كان في عصر قوموذوس الملك رجل يقال له بولس طلبه قوموذوس الملك ليقتله فهرب منه وكان له غلامان فقبضهما الملك فضربهما الملك وطلب منهما ان يدلاه على مولاهما فلم يفعلا لكرم انفسهما ونخوتهما وشدة محاماتهما على مولاهما فقتلهما وان من الاسكندر الى بولس خمسماية سنة وست عشرة سنة وذلك فى السنة التاسعة من ملك قوموذوس قيصر فهذا ماذكر جالينوس قال وكان ايضاً في ايامه ديمقراطيس الحكيم*قلت هذه المدة اكثر مما ذكره سعيد هذا

فانه لم يذكر من المسيح الى هنا مابقي سنة بل ذكر الى الخراب مائة وثلاثة وعشرين سنة وقد تقدم ذكره لديمقراطيس قبل هذا *قال وفى عشر سنين من ملكه ظهرت الفرس فغلبت على بابل وامدوا فارس وتملك ازدشير بن ساسان بابل من اهل اصطخر وهو اول ملك ملك على فارس فى المرة الثانية قال ومات قوذوس قيصر ملك الروم وملك بعده قيصر آخر ثلاثة أشهر آخر وملك بعده برومية سويرس قيصر سبع عشرة سنة وذلك في أربع سنين من ملك ازدشير وكان هذا الملك شديداً قد اثار على النصارى بلاء عظيما وعذاباً كبيراً وقتل كل عالم منهم وقتل خلقاً كثيراً واستشهد فى أيامه خلق كثير من النصارى في كل موضع ثم قتل كل من كان بمصر والاسكندرية من النصارى وهدم الكنائس وبنى بالاسكندرية هيكلا وسماه هيكل الآلهة وملك بعده قيصر وهو انطونيوس الاصلع ست سنين وملك بعده قيصر آخر ثلاث عشرة سنة كانت النصارى فى أيامه فى هدو وسلامة وكانت أمه تحب النصارى وفى أيامه سمي بطرك الاسكندرية بابا اي الجد وملك بعده قيصر آخر ثلاث سنين وهذا اثار على النصارى بلاء طويلا وحزناً عظيما وقتل منهم خلقاً كثيراً وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من الاساقفة خلقاً كثيراً وقتل بترك انطاكية فلما سمع اسقف بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي قال ومات قيصر هذا فى السنة الثانية من ملك بهرام بن هرمز وملك بعده قيصر آخر ثلاثة أشهر ثم بعده آخر اربع سنين واسمه عزدمانوس وفى ثلاث سنين من ملكه مات بهرام بن هرمز وملك بعده بهرام بن بهرام على الفرس تسع عشرة سنة

وفي ايامه ظهر رجل فارسي يقال له ماني فاظهر دين المانية وزعم انه
نبي فاخذه بهرام بن بهرام ملك الفرس فشقه نصفين واخذ من اصحابه
وممن يقول بقوله مايقي رجل فغرس رؤسهم في الطين منكسين حتى
ماتوا منكسين وملك بعد قيصر هذا فيلبس قيصر على الروم
برومية سبع سنين وآمن بالسيد المسيح ووثب عليه قائد من قواده فقتله
ثم ملك بعده قيصر آخر اسمه ذاقيوس وهو دقيانوس وذلك من
عشر سنين من ملك بهرام بن بهرام فلقي النصارى منه حزناً طويلا
وعذاباً شديداً وقتل منهم من لايحصى واستشهد في أيامه من الشهداء
خلق كثير وقتل بطرك رومية ثم خرج الى مدينة افسس فبنى في
وسطها هيكلا عظيما وصير فيه الاصنام وامر ان يسجد للاصنام ويذبح
لها ومن لم يفعل ذلك قتل فقتل من النصارى بافسس خلقاً عظيما
وصلبهم على الحصن واتخذ من أولاد عظماء افسس سبعة غلمان من
خواصه وعلى كسوته وقدمهم على جميع من عنده وذكر اسماءهم اسماء
اصحاب الكهف قال وهؤلاء السبعة الغلمان لم يسجدوا للاصنام فاعلموا
الملك بخبرهم فامر بحبسهم ثم خرج الى بعض المواضع واطلق سبيلهم
الى حين رجوعه فلما خرج من المدينة أخذ الغلمان كل مالهم فتصدقوا
به ثم خرجوا الى جبل عظيم يقال له جاوس شرقي افسس فيه كهف
كبير فاختفوا في الكهف فكان واحد منهم في كل يوم يتنكر ويدخل
المدينة فيسمع مايقول الناس في شأنهم ويشتري لهم طعاماً ويرجع
فيعلمهم بقدوم دقيانوس الملك فسأل عنهم فقيل له انهم في جبل جاوس
في الكهف مختفين فامر الملك ان يبنى باب الكهف عليهم ليموتوا وصب

الله عليهم النعاس فناموا كالاموات واخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس وكتب فيها خبرهم وقصتهم مع دقيانوس الملك وصير الصفيحة في صندوق نحاس ودفنه داخل الكهف وبنى الكهف ومات الملك دقيانوس قيصر وملك بعده قيصران برومية سنتين ثم قيصر آخر اسمه غنيونوس خمس عشر سنة وملك بعده قيصر آخر سنة واحدة وذلك من ثلاث سنين من ملك هرمز وفى أول سنة من ملك هذا صير بولس بطركا على انطاكية ويسمى بولوس الشمشاطي قال وهو الذي ابتدع دين البوليانية فسمي التابعون لدينه والقائلون بمقالته بوليانيين قال وكانت مقالته ان سيدنا المسيح خلق من اللاهوت انساناً كواحد منا فى جوهره فان ابتداء الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الانسي صحبته النعمة الالهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله وقال ان الله جوهر واحد واقنوم واحد ولا نؤمن بالكلمة ولا بروح القدس قال وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر اسقفاً في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة بولس فاوجبوا على هذا الشمشاطي اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بمقالته وانصرفوا قال وبعده ملك قيصر آخر ست سنين اسمه اوراغوس قيصر قال وكان النصارى بالاسكندرية فى أيامه يصلون فى المطامير والبيوت فزعا من الروم ولم يكن يظهر بترك بالاسكندرية لئلا يقتلوهم فلما صار تارون بطركا ظهر ولم يزل يداري الروم حتى بنى بالاسكندرية كنيسة خنا ومارمريم وملك بعده قيصران ثم قيصر اسمه فاروس وذلك في تسع سنين من ملك سابور بن هرمز وكان شديداً على النصارى قتل الاخوين قرمان

ودميان الشهدين وملك بعده دقيطيانوس قال فمن خراب طيطس لبيت المقدس الى ملك دقيطيانوس مايتان وست سنين ومن مولد سيدنا المسيح الى دقيطيانوس مايتان وست وسبعون سنة ومن الاسكندر الى دقيطيانوس خمساية وخمس وتسعون سنة ومن سبي بابل الى دقيطيانوس الف وثلاثماية وخمس وثلاثون سنة ومن داود الى دقيطيانوس الف وتسعماية واحدى واربعون سنة قال وملك دقيطيانوس في احدى عشرة سنة من ملك سابور بن هرمز ملك الفرس وملك معه اثنان تملكا على الروم احدى وعشرين سنة وهؤلاء اثاروا على النصارى بلاء عظيما وحزناً طويلا وعذابا اليما وشدة شديدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الاموال واستشهدوا ألوفا من الشهداء وعذبوا ماري جرجس اصناف العذاب وقتلوه بفلسطين وقتلوا ماري مينا وماري بقطر وايناخوس ومركورس وغيرهما قال وفي عشر سنين من ملكهما صير بطرس بطركا على الاسكندرية فاقام عشر سنين وقتل وفي عشرين سنة من ملكهما ضرب عنق بطرس هذا البطرك بالاسكندرية قال وكان لبطرس تلميذان اسم احدهما اشلا والآخر الاكصندروس وكان بالاسكندرية رجل يقال له اريوس يقول ان الاب وحده الله الفرد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب اذ لم يكن الابن فقال بطرس البطرك لتلميذيه ان المسيح لعن اريوس فاحذرا ان تقبلا قوله فاني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت له ياسيدي من شق ثوبك فقال لي اريوس فاحذروا ان تقبلوه ويدخل معكم الكنيسة كنيسة الله قال وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير اشلا بطركا على الاسكندرية

فاقام ستة أشهر ومات وكان اريوس قد استعان على اشلا باصدقائه فاورى انه قد رجع عن تلك المقالة فقبله اشلا وادخله الكنيسة وجعله قسيساً قال واما دقيطيانوس الملك فكان يطلب النصارى فيقتلهم فبينما هو يسير فى طلبهم اذ بلغ الى موضع يقال له ملطيه فصب الله عليه نقمته فوقع فى علل عظيمة وامراض عظيمة حتى ذاب جسمه وكان الدود يتساقط من بدنه الى الارض وسقط لسانه من حنكه ومات وملك بعده قيصران أحدهما المشرق والشام وأرض الروم والآخر رومية ونحوها وكان احدهما اسمه علانيوس والآخر مقصطيوس فكانا كالسباع الضارية على النصارى واثاروا عليهم البلاء والجلاء ومالا يصفه واصف وفعلا بهم مالم يفعله احد من الملوك قبلهم وملك معهما على برنطية وما والاها قسطس أبو قسطنطين وكان رجلاً ديناً مبغضاً للاصنام محباً للنصارى فخرج قسطس الى ناحية الجزيرة والرها فنزل فى قرية من قرى الرها يقال لها كفرجاث فنظر فيها امرأة حسنة جميلة يقال لها هيلانة وكانت قد تنصرت على يدى اسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطس من أبيها فزوجه أياها فحبلت منه ورجع قسطس الى برنطية وولدت هيلانة قسطنطين فتربى بالرها وتعلم حكم اليونانيين وكان غلاماً حسن الوجه قليل الشر وديعاً محباً للحكمة. وأما علانيوس فكان رجلاً وحشياً شديد الباس مبغضاً للنصارى جداً كثير القتل لهم محباً للنساء ولم يترك للنصارى بنتاً بكراً إلا أخذها وأفسدها وقتلها وكذلك أصحابه هكذا كانوا يفعلون بالنصارى وكان النصارى فى شدة شديدة جداً معهم وبلغه خبر

قسطنطين وانه غلام هاد قليل الشر كثير العلم والخير وأخبره الحكماء الذين له والمنجمون ان قسطنطين سيملك ملكا عظيما فهم بقتله وعلم قسطنطين بذلك فهرب من الرها وذهب الى مدينة برنطية ووصل الى أبيه قسطس فسلم اليه الملك وبعد قليل مات قسطس وصب الله على علانيوس الملك عللا عظيمة حتى تقطع لحمه وتهرأ وبقي مطروحاً لايقدر أحد أن يقترب منه فعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به فرجع الي نفسه وقال لعل هذا الذي بي مما اقتل النصارى فكتب الى جميع عماله ان يطلقوا النصارى من الحبوس وان يكرموهم ولا يؤذوهم ويسئلونهم ان يدعوا له في صلاتهم فصلى النصارى على الملك ودعوا له فوهب الله له العافية ورجع الى أفضل مما كان عليه من الصحة والقوة فلما صح وقوي رجع الى شر مما كان عليه من الردي وكتب الى جميع عماله ان يقتلوا النصارى ولا يعيش فى مملكته نصراني ولا يسكنوا مدينة ولا قرية له فمن كثرة القتلى كانوا يحملون على العجل ويرمون بهم في البحار والصحارى وقتل مارجرجس وأخاه بمدينة قباذوقيه وهما من أهلها وقتل بربارة وذكر حربا جرت بينه وبين سابور لما تنكر سابور وجاء اليه متنكراً وعرفه قال واما مقسطيوس فكان شريراً على أهل رومية واستعبد كل من كان برومية وخاصة النصارى فكان ينهب أموالهم ويقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم فلما سمع أهل رومية بتلك قسطنطين وانه مبغض للشر محب للخير وان أهل مملكته معه فى هدو وسلامة كتب رؤساء رومية الى قسطنطين يسئلونه ويطلبون اليه ان يخلصهم من عبودية مقسطيوس عدو الله

فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقي متحيرا لايدري كيف يصنع فبينما هو متفكر اذ ظهر له من نصف النهار في السماء صليب من كواكب تضيء مكتوباً حوله (بهذا تغلب) فقال لاصحابه رأيتم ما رأيت؟ قالوا نعم فآمن من ذلك الوقت بالنصرانية وذلك لست سنين من بعد موت أبيه فتجهز قسطنطين واستعد لمحاربة مقسطيوس ملك رومية وعمل صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند وخرج يريد مقسطيوس فلما سمع مقسطيوس ان قسطنطين قد وافاه لمحاربته استعد لحربه وعقد جسراً على النهر الذي قدام رومية وخرج مع جميع أصحابه يحارب قسطنطين فاعطى قسطنطين النصرة عليه فقتل من أصحاب مقسطيوس مقتلة عظيمة وهرب مقسطيوس وغرق هو وأصحابه حتى امتلأ البحر وهو النهر الذي عند رومية غرقى وقتلى وخرج اهل رومية الى قسطنطين بالاكاليل الذهب وكل أنواع اللهو واللعب فلقوا قسطنطين وفرحوا به فرحاً عظيماً فلما دخل المدينة أمر ان تدفن أجساد النصارى الشهداء المصاليب وكل من كان من النصارى هرب أو نفاه مقسطيوس يرجع الى بلده وموضعه ومن أُخذ له شيء ردّ اليه وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب ويفرحون. فلما سمع الخبر علانيوس جمع ماقدر عليه وتجهز لقتال قسطنطين فلما عاينه انهزموا من بين يديه وأخذهم السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ومنهم من اسر ومنهم من استأمن وافلت علانيوس عريانا فلم يزل يتقرى موضعاً موضعاً حتى وافى مدينته فجمع الكهنة والسحرة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب اعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين

وصير الله على علانيوس ناراً في جوفه حتى كانت احشاؤه تتقطع من
الحر الذي كان يجده في جوفه وسقط على الارض وتهرا لحمه على
عظمه ومات وملك قسطنطين الدنيا في هدو وسلامة وذلك في احدى
واربعين سنة من ملك سابور بن هرمز ملك الفرس قال وتنصر
قسطنطين في مدينة يقال لها فيقوميذيا وذلك في اثني عشرة سنة من
ملكه وأمر ببنيان الكنائس في كل بلد وان يخرج من بيت المال الخراج ما
يعمل به ابنية الكنائس قال وفي خمس سنين من ملكه صير الاكصندروس
بطريركاً على الاسكندرية وهو تلميذ بطركها بطرس الذي قتل وهو رفيق
اشلا فاقام ست عشرة سنة وفي خمس عشرة سنة من رياسته كان المجمع
بمدينة نيقية الذي رتبت فيها الامانة الارثذكسية فمنع الاكصندروس
بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه وقال ان أريوس
ملعون لان بطرس البترك قبل ان يستشهد قال لنا ان الله لعن أريوس
فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة • وكان على مدينة أسيوط من عمل مصر
أسقف يرى رأي اريوس فلعنه أيضاً وكان بالاسكندرية هيكل عظيم
كانت كلاوبطرة الملكة بنته على اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس
عظيم يسمى ميكائيل وكان أهل الاسكندرية ومصر في اثنى عشر يوما
من شهر هتور وهو تشرين الثاني يعيدون لذلك الصنم عيداً عظيماً
ويذبحون الذبائح الكثيرة فلما صار هذا بطركا على الاسكندرية وظهرت
النصرانية اراد ان يكسر الصنم ويبطل الذبائح فامتنع عليه أهل الاسكندرية
فاحتال لهم بأن قال ان هذا صنم لا منفعة فيه ولا مضرة فلو صيرتم العيد
لميكائيل الملاك وجعلتم هذه الذبائح له كان أنفع لكم عند الله وكان خيراً

لكم من هذا الصنم فاجابوه الي ذلك فكسر الصنم وأصلح منه صليباً
وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل وهي الكنيسة التي تسمى قيسارية احترقت
بالنار وقت موافاة الجيوش من المغاربة القرامطة مع المسمى أبو عبيد
الله وكان معه أمير من أصحابه يسمى حباسة وذلك في خلافة المعتضد
بالله وكان عامله على مصر يومئذ مولاه المعروف بتكين الحاجب رجل
تركي فنفر الى المغاربة وجاءه مدد من الشرق مع الخادم الملقب بمونس
الأستاذ فهرب منه أبو عبيد الله وحباسة وجنودهما وصير العيد لميكائيل
الملك والذبائح والي اليوم القبط بمصر والاسكندرية يعيدون في هذا اليوم
عيد ميكائيل الملاك ويذبحون فيه الذبائح الكثيرة وكذلك الملكية يعيدون
في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك وصار رسما الى اليوم . قال فلما منع بترك
الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعديا
عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا الى قسطنطين الملك وقال اريوس انه تعدى
علي وأخرجني من الكنيسة ظلماً وسأل الملك ان يشخص الاكصندروس
بطرك الاسكندرية ليناظره قدام الملك فوجه قسطنطين برسول الى
الاسكندرية فاشخص البطرك وجمع بينه وبين أريوس ليناظره فقال
قسطنطين لاريوس أشرح مقالتك قال أريوس أقول ان الاب كان اذ لم
يكن الابن ثم الله أحدث الابن فكان كلمة له الا أنه محدث مخلوق ثم
فوض الامر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والارض
وما بينهما كما قال في انجيله اذ يقول وهب لي سلطانا على السماء والارض
فكان هو الخالق لهما بما أعطي من ذلك ثم ان الكلمة تجسدت من
مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً فالمسيح

الآن معنيان كلمة وجسد الا انهما جميعاً مخلوقان قال فأجابه عند ذلك بطرك الاسكندرية وقال تخبرنا الآن ايما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟ قال أريوس بل عبادة من خلقنا قال له البطرك فان كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقا فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الاب الذى ليس بخالق بل تصير عبادة الاب الخالق للابن كفرا وعبادة الابن المخلوق ايمانا وذلك من اقبح الاقاويل فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البطرك وشنع عندهم مقالة اريوس ودار بينهما أيضاً مسائل كثيرة فأمر قسطنطين لبطرك الاكصندروس ان يلعن اريوس وكل من قال بمقالته. فقال له بل يوجه الملك فيشخص البطاركة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونضع فيه قضية ونلعن اريوس ونشرح الدين ونوضحه للناس فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان فجمع البطاركة والاساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية بعد سنة وشهرين الفان وثمانية واربعون اسقفا وكانوا مختلفى الآراء مختلفى الأديان. فمنهم من يقول المسيح ومريم الهان من دون الله وهم المريمانية ويسمون المريميين ومنهم من كان يقول ان المسيح من الابّ بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الاولى لايقاد الثانيـة منها وهى مقالة سباريـنون واشياعه. ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة اشهر وانما مر نور فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب لان كلمة الله دخلت من اذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهى مقالة اليان واشياعه ومنهم من كان يقول ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره وان ابتداء الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر

الانسي صحبته النعمة الالهية لحلت فيه بالمحبة والمشيئة فلذلك سمي ابن الله ويقولون ان الله جوهر واحد واقنوم واحد يسمونه بثلاثة اسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهي مقالة بولص الشمشاطي بطرك انطاكية واشياعه وهم البوليانيون . ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما وهي مقالة مرقيون واشياعه وزعموا ان مرقيون رئيس الحواريين وانكروا بطرس السليح . ومنهم من كان يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا . قال فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم عجب من ذلك واخلا لهم دارا وتقدم لهم بالاكرام والضيافة وأمرهم ان يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً على دين واحد ورأي واحد فناظروا بقية الاساقفة المختلفين فافلحوا عليهم حججهم واظهروا الدين المستقيم وكان أيضاً باقي الاساقفة مختلفي الاديان والآراء وصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر اسقفا مجلساً خاصاً عظيما وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها اليهم وقال لهم قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم لتصنعوا ماينبغي لكم ان تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له أظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها مايصلح ان يعمل به الاساقفة وما يصلح للملك ان يعمل بما فيها وكان رئيس المجمع والمقدم فيه الاكصندروس بطريرك الاسكندرية وبطرك الانطاكية واسقف بيت المقدس ووجه بطرك رومية من عنده رجلين فاتفقوا على نفي اريوس

واصحابه ولعنوهم وكل من قال مقالته ووضعوا الامانة وثبتوا ان الابن مولود من الاب قبل كون الخلائق وان الابن من طبيعة الاب غير مخلوق واتفقوا على ان يكون فصح النصارى في يوم الاحد الذي يكون بعد فصح اليهود وان لايكون فصح اليهود مع فصح النصارى في يوم واحد وثبتوا ما وضعه من تقدم ذكره من حساب الصوم والفصح وان يكون فطر النصارى يوم فصحهم يوم الاحد الذي يكون بعد فصح اليهود لان النصارى كما قلنا من قبل كانوا اذا عيدوا عيد الحميم وهو عيد الغطاس صاموا من الغد اربعين يوماً ويفطرون. فاذا كان عيد اليهود عيدوا معهم الفصح فصيروا يوم الفصح للفطر ومنعوا ان يكون للاسقف زوجة وذلك ان الاساقفة منذ وقت الحواريين الى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء لانه كان اذا صير واحد اسقفاً وكانت له زوجة تبيت معه ولم تنح عنه ماخلا البطاركة فانه لم تكن لهم نساء ولا كانوا ايضاً يصيرون احداً بطركا له زوجة • قال وانصرفوا مكرمين محظوظين وذلك في سبع عشرة سنة من ملك قسطنطين قال وسن قسطنطين الملك ثلاث سنين • احداها كسر الاصنام وقتل كل من يعبدها • والثانية ان لايثبت في الديوان الا اولاد النصارى ويكونون امراء وقواداً • والثالثة ان يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها لايعملون فيها عملاً ولا يكون فيها حرب • قال وتقدم قسطنطين الى اسقف بيت المقدس ان يطلب موضع المقبرة والصليب ويبني الكنائس ويبدأ ببناء القمامة المقدسة فقالت هيلانة ام قسطنطين الملك اني نذرت ان اصير الى بيت المقدس فاطلب المواضع المقدسة فابنيها فدفع الملك اليها اموالاً كثيرة جزيلة وسارت

الى بيت المقدس مع اسقف بيت المقدس فلما وصلت لم يكن لها حرص
ولا همة إلا طلب الصليب فجمعت اليهود والسكان فى بيت المقدس
واختارت منهم عشرة ومن العشرة ثلاثة كان واحد منهم يقال له يهوذا
فسألتهم ان يدلوها على موضع الصليب فامتنعوا وقالوا ليس عندنا علم
منه ولاخبره بالموضع. فامرت بهم فطرحتهم في جب ليس فيه ماء
فاقاموا سبعة ايام لم يطعموا ولم يسقوا فقال أحدهم الذي اسمه يهوذا
لصاحبيه ان أباه عرفه بالموضع الذى تطلب هذه المرأة وان جده عرف
اباه فصاح الاثنان من الجب اخرجونا حتى نعلم الملكة بحال هذا
الرجل فاخرجوهم فاخبروا الملكة بما قال لهما يهوذا فامرت بضربه
بالسياط فاقرانه يعرف الموضع نخرج حتى جاء الى الموضع الذى فيه
المقبرة والاقرانيون وكانت مزبلة عظيمة هناك فصلى وقال اللهم ان
كان في هذا الموضع المقبرة فاسألك ان تزلزل المكان وتخرج منه دخاناً
حتى يؤمن فزلزل الموضع وخرج منه دخان كما سأل فآمن فامرت
هيلانة بكنس الموضع من التراب فظهرت المقبرة والاقرانيون ووجد
ثلاثة صلبان. قالت هيلانة كيف لنا ان نعلم بصليب السيد المسيح وكان
بالقرب منهم عليل شديد العلة قد يئس منه فوضع الصليب الاول عليه
والثانى والثالث فقام المريض وليس به شئ يكره . فعلمت هيلانة انه
الصليب الذي لسيدنا المسيح فجعلته فى غلاف من ذهب وحملته معها
وحملته بما تقدر عليه واظهرت كل ما كان مدفوناً من آثار سيدنا المسيح
وحملته الى ابنها قسطنطين وبنت كنيسة القمامة فى موضع الصليب
والاقرانيون وكنيسة قسطنطين وانصرفت وامرت اسقف بيت المقدس

ان يبني باقي الكنائس وذلك في اثنين وعشرين سنة من ملك قسطنطين
قال فمن ميلاد سيدنا المسيح الى ان وجد الصليب ثلاثمائة وثمانية
وعشرون سنة وذكر انه بعد هذا اجتمعوا بمجمع عظيم بيت المقدس
وكان معهم رجل قد دسه بطرك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بطرك
الاسكندرية وكان هذا الرجل لما رجع الى الملك اظهر انه مخالف
لاريوس وكان يرى رأيه ويقول بمقالته فقام هذا الرجل واسمه مانيوس
فقال ان اريوس لم يقل ان المسيح خالق الاشياء ولكن قال به خلقت
الاشياء لان كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خلق الله
الاشياء بكلمته ولم تخلق الاشياء كلمته كما قال سيدنا المسيح في الانجيل
المقدس كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء فقال به كانت الحياة
والحياة نور البشر وقال في العالم والعالم به تكون فاخبر ان الاشياء به
تكونت ولم يخبر انها كونت له قال فهذه كانت مقالة اريوس ولكن
الثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً تعدوا عليه وظلموه وحرموه ظلماً وعدواناً
فرد عليه بطرك الاسكندرية وقال اما اريوس فلم يكذب عليه الثلاثمائة
وثمانية عشر اسقفاً ولاظلموه لانه انما قال ان الابن خالق الاشياء دون
الاب واذا كانت الاشياء انما خلقت بالابن دون ان يكون الاب لها خالقاً
فقد يجب ان يكون ما خلق منها شيئاً وفي ذلك تكذيب للمسيح قوله
الاب يخلق وانا اخلق وقال ان انا لم اعمل عمل أبي فلا تصدقوني
وقال كما ان الاب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته
فدل على انه يحيي ويخلق وفي هذا تكذيب لمن زعم انه ليس بخالق
وانما خلقت به دون ان يكون خالقاً له . واما قولك ان الاشياء كونت

به فانا لما كنا لانشك ان المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله انما افعل الخالق والحياة كان قولك به كونت الاشياء انما هو راجـع في المعنى الى انه كونها فكانت به مكونة ولو لم يكن ذلك كذلك لتناقض القولان قال ورد عليه أيضاً فقال. اما قول من قال من أصحاب اريوس ان الاب يريد الشيء فيكونه الابن والارادة للاب والتكوين للابن فان ذلك يفسد ايضاً اذ كان الابن عنده مخلوقا فقد صار حظ المخلوق في الخلق اوفى من حظ الخالق فيه وذلك ان هـذا أراد وفعل وذاك اراد ولم يفعل فهذا اوفر حظاً في فعله من ذاك ولا بد لهذا ان يكون في فعـله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منـه ويكون حكمه كحكمه في الجبر والاختيار فان كان مجبوراً فلا شيء له في الفعل وان كان مختاراً فجائز ان يطاع وجائز ان يعصى وجائز ان يثاب وجائز ان يعاقب وهذا اشنع في القول ٠ قال ورد عليه ايضاً وقال ان كان الخالق انما خلق خلقه بمخلوق فالمخلوق غير الخالق بلا شك فقد زعمتم ان الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج الى متمم ليفعل به اذ كان لايتم له الفعل الا به والمحتاج الى غـيره منقوص والخالق يتعالى عن هذا كله ٠ قال فلما دحض بطرك الاسكندرية حجج اولئك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهـم تحيروا وخجلوا فوثبوا على بطرك الاسكندرية فضربوه حتى كاد يقتل فخلصـه من ايديهـم ابن اخت قسطنطين وهرب بطرك الاسكندرية المحتج على اصحاب اريوس وصار الى بيت المقدس من غير حضور احد من الاساقفة ثم اصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون وسار الى الملك فاعلمه

بالجبر فصرفه الملك الى الاسكندرية

(فصل) قال وامر الملك ان لا يسكن يهودي بيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر يقتــل فتنصر من اليهود خلق كثير وظهر دين النصرانيــة فقيل لقسطنطين الملك ان اليهود يتنصرون من فزع القتل وهم على دينهم . قال الملك كيف لنا ان نعلم ذلك منهم ؟ قال بولس البترك ان الخنزير في التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير فامر ان تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتطعمهم منها فمن لم يأكل منه علمنا انه مقيم على دين اليهودية . فقال الملك اذا كان الخنزير في التوراة حراماً فكيف يجوز لنا ان نأكل لحم الخــنزير ونطعمه الناس ؟ فقال له بولس البترك ان سـيدنا المسيح قد ابطل كل ما في التوراة وجاء بناموس آخر وبتوراة جديدة وهو الانجيل وفي انجيله المقدس ان كل ما يدخل البطن ليس بحرام ولا نجس وانمــا ينجس الانسان الذي يخرج من فيه . وقال بولس الرسول في رسالته الى اهل مدينــة قورنثيوس الاولى الطعام للبطن آلته لها والبطن للطعام وله يلعن ومكتوب في الابركسس يعني اخبار الحواريين ان بطرس رئيس الحواريين كان في مدينــة يافا في منزل رجــل دباغ يقال له سيمون وانه صعد الى المنزل ليصلي وقت ست ساعات من النهار فوقع عليه سبات فنظر الى السماء قد تفتحت واذا ازار قد نزل من السماء حتى بلغ الارض وفيه كل ذي اربع قوائم على الارض من السباع والذئاب وغير ذلك من طير السماء وسمع صوتاً يقول له يا بطرس قم فاذبح وكل . فقال بطرس يارب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا وسخاً قط فجاء صوت ثان كل ما طهره الله فليس بنجس وفي نسخة

أخرى ماظهره الله فلا تحجبه انت ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ثم ان الازار ارتفع الى السماء فعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه فبهذا المنظر وبما قال سيدنا المسيح في انجيله المقدس امر بطرس وبولس ان نأكل كل ذي اربع قوائم من الخنزير وغيره من جميع الحيوان حلالا لنا. فامر الملك ان تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً صغاراً وتصير على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم احد الفصح وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير فمن لم يأكل منه يقتل فقتل لاجل ذلك خلق كثير. قال سعيد وكان لقسطنطين ثلاثة أولاد اكبرهم قسطنطين بن قسطنطين وذلك حين ملك ازدشير بن سابور بن هرمز على الفرس وملك بعده سابور بن سابور لخمس سنين من ملك قسطنطين قال وفى ذلك العصر اجتمع اصحاب اريوس وكل من قال بمقالته الى الملك قسطنطين فحسنوا له دينهم ومقالتهم وقالوا ان الثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد اخطأوا وحادوا عن الحق فى قولهم ان الابن متفق مع الاب في الجوهر. فأمر ان لا يقال هذا فانه خطأ فاراد الملك ان يفعل ذلك قال وفى ذلك العصر ظهر على الاقرانيون وهو الجلجلة نصف النهار صليب من نور من الارض الى السماء يفوق ضوءه ضوء الشمس فكان يبلغ الى طورزيتا فرأى ذلك كل من كان فى بيت المقدس من كبير وصغير فكتب اسقف بيت المقدس الى قسطنطين بن قسطنطين بالخبر وقال في أيام ابيك السعيد ظهر صليب كواكب من السماء في نصف النهار وفى أيامك ظهر أيها الملك على الاقرانيون صليب من نور يفوق نوره نور الشمس فى نصف النهار

وكتب اليه ان لايقبل قول أصحاب اريوس فانهم حائدون عن الحق كفار قد لعنهم الثلاثماية وثمانية عشر اسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله ٠ قال وفى ذلك الوقت غلبت مقالة اريوس على قسطنطينية وانطاكية وبابل والاسكندرية فسمي التابعون لاريوس والقائلون بمقالته اريوسيين مشتقا من اسمه ٠ قال وفى ثانى سنة من ملك قسطنطين صير على انطاكية بطرك اريوسي ثم بعده آخر اريوسى ثم بعده آخر منانى وصير على قسطنطينية بترك منانى ٠ قال فنى عشر سنين من ملكه صير على قسطنطينية بطرك وكان يقول روح القدس مخلوقة واقام عشر سنين ومات ونقل بعد ذلك بطرك انطاكية فصير على قسطنطينية وكان منانيا قال وأما أهل مصر والاسكندرية فكان اكثرهم اريوسيين ومنانيين فغلبوا على كنائس مصر فاخذوها ووثبوا على بترك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى وصيروا على اسكندرية بتركا منانيا وفى ذلك الزمان قدم من القسطنطينية الى الاسكندرية قائد وكان اريوسيا فنفى الملكى واقام بطركا اريوسيا فلما خرج القائد قتل الملكيون ذلك البترك الاريوسى وأحرقوه بالنار ومات الملك قسطنطين ابن قسطنطين وله في الملك اربع وعشرون سنة وملك بعده يوليانوس الملك الكافر على الروم سنين وأراد ان يرد الناس الى عبادة الاصنام وقتل من الشهداء خلقاً كثيراً وفي اول سنة من ملكه وثب الاريوسيون ببيت المقدس على أسقفها الملكي الذى كتب بظهور الصليب ليقتلوه فهرب منهم فصيروا أسقفاً اريوسياً ٠ قال وفى ثانى سنة من ملكه صير على انطاكية بطركا على الامانة اقام خمسا وعشرين

سنة وفى احدى وعشرين سنة من رياسته كان المجمع الثانى بقسطنطينية
قال وكان فى عصره أهل مدينة نيرباز كلهم صابئون فوضع اسقف
نيرباز واميمرا في ميلاد المسيح ويقول في ابتـداته السيد ولد مختوناً
نخذوا المسيح من السماء واستقبلوه على الارض فلما قرأه عليهم استهزأوا به
واقبلوا يضحكون منه فلما كان عيد الحيم وضع ميمرا فى عيد الحيم
هتك فيــه دين الصابئين وفضحهم فيه ومكن فيه دين النصرانية ٠ قال
وكان فى عصر يوليانوس الملك الكافر اول راهب سكن برية مصر وبنى
الديارات وجمـع الرهبان وكان آخر بالشام وهو اول من سكن برية
الاردن وجمع الرهبان وبنى الديارات قال وخرج هــذا الملك الكافر
لقتال سابور ملك الفرس فلسوء مذهبه ورداءة دينه وما أراد ان
يأخذ بعبادة الاصنام ظفر به ملك الفرس فقتله وقتل من اصحابه مقتلة
عظيمة ٠ وذكر اسقف قيسارية انه كان جالساً في محرابه وحذاءه لوح فيه
صورة ماري مركورس الشاهد فنظر الى اللوح فلم ير فيه صورة الشاهد
فعجب من ذلك اذ غابت فلم يكن الا ساعة حتى عادت صورة الشاهد الى اللوح
وفى طرف الحربة المصورة التي في يد الشاهد شبيه بالدم فتعجب من ذلك
وبقي متحيراً حتى بلغه ان الملك الكافر قتل فى الحرب فعلم ان ماري مركوس
الشاهد قتله لشدة بغضه الذي كان للنصارى وما كان عزم عليه من عبادة
الاصنام ٠ وذكر بعد هذا جماعة من البتاركة والاساقفة كان بعضهم
اريوسيا وبعضهم منانيا وبعضهم ملكيا وذكر فتنا بينهــم وتعصب كل
طائفة لبتركها حتى يقتــل بعضهم بعضا وينفى بعضهم بعضاً وذكر انه

اختلفت آراء النصارى وكثرت مقالاتهم وغلبت عليهم مقاله اريوس وانهم ملكوا عليهم ملكا اسمه تدوس وان الوزراء والقواد اجتمعوا اليه ذاكرين ان مقالات الناس اختلفت وفسدت وغلبت عليهم مقالة اريوس ومقدينوس فينظر الملك في هذا ويذب عن النصرانية ويوضح الامانة المستقيمة وكتب الى بطرك اسكندرية وانطاكية وورومية واسقف بيت المقدس فحضروا مع اساقفتهم بقسطنطينية الا بطرك رومية فانه كتب وانفذ بالامانة المستقيمة فاجتمع بقسطنطينية مماية وخمسون أسقفاً وكان المقدم البطاركة الثلاثة فدفع الملك اليهم كتاب بطرك رومية فكان صحيحاً موافقاً وكان يزعم ان روح القدس اله ولكن مخلوق مصنوع. فقال بطرك الاسكندرية ليس روح القدس عندي معنى غير حياته فاذا قلنا ان روح القدس مخلوق فقد قلنا ان حياته مخلوقة واذا قلنا ان حياته مخلوقة فقد زعمنا انه غير حي واذا زعمنا انه غير حي فقد كفرنا ومن كفر وجب عليه اللعن فاتفقوا على لعن مقدونيوس فلعنوه واشياعه ولعنوا البطاركة الذين كانوا بعده يقولون بقوله ولعنوا اسقف لونية واشياعه ولعنوا بوليناريوس واشياعه لانه كان يقول ان الاب والابن وجه واحد ولعنوا بوليناريوس واشياعه لانه كان يقول ان جسد سيدنا المسيح بغير فعل وثبتوا ان روح القدس خالقة غير مخلوقة اله حق وان طبيعة الاب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة وزاد في الامانة التي وضعها الثلاثماية والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في مدينة نيقية وبروح القدس المحيي المميت المنبثق من الأب وثبتوا ان الاب وحده والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ذو ثلاثة وجوه وثلاث خواص في وحدانية

واحدة وكيان واحدة وثلاثة أقانيم اله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة
وثبتوا ان جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة عقلية • قال فمن المجمع الاول
الى هذا المجمع الثانى ثمان وخمسون سنة قال واطلق بطرك الاسكندرية
للبطاركة والاساقفة والرهبان أكل اللحم من أجل المنانية ليعرف
المناني منهم لان المنانية لايرون أكل اللحم ولا شيئاً من الحيوان البتة
وكان أكثر أساقفة مصر منانية فاكل بطاركة مصر وأساقفتهم اللحم
وأما بطاركة رومية وقسطنطينية وأساقفتها ورهبانها لم يأكلوا اللحم
وأكلوا بدل اللحم السمك وأقاموه مقام اللحم اذ كان حيواناً • قال سعيد
ابن البطريك لم يطلق أكل اللحم على أنهم يعتاضون منه بالسمك اذ ليس
بذبيحة ويمنعون أكل اللحم اذ كان قد اخطأ الذين أقاموا السمك مقام
اللحم وسيدنا المسيح فقد أكل اللحم فوجب ضرورة أكل اللحم
اقتداء بالسيد المسيح ولو يوما واحداً في السنة ليزيلوا الشك من مذهب
المنانية • قال وفي الابركسس مكتوبا مانظره بطرس السليح بيافا من تنزل
السفنية وفيها كل ذي أربع قوائم ولهذا الحكم كل من لم يأكل اللحم
مخالف لشريعة النصرانية ومضاه لمذهب الصابئة والروم وهم لايغتسلون
الى اليوم لان المنانية لايرون الغسل بالماء فلما طال بهم الزمان أقاموه
على هذه السنة. وقال قوم انما تركوا الغسل بالماء لشدة برد بلادهم وبرد
الماء عندهم وانه لايتهيأ لهم بالجملة ان يقربوا الماء في الشتاء لثلجه وبرده
فصار سنة جارية شتاء وصيفاً • والمنانية صنفان السماعون والصديقون
فالسماعون يصومون فى كل شهر اياما معلومة. والصديقون يصومون الدهر
كله ولا يأكلون الا مانبت من الارض فلما تنصروا خافوا ان يتركوا

أكل اللحم فيعلم بهم فجعلوا لانفسهم صياما فصاموا الميلاد والحواريين فلما طال بهم الزمان وتربوا فى هذا الصوم أكلوا اللحم فتبعتهم فى ذلك النساطرة واليعاقبة والمارونية وصارت سنة استحسنها الملكية فتبعوهم وخاصة المقيمون ببلاد الشام . وأما الروم فما تركوا أكل اللحم فى أيام صوم الميلاد وصوم الحواريين وتلك الأيام التى نظن انها من جملة الصوم الكبير فمن أحب ان يصوم الميلاد والحواريين والسيدة ولا يأكل لحماً فليس بواجب وليس لاحد قطع اللحم طول السنة الافي صوم الاربعين المقدسة فقط ومن فعل بضد ذلك فهو مخالف راجع الى أصحاب الآراء المختلفة . قال وفي ثمان سنين من ملك ثذوس ظهرت فتية الذين كانوا هربوا من ذاقيوس الملك واختفوا في الكهف وذلك ان الرعاة على طول الزمان كانوا اذا جازوا بذلك الموضع الذى هو الكهف قلعوا الطوب المبنى على باب الكهف حتى عاد مفتوحا كالباب فلما انتبهت الفتية توهموا انهم كانوا نياما ليلة واحدة فقالوا لصاحبهم الذى كان يذهب يبتاع لهم الطعام أمض واشتر لنا طعاما واستعلم خبر ذاقيوس فلما خرج الى باب الكهف نظر الى البنيان والهدم ثم مضى حتى بلغ باب المدينة وهى أفسس فرأى باب المدينة عليه صليب كبير منصوب فانكر ذلك فى نفسه وقال أحسب انى نائم فاقبل يمسح عينيه وينظر يميناً وشمالا هل يرى من يعرفه فلم ير فبقى متحيراً وقال لعلي اخطأت الطريق ولعل هذه مدينة أخرى ثم دخل المدينة فدفع دراهم مما كان معه عليها صورة ذاقيوس الملك فانكر عليه وقالوا لعله أصاب كنزاً ثم قالوا من أين لك هـذه الدراهم والا قتلناك فلم يكلمهم وصاح الناس فاجتمع اليه خلق

كثير وكلموه فلم يكلمهم فصاروا به الى بطريق المدينة وكلمه فلم يتكلم فهدده فلم يتكلم فجاء اليه أسقف المدينة فكلمه وخوفه وقال انك ان لم تكلمني وتقل لى من أين لك هذه الدراهم والا قتلتك . وانما كان يمتنع من الكلام خوفا من ذاقيوس الملك فقالوا له انه قد مات وملك بعده جماعة ملوك فضربوه حتى آلمه الضرب فخبرهم بحاله على جليتها . فقالوا له ان ذاقيوس قد مات وملك بعده ملوك كثيرة والملك اليوم تذوس الكبير وقد ظهر دين النصرانية ثم سار معهم الى الكهف فنظروا الى اصحابه والصندوق النحاس الذى فيه الصحيفة الرصاص مكتوب فيها قصتهم وخبرهم فكثر تعجبهم وكتبوا الى الملك يعلمونه بخبرهم فركب وسار الى مدينة افسس فنظر اليهم وكلمهم وبعد ثلاثة ايام دخل اليهم فوجدهم امواتاً فامر ان يتركوا فى الكهف ولا يخرجوا ولكن يدفنوا فيه وتبنى عليهم كنيسة وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد في كل سنة في ذلك اليوم وانصرف الى قسطنطينية . قال فمن وقت هرب الفتية من ذاقيوس الى الكهف الى الوقت الذى ظهروا فيه وماتوا مائة وسبع او تسعة واربعون سنة * قلت هذا مما اخطأ فيه فان الله تعالى اخبر انهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً . لكن بعض المفسرين زعموا ان هذا قول بعض أهل الكتاب لقوله الله اعلم بما لبثوا وليس كذلك فان الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب بل ذكره كلاماً منه تعالى . قال سعيد وفي زمنه كانت قصة بترك قسطنطينية يوحنا الملقب بفم الذهب وتولى بعده ابنه تذوس الصغير اثنين واربعين سنة لاحدى عشرة سنة من ملك يزدجرد بن بهرام وفى زمنه جعل نسطورس الذي تنسب اليه مقالة النسطورية بطركا

على قسطنطينية قال وكان نسطورس يقول ان مريم العذراء ليست بوالدة الهاً على الحقيقة ولذلك كان اثنان • احدهما الذى هو اله مولود من الاب • والآخر الذى هو انسان مولود من مريم وان هذا الانسان الذى يقول انه مسيح بالمحبة متوحد مع ابن الله ويقال له اله وابن الاله ليس بالحقيقة ولكن موهبة • واتفاق الاسمين والكرامة شبيهاً باحد الانبياء • فبلغ قوله بطرك الاسكندرية فانكر ذلك وكتب اليه يقبح عليه فعله ومقالته ويعرفه فساد ماهو عليه ويسأله الرجوع الى الحق فجرت بينهما رسائل كثيرة ولم يرجع نسطورس عن مقالته فكتب الى بطرك انطاكية يسأله ان يكتب الى نسطورس ويعرفه قبح فعله ورأيه وفساد مقالته ويسأله الرجوع الى الحق فكتب الى نسطورس ان هو لم يرجع اجتمعوا ولعنوه وجرت بينهما رسائل كثيرة فلم يرجع فكتبوا الى بطرك رومية وانطاكية وبطرك بيت المقدس ان يجتمعوا في مدينة افسس لينظروا فى مقالة نسطورس فاجتمع بالمدينة مايتا اسقف مقدمهم بطرك اسكندرية وتأخر بطرك انطاكية فلم ينتظروه وبعثوا الى نسطورس فلم يحضر معهم فنظروا في مقالته واوجبوا عليه اللعن فلعنوه ونفوه وثبتوا ان مريم العذرا والدة الاله وان المسيح اله حق وانسان معروف بطبيعتين متوحدة فى الاقنوم وهذا هو خلاف المحبة لان نسطورس كان يقول ان التحيد اي الاتحاد اتفاق الوجهين واما التحيد اى الاتحاد المستقيم فانما هو ان يكون اقنوما واحداً من طبيعتين فلما لعنوا نسطورس قدم يوحنا بطرك انطاكية فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره غضب وقال ظلمتم نسطورس ولعنتموه باطلا

وتعصب مع نسطورس لجمع الاساقفة الذين قدموا معه فقطع بطرك اسكندرية وقطع اسقف افسس ٠ فلما رأى أصحاب بطرك اسكندرية قبح فعاله وقع بينهم شر عظيم وخرجوا من افسس وصار أصحاب بطرك اسكندرية والمشرقيون حزبين فلم يزل تذوس الملك حتى اصلح بينهم وكتب المشرقيون صحيفة وبثوا فيها الامانة الصحيحة وقالوا فيها ان مريم العذراء القديسة ولدت الهاً ربنا يسوع الذى هو مع أبيه في الطبيعة ومع الناسوت فى الناسوت وأقروا بطبيعتين ووجه واحد واقنوم واحد ولعنوا نسطورس ووجهوا بالصحيفة الى بطرك اسكندرية فقبل الصحيفة وأجابهم عنها بموافقتهم على ذلك ٠ وقال قوم لما قبل صحيفة المشرقين بداله ولم يقبل طبيعتين ووجهاً واحداً ٠ وقال سعيد بن البطريق وهم في ذلك كاذبون لان كتبه تنطق بذلك ثم أرسل نسخة صحيفة المشرقين الى جماعة من الاساقفة يعلمهم ان المشرقين رجعوا الى الايمان وانهم غير موافقين لنسطورس. قال فمن المجمع الثاني الى المائة والخمسين أسقفاً المجتمعين بمدينة قسطنطين ولعنوا مقدونيوس الى هذا المجمع المائتين أسقفاً المجتمعين بافسس على نسطورس احدى وخمسون سنة . قال ولما نفي نسطورس صار الى مصر فاقام بضيعة فى صعيد مصر يقال لها اخميم ومات ودفن بها وكانت مقالته قد اندرست فاحياها من بعده بزمان طويل مطران نصيبين فى عصر يوسطيانوس ملك الروم وقباذ بن فيروز ملك الفرس فبثها بالمشرق فلذلك كثر النسطورية بالمشرق وخاصة أرض أهل فارس بالعراق والموصل ونصيبين والفرات والجزيرة ٠ قال سعيد بن البطريق رأيت ان ارد على النسطورية في هذا الموضع وابين بطلان

قولهم وفساده لان النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم وزعموا ان نسطور كان يقول ان المسيح جوهران واقنومان الاه تام باقنومه وجوهره وانسان تام باقنومه وجوهره وان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لامن جهة لاهوته لان الاب عندهم ولد إلهاً ولم يلد انساناً ومريمُ ولدت انسانا ولم تلد الهاً * فيقال لهم ان كان الامر على ماتقولون فالمسيح مسيحان وابنان فمسيح اله وابن اله ومسيح انسان وابن انسان لانه لابد لمريم من ان تكون ولدت المسيح او لم تلده فان كانت ولدته فلا بد ان تكون ولادا روحانياً او جسمانياً فان كان جسمانيا فهو غير الذي ولده الاب وذلك يوجب ان يكون مسيحان وان كان روحانيا فالمسيح ابن واحد اقنوم واحد مسيح واحد والدليل على ذلك صفيحة الحديد التي تحد بها النار فانها سيف واحد يحرق وتمنع وتقطع وتضيء لا يجوز ان يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة من غير جهة النار اذ كان مالم يكن فيه نار من الحديد غير محرق ولا الجهة النارية هي القاطعة المانعة اذ كان شأن النار الاضاءة والاحراق لا القطع فقد ثبت بهذا وصح ماتعتقده الملكية من ان المسيح اقنوم واحد وبان زيف قول النسطورية ان المسيح اقنومان * قلت يقال لهذا ان قول النسطورية والملكية وان كانا باطلين فقول الملكية اشد بطلانا واعظم كفرا وتناقضاوما ذكره هذا باطل اما قوله لوكان الامر على ماتقولون فالمسيح مسيحان . فيقال له هذا انما يلزم ان لو كان اللاهوت بمجرده يسمى مسيحاً فان النسطورية وافقوهم على باطل وهو ان الرب ولد الهاً وهذا باطل ولم يقل احد قط من الانبياء لا

في الانجيل ولا غيره ان صفة الله القائمة به مولودة ولا ان الرب له مولود قديم ازلي لكن اذا قدر ان الامر كذلك فصفة الله لم يسمها احد مسيحا فاذا قدر ان اللاهوت والناسوت جوهران اقنومان لاتحاد بينهما لم يلزم ان يكون اللاهوت مسيحاً ولا هناك مسيح هو اله ولا مسيح هو ابن اله وقد تقدم عن نسطور انه كان يقول ان هذا الانسان الذي نقول انه مسيح متوحد بالمحبة مع ابن اله ويقال له اله وابن اله ليس بالحقيقة فقد صرح بأن المسيح هو الانسان فقط دون اللاهوت وان المسيح ليس باله ولا ابن اله في الحقيقة فبطل ماالزمه اياه من انه يلزم ان يكون هنا مسيحان • واما قوله لابد لمريم من ان تكون ولدت المسيح او لم تلده * فيقال بل ولدت المسيح وهو الانسان وهو غير اللاهوت الذي تزعمون ان الاب ولده وليس في ذلك مسيحان بل مسيح واحد انسان مخلوق وأيضاً فقوله فان كان ولدته فلا بد ان يكون ولادا روحانياً أو جسمانياً فان كان روحانياً فالمسيح ابن واحد أقنوم واحد مسيح واحد تقسيم باطل وحجة فاسدة داحضة • فان مريم لم تلد ولادة روحانية بل خرج الولد من فرجها كما تخرج أولاد النساء من فروجهن سواء كانت عذرتها باقية أو لم تكن • وأما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد فلو قدر انه مثل مطابق لم يدل على صحة قولهم بل غايته انه يدل على امكانه فاين الدليل على ان هذا هو الواقع فليس فيه ما يدل على صحة قول الملكية وفساد قول خصومهم فكيف وهو تمثيل غير مطابق • فان الحديد اذا اتحدت به النار كان الحديد قد استحالت عن صفته فلم يبق حديداً محضاً وليست ناراً محضة والخشب وغيره اذا أحرق وصار ناراً فليس

هو خشباً محضاً وليس هو ناراً محضة بسيطة فمن شأن الشيئين
اذا اتحدا ان يستحيل كل منهما الى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة ليست
لاهذا ولا هذا كالماء واللبن اذا اتحدا فان ذلك يصير جوهراً ثالثاً
وطبيعة ثالثة لالبنا محضا ولا ماء محضا وكذلك النار مع الحديد أو الخشب
أو غير ذلك فان ذلك يصير جوهراً ثالثا ليس حديداً محضا ولا خشبا
محضا ولا ناراً محضة لكن الحديد اذا برد فهو حديد لكنه تغيرت
حقيقته فالنار تلينه وتذهب خشبه ولا يبقى بعد اتحاده بالنار كما كان قبل
والخشب يصير فحما وهو جوهر ثالث اذ كان من طبع النار انها تؤثر
في كل جسد بحسبه فتؤثر في الحديد بحسبه وفي الخشب بحسبه وكل شيئين اتحدا
فانهما يصيران جوهراً ثالثا واقنوما ثالثا وطبيعة ثالثة . فان كان اللاهوت
والناسوت قد اتحدا كما زعموا فقد استحالت صفة اللاهوت واستحالت صفة
الناسوت فلم يبق اللاهوت لاهوتاً ولا الناسوت ناسوتاً بل صاروا
جوهراً ثالثاً لا لاهوت ولا ناسوت وهم ينكرون هذا القول وهو باطل
فان رب العالمين لا يتبدل وتستحيل صفاته بصفات المحدثات ولا ينقلب
القديم ولا شيء من صفاته محدثاً ولا يستحيل القديم الرب الخالق
والمخلوق المحدث الى شيء ثالث بل صفات الرب التي لم يزل ولا يزال
موصوفاً بها لا تتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل فضلا عن ان تستحيل
الى أمر ثالث ثم هذا الثالث ان كان قديماً خالقاً صار هنا خالقان قديمان
وان كان مخلوقا محدثا كان الخالق قد صار مخلوقا محدثاً ومعلوم ان استحالة
الخالق الى خالق آخر . او الى مخلوق ممتنع ظاهر الامتناع ومما يوضح هذا
ان ما مثلوا به من الحديدة المحماة بالنار هي جوهر ثالث يجري على نارها

مايجري على حديدها فاذا طرقت فالتطريق واقع على نارها كما هو واقع على حديدها وكذلك اذا مدت وكذلك اذا بصق عليها وكذلك اذا القيت في الماء فان كان هذا التمثيل مطابقاً لزم ان يكون ماحل بالناسوت قد حل باللاهوت فيكون رب العالمين هو الذي كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وهو الذي صفع عندهم وبصق فى وجهه وجعل الشوك على رأسه وضرب بالسياط وصلب ومات وتألم كما يحكي مثل هـذا عن اليعقوبية وهـذا لازم لكل من قال بالاتحاد حتى النسطورية ان قالوا انهما متحدان بالمشيئة بمعنى ان مشيئة هذا عين مشيئة هذا بخلاف ما اذا قالوا ان مشيئته موافقة لمشيئته ليست اياها ولهـذا قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهـم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) الى قوله (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) فذكر سبحانه وتعالى انهما كانا يأكلان الطعام لان ذلك من أظهر الادلة على انهما مخلوقان مربوبان اذ الخالق احد صمد لا يأكل ولا يشرب وذكر مريم مع المسيح لان من النصارى من اتخذها الهاً آخر فعبدها كما عبد المسيح والذين لايقولون بهذا كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب من الله حتى يقول لها اغفري لي وارحميني وغير ذلك بناء

على انها تشفع في ذلك الى ابنها فتارة يقولون ياوالدة الاله اشفعي لنا الى الاله وتارة يسئلونها الحوائج التي تطلب من الله ولا يذكرون شفاعة وآخرون يعبـدونها كما يعبدون المسيح وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم لما ذكر اجتماعهم عنـد قسطنطين بنيقية قال وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الاديان فمنهم من يقول المسيح وأمه آلهان من دون الله وهم المريمانيون ويسمون المريمانية . كذلك قال ابن حزم وقد قال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقـد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعـلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهـم وأنت على كل شئ شهيد) وهو سبحانه لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل المسيح سؤالا يقرع به من اتخذه وأمه آلهين من دون الله . قال ابن البطريق ويقال للنسطورية ايضاً اخبرونا عن الناسوت التي اتحدت بها اللاهوت وسمي مسيحاً هل هو لم يزل مسيحاً منذ كان في بطن مريم الى حين وضعته وأرضعتـه وشب وصلب وقتل أم كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً فان قالوا لم يكن مسيحاً وهو في بطن مريم وانما ولدت مريم انساناً كان ثلاثين سـنة وهو واحد من الناس ثم اتحـد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً . تركوا قولهم وكذبوا الانجيل وبولص وجميـع كتب الكنيسة وخرجوا عن مقالة النصرانية . وان قالوا ان

اللاهوت اتحد فى الناسوت عند الحمل وانه كان مسيحا وهو محمول ومولود ومرضع الى ان صلب وقتل • فقد اقروا ان مريم ولدت الها مسيحا واحداً اقنوما واحداً * فيقال له هذا التقسيم يدل على بطلان قول النصارى الذين ابتدعه طوائفهم الثلاثة وغيرهم فان الاتحاد يزعمون انه كان من حين حملت به مريم وانه كان ينمو قليلا قليلا كنمو جسد المسيح والاتحاد باطل كما قد قرر غير مرة ولو قدر انه ممكن لظهر أثر ذلك فان الله لما كلم موسى من الشجرة ظهر من الآيات والعظمة ما دل على ذلك • ولذلك كان اذا كلم موسى يظهر آيات ذلك وكذلك ما اخبر به في التوراة وغيرها من مصاحبته لبني اسرائيل هو مما ظهر أثره وان لم يكن متحداً ولا حالا في شيء من ذلك ولما تجلى من طورسينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران بما انزله من كتبه ظهر آثار ذلك وان لم تكن ذاته متحدة ولا حالة بفاران ولا طورسينا باتفاق الامم فكيف تكون ذاته متحدة بما في بطن مريم او حالة فيه ولا يظهر أثر ذلك وايضاً فيقال له قد يقول النسطورية له الناسوت كان مسيحاً من حين الحمل بمعنى انه كان طاهراً مقدساً لا بمعنى اتحاد اللاهوت به وان قالوا المسيح اسم للاهوت والناسوت جميعا فيقال ليس في كتب الانبياء ما يقتضى هذا والنسطورية يسلمون ذلك لكن قد يقولون ان المسيح اسم لهما كما ان الانسان اسم للروح والجسد ثم قد يقال لجسد الانسان الميت هذا الانسان فيقال وهو فى بطن مريم أمه قبل نفخ الروح فيه هذا الجنين وهذا الحمل فكذلك اذا قيل له مسيح بدون اللاهوت وايضا فقد تقول النساطرة باقتران اللاهوت

من حين الحمل ولا يلزم ان يكون قد ولدت الهاً اذا لم يقولوا بالاتحاد بل قالوا هما جوهران اقنومان ولدت احدهما ولم تلد الآخر كما تقول الملكية معهم انه صلب احدهما ولم يصلب الآخر ومات احدهما ولم يمت الآخر وتألم احدهما ولم يتألم الآخر فكيف جوز الملكية حين الموت ان يحل الموت والصلب والاكل والشرب وسائر الامور البشرية باحد الجوهرين دون الآخر ولم يجوزوا حين الولادة ان تلد مريم احد الجوهرين دون الآخر وهل هذا الامن تناقضهم كقولهم جميعا انه صعد الى السماء وقعد عن يمين ابيه مع قولهم ان اللاهوت مع الناسوت قعد عن يمين الاب ويقولون مع ذلك ان اللاهوت القاعد عن يمين الآخر هو ذلك الآخر وهما جوهر واحد واله واحد مع قوله انه اله حق من اله حق فمناقضاتهم كثيرة ولاريب ان قول النسطورية ايضا متناقض لكن لايمكن ان نصحح قول الملكية دون قولهم بل قول الملكية اعظم فسادا وتناقضا فالنسطورية يقولون الاله لم يولد ولم يصلب واليعقوبية يقولون ولد وصلب والملكية يقولون ولد ولم يصلب ومتى جاز ان يولد جاز ان يموت ويصلب وان لم يجز ان يصلب ويموت لم يجز ان يولد فتجويز احدهما ومنع الآخر تناقض ويقال للملكية انتم تقولون أن اللاهوت اتحد بالناسوت عند الحمل وكان مسيحا وهو مصفوع ومصلوب وميت ومتألم وتقولون هذا كان بالناسوت دون اللاهوت فهذا التناقض من جنس تناقض النساطرة قال ابن البطريق ويقال للنساطرة ايضا متى اتحدت الكلمة بالانسان اقبل الولادة ام فى حال الولادة فان قالوا قبل الولادة قلنا لهم قبل الولادة قبل الحمل او

قبل الولاة وهو حمل فان قالوا قبل الولادة وقبل الحمل فقد زعموا انه اتحد قبل ان يكون انسانا وقبل ان يصور وقولك فان كان ذلك كذلك فسد قول النسطورية ان القديم اتحد بانسان جزئي لان الانسان الجزئي انما كان انسانا جزئيا لما صار مصوراً بشريا فيقال له هذا السؤال لازم للطوائف الثلاثة فانهم يقولون بالاتحاد اعظم من النساطرة فانَ قيل هم يقولون انه اتحد بانسان كلي كان هذا من أفسد الاقاويل فان المسيح بشر معين جزئي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه لم يكن انسانا كلياً ثم قال ويلزمهم ان يزعموا ان اللاهوت قد كان حل مع الناسوت تسعة أشهر ونحوها من بدء الحمل مقيما معه في الموضع الذى يحمل فيه الجنين ثم ولدا معاً وهذا خلاف قولهم ان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته فيقال قد يقولون انه ولد الناسوت دون اللاهوت كما يقول الملكية انه صلب الناسوت دون اللاهوت وان كان هذا متناقضاً فالنساطرة اقل تناقضاً لان الملكية يقولون انهما شخص واحد اقنوم واحد فقد اتحد أحدهما بالآخر فاذا جاز مع هذا ان يفارق أحدهما الآخر فى الاكل والشرب والصلب والموت فمن قال انهما جوهران اقنومان هو اولى ان يقول ولدت احدهما دون الآخر ثم قال وان قالوا اتحد به وهو حمل صورة تامة قلنا لهم فقد كان الاله حملا قبل الولادة واذا جاز ان يحمل جاز ان يولد فيقال هم لايقولون بانهما صارا شخصاً واحداً اقنوماً واحداً بل يقولون جوهران أقنومان وحينئذ فلا يقولون حملت بالله ولا ولدت الهاً كما لا يقول الملكية صلب اللاهوت ومات اللاهوت مع قولهم بان اللاهوت والناسوت اتحدا قال

فان قالوا كان الاتحاد في حال الولادة قلنا فقد ولدت مريم الكلمة اذا مع الانسان والكلمة عندنا وعندهم اله فقد ولدت مريم الهاً فان قالوا نعم قلنا فاذا جاز ان يولد لم لايجوز ان يكون حملا فاذا أجازوا ذلك تركوا قولهم وان لم يجيزوه قلنا فما الفرق بين ان يكون مولودا وبين ان يكون محمولاً فان قالوا ليس الاله مولوداً ولم يكن الاتحاد قبل الولادة وهو ان يكون محمولا ولا في حال كونه ولدا في حال الولادة قلنا فهذا نقض قولكم ان مريم ولدت المسيح لان المسيح عندكم ليس هو الانسان وحده ومريم عندكم انما ولدت الانسان وحده واذا كان المسيح ليس هو الانسان وحده وعندكم انما ولدت الانسان وحده قبل الاتحاد فانما ولدت اذاً ماليس بمسيح اذ كان انما كان مسيحاً بالاتحاد وكان الاتحاد بعد الولادة فانما كان مسيحاً بعد الولادة فاذا كان هذا عندكم فاسداً وكانت مريم ولدت المسيح فمريم لم تلد الانسان وحده وهذا يوجب انها قد ولدت الاله مع الانسان ويوجب ان الاتحاد كان قبل الولادة قال فقد تبين زائف ما تعتقده النسطورية من ان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وصح ان مريم ولدت الهاً مسيحا واحداً قال ويقال لهم اذا زعمتم ان المسيح جوهران جوهر قديم وجوهر محدث ثم زعمتم ان مريم ولدت المسيح فقد اقررتم ان مريم ولدت هذين الجوهرين اللذين هما المسيح واذا ولدتهما واحدهما اله فقد ولدت الهاً قديما ولا يجوز ان تلد الا ما كان محمولا فهذا يوجب انها قد كانت حاملة لذلك الاله فقد تبين زايف ما تعتقده النسطورية ان مريم لم

تحمل الها ولم تلده وصح ماتعتقده الملكية ان مريم ولدت الها مسيحاً واحداً ابناً واحداً اقنوماً واحداً فيقال له ليس هذا التناقض من النسطورية باعظم من تناقض الملكية فانهم مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت وانهما شخص واحد يقولون ان أحدهما كان يأكل ويشرب ويصوم ويصلي ويتصرف وانه أخذ وصفع ووضع الشوك على رأسه وصلب وألم ومات دون الآخر فاذا كان قول النسطورية متناقضاً فقول الملكية اعظم تناقضا فاذا منعوا ان تحمل المرأة وتلد الناسوت دون اللاهوت لاجل الاتحاد الذي بينهما وجب ان يمنعوا ان يأكل ويشرب ويصلب ويقتل احدهما دون الآخر لاجل الاتحاد بطريق الاولى وكون الصلب والقتل اعظم منافاة للربوبية من حمل مريم به وولادته اياه لايمنع كون كل ذلك ممتنعاً على الله ومن جوز عقله ان يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير وهذا أعظم مايكون من الامتناع ومن جوز عليه هذا جوز عليه ان يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب واكبر منه وجوز ان يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه ومن شقوق الابواب وغير ذلك من الثقوب وان قالوا ذلك مكان طاهر قيل افواه الانبياء والصالحين اطهر من كل فرج في العالم فيجوز ان يخرج من فم كل نبي وولي لله ومن اذنه ومن انفه فان هذه الخروق والثقوب افضل من فروج النساء تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً فهؤلاء النصارى يقولون ان كون الله مولودا من فرج مريم غير كونه مولودا في الازل من الاب بل هما ولادتان روحانية وجسمانية وهم اذا طولبوا بتفهيم

ما يقولونه وقيل لهم هذا لا يتصور ان يكون رب العالمين يخرج من نقب ضيق لافرج ولا فم ولا اذن ولا غير ذلك من الاثقاب قالوا هذا فوق العقل واعترفوا ان هذا لا يتصوره العقل • فيقال لهم هذا الكلام لم يقله نبي من الانبياء ولم ينطق نبي من الانبياء بان مريم حملت برب العالمين وولدته بل ولا نطق نبي من الانبياء بان الله مولود ولا شيء من صفاته مولود لاعلمه ولا حياته ولا غير ذلك ولا نطق نبي من الانبياء لا المسيح ولا غيره بان الله اتحد بشيء من المخلوقات وليس في الانجيل وغيره مما ينقل عن الانبياء شيء من ذلك بل غاية مافيها كلمات مجملة متشابهة كقوله انا وأبي واحد كما قال الله لمحمد (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله فاذا قال بعض ملاحدة المسلمين من الشيعة او المتصوفة أو غيرهم ان الله اتحد بمحمد) لقوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) كان هذا من جنس قول النصارى والآية لم تدل على ذلك بل مبايعة الرسول مبايعة لله لان الرسول أمر بما أمر الله به ونهي عما نهى الله عنه فليس فى كلام الانبياء ان الله ولا شيئا من صفاته مولود الولادة التي يسمونها ولادة عقلية وروحانية ولا في كتبهم ان شيئا من صفات الله تسمى ابنا لله ولا ان اللاهوت ابن الله فضلا عن ان ينطقوا ان الله مولود من امرأة ولادة وخرج من فرجها فيكون مولوداً ولادة جسمانية ولهذا لما تنازعت النصارى فى ذلك لم يكن لمن ادعاه على من نفاه حجة من نصوص الانبياء غاية ماعندهم التمسك بالفاظ متشابهة وتغيير الفاظ صريحة محكمة تبين ان المولود انما هو بشر فاذا قالوا فى

الالفاظ المتشابهة لانعلم مراد الرسول بها كان هذا مما قد يعذرون به فان المتشابه من النصوص لايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم فاذا قالوا لسنا من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويله كانوا شاهدين على أنفسهم بعدم العلم وشهادة الانسان على نفسه مقبولة بخلاف القول الذى تكلموا به هم وزعموا ان معناه يدلّ عليه كلام الأنبياء اويدل عليه العقل فان عليهم ان يبينوا معناه الذي عنوه به وعليهم ان يبينوا انه قد دل على ذلك شرع او عقل فاذا قالوا نفس الكلام الذي قلناه لانتصور معناه كانوا معترفين انهم يقولون على الله مالا يعلمون وهذا حرام عليهم وان قالوا ان كلام الأنبياء دل على ذلك كان غاية ما عندهم التمسك بالمتشابه وحينئذ فيطالبون بتفسير المتشابه والجمع بينه وبين المحكم على وجه صحيح معلوم والا فاذا قالوا هذا فوق العقل لانفهمه قيل لهم فدعوا المتشابه لاتحتجون به ولاتذكرون له معنى تزعمون انكم لاتعقلونه فمتى ثبت عن الأنبياء قول وقال قوم انا لانفهمه انهم يصدقون على أنفسهم واما اذا فسروا كلام الانبياء بقول عبروا به عن مراد الأنبياء وقالوا هذا مرادهم مع تعبيرهم عنه بعبارات اخرى طولبوا بان يبينوا ذلك المعنى وقيل لهم ان فهمتم ماقلتموه فبينوه وان لم تفهموه فلا تتكلموا بلا علم قال سعيد بن البطريق ان أئمة الضلالة اعني نسطوريوس وارطيوس وديسقورس وسورس ويعقوب البراذعي واشياعهم الذين ارادوا ان يقيموا الزيف والمحال ولم يراجعوا الى خشية الله وزاغوا عن سبيل الحق لسوء رايهم فقد تورطوا فى بحر الضلالة وهم جميعا فيما ارتطموا فيه من ضلالتهم يضمرون جهلا منهم باتحاد لاهوت سيدنا المسيح بناسوته

ويتورط كل واحد منهم في وجه من وجوه الخلطة ويتمسك به فقد
رايت ان اوضح وجه الخلطة وابين ذلك لتقف على فساد قولهم ان من
عظيم تدبير الله وكمال عدله وجليل رحمته ان بعث كلمته الخالقة التي بها
خلق كل شيء من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منه من قبل
كل الدهور ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط ولا كانت الكلمة برية
منه قط ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره فهبطت كلمة الله الخالقة
بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزال فالتحمت من مريم
العذراء وهي جارية طاهرة مختارة من نسل داود اصطفاها الله لهذا
التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس وروحه الجوهرية حتى
جعلها اهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها فاحتجبت الكلمة الخالقة
بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة روح القدس خلقاً
جديداً من غير نطفة آدمية جرت عليها الخطيئة ومن غير مجامعة
بشرية ولا انفكاك عذرة تلك الجارية المقدسة فهو انسان تام بجسده
ونفسه الدموية وروحه الكلمانية التي من صورة الله في الانسان
وشبهه فكانت مسكناً لله فى حلوله واحتجابه للطافتها عن جميع مالطف
من الخلائق كلهم واعلم انه لايرى شئ من لطيف الخلق الا في غليظ
الخلق ولا يرى ماهو لطيف من اللطيف الا مع ماهو اغلظ منه فيما
يظهر لاهل الانقال من غليظ الخلق وانا وجدنا روح الانسان العاقلة
الكلمانية الطف من لطيف الخلق فلذلك كانت اولى خلق الله بحجاب
الله فكانت لها حجاباً ولمن هو الطف منها وكانت النفس الدموية لها
حجاباً والجسد الغليظ حجاباً فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس

الانسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية وصارت كلمة الله بقوامها قواما لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله اياها لانها لم تخلق ولم تك شيئاً الا تقول من كلمة الله الذي خلقها وكونها لامن شئ لاسبق قبل ذلك في بطن مريم ولا من شئ كان لها من نطفة ولامن غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو احد التثليث الالهي فذلك القوام معدود معروف مع الناس لما ضم اليه وخلقه له التحم به من جوهر الانسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقة واحد فى التثليث بجوهر لاهوته واحد فى الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين ولكن واحد مع الاب والروح وهو اياه واحد مع اناس جميعاً بجوهرين مختلفين من جوهر اللاهوت الخالق وجوهر الناسوت المخلوق بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة التى هى الابن المولود من الله قبل الادهار كلها وهو اياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الاب ولا من روح القدس * قلت فهذا كلام سعيد بن البطريق الذي قرر به دين النصارى وفيه من الباطل ما يطول وصفه لكن نذكر من ذلك وجوها • الوجه الاول قوله ان من عظم تدبير الله ان بعث كلمته الخالقة التى بها خلق كل شئ • من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منها فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم فالتحمت من مريم العذراء • فيقال قد جعلت الكلمة خالقة وقلت بعد هذا ولا كانت الكلمة برية منه ولا من روحه الخالقة وقلت بعدها فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة روح القدس جميعاً خلقاً جديداً * فيقال لهم اخالق العالم عندكم خالق واحد

وهو الله واحد أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون ؟ فان قالوا ان الخالق واحد وهم ثلاثة آلهة خالقون كما انهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة الهة وثلاثة خالقين ثم يقولون الله واحد وخالق واحد . فيقال وهذا تناقض ظاهر فاما هذا وأما هذا . واذا قلتم الخالق واحد له ثلاث صفات لم ننازعكم في ان الخالق له صفات لكن لا يختص بثلاثة . فان قالوا بثلاثة الهة ثلاثة خالقين كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم بان كفرهم وعظم شركهم وبان ان شركهم اعظم من كل شرك في العالم فغاية المجوس الثنوية اثبات اثنين نور وظلمة وهؤلاء يثبتون ثلاثة ثم الادلة السمعية في التوراة والانجيل والزبور وسائر كلام الانبياء مع الادلة العقلية المبينة لكون الخالق واحداً كثيرة جداً لا يمكن حصرها هنا . وان قالوا ان الخالق واحد له صفات . قيل لهم فهذا مناقض لقولكم انه بعث كلمته الخالقة وقولكم ولا كانت الكلمة برية منه ولا من روحه الخالقة وقولكم فهبطت الكلمة الخالقة وقولكم فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة الروح . فهذا يقتضي ان الكلمة خالقة وان الروح خالقة وانها خلقت بمسرة الاب الخالق وموازرة الروح الخالقة وهذا الخالق هبط والاب لم يهبط فاذا كان الخالق واحداً له صفات لم يكن هنا الا خالق واحد . الوجه الثاني قولكم بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء وقد نطقت الكتب بان الله يخلق الاشياء بكلامه فيقول لها كن فيكون هكذا في القرآن والتوراة وغيرهما لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه ليس كلامه خالقاً ولا يقول أحد قط ان كلام الله خلق السموات والارض

والتوراة كلام الله والانجيل كلام الله ولا يقول احد ان شيئاً من ذلك خلق السموات والارض ولا يقول احد يا كلام الله اغفرلي وارحمني فقول هؤلاء ان كلمته هي الخالقة وانه خالق بها كلام متناقض فانها ان كانت هي الخالقة لم تكن هي المخلوق به فالمخلوق به ليس هو الخالق الثالث ان يقال قولكم كلمة الله الخالقة اهي كلام الله كله أم هي بعض كلام الله ام هي المعنى القائم بالذات القديم الازلي الذي يثبته ابن كلاب ام حروف وأصوات قديمة ازلية كما يقوله بعض الناس ام هي الذات المتكلمة ؟فان كانت هي الذات المتكلمة فهى الاب والرب وتكون هي الموصوفة بالحياة فلا يكون هناك كلام مولود ولا كلمة ارسلت ولا غير ذلك مما ذكروه وهذا خلاف قولهم كلهم فان الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الاب عندهم . وان قالوا بل هي كلام الله كله . قيل لهم فيكون المسيح هو التوراة والانجيل والقرآن وسائر كلام الله وهذا لايقولونه ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل . وان قالوا انها هي المعنى الواحد القديم الازلي أو الحروف والاصوات القديمة الازلية . قيل لهم هذان القولان وان كانا باطلين فان قلتم بهما لزمكم ان يكون المسيح هو كلام الله كله فان هذين عند من يقول بهما هما جميع كلام الله والتوراة والانجيل وسائر كلام الله عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله وهو الحروف والاصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين وان قلتم ان المسيح بعض كلمات الله . فحينئذ لله كلمات اخر غير المسيح فاجعلوا كل كلمة خالقاً كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً اذ كنتم تقولون الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها فقولوا عن سائر كلمات الله انها خالقة مخلوق بها وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله

واذا كانت كلمات الله لا نهاية لها كان للخالق خالقون لا نهاية لهم وهذا غاية الباطل والكفر وبالجملة اى شى فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه ويقولون الكذب والكفر المتناقض وانما عندهم تقليد من اضلهم كما قال تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل • الوجه الرابع ان يقال لهم مالم يعلم بالمعقول فليس فى المنقول مايدل عليه وانتم لا تدعون انكم عرفتموه بالعقل لكن بما نقل عن الانبياء وانتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته وروح القدس بحياته فعن اي نبي تنقلون ان علم الله وحكمته مولودة منه وانه يسمى ابنا وان علمه أو حكمته خلق كل شىء وان حياته خلقت كل شىء وان علمه خالق واله ورب وحياته خالقة واله ورب وليس في الانبياء من سمى شيئا من صفات الرب ولداً له ولا ابنا ولا ذكر ان الله ولد شيئاً من صفاته فدعواكم ان صفته القديمة الازلية ولدت مرتين مرة ولادة قديمة أزلية • وولادة حادثة من فرج مريم كذب معلوم على الانبياء لم يقل أحد منهم ان الله ولد ولا ان شيئاً من صفاته ولده لا ولادة روحانية ولا ولادة جسمانية وهذا وان أبطل قول الملكية فهو لقول اليعقوبية أشد ابطالا وهو مبطل أيضا لقول النسطورية فانهم يقولون بالامانة التي فيها انه مولود قديم أزلى فان طوائفهم الثلاثة متفقون على الامانة التى ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد اكثر من ثلاثمائة سنة من المسيح. الوجه الخامس قولكم بعث كلمته الخالقة فهبطت كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شىء ليست مخلوقة ولكن مولودة منه ولم يكن الله

بلا كلمته ولا روحه قط . من قال من الانبياء انه لم يكن بلا روحه قط او ان روحه صفة له قديمة او انها حياته؟ وكلام الانبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو ماينزله على الانبياء كالوحى والتأييد او الملائكة فليست روح الله صفة قائمة به ولا غيرها ولكنها امر بائن عنه . الوجه السادس انه اذا كان قد بعث كلمته الخالقة وهبطت والتحمت من مريم فهو نفسه رب العالمين هبط والتحم من مريم أم رب العالمين نفسه لم يهبط ولم يلتحم من مريم وانما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها فان قلتم هو نفسه هبط والتحم كان الاب الوالد للكلمة هو الذي هبط والتحم وكان الاب هو الكلمة وهذا مناقض لاقوالكم . وان قلتم ان المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الاب بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق فيكون هناك خالقان خالق ارسل فهبط والتحم . وخالق ارسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم وقد ثبتم خالقا ثالثا وهو الروح وهذا تصريح بثلاثة الهة خالقين . الوجه السابع انه قال ان الله بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء فمع كونه جعلها خالقة جعل انه بها خلق كل شيء . والذى خلق بها كل شيء هو خالق فجعلها خالقة وجعل خالقاً آخر وجعل احد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذى به خلق كل شيء وجعل الكلمة الخالقة احتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة روح القدس خلقا جديداً واذا كانت هي الخالقة بمسرة الاب الخالق على الخلق فالاب لم يخلقه بل سر بذلك وروح القدس وازرت ذلك والخالق خالق الخلق ومعلوم انه اذا كان للخالق من يوازره على الخلق لم

يكن مستقلا بالخالق بل يكون له فيه شريك فهذه الكلمة تارة يقولون هي الخالقة وتارة يقولون خلق بها الخالق فخلقت وتارة يقولون ان روح القدس وازرها في الخلق فهذه اربعة اقوال ينقض بعضها بعضا فان كان الله هو الخالق لكل شيء فالخالق واحد فليس هناك خالق آخر ولا شريك له في الخلق . والخالق اذا خلق الاشياء بقوله كن لم يكن كلامه خالقا ولو كانت كل كلمة الهاً خالقاً لكان الآلهة الخالقون كثيرين لانهاية لهم. ثم قال ليست بمخلوقة ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور. فيقال من من الانبياء سمى شيئا من صفات الله مولوداً قديما أزليا فكيف يكون مولود قديم ازلي وهل يعقل مولود الا محدثا. وأيضا فاذا جاز ان تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم او الحكمة مولودة منه . فكذلك تكون مولودة منه وان كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه فجعل احدى الصفتين الازليتين مولودة من الازل غير منبثقة والاخرى ليست مولودة من الازل بل منبثقة مع كونه باطلا فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين فانه ان جاز ان يقال للصفة القديمة الازلية انها مولودة منه فالحياة مولودة. وان جاز ان يقال انها منبثقة فالكلمة منبثقة وايضا فكون الصفة الها خالقا واثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم ان الخالق واحد تناقض آخر وأيضا فقوله ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط. ان أراد بروحه حياته فهذا صحيح لكن من من الانبياء سمى حياة الله روحه ؟ ومن الذي جعل لله روحاً قديمة أزلية وهل هذا الا افتراء على الانبياء وليس لقائل ان يقول ان هذا نزاع لفظي فلا اعتبار به لان هذا تفسير لكلام الانبياء فهم الذين

تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك ولم يرد احد بذلك حياة الله قط فتسمية حياة الله روحا وتفسير مراد الانبياء بذلك افتراء على الله ورسله . الوجه الثامن قوله فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة مختارة من نسل داود اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس روحه الجوهرية التي جعلها أهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خالقته لنفسها بمسرة الأب وموازرة روح القدس خلقاً جديداً . فيقال ان الكتب دلت على ان المسيح تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول وهكذا هو فى الامانة التى لهم وبهذا اخبر القرآن حيث اخبر فى غير موضع انه نفخ فى مريم من روحه مع أخباره انه ارسل اليها روحه قال تعالى (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكُ بغيا قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة) وقال تعالى (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) فالكتب

الالهية يصدق بعضها بعضا لكن دعواكم ان روح القدس روح الله الجوهرية اى حياته القديمة الازلية أمر مخالف لجميع كتب الله وانبيائه فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة لله لاجوهرية ولا غير جوهرية ولا قديمة ولا غير قديمة ولا أرادوا بذلك حياة الله فقولكم هذا تبديل لكلام الله وكلام انبيائه ورسله كما انكم في قولكم ان كلمة الله أو علمه أو حياته مولود منه وان صفته القديمة الازلية هى ابنه ماحرفتم فيه كلام الانبياء فلم يرد أحد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط ولم يطلق فى جميع الكتب التى عندكم لفظ الابن والمولود الا على محدث مخلوق لاعلى شيء قديم أزلي لاموصوف ولا صفة لاعلم ولا كلام ولا حكمة ولا غير ذلك وكل ولادة في الكتب الالهية التى عندكم وغيرها فهى ولادة حادثة زمانية وكل مولود فهو محدث مخلوق زماني ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم ازلى كما انكم ذكرتم ذلك فى أمانتكم وغيرها فلو كان ماذكرتموه ممكناً في المعقول لم يجز ان تجعلوه موجوداً واقعاً وتقولوا الانبياء أرادوا بذلك إلا ان يكونوا بينوا ان ذلك مرادهم . فاذا كان كلامهم صريحا في أنهم لم يريدوا ذلك والمعقول الصريح يناقض ذلك كان ماقلتموه كذبا على الله وعلى انبيائه ورسله ومسيحه وكان باطلا فى المعقول وكنتم ممن قيل فيه لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ثم يقال انتم قلتم ان الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم واحتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها وقلتم ان مريم حملت بالاله الخالق وولدته الذى هو الابن فاذا جوزتم ان تكون مريم هى امًّا للخالق الذى هو الابن حملته وولدته

فلم لايجوز ان تكون زوجة للخالق الذي هو الاب مع ان الخالق التحم من مريم وقد قلتم لم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط ولا كانت الكلمة برية منه قط ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره فجعلتم الروح خالقة والله الذي هو الاب خالقا والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم فكما ان مريم امه فالروح الخالقة بمنزلة أبيه وأيضاً فمريم لها اتصال بالاب وبروح القدس وكلاهما أب للمسيح على ماذكرتموه فاذا كانت مريم متصلة بكل واحد ممن جعلتموه أبا للمسيح وقلتم ان الخالق التحم من مريم فهذا أبلغ مايكون من جعل الخالق زوج مريم ومهما فسرتم به اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح المخلوق منها كان تفسير التحام اللاهوت بناسوت مريم حتى يصير زوجا لمريم أولى وأحرى وليس في ذلك نقص ولا عيب الا وفي كون اللاهوت بن مريم ماهو أبلغ منه في النقص والعيب ومعلوم ان الانسان أعلى قدراً عنده من زوجته وان تسلطه على زوجته أعظم منه على أمه فان الرجل مالك للزوجة قوام عليها والمرأة أسيرة عند زوجها بخلاف أمه فاذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الازلى ابنا لناسوت مريم بحكم الاتحاد مع كونه خالقاً لها بلاهوته وابناً لها بناسوته ولم يكن هذا ممتنعاً عندكم ولا قبيحاً . فان تكون مريم صاحبة له وزوجة وامرأة بحكم الالتحام بالناسوت أولى وأحرى . وان كان هذا ممتنعاً وقبيحاً فذاك أشد امتناعا وقبحاً ولهذا ذهب طوائف من النصارى الى ان مريم امرأة الله وزوجته وقالوا انما هو أبلغ من ذلك حتى ذكروا شهرة النكاح ولقد قال بعض أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانياً انهم كانوا اذا نبهوا على قولهم ان عيسى بن الله لم يفهموا

من ذلك إلا ان الله أحبل أمه وولدت له المسيح ابنه كما يحبل الرجل المرأة وتلد له الولد فيكون قد انفصل من الله جزء فى مريم بعد ان نكحها وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم ولدته مريم كما تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها وقد قالت الجن المؤمنون (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) فنزهوه عن هذا وهـذا وهؤلاء الجن المؤمنون أكمل عقلا ودينا من هؤلاء النصارى وقال تعالى (بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) فقوله انى يكون له ولد تقديره من اين يكون له ولد فانى فى اللغة بمعنى من أين ذلك وهذا استفهام انكار فبين سبحانه انه يمتنع ان يكون له ولد ولم تكن له صاحبة مع انه خالق كل شيء وان هذا الولد يمتنع ان يكون وان هذا الامتناع مستقر في صريح المعقول ثم اذا كانت الكلمة التى هى الخالق المخلوق به قد حلت فى جوف مريم والتحمت من مريم وخلقت منها انسانا هو المسيح خلقته لنفسها واحتجبت به واتحدت به فهل كان خلقها لهذا الانسان قبل الاتحاد والاحتجاب أم حين ذلك؟ فانه بعد ذلك ظاهر الامتناع محال انها بعد الاحتجاب به والاتحاد خلقته بل لابد ان تكون خلقته قبله أو معه فان كان معه لزم كون المخلوق متحداً بالخالق دائماً لم تمر عليه لحظة الا وهو متحد به فاذا أمكن ان يقارن المخلوق خالقه وعندهم انه أقام تسعة أشهر حملا كعامة الناس وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا فاذا كان كذلك كان الرب متحدا بالمضغة والجماد الذي لاروح فيه واذا جاز عليه هذا جاز ان يتحد بسائر الجمادات وهذا على قول الاكثرين الذين يقولون

ان الروح انما نفخت فيه بعد اربعة أشهر ومن قال انها نفخت فيه من حين أخذ الجسد من مريم وهذا يشبه قول جمهور النصارى الذين يقولون ان المسيح مات وصلب وفارقته الروح الباطلة المنفوخة فيه والاله المتحد به لم يفارقه أبداً فانهم يقولون انه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه بل هو الآن متحد به وهو في السماء قاعد عن يمين ابيه وذلك القاعد هو الخالق القديم والاب هو الاله الخالق القديم الازلي وهما مع ذلك اله واحد والمقصود هنا انهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسد لاروح فيه قبل النفخ وبعد الموت الى ان قام من قبره فعادت الروح اليه وحينئذ لم يظهر من تلك المضغة من العجائب وهم يستدلون على الهية المسيح بالعجائب مع انه كان الاله متحداً به قبل ان يظهر العجائب وحينئذ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شيء الجزم بأن الرب لم يتحد به مع امكان الاتحاد ويلزم ان كل جامد وحي ظهرت منه العجائب أن يكون ذلك دليلا على ان الرب اتحد به وحينئذ فعباد العجل اعذر من النصارى • وان كان من عباد الاصنام من يقول ان الصنم خالق السموات والارض فهو اعذر من النصارى لان ظهور العجائب من الحيوان الاعجم والجماد اعظم من ظهورها من الانسان الناطق لا سيما الانبياء والرسل فان الانبياء والرسل معروفون بظهور العجائب على ايديهم فاذا ظهرت على يد من يقول اني نبي مرسل كانت دليلا على نبوته لا على الهيته والمسيح كان يقول اني نبي مرسل كما ذكر ذلك في الانجيل في غير موضع • فأما الحيوان الاعجم والجماد فلا يجوز ان يكون نبياً فان جاز الاتحاد بالمضغة والجسم المقبور الذي لاروح فيه فاتحاده

بالعجل وبالصنم اولى وحينئذ نخوار العجل عجيب منه فاستدلال عباد العجل بذلك على انه إله خير من استدلال النصارى على الهية المضغة ان قدر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها. وان كانت تلك لاتدل الا على نبوته صلى الله عليه وسلم تسليما. الوجه التاسع قوله فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها وقوله فكانت مسكنا في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع مالطف من الخلائق كلهم. يقال له اولا من اين لك ان روح الانسان الطف من جميع المخلوقات وانها الطف من الملائكة والروح الذي قال الله فيه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن) وانها الطف من الروح التي نفخ في آدم منه بقوله (ونفخت فيه من روحي) وبتقدير ان تكون الطف فانت لاتقول ان الاحتجاب والاتحاد كان بروح الانسان مجردة بل بالجسد الناسوتي الدموي الغليظ وتقول ان الخالق التحم من مريم العذراء فتجعل الخالق قد التحم من لحم مريم ومن رحمها الذي هو لحم ودم وهذه اجساد كثيفة بل جمهورهم يقول اتحد بجسد لاروح فيه قبل النفخ وبعد الموت وقبل ان يقوم من قبره. وحينئذ فقولك فكانت مسكنا لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع مالطف من الخلائق كلهم وصف ممنوع والتعليل به باطل فانه لو كان مسكنا للطفه لم يجز ان يسكن الا في الروح اللطيفة فلما اثبت اتحادا بالجسد الكثيف بطل قولك انه اتحد بالانسان للطفه. الوجه العاشر قولكم واعلم انه لايرى شيء من لطيف الخلق الا في غليظ الخلق ولايرى ماهو لطيف من اللطيف الامع ماهو اغلظ منه. يقال لهم اما ان يكون الله اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس

وعاينوه اولم يره احد فان قلتم قد رآه الناس وعاينوه فهذا مخالف للحس والشرع والعقل اما الحس فان احدا ممن راى المسيح لم ير شيئاً يتميز به المسيح عن غيره من البشر غير العجائب التي ظهرت على غيره منها ماهو اعظم مما ظهر عليه ولم ير الا بدن المسيح الظاهر لم ير باطنه لاقلبه ولا كبده ولا طحاله فضلا عن ان يرى روحه فضلا ان يرى الملائكة الذين يوحون اليه فضلا عن ان يرى الله ان قدر انه كان متحدا به او حالا فيه فدعوى المدعي ان من راى المسيح فقد راى الله عيانا ببصره في غاية المباهتة والمكابرة والكذب لو قدر ان الله حال فيه او متحد به فانه من المعلوم ان الملائكة تنزل على المسيح وغيره وتتصل بارواحهم والناس لايرون الملائكة بل الجن تدخل في بني آدم والناس لايرونهم وانما يرون جسد المصروع وكل انسان معه قرينه من الملائكة وقرينه من الجن وهو نفسه لايرى ذلك ولا يراه من حوله وتحضره الملائكة وقت الموت ولا يراهم من حوله مع انه هو يراهم قال تعالى (فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) فاذا كانت هذه المخلوقات التي اتفق اهل الملل على اقترانها بالانسان واتصالها بهم وان رؤيتها ممكنة لايراها الناس فكيف يقال ان المسيح الذي لم ير الناس منه الا ما راوه من امثاله من الرسل كابراهيم وموسى ولم يكن له قط شيء يتميز به عن جنس الرسل كيف يقال ان الذين راوه راوا الله عيانا بابصارهم . واما الشرع فموسى والمسيح وغيرهما من الانبياء اخبروا ان أحداً لايرى الله في الدنيا . وأما العقل فان رؤية بعض ملائكة الله او

بعض الجن يظهر لرأيها من الدلائل والاحوال مايطول وصفه فكيف عن رأى الله والذين رأوا المسيح لم يكن حالهم الاكحال سائر من رأى الرسل منهم الكافر به المكذب له . ومنهم المؤمن به المصدق له بل هم يذكرون من اهانة ناسوته مالا يعرف عن نظرائه من الرسل مثل ضربه والبصاق فى وجهه ووضع الشوك على رأسه وصلبه وغير ذلك وايضاً فمعلوم ان من رأى الله اما ان يعرف انه الله او لا يعرف فان عرف انه رأى الله كان الذين رأوا المسيح قد علموا انه الله ولو علموا ذلك لحصل لهم من الاضطراب مايقصر عنه الخطاب . وان كانوا لم يعرفوه فهذا فى غاية الامتناع حيث صار رب العالمين لايميز بينه وبين غيره من مخلوقاته بل يكون كواحد منهم ولا يميز بينه وبينهم ولا يعرف الرائى ان هذا هو الله . ولوازم هذا القول الفاسدة كثيرة جداً وان قالوا ان الله لم يرلما اتحد بالمسيح وانما رأى جسد المسيح الذى احتجب به الله . فقولهم بعد ذلك واعلم انه لايرى شيء من لطيف الخلق الا فى غليظ الخلق ولا يرى ماهو لطيف من اللطيف الا مع ماهو اغلظ منه كلام لافائدة فيه . اذ كان هذا مثلا ضربوه لله ليبينوا انه يرى فاذا سلموا انه لم ير لم يكن فى هذا المثل فائدة بل كان هذا استدلالا على شيء يعلمون انه باطل وايضاً فما ذكروه من ان اللطيف لايرى الا في الغليظ باطل فان اللطيف كروح الانسان لاترى فى الدنيا وان علم وجودها وأحس الانسان بروحه وصفاتها فرؤيتها بالبصر غير هذا يبين ذلك . الوجه الحادى عشر قولهم وانا وجدنا روح الانسان العاقلة الكلمانية يعنون النفس الناطقة الطف من لطيف الخلق فلذلك كانت

أولى خاق الله بحجاب الله فكانت له حجاباً وكانت النفس الدموية
لها حجاباً والجسد الغليظ حجاباً فعلى هـذا خالطت كلمة الله الخالقة
لنفس الانسان الكاملة لجسدها ودمهاوروحها العاقلة الكلمانيةوصارت
كلمة الله بقوامها قواما لتثليث الناسوت التى كمل جوهرها بتقويم قوام
كلمة الله اياها لانها لم تخلق ولم تك شيئاً الا بقول من كلمة الله الذي
خلقها وقومها لامن شيء سبق قبل ذلك فى بطن مريم ولا من سبب
كان لها من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذى هو احد التثليث
الآلهي *فيقال لهم هذا الكلام يقتضي ان الخالق احتجب بالنفس الناطقة
والنفس الناطقة احتجبت بالبدن وأنتم تصرحون بان نفس الكلمة التي
هى الخالق وهى الله عندكم التى خلقت لنفسها انساناً احتجبت به وقلتم
هو انسان تام بجسده ونفسه الدموية وروحه الكلمانية أى نفسه
الناطقة التي هى صورة الله في الانسان وشبهه فكانت مسكنا لله فى حلوله
واحتجابه فصرحتم بان البدن مع الروح مسكن لله في حلوله واحتجابه
وانه هو الذى خاق ذلك البدن والروح وقلتم ان هذه الكلمة الخالقة
المحتجبة التى قلتم انها الله التحمت من مريم العذراء. فاذا كان الله الخاق
قد التحم من مريم العذراء فمعلوم ان ذلك قبل نفخ النفس الناطقة التي
سميتموها الروح الكلمانية في المسيح .واذا كان الخالق تعالى قد التحم
بجسد لاروح فيه والتحامه به أبلغ من حلوله فيه ثم اتخذ الجسد حجابا
قبل نفخ الروح الكلمانية فيه .فكيف يقال انما حل فى الروح لافي
البدن وهو قد التحم بالبدن واتخذ منه جزأ مسكنا له وحجابا قبل ان
ينفخ فيه الروح الكلمانية وقلتم أيضا فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة

لنفس الانسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية هـذا
تصريح بان الخالق خالط الانسان بجسده ودمه وروحه وتقولون انما
احتجبت بالروح اللطيفة مع تصريحكم بان الخالق اختلط بالجسد والدم
وهذا أيضا يناقض قول من قال انه اتحد به اتحاداً بريا من الاختلاط
فقد صرحتم هنا انه اختلط به وسيأتى بعض نظائر هـذا في كلامهم
يصرحون فيه باختلاط اللاهوت بالناسوت . الوجه الثانى عشر قولكم
غير قوام الكلمة الخالقـة الذى هو احد التثليث الالهي فذلك القوام
معدود معروف مع الناس لما ضم اليـه وخلقه له التحم به من جوهر
الانسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقة واحد
فى التثليث بجوهر لاهوته واحد من الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين
ولكن واحد مع الاب والروح وهو اياه واحـد مع الناس جميعاً
بجوهرين مختلفين من جوهر اللاهوت الخالق وهو الناسوت المخلوق
بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة التى هي الابن المولود من الله من
قبل كل الدهور وهو اياه المولود من مريم العذراء فى آخر الزمان من
غير مفارقة من الاب ولا من روح القدس. فيقال فى هـذا الكلام بل
فيما تقـدم ذكره مايطول تعـداده ووصفه من التناقض والفساد
والكلام الباطل والكلام الذى تكلم به قائله وهو لا يتصور مايقول
مع سوء التعبير عنه كقوله وهو اياه فيضع الضمير المنفصل موضع
المتصل ويعطف أحدهما على الآخر بلا واو عطف الى أمثال ذلك
مما يطول ذكر معايبه وذلك ان قولهم فى نفسه باطل لاحقيقة له وهم
لم يتصوروا معنى معقولاً ثم عبروا عنه حتى يقال قصروا فى التعبير بل

هم فى ضلال وجهل لايتصورون معقولا ولا يعرفون مايقولون بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه فى المسيح بل مهما قالوه من بدعهم كان باطلا وكانوا هم معترفين بانهم لايفقهون مايقولون . ولهذا يقولون هذا فوق العقل ويقولون قد اتحد به بشر لايدرك فما لايدرك وما هو فوق العقل ليس لاحد ان يعتقده ولا يقوله برأيه لكن اذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الانسان عنه صدقهم وان نقل عنهم ناقل مايعلم بصريح العقل بطلانه علم انه يكذب عليهم إما في اللفظ والمعنى وإما في أحدهما واما اذا كان هو يقول القول الذي يذكر انه علم صحته أو انه فسر به كلام الانبياء وهو لايتصور مايقوله ولا يفقهه . فهذا قائل على الله وعلى رسله مالا يعلم وهذا قد ارتكب أعظم المحرمات قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى عن الشيطان (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليما ولا يجدون

لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وقد اتفق أهل الملل على ان القول
على الله بغير علم حرام والله سبحانه نهاهم ان يقولوا على الله الا الحق
فكان هـذا نهياً ان يقولوا الباطل سواء علموا انه باطل أولم يعلموا
فانهم ان لم يعلموا انه باطل فلم يعلموا انه حق أيضاً اذ الباطل يمتنع ان
يعلم انه حق وان اعتقد معتقد اعتقاداً فاسداً انه حق فذلك ليس بعلم
فلا تقولوا على الله مالا تعلمون وان علموا انه باطل فهو أجدر ان
لا يقولوه • وعامة النصارى ضلال لا يعلمون ان مايقولونه حق بل
يقولون على الله مالا يعلمون • والمقصود ان الباطل في كلامهم كثير كقولهم
فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقة والمسيح عندهم
اسم للاهوت والناسوت جميعاً اسم للخالق والمخلوق وأحدهما متحد
بالآخر فهو بتوحيد ذلك القوام قوام لكلمة الله الخالقة وسواء أريد
بذلك ان الناسوت واللاهوت قوام للاهوت أو أن الناسوت قوام للاهوت
وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد فيكون كما لو قيل ان
الجسد والروح أو الجسد قوام للروح أو النار والحديد أو الحديد قوام
للنار * فيقال الخالق الازلى الذي لم يزل ولا يزال هل يكون المحدث المخلوق
قواماً له فيكون المخلوق المصنوع المحدث المفتقر الى الله من كل وجه
قواماً للخالق الغنى عنه من كل وجه وهل هـذا الامن اظهر الدور
الممتنع فانه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء ان المخلوق لا قوام
له الا بالخالق فان كان الخالق قوامه بالمخلوق لزم ان يكون كل من
الخالق والمخلوق قوامه بالآخر فيكون كل منهما محتاجاً الى الآخر اذ
ما كان قوام الشيء به فانه محتاج اليه وهذا مع كونه يقتضى ان الخالق

يحتاج الى مخلوقه وهو من الكفر الواضح فانه يظهر امتناعه بصريح العقل وهذا لازم للنصارى سواء قالوا بالاتحاد أو بالحلول بلا اتحاد وان كانت فرقهم الثلاث يقولون بنوع من الاتحاد فانه مع الاتحاد كل من المتحدين لابد له من الآخر فهو محتاج اليه كما يمثلون به في الروح مع البدن والنار مع الحديد فان الروح التي في البدن محتاجة الي البدن كما ان النار في الحديدة محتاجة الى الحديدة وكذلك الحلول فان كل حال محتاج الى محلول فيه وهو من الكفر الواضح فانه يظهر امتناعه بصريح العقل فان ذلك المخلوق ان قدر انه موجود بنفسه قديم ازلي فليس هو مخلوقا ومع هذا فيمتنع ان يكون كل من القديمين الازليين محتاجاً الى الآخر سواء قدر انه فاعل له أو تمام الفاعل له أو كان مفتقراً اليه بوجه من الوجوه لانه اذا كان مفتقراً اليه بوجه من الوجوه لم يكن موجوداً الا به فان الموجود لا يكون موجوداً الا بوجود لوازمه وما لا يتم وجوده الا به فكل ما قدر انه محتاج اليه لم يكن موجوداً الا به فاذا كان كل من القديمين محتاجاً الى الآخر لزم ان لا يكون هذا موجوداً الا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر وان لا يكون هذا موجوداً الا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر والخالق لايكون خالقاً حتى يكون موجوداً ولا يكون موجوداً الا بلوازم وجوده فيلزم ان لايكون هذا موجودا حتى يجعله الآخر موجوداً ولا يكون ذاك موجودا حتى يجعله الآخر موجوداً اذ كان جعله لما لم يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه فلا يكون موجودا الا به فلا فرق بين ان يحتاج أحدهما الى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده الا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق

العقلاء . وأما الدور المعي وهو انه لايوجد هذا الا مع هذا ولا هذا الا مع
هذا كالابوة مع البنوة وكصفات الرب بعضها مع بعض وصفاته مع ذاته فانه
لا يكون عالما الا مع كونه قادرا ولا يكون عالما قادرا الا مع كونه حيا ولا يكون
حياً الا مع كونه عالما قادراً ولا تكون صفاته موجودة الا بذاته ولا
ذاته موجودة الا بصفاته فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران الى
الخالق الذي يحدثهما جميعاً كالابوة والبنوة وجائز في الرب الملازم
لصفاته تعالى . وأما اذا قدر قديمان ازليان ربان فاعلان امتنع ان يكون
أحدهما محتاجا الى الآخر اذ كان وجوده لايتم الا بما يحتاج وجوده
اليه ولا يكون فاعلا لشيء ان لم يتم وجوده فيمتنع مع نقص كل منهما
عن تمام وجوده ان يكون فاعلا لغيره تمام وجود ذلك الغير ولهذا لم
يقل بهذا أحد من الامم ولكن الذي قاله النصارى انهم جعلوا قوام
الخالق تعالى بالمخلوق . فيقال لهم هذا أيضا ممتنع في صريح العقل أعظم
من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر وان كان هذا ايضاً ممتنعا فان
المخلوق مفتقر في جميع اموره الى الخالق فيمتنع مع فقره في وجوده
وتمام وجوده الى الخالق ان يكون قوام الخالق به لان ذلك يقتضي ان
يكون مقيما له وان يكون تمام وجوده به فيكون المخلوق لا وجود لشيء
منه الا بالخالق فالقدر الذي يقال انه يقيم به الخالق هو من الخالق
والخالق خالقه وخالق كل مخلوق فلا وجود له ولا قيام الا بالخالق
فكيف يكون به قيام الخالق وليس هذا كالجوهر واعراضه اللازمة
أو كالمادة والصورة عند من يزعم ان الصورة جوهر اذا كانا متلازمين
فان هذا من باب الدور المعي كالبنوة مع الابوة وهذا جائز كما تقدم اذ

كان الخالق لهما جميعاً هو الله. واما مع كون كل منهما هو الخالق فهو ممتنع ومع كون أحدهما خالقاً والآخر مخلوقا فهو أشد امتناعاً والرب تعالى غني عن كل ما سواه من كل وجه وكل ماسواه فقير اليه من كل وجه وهذا من معنى اسمه الصمد فان الصمد الذي يصمد اليه كل شيء لافتقاره اليه وهو غني عن كل شيء لايصمد الى شيء ولا يسأله شيئا سبحانه وتعالى فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات وهـذا الاتحاد الخاص من النصارى يشبه من بعض الوجوه قول أهل الوحدة والاتحاد العام الذين يقولون كما يقوله ابن العربي صاحب الفصوص والفتوحات الملكية ان أعيان المخلوقات ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها نهى مفتقرة اليه من حيث الوجود المشترك العام وهو وجوده وهو مفتقر اليها من حيث الاعيان الثابتة في العدم وهو مايختص به كل عين عين فيجعل كل واحد من الخالق والمخلوق مفتقرا الى الآخر ويقولون الوجود واحد ثم يثبتون تعدد الاعيان ويقولون هي مظاهر ومجالي فان كان المظهر والمجلي غير الظاهر فقـد ثبت التعدد وان كان هو اياه فلا تعدد فلهذا يضطرون الى التناقض كما يضطر اليه النصارى حيث يثبتون الوحدة مع الكثرة وينشدون (فيعبدني واعبده ويحمدني واحمده وهؤلاء بنوا قولهم على أصلين فاسـدين . أحدهما ان اعيان الممكنات ثابتة في العدم كقول من يقول من أهل الكلام ان المعدوم شيء ثابت في العدم وهذا القول فاسد عند جماهير العقلاء وانما حقيقة الامر ان المعدوم يراد ايجاده ويتصور ويخبر به ويكتب قبل وجوده فله وجود في العلم والقول والخط . واما في الخارج فلا وجود له

والوجود هو الثبوت فلا ثبوت له فى الوجود العينى الخارجي وانما ثبوته فى العلم أى يعلمه العالم قبل وجوده .والاصل الثانى انهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق القديم الازلي الواجب بنفسه هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن كما قال ابن العربى.ومن عرف ماقررناه فى الاعداد وان نفيها عين اثباتها. علم ان الحق المنزه هو الخالق المشبه فالامر الخالق هو المخلوق والامر المخلوق هو الخالق كل ذلك من عين واحدة لابل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة وهو ياابتي افعل ما تأمر الى ان قال فما ذبح سوى نفسه وما نكح سوى نفسه وقال ومن اسمائه الحسنى العلي على من يكون علياً وما هو الا هو او عن ماذا يكون علياً وما ثم الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست هو وقد نقل عن أبي سعيد الخراز انه قيل له بماذا عرفت ربك قال بجمعه بين الاضداد وقرأ قوله (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) أراد بذلك انه يجتمع في حقه سبحانه مايتضاد في حق غيره فان المخلوق لا يكون أولا آخراً باطنا ظاهراً وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء فجاء هذا الملحد وفسر قول أبي سعيد بان المخلوق هو الخالق • فقال قال ابو سعيد وهو وجه من وجوه الحق ولسان من السنته ينطق عن نفسه بان الله لايعرف الا بجمعه بين الاضداد في الحكم عليه بها فهو الاول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ماظهر

وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من بطن عنه سواه فهو ظاهر لنفسه باطن عن نفسه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من اسماء المحدثات ولهذا قال بعض النصارى لمن يقول مثل هذا ويحكيه عن شيوخه ويقول انه مسلم انتم كفرتمونا لاجل ان قلنا ان الله هو المسيح وشيوخكم يقولون ان الله هو ابو سعيد الخراز والمسيح خير من ابي سعيد. وهؤلاء يجيبون النصارى بجواب يتبين به انهم اعظم الحاداً من النصارى فيقولون للنصارى انتم خصصتموه بالمسيح ونحن نقول هو وجود كل شيء لانخص المسيح ولهذا قال بعضهم لاحذق هؤلاء التلمساني الملقب بالعفيف انت نصيري. فقال نصير جزء مني فان النصيرية اتباع ابي شعيب محمد بن نصير يقولون في علي بن ابي طالب نظير مايقوله النصارى في المسيح كذلك سائر الغلاة في علي او في احد من اهل بيته او في الاسماعيلية بني عبيد المنتسبين الى محمد بن اسماعيل بن جعفر كالحاكم وغيره او في الحلاج او في بعض من الشيوخ الذين يقولون في واحد من هؤلاء باتحاد اللاهوت به او حلوله فيه نظير ماتقوله النصارى في المسيح وهؤلاء يقولون بان الحلول او الاتحاد محدث وان القديم حل او اتحد بالمحدث بعد ان لم يكونا متحدين واما اولئك فيقولون بالوحدة المطلقة فحدقوهم يقولون انه وجود كل شيء لايقولون باتحاد وجودين ولا بحلول احدهما بالآخر بل قد يقولون ان الوجود هو ثبوت وجود الحق وثبوت الاشياء اتحدا وكل منهما مفتقر الى الآخر فالحق اذا ظهر كان عبداً والعبد اذا بطن كان رباً ويقولون اذا حصل لك التجلي الذاتي وهو هذا لم تضرك عبادة الاوثان ولا

غيرها بل يصرحون بأنه عين الاوثان و لانداد وان أحدا لم يعبد
غيره كما يقول ابن العربي مصوبا لقوم نوح الكفار ومكروا مكرا كبارا
لان الدعوة الى الله مكر بالمدعو فانه ماعدم من البداية فيدعي الى الغاية
أدعوا الى الله فهذا عين المكر فاجابوه مكرا كما دعاهم مكرا فقالوا في
مكرهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء
فان للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله كما قال
في المحمديين وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه فما حكم الله بشيء الا وقع
فالعارف يعرف من عبد وفي أى صورة ظهر حتى عبد وان التفريق
والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصور
الروحانية فما عبد غير الله في كل معبود وصوب هذا الملحد
فرعون في قوله انا ربكم الاعلى قال ولما كان فرعون في منصب التحكم
صاحب الوقت وانه الخليفة بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك
قال أنا ربكم الاعلى أي وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما
أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله
لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له انما تقضى هذه الحياة الدنيا
فاقض ما أنت قاض فالدولة لك قال فصح قول فرعون انا ربكم الاعلى
وان كان فرعون عين الحق . وصوب أيضاً أهل العجل فى عبادتهم
العجل وزعم ان موسى رضي بذلك . فقال ولما كان موسى اعلم بالامر
من هارون لعلمه بان الله قضى ان لا نعبد الا اياه وما حكم الله بشيء الا
وقع كان عيبه على هارون لانكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى

الحق فى كل شيء بل يراه عين كل شيء ومن هؤلاء طائفة لايقولون بثبوت الاعيان في العدم بل يقولون مائم وجود الا وجود الحق لكن يفرقون بين المطلق والمعين فيقولون هو الوجود المطلق السارى فى الموجودات المعينة كالحيوانية الثابتة في كل حيوان والانسانية الثابتة فى كل انسان وهذا الذى يسمى الكلي الطبيعي ويسمون هذا الوجود الاحاطة فيقولون الوجود المطلق اما بشرط الاطلاق عن كل قيد وهذا يسمى الكلي العقلي وهذا عند عامة العقلاء لايوجد الا في الذهن لافي الخارج ولكن يحكي عن شيعة افلاطن انهم أثبتوا هذه الكليات المجردة عن الاعيان في الخارج وقالوا انها قديمة أزلية انسانية مطلقة وحيوانية مطلقة ويسمونها المثل الافلاطونية والمثل المعلقة وقد رد ذلك عليهم اخوانهم ارسطو وشيعته وجماهير العقلاء وبينوا ان هذه انما هي متصورة في الاذهان لاموجودة في الاعيان كما يتصور الذهن عدداً مطلقاً ومقادير مطلقة كالنقطة والخط والسطح والجسم التعليمي ونحوذلك مما يتصوره الذهن وليس في ذلك شيء من الموجودات الثابتة في الخارج وهذا المطلق بشرط الاطلاق يظن هؤلاء ثبوته وقد يسمونه الاحاطة وهو الوجود المجرد عن جميع القيود ثم بعده الوجود المطلق لابشرط وهو العام المنقسم الى واجب وممكن الى قديم وحادث ونحو ذلك كانقسام الحيوان الى ناطق وأعجم وهذا المطلق لابشرط يوجد في الخارج فان الاسم العام شامل لانواعه واشخاصه لكن لايوجد فى الخارج الا مقيداً معيناً ومن قال انه يوجد فى الخارج كلياً فقد غلط فان الكلي لا يكون كلياً قط الا فى الاذهان لافي الاعيان وليس فى

الخارج الا شيء معين اذا تصور منع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ولكن العقل يأخذ القدر المشترك الكلي بين المعينات فيكون كلياً مشتركا في الاذهان وهؤلاء يجعلون الوجود الواجب هذا وقد يجعلونه بعد هذا فيقولون هذا فوق الواجب وهذا الوجود الكلي اذا قيل انه لايوجد في الخارج الا معيناً فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخصة بما فيها من الصفات القائمة بها وان قدر وجوده في الخارج فهو اما جزء من المعينات واما صفة لها فعلى الاول لا يكون في الخارج موجود هو رب الموجودات المعينة وعلى الثاني يكون رب الموجودات جزأها أو صفة لها ومعلوم بصريح العقل ان صفة الشيء القائمة به لاتخلق الموصوف وان جزء الشيء لا يخلق الشيء بل جزء الشيء جزء من الشيء فاذا كان هو الخالق للجملة كان خالقاً لنفسه وكان بعض شيء خالقاً لكله ومن هؤلاء من يقول ان الرب في العالم كالزبد في اللبن والدهن في السمسم ونحو ذلك فيجعلونه جزأ من العالم المخلوق ونفس تصور هذا يكفي في العلم بفساده لكن هؤلاء يقولون ان لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق الذى حصل لنا ويقولون ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل فقلت لبعضهم ان الانبياء صلوات الله عليهم اكمل الناس كشفاً وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته لا بما تعرف عقولهم انه باطل فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول فمن دونهم اذا أخبر عن شهود وكشف يعلم بصريح العقل بطلانه علم ان كشفه باطل وأما ان كان لم يعلم بطلانه فهذا قد يمكن اصابته وقد

يمكن خطاؤه اذ غير الانبياء ليس بمعصوم وهؤلاء سمعوا باسم الله وقصدوا عبادته ومعرفته فوقفوا على أثره فى مصنوعاته فظنوا انه هو كمن سمع بالشمس فلما ان رأى الشعاع المنبسط فى الهواء والارض ظن ان ذلك هو الشمس ولم يصعد ببصره وبصيرته الى الشمس التي في السماء وكذلك هؤلاء لم تصعد بصائر قلوبهم الى رب العالمين الذي فوق كل شيء المباين لمخلوقاته وسر ذلك انهم يشهدون بقلوبهم وجوداً مطلقاً بسيطاً ليس له اسم خاص كالحي والعليم والقدير ولا له صفة ولا تميز فيه شيء عن شيء وهذا هو الوجود المشترك لكن هذا الشهود هو في نفوسهم لاحقيقة له في الخارج وكثير ممن يخاطبهم لايتصور ما يشهدونه فيظنون انه لم يفهم ماشهدوه وقد خاطبت غير واحد منهم وبينت له ان هذا الذي يشهدونه هو في الذهن وبتقدير ان يكون موجوداً في الخارج فهو صفة للموجودات أو جزء منها ويظنون مع ظنهم انه موجود في الخارج انه لم يبق فى الخارج غير ماشهدوه فانهم يغيبون عن الحس الذي يدرك المعينات ويغيبون عقلهم عن تصورها حتى لايميزوا بين موجود وموجود ويقولون الحس فيه تفرقة ثم يشهدون هذا الوجود المطلق مع عزلهم الحس فيظنون ان هذا المطلق هو نفس المعينات وانه ما بقي موجود أصلاً فيقال لهم لو قدر ان الوجود الكلي ثابت في الخارج كلياً وانكم شهدتم ذلك فمعلوم عند كل عاقل ان وجود الكلي المشترك لايناقض وجود المعين المختص فالحيوانية والانسانية المشتركة المطلقة لاتناقض أعيان الحيوان واعيان الانسان وحينئذ فثبوت اعيان الموجودات حاصل في الخارج

وهب انكم غبتم عن هـذا ولم تشهدوه فالغيبـة عن شهود الشيء لايوجب عـدمه في نفسه فاذا لم يشهد العبد الشيء أولم يره أولم يعلمه أولم يخطر بقلبه أوفني عن شهوده أو اصطلم أوغاب لم يلزم من ذاك ان يكون الشيء صار في نفسه معدوماً فانياً لاحقيقة له بل الفرق ثابت بين ان يعـدم الشيء في نفسه ويفني ويتـلاشى وبين ان يعدم شهود الانسان له وذكره ومعرفته وهؤلاء من ضلالهم يظنون انه اذا فنى شهودهم للموجودات كانت فانيـة فى أنفسها فلم يكن موجوداً الا مايخيلونه من الوجود المطلق ويقولون الكثرة والتفرقة فى الحس فاذا فني شهود القلب عن الحس لم يبق تفرقة ولا كثرة ويظنون ان شهود الحس حينئذ خطأ والعقل هو الذي يشهد الكليات والمطلقات دون الحس فاذا أبطلوا ماشهده الحس لم يبق معهم الا الوجود الكلي ثم يظنون مع ذلك انه هو الله فيبقى الرب عندهم وهماً وخيالا فى نفوسهم لاحقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهـم وهو الششتري صاحب ابن السبعين وهمك هو يتشخص ماتحته شيء ٠وقال

يرى الوجود واحد وأنت ذاك ٭ وليس عليك زائد مانم سواك

وقلت لبعض حذاقهم هب ان هـذا الوجود المطلق ثابت فى الخارج وانه عين الموجودات المشهودة فمن أين لك ان هذا هو رب العالمين الذى خالق السموات والارض وكل شيء فاعـترف بذلك وقال هذا ما فيـه حيلة والحس الباطن او الظاهر ان لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره والا دخل فيه من الغلط من جنس مايدخل على النائم والممرور والمبرسم وغيرهم ممن يحكم بمجرد الحس الذي لاعقل

معه والبهائم قد تكون اهدى من هؤلاء، كما قال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون) وهؤلاء يصرحون برفض السمع والعقل فدخلوا في قوله أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ويلزمون انفسهم الغيبة عن العقل والحس الظاهر والشرع فلهذا يقول احذقهم التلمساني

فقل لحسك غب وجداً وذب طرباً فيها وقل لزوال العقل لاتزل
واصمت الى ان تراها فيك ناطقة فان وجدت لساناً قائلا فقل

وهؤلاء ابسط الكلام عليهم موضع آخر والمقصود هنا ان النصارى زعموا ان اللاهوت محتاج الى ما اتحد به من الناسوت وهؤلاء زعموا ان رب العالمين محتاج الى كل ماسواه من الاعيان الثابتة في العدم فان كل من قال ان رب العالمين اتحد بغيره فكل من المتحدين مفتقر عليه الآخر مع استحالة كل منهما وتغير حقيقته ولا كذلك الحلول المعقول فان الحلول لايعقل الا اذ كان الحال قائماً بالمحل محتاج اليه سواء أريد بذلك حلول الصفات والاعراض فى الموصوفات والجواهر أو أريد به حلول الاعيان فان كون أحد الجسمين محلا للآخر كحلول الماء في الظرف هو يوجب افتقاره اليه وما يحل فى قلوب المؤمنين من معرفة الرب والايمان به هو قائم بقلوبهم محتاج اليه وكذلك مايثبته الفلاسفة من الهيولى والصورة ويقولون ان الهيولى محل للصورة ويعترفون مع ذلك بأن الصورة محتاجة الى الهيولى والقائلون بوحدة الوجود فقد يجعلون الخالق مع

المخلوقات كالصورة مع الهيولى كما يشير اليه ابن سبعين ويقول هو في الماء ماء وفي النار نار وفي كل شيء صورة ذلك الشيء كما قد بسط الكلام على هؤلاء في مواضع غير هذا الكتاب واذا قالوا ان الرب حل في المسيح كما حل في غيره وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم حيث قالوا أنت تحل في قلوب القديسين فقد عرف ان هذا حلول الايمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي كما قد بسط في موضع آخر ولهذا يسمى ظهوراً والشعاع الحال على الارض والهواء عرض قائم بذلك وهو مفتقر الى الارض والهواء والرسل صلوات الله عليهم أخبروا بأن الله فوق العالم بعبارات متنوعة تارة يقولون هو العلي وهو الاعلى وتارة يقولون هو في السماء كقوله (أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) وليس مرادهم بذلك ان الله في جوف السموات أو ان الله يحصره شيء من المخلوقات بل كلام الرسل كله يصدق بعضه بعضاً كما قال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) وقد قال تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء فاخبر انه لا يكون شيء فوقه ولهذا قال غير واحد من السلف انه ينزل الى سماء الدنيا ولا يخلو العرش منه فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق فلا يكون الرب الا عالياً عليه وقول الرسل في السماء أي في العلو ليس مرادهم انه في جوف الافلاك بل السماء العلو وهو اذا كان فوق العرش فهو العلي الاعلى

وليس هناك مخلوق حتى يكون الرب محصوراً في شيء من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة بل ليس موجوداً الا الخالق والمخلوق والخالق بائن عن مخلوقاته عال عليها فليس هو فى مخلوق أصلاً سواء سمي ذلك المخلوق جهة أولم يسم جهة ومن قال انه فى جهة موجودة تعلو عليه أو تحيط به أو يحتاج اليها بوجه من الوجوه فهو مخطئ كما ان من قال ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ومحمد لم يعرج به الى ربه ولا تصعد الملائكة اليه ولا تنزل الكتب منه ولا يقرب منه شيء ولا يدنو الى شيء فهو ايضاً مخطيء ومن سمى مافوق العالم جهة وجعل العدم المحض جهة وقال هو في جهة بهذا المعنى اى هو نفسه فوق كل شيء فهذا معنى صحيح ومن نفى هذا المعني بقوله ليس في جهة فقد أخطأ بل طريق الاعتصام ان ما اثبته الرسل لله أثبت له وما نفته الرسل عن الله نفى عنه والالفاظ التي لم تنطق الرسل فيهما بنفي ولا اثبات كلفظ الجهة والحيز ونحو ذلك لا يطلق نفياً ولا اثباتاً الا بعد بيان المراد فمن أراد بما اثبت معنى صحيحاً فقد أصاب في المعنى وان كان فى اللفظ خطأ ومن أراد بما نفاه معنى صحيحاً فقد أصاب في المعنى وان كان في لفظه خطاء وأما من اثبت بلفظه حقا وباطلاً أو نفي بلفظه حقاً وباطلا فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق مخطيء فيما عناه من الباطل قد لبس الحق بالباطل وجمع فى كلامه حقاً وباطلاً والانبياء كلهم متطابقون على انه فى العلو وفي القرآن والسنة مايقارب الف دليل على ذلك وفي كلام الانبياء المتقدمين مالايحصى

(فصل) قال سعيد بن البطريق وذلك مثل ما ان شعاع الشمس

المولود من عين الشمس الذى يملأ ضوءه مابين السماء والارض نوراً وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره من غير مفارقة لعين الشمس التي تولد منها حقاً لانه لم ينقطع من العين ولا من الضوء فكذلك سكن الله في الناسوت من غير ان يفارقه الاب فهو مع الناسوت وهو مع الاب وروح القدس حقا * فيقال هـذا التمثيل لو قدر انه صحيح فانما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول انه بذاته في كل مكان كشعاع الشمس الذى يظهر في الهواء والارض وأما النصارى فانهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت ولو مثـل بهذا من يقول انه بذاته في كل مكان لكان باطلا فكيف النصارى فان الضوء انما يكون في الهواء وسطوح الارض لايكون تحت السقوف والغيران وباطن الارض ثم هذا التمثيل باطل من وجوه أحدها ان الشعاع ليس متولداً من جرم الشمس ولا شـعاع النار متولد من جرم النار بل هو حادث بائن عن جرم الشمس ولكنها سبب فى حصوله وهذا يشبه به العلم الحاصل فى قلب المتعلم بسبب تعلم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم وهـذا يشبه علم العالم بالسراج الذى يقتبس كل أحد من نوره وهو لم ينقص بخلاف تولد المولود عن والده فانه متولد من عينه والشعاع القـائم بالهواء والارض ليس هو قائماً بذات الشمس والنار بل هو عرض قائم بمحل آخر والعرض الواحد لايكون في محلين والنصارى يقولون ان الكلمة التي هى علم الله او حكمته متولدة منـه وهي قديمة أزليـة والصفة قائمة بالموصوف فالصفة مثل مايقوم بذات الشمس من استدارة وضوء فذاك صفة لها وهو غير الشعاع القائم بالهواء فان ذاك بائن عنها فكيف يجعل

هذا هو هذا فان قالوا نحن مقصودنا ان حكمة الله وعلمه ونوره أنزله الى المسيح وافاضه على المسيح كما يفيض الشعاع عن الشمس قيل لهم فهذا قدر مشترك بين المسيح وسائر الانبياء فلا اختصاص للمسيح بذلك .
الوجه الثانى قولهم الذى يملأ ضوءه ما بين السماء والارض نوراً وفى بيت من البيوت يكون فيه حقاً من غير مفارقة لعين الشمس التي تولد منها حقاً * فيقال لهم الشعاع الذى بين السماء والارض هو الضوء وهو النور فقولكم ان الشعاع يملاء ضوءه ما بين السماء والارض نوراً يقتضي انه شعاع وضوء شعاع ونور حدث عن ذلك وهذا غلط بل ليس هنا الاجرم الشمس التي فى السماء وشعاعها وهو الضوء والنور الذى ما بين السماء والارض . الثالث قولكم من غير مفارقة عين الشمس يقتضى ان هذا الشعاع هو نفس ماقام بالشمس وهـذا مكابرة للحس والعقل بل الشعاع الذي قام بالهواء والارض عرض لم يقم بالشمس قط وكل شعاع بقعة فليس هو عين الشعاع الذى في البقعة الاخرى وان كان هو نظيره ومثله وجنس الشعاع يجمعهما كما ان شعاع هذا السراج ليس هو شعاع هذا السراج وان قدر اختلاطهما حتى يقوى الضوء ولا حركة هذا الهواء هى حركة هـذا الهواء ونظائر ذلك متعددة . الرابع قولكم كذلك الله سكن في الناسوت من غير ان يفارقه الاب تمثيل باطل فان الشمس نفسها لم تسكن فى الهواء والارض وانما سكن شعاعها فوزانه ان يقال فكذلك سكن نور الله وبرهانه وهداه وروحه وهـذا اذا قلته فهو منقول عن الانبياء تنطق كتبهم بان نور الله وروحه وهداه فى قلوب المؤمنين لكن لا اختصاص للمسيح بذلك قال الله تعالى (الله

نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى) قال أبي بن كعب مثل نوره فى قلب المؤمن وفى الترمذى عن أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين . الخامس انكم اذا جعلتم الله نفسه ساكناً فى المسيح فوزانه ان تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الارض وهذا التمثيل يبطل قولكم ان الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر والله اجل واكبر وأعظم من كل شيء والشمس آية من آياته ومخلوق من مخلوقاته ومع هذا فلو قال قائل ان الشمس سكنت فى جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المراة لكان كل عاقل يعلم فساد قوله وينسبه الى الجهل العظيم او الجنون وسواء قال ان الشمس نفسها نزلت او لم تنزل وأنتم تقولون ان رب العالمين سكن في بطن مريم ويقول اكثركم كالملكية واليعقوبية انه خرج من فرج مريم ولو قال قائل عما هو من اصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب او جبل من الجبال او صخرة عظيمة ان ذلك كان فى بطن امرأة وخرج من فرجها لضحك الناس من قوله فكيف بمن يدعى مثل ذلك في رب العالمين واذا قالوا ان الله نزل الى السماء الدنيا او نزل الى الطور وكلم موسى من العليقة او في عمود الغمام ونحو ذلك فليس في شيء من ذلك انه اتحد بمخلوق لاسماء ولا طور ولا شجرة ولا كان كلامه قائماً بشيء مخلوق لاشجرة ولا غيرها وعندهم انه اتحد بالمسيح وكان صوت المسيح القائم به هو صوت رب العالمين بلا واسطة

(فصل) قال سعيد بن البطريق ومثلما ان كلمة الانسان المولودة من عقله تكتب في قرطاس فهى فى القرطاس كلها حقاً من غير ان تفارق العقل الذى منه ولدت ولا يفارقها العقل الذى ولدها لان العقل بالكلمة يعرف لانها فيه والكلمة كلها فى العقل الذى ولدها وكلها في نفسها وكلها في القرطاس الذى التحمت به فكذلك كلمة الله كلها في الاب الذى ولدت منه وكلها فى نفسها وفى الروح وكلها فى الناسوت التي حلت فيها والتحمت بها * فيقال هذا التمثيل حجة عليكم وعلى فساد قولكم لاحجة لكم وذلك يظهر بوجوه احدها ان يقال ان كان حلول كلمة الله التي هى المسيح في الناسوت مثل كتابة الكلام فى القرطاس فحينئذ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله كالتوراة وزبور داود والانجيل والقرآن وغير ذلك فان هذا كله كلام الله وهو مكتوب في القراطيس باتفاق أهل الملل بل الخلق كلهم متفقون على ان كلام كل متكلم يكتب في القراطيس وقد قال تعالى في القرآن (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) وقال تعالى (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون) وقال يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وقال (انها تذكرة فمن شاء ذكره في صُحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة). وقال تعالى (والطور وكتاب مسطور في رق منشور) واذا كانت الكلمة التي هى المسيح عندكم هكذا فمعلوم ان كلام الله المكتوب فى القراطيس ليس هو الهاً خالقاً وهو كلام كثير لايحصر في كلمة ولا كلمتين ولو قال قائل يا كلام الله اغفرلي وارحمني أو ياتوراة أو يا انجيل أو ياقرآن اغفرلي وارحمني كان قد تكلم بباطل عند جميع

أهل الملل والعقلاء وانتم تقولون المسيح اله خالق وهو يدعى ويعبد فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس • الثانى ان الكلام المكتوب صفة للمتكلم يقوم ويكتب فى القراطيس عند سلف أهل الملل وجماهيرهم وعند بعضهم هو عرض مخلوق يخلقه في غيره فالجميع متفقون على ان الكلام صفة تقوم بغيرها ليس جوهراً قائماً بنفسه والمسيح عندكم لاهوته جوهر قائم بنفسه وهو اله حق من اله حق وهو عندكم اله تام وانسان تام فكيف تجعلون الاله الذي هو عين قائمة بنفسها كالصفة التي لاتقوم إلا بغيرها • الثالث قولكم ان كلمة الانسان مولودة من عقله •لو كان صحيحاً فالتولد لايكون الا حادثاً وانتم تقولون ان كلمة الله القديمة الازلية متولدة منه قبل الدهور وتقولون مع هذا هى اله وهذا كما ان بطلانه معلوم بصريح العقل فهى بدعة وضلالة فى الشرع فانه لم يسم أحد من الانبياء شيئاً من صفات الله ابناً له ولا قال ان صفته متولدة منه ولفظ الابن لايوجد عندكم عن الانبياء الا اسما لناسوت مخلوق ولا لصفة الله القديمة فقد بدلتم كلام الانبياء بهذا الافتراء • الرابع قولكم مولودة من عقله ان أردتم بعقله العين القائمة بنفسها التي يسميها قلباً وروحاً ونفساً أو نفساً ناطقة فتلك انما تقوم بهاالمعاني وأما الالفاظ فانما تقوم بفمه ولسانه وان أردتم بعقله مصدر عقل يعقل عقلا فالمصدر عرض قائم بالعقل وهو عرض من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح وان أردتم بالعقل الغريزة التي فى الانسان فهو أيضاً عرض •الخامس ان تسميتكم تكلم الانسان بالمعنى أو اللفظ تولداً أمر اخترعتموه لايعرف عن نبي من

الانبياء ولا أمة من الامم ولا فى لغـة من اللغات وانما ابتدعتم هذا
لتقولوا اذا كان كلام الانسان متولداً منه فكلام الله متولد منـه ولم
ينطق أحد من الانبياء بان كلام الله تولد منه ولا انه ابنه ولا ان علمه
تولد منه ولا انه ابنه • السادس قولكم ان كلمة الانسان المولودة من عقله
تكتب في القرطاس فهي في القرطاس كلها حقاً من غير ان تفارق العقل
الذي منه ولدت الى قولكم الكلمة كلها في العقل الذى ولدها وكلها فى
نفسها وكلها فى القرطاس الذى اتحدت به مكابرة ظاهرة معلومة الفساد
بصريح العقل فان وجود الكلام في القلب واللسان ليس هو عين وجوده
مكتوباً في القرطاس بل القائم بقلب المتكلم معان طلب وخبر وعلم وارادة
والقائم بنفسه حروف مؤلفة هي أصوات مقطعة أوهى حدود أصوات مقطعة
وليس فى قلب الانسان ولا فمه مداد كالمداد الذى في القرطاس والكلام
مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء مع علمهم بأنه ليس فى القرطاس علم
وطلب وخبر قائم به كما تقوم بقلب المتكلم ولا قام به أصوات مقطعة
مؤلفة ولا حروفا كالاصوات القائمة بفم المتكلم بل لفظ الحرف يقال على
الحرف المكتوب اما المداد المصور واما صورة المداد وشكله ويقال على
الحرف المنطوق اما الصوت المقطع واما حد الصوت ومنقطعه وصورته
وكل عاقل يميز بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم وبين المداد
المرئى بالبصر ولا يقول عاقل ان هذا هو هذا ولا يقال ان هذا وهذا
هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم فكيف يقولون ان الكلمة فى
القرطاس كلها وكلها فى العقل الذى ولدها وكلها فى نفسها • السابع ان
حرف في التى يسميها النحاة ظرفا يستعمل فى كل موضع بالمعنى المناسب

لذلك الموضع فاذا قيل ان الطعم واللون والريح حال فى الفاكهة أو العلم والقدرة والكلام حال في المتكلم فهذا معنى معقول واذا قيل ان هذا حال فى داره أو ان الماء حال فى الظرف فهذا معنى آخر فان ذاك حلول صفة في موصوفها وهذا حلول عين قائمة تسمى جسما وجوهراً في محلها ومنه يقال لمكان القوم المحلة ويقال فلان حل بالمكان الفلاني واذا قيل الشمس والقمر فى الماء أو في المرآة أو وجه فلان فى المرآة أو كلام فلان فى هذا القرطاس فهذا له معنى يفهمه الناس يعلمون انه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه فى المرآة ورؤيت فيها وانه لم يحل بها ذات ذلك وانما حل فيها مثال شعاعى عند من يقول بذلك وكذلك الكلام اذا كتب فى القرطاس فالناس يعلمون انه مكتوب فيه ومقروء فيه ومنظور فيه ويقولون نظرت فى كلام فلان وقرأته وتدبرته وفهمته ورأيته ونحو ذلك كما يقولون رأيت وجهه فى المرآة وتأملته ونحو ذلك وهم في ذلك كله صادقون يعلمون مايقولون ويعلمون ان نفس جرم الشمس والقمر والوجه لم يحل فى المراة وان نفس ماقام به من المعاني والاصوات لم تقم بالقرطاس بل كانت المراة واسطة في رؤية الوجه فهو المقصود بالرؤية وكان القرطاس واسطة فى معرفة الكلام فهو المقصود بالرؤية وكان ويعلمون ان حاسة البصر باشرت ما في المرآة من الشعاع المنعكس ولكن المقصود بالرؤية هو الشمس وحاسة البصر باشرت مافى القرطاس من المداد المكتوب ولكن المقصود بالرؤية هو الكلام المكتوب ويعلمون ان نفس المثال الذى في المرآة ليس هو الوجه وان نفس المداد المكتوب به ليس هو الكلام المكتوب بل يفرقون بينهما كما قال تعالى (قل لو

كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) ففرق سبحانه بين الكلمات وبين المداد الذي يكتب به الكلمات فكيف يقال ان هذا هو هذا وان الكلمة فى القرطاس كلها وهي في المتكلم كلها • الثامن ان الكلام له معنى في المتكلم يعبر عنه بلفظه واللفظ يكتب في القرطاس فالمكتوب فى القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ ولهذا من لم يعرف اللفظ الذى كتب بالخط لم يعرف ما كتب فدعوى هؤلاء ان نفس المعنى الذي فى القلب كله هوفي القرطاس كله جعل لنفس المعنى هو الخط وهذا باطل • التاسع انه لاريب ان كلام المتكلم يقال انه قائم به ويقال مع ذلك انه مكتوب في القرطاس ويقال هذا هو كلام فلان بعينه وهذا هو ذاك ونحو ذلك من العبارات التي تبين ان هذا المكتوب فى القرطاس هو هذا الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه لم يزد فيه ولم ينقص لم يكتب كلام غيره ولا يريدون بذلك ان نفس الخط نفس الصوت أو نفس المعنى فان هذا لايقوله عاقل فان قيل ففى المسلمين من يقول ان كلام الله القديم الازلي أو كلام الله الذي ليس بمخلوق هو حال فى الصدور والمصاحف من غير مفارقة ومن هؤلاء من يقول انه يسمع من الانسان الصوت القديم أو الصوت الذى ليس بمخلوق ومنهم من يقول ان الحرف القديم أو الذي ليس بمخلوق هو في القرطاس وحكي عن بعضهم انه يقول ذلك في المداد ومن هؤلاء من يقول ان القديم حل في المصحف ونحو ذلك. فتقول النصارى نحن هؤلاء *قيل الجواب من وجوه أحدها ان المقصود بيان الحق الذي

بعث الله به رسله وانزل به كتبه والرد على من خالف ذلك من النصارى وغيرهم ونحن لا نكر ان في المنتسبين الى الاسلام طوائف منهم منافقون ملحدون زنادقة • ومنهم جهال مبتدعة • ومنهم من يقول مثل قول النصارى • ومنهم من يقول شر منه فالرد على هؤلاء كلهم والعصمة ثابتة لكتاب الله وسنة رسوله • وما اجتمع عليه عباده المؤمنون فهذا لا يكون الا حقا وماتنازع فيه المسلمون ففيه حق وباطل • الوجه الثاني ان يقال هؤلاء الذين قالوا في القرآن ماقالوه ليس قولهم مثل قول النصارى فان النصارى جعلوا لله ولداً قديماً أزلياً سموه كلمة وقالوا انه اله يخلق ويرزق وانه اتحد بالمسيح فجعلوا المسيح الذي هو الكلمة عندهم الهاً يخلق ويرزق وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول ان كلام الله اله يخلق ويرزق ولكن محمد وغيره من الرسل عليهم السلام بلغوا الى الخلق كلام الله الذى تكلم به وكان الصحابة والتابعون لهم باحسان على أن القرآن والتوراة والانجيل وغير ذلك من كلام الله هو كلام الله الذى تكلم به وان الله انزله وأرسل به ملائكته ليس هو مخلوقا بائنا عنه خلقه في غيره ويقولون ان هذا القرآن هو كلام الله الذى بلغه رسوله والمسلمون يقرءونه ويسمع من القارىء كلام الله لكن يقرءونه بأفعالهم وأصواتهم ويسمعونه من القارىء الذى يقرأه بصوت نفسه فالكلام كلام البارىء والصوت صوت القارىء ويقولون ان الله تكلم به وبما كلم به موسى وان موسى سمع نداء الله باذنه فكلمه الله بالصوت الذى سمعه موسى كما بين ذلك فى كتب الله القرآن والانجيل والتوراة وغير ذلك فحدث بعد الصحابة وأكابر التابعين طائفة معطلة يقولون ان الله لم يكلم موسى

تكليما ولم يتخذ ابراهيم خليلا فقتل المسلمون مقدمهم الجعد وصار لهم مقدم يقال له الجهم فنسبت اليه الجهمية نفاة الاسماء والصفات تارة يقولون ان الله لم يتكلم ولم يكلم موسى وانما أطلق ذلك مجازاً وتارة يقولون تكلم ويتكلم حقيقة ولكن معنى ذلك انه خلق كلاما في غيره سمعه موسى لانه نفسه قام به كلام وهذا قول من يقوله من المعتزلة ونحوهم وزين هذا القول لبعض ذوي الامارة فدعوا اليه مدة وأظهروه وعاقبوا من خالفهم ثم أطفأ الله ذلك وأظهر ما كان عليه سلف الامة ان القرآن والتوراة والانجيل كلام الله تكلم هو به منه بدا ليس ببائن منه وليس بمخلوق خلقه في غيره ولما أظهر الله هذا والناس يتلون قول الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) صار بعض أهل الاهواء يقول انما يسمع صوت القاريء وصوته مخلوق وهو كلام الله فكلام الله مخلوق ولم يميز هذا بين ان يسمع الكلام من المتكلم به كما سمعه موسى من الله بلا واسطة وبين ان يسمع من المبلغ عنه ومعلوم انه لو سمع كلام الانبياء وغيرهم من المبلغين لم يكن صوت المبلغ هو صوت المبلغ عنه وان كان الكلام كلام المبلغ عنه لا كلام المبلغ فكلام الله اذا سمع من المبلغين عنه أولى ان يكون هو كلام الله لا كلام المبلغين وان بلغوه بأصواتهم فجاءت طائفة ثانية فقالوا : هذا المسموع ألفاظنا وأصواتنا وكلامنا ليس هو كلام الله لان هذا مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق وكان مقصود هؤلاء تحقيق ان كلام الله غير مخلوق فوقعوا فى انكار ان يكون هذا القرآن كلام الله ولم يهتدوا الى انه وان كان كلام الله فهو كلام الله مبلغاً عنه ليس

هو كلامه مسموعاً منه ولا يلزم اذا كانت أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ليست هي كلام الله ان يكون الكلام الذي يقرءونه بأفواههم واصواتهم كلامهم ويكون مخلوقا ليس هو كلام الله ونم هؤلاء الذين قالوا ليس هذا كلام الله منهم من قال هو حكاية لكلام الله وطردوا ذلك في كل من بلغ كلام غيره ان يكون مابلغه حكاية لكلام المبلغ عنه لا كلامه وأهل الحكاية منهم من يقول ان كلام الرب يتضمن حروفاً مؤلفة اما قائماً بذاته على قول بعضهم أو مخلوقة في غيره على قول بعضهم والقائم بذاته معني واحد ومن هؤلاء من قال الحكاية تماثل المحكي عنه فلا نقول هو حكاية بل هو عبارة عنه والتقدير عندهم فاجره حتى يسمع كلام عبارته أو حكايته فجاءت طائفة ثالثة فقالت بل قد ثبت ان هذا كلام الله وكلام الله ليس بمخلوق وهذا المسموع هو الصوت فالصوت غير مخلوق ثم من هؤلاء من قال انه قديم ومنهم من قال ليس بقديم ومنهم من قال يسمع صوت الرب والعبد ومنهم من قال انما يسمع صوت الرب ثم منهم من قال انه قديم ومنهم من قال انما يسمعه من العبد وهؤلاء منهم من قال ان صوت الرب حل في العبد فضاهوا النصارى ومنهم من قال بل نقول ظهر فيه من غير حلول • ومنهم من يقول لا يطلق هذا ولا هذا وكل هذه الاقوال محدثة مبتدعة لم يقل منها شيئاً احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا امام من ائمة المسلمين كمالك والثوري والاوزاعي والليث بن سعد وابي حنيفة وابي يوسف ومحمد والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابن عيينة وغيرهم بل هؤلاء كلهم متفقون على ان القرآن منزل غير مخلوق وان الله ارسل به جبريل فنزل به جبريل علي

نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه محمد الى الناس فقراه الناس بحركاتهم واصواتهم وليس شيء من افعال العباد واصواتهم قديماً ولا غير مخلوق ولكن كلام الله غير مخلوق ولم يكن السلف يقولون القرآن قديم ولما احدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم انه مخلوق بائن من الله قال السلف والأئمة انه كلام الله غير مخلوق ولم يقل احد من السلف ان الله تكلم بغير قدرته ومشيئته ولا انه معنى واحد قائم بالذات ولا انه تكلم به القرآن او التوراة او الانجيل في الازل بحرف وصوت قديم فحدث بعد ذلك طائفة فقالوا انه قديم ثم منهم من قال القديم هو معنى واحد قائم بالذات هو معنى جميع كلام الله وذلك المعنى ان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وان عبر عنه بالعربية كان قرآناً والامر والنهي والخبر صفات له لا انواع له ومن هؤلاء من قال بل هو قديم وهو حروف او حروف واصوات أزلية قديمة وانها هي التوراة والانجيل والقرآن فقال الناس لهؤلاء خالفتم الشرع والعقل في قولكم انه قديم وابتدعتم بدعة لم يسبقكم اليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وفررتم من محذور الى محذور كالمستجير من الرمضاء بالنار ثم قولكم انه معنى واحد هو مدلول لجميع العبارات مكابرة للعقل والشرع فانا نعلم بالاضطرار انه ليس معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين ولا معنى تبت يدا أبي لهب هو سورة الاخلاص والتوراة اذا عربناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمد وكذلك اذا ترجمنا القرآن بالعبرية لم يكن هو توراة موسى وقول من قال منكم انه حروف او حروف واصوات أزلية ظاهر الفساد فان الحروف متعاقبة فيسبق بعضها بعضاً والمسبوق بغيره

لايكون قديماً لم يزل والصوت المعين لايبقى زمانين فكيف يكون قديماً أزلياً والسلف والائمة لم يقل أحد منهم بقولكم لكن قالوا ان الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة وان الله نادى موسى بصوت سمعه موسى باذنه كما دلت على ذلك النصوص ولم يقل أحد منهم ان ذلك النداء الذى سمعه موسى قديم أزلي ولكن قالوا ان الله لم يزل متكلماً اذا شاء وكيف شاء لان الكلام صفة كمال لاصفة نقص وانما تكون صفة كمال اذا قام به لا اذا كان مخلوقاً بائناً عنه فان الموصوف لايتصف الا بما قام به لايتصف بما هو بائن عنه فلا يكون الموصوف حياً عالماً قادراً متكلماً رحيماً مريداً بحياة قامت بغيره ولا بعلم وقدرة قامت بغيره ولا بكلام ورحمة وارادة قامت بغيره والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته اكمل ممن لايكون بمشيئته وقدرته واما كلام قائم يقوم بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته فاما انه ممتنع او هو صفة نقص كما يدعي مثل ذلك فى المصروع واذا كان كمالا فدوام الكمال له وانه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال اكمل من كونه صار متكلماً بعد ان لم يكن لوقدر ان هذا ممكن فكيف اذا كان ممتنعاً وكان أئمة السنة والجماعة كلما ابتدع في الدين بدعة أنكروها ولم يقروها ولهذا حفظ الله دين الاسلام فلا يزال في أمة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة بخلاف أهل الكتاب فان النصارى ابتدعوا بدعا خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم ممن كان متمسكا بشرع المسيح حتى لم يبق حين بعث الله محمداً من هو متمسك بدين المسيح الا بقايا من أهل الكتاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان الله نظر الى

أهل الارض فتقهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فلما أظهر قوم من الولاة ان القرآن مخلوق ودعوا الناس الى ذلك ثبت الله أئمة السنة وجمهور الامة فلم يوافقوهم وكان المشار اليه من الأئمة اذ ذاك احمد بن حنبل ثم بقي ذلك القول المحدث ظاهراً نحو أربعة عشر سنة وأئمة الامة وجمهورها ينكرونه حتى جاء من الولاة من منع من اظهاره والقول به فصار مخفياً كغيره من البدع وشاع عند العامة والخاصة ان القرآن كلام الله غير مخلوق فاراد بعض الناس ان يجيب عن شبهة من قال ان هذا الذي يقرؤنا مخلوق • فقال القرآن كلام الله غير مخلوق ولكن الفاظنا به مخلوقة وتلاوتنا له مخلوقة وربما قالوا هذا الذي نقرأه مخلوق او هـذا ليس هو كلام الله فقصدوا معنى صحيحاً وهو كون صفات العباد واصواتهم وافعالهم مخلوقة لكن غلطوا حيث أطلقوا القول أو أفهموا الناس بان هذا القرآن الذي يقرأه المسلمون مخلوق ولم يهتدوا الى أنا اذا أشرنا الى كلام متكلم قد بلغ عنه فقلنا مثلا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى هذا كلام رسول الله او لقول الشاعر الا كل شيء ماخلا الله باطل • هذا كلام لبيد بن ربيعة ونحو ذلك فانا نشير الى نفس الكلام معانيه ونظمه وحروفه لا الى مايختص بالمبلغ من حركته وصوته بل ولا صوت المبلغ عنه وفعله فان كون الحي متحركا او مصوتا قدر مشترك بين الناطق والاعجم وليس هذا صفة له والكلام التي يتميز بها الناطق عن الاعجم وانما يتميز بالمعاني القائمة به وباللفظ المطابق لها من الحروف المنظومة بالاصوات المقطعة وهـذا أمر يختص به المتكلم

بالكلام لا المبلغ عنـه فليس الجميع الا تأدية ذلك ولهذا لو قال قائل لشعر لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل. فقال هذا شعري او كلامي لكونه أنشده بصوته لكذبه الناس ولو قال هذا الذي أقوله مثل شعر لبيد لكذبه الناس وقالوا بل هو شعره نفسه ولكن أديته بصوتك بخلاف ما اذا قال قائل قولا نظماً او نثراً وقال آخر مثله فان الناس يقولون هـذا مثل قول فلان كما قال تعالى(كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم)وقال عن القرآن(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هـذا القرآن لايأتون بمثله) ولهـذا لوقال قارئ انا اتى بقرآن مثل قرآن محمد وتلاه نفسه وقال هذا مثله لانكر الناس ذلك وضحكوا منه وقالوا هذا القرآن الذي جاء به هو ليس هو كلام آخر مماثل له فاذا كان القرآن الذي يقرأه المسلمون هو كلام الله الذي بلغه الرسول لم يجز ان يقال ليس هو بكلام الله بل هو مثله له أو حكاية عنه أو عبارة واذا كان معلوماً انما هو كلام الله فقد تكلم به سبحانه لم يخلقه بائناً عنه ولم يجز ان يقال لما هو كلامه انه مخلوق فاذا قيل عن مايقرأه المسلمون انه مخلوق والمخلوق بائن عن الله ليس هو كلامه فقد جعل مخلوقاً ليس هو بكلام الله فصار الامة يقولون هذا كلام الله وهذا غير مخلوق لايشيرون بذلك الى شيء من صفات المخلوق بل الى كلام الله الذي تكلم به وبلغه عنه رسوله والمبلغ انما بلغه بصفات نفسه والاشارة في مثل هذا يراد بها الكلام المبلغ لايراد بها مابه وقع التبليغ وقد يراد بهذا الثاني مع التقييد كما في مثل الاسم اذا قيل عبدت الله ودعوت الله فليس المراد ان المعبود المدعو هو الاسم الذي هو

اللفظ بل المعبود المدعو هو المسمى باللفظ فصار بعضهم يقول الاسم هو غير المسمى حتى قيل لبعضهم أقول دعوت الله فقال لا تقل هكذا ولكن قل دعوت المسمى بالله وظن هذا الغالط انك اذا قلت ذلك فالمراد دعوت هذا اللفظ ومثل هذا يرد عليه في اللفظ الثاني فما من شيء عبر عنه باسم الا والمراد بالاسم هو المسمى فان الاسماء لم تذكر الا لبيان المسميات لا ان الاسم نفسه هو ذات المسمى ٠ فمن قال ان اللفظ والمعنى القائم بالقلب هو عين المسمى فغلطه واضح ٠ ومن قال ان المراد بالاسم في مثل قولك دعوت الله وعبدته هو نفس اللفظ فغلطه واضح ولكن اشتبه على الطائفتين مايراد بالاسم ونفس اللفظ ٠ كذلك اولئك اشتبه عليهم نفس كلام المتكلم المبلغ عنه الذي هو المقصود بلفظ المبلغ وكتابته بنفس صوت المبلغ ومداده ٠ والفرق بين هذا وهذا واضح عند عامة العقلاء واذا كتب كاتب اسم الله في ورقة ونطق باسم الله في خطابه وقال قائل انا كافر بهذا ومؤمن بهذا كان مفهوم كلامه انه مؤمن أو كافر بالمسمى المراد باللفظ والخط لا انه يؤمن ويكفر بصوت أو مداد فكذلك من قال لما يسمعه من القراء ولما يكتب في المصاحف ان هذا كلام الله أو قال لما يسمع من جميع المبلغين لكلام غيرهم ولما يوجد في الكتب هذا كلام الله فليس مرادهم ذلك الصوت والمداد وانما هو المعنى واللفظ الذي بلغه زيد بصوته وكتب في القرطاس بالمداد ٠ فاذا قيل عن ذلك انه مخلوق فقد قيل انه ليس كلام الله ولم يتكلم به ومن قصد نفس الصوت أو المداد وقال انه مخلوق فقد اصاب كما ان من قصد نفس الصوت أو الخط وقال ليس هذا هو كلام الله

بل هو مخلوق فقد أصاب لكن ينبغي ان يبين مراده بلفظ لا لبس فيه فلهذا كان الأئمة كاحمد بن حنبل وغيره ينكرون على من أطلق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ويقولون من قال انه مخلوق فهو جهمي ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع ومن قال انه مخلوق هنا فقد يقولون ليس هو كلام الله وهذا خلاف المتواتر عن الرسول وخلاف ما يعلم بمثل ذلك بصريح المعقول فان الناس يعلمون بعقولهم ان من بلغ كلام غيره فالكلام كلام المبلغ عنه الذي قاله مبتدياً امراً بامره مخبراً بخبره لا كلام من قاله مبلغاً عنه مؤدياً . ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في المواسم الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشاً قد منعوني ان ابلغ كلام ربي رواه أبو داود وغيره عن جابر ولما أنزل الله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) قال بعض الكفار لابي بكر الصديق هذا كلامك أم كلام صاحبك ؟ قال ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله فلهذا اشتد به انكار احمد بن حنبل وغيره من ائمة الاسلام وبالغ قوم في الانكار عليهم وقالوا لفظنا بالقرآن غير مخلوق واطلقوا عبارات تشعر ان يكون شيء من صفات العباد غير مخلوقة فانكر ذلك احمد وغيره كما انكر ذلك ابن المبارك واسحاق ابن راهويه والبخاري وغير هؤلاء من ائمة السنة وبينوا ان الورق والمداد واصوات العباد وافعالهم مخلوقة وان كان كلام الله الذي يحفظه العباد ويقرأونه ويكتبونه غير مخلوق فكلام ائمة السنة والجماعة كثير في هذا الباب متفق غير مختلف وكله صواب ولكن قد يبين بعضهم

في بعض الاوقات مالا يبينه غيره لحاجته في ذلك فمن ابتلى بمن يقول ليس هذا كلام الله كالامام احمد ٠ كان كلامه في ذم من يقول هذا مخلوق اكثر من ذمه لمن يقول لفظي مخلوق ومن ابتلى بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق كالبخاري صاحب الصحيح كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غير مخلوق أكثر مع نص احمد والبخاري وغيرهما على خطأ الطائفتين

(فصل) قال سعيد بن البطريق وليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت عن انتقال ولا تغير ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كثافة فلا الاهي احتال عن ان يكون الهاً خالقاً ولا الناسي احتال عن ان يكون ناسياً مخلوقاً ٠ والاحتيال والتغير انما يلزم الخلطة اذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين مثل الماء والخمر او الماء والعسل او السمن والعسل والذهب والورق والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك لان كله ثقيل غليظ وكل ثقل تخالطه ثقلة لامحالة يلزمه التغير حتى يصير الى ما كانت عليه الاثقال فلا الخمر خمراً ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما احتالا جميعاً عن جوهرهما فصارا الى أمر متغير ليس هو أحدهما بعينه ولا أحدهما خالص من الفساد والاحتيال عن حاله فاما اذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال مثل خلطة النفس والجسد انساناً واحداً أحدهما ملتحماً بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت أي استحالت عن جوهرها ان تكون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير ولا احتال عن حاله وافعاله ومثل ما كان تخالط النار والحديد فيلتحمان

جميعاً فيكونان جمرة واحدة من غير أن تكون النار قد تغيرت الى أن تكون حديدة ثقيلة وتشج وتقطع ولا الحديدة تغيرت واحتالت الى أن تكون ناراً تحرق فكذلك تفعل كل خلطة مؤلفة من شيئين مختلفين أحدهما روحاني لطيف والآخر ثقلي غليظ مثل النفس والجسد والنار والحديد ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة فهي لاتتغير ولا تحتال عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كل سواد وسخ ونتن ونجس قال والخلطة تكون على ثلاثة أوجه. أحدها خلطة باختلاط من الطبيعتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما مثل خلطة الخمر والماء والخل والعسل والذهب والورق والرصاص والنحاس فان في ذلك كله وما أشبه احتيالا وفساداً لان مزاج الخمر والماء ليس بخمر ولا ماء لاحتيال كل واحد منهما عن طبعه واختلاطهما بفسادهما وتغيرهما عن حالهما وكذلك خلطة الخل والعسل قد صارت لاخلا ولا عسلا لاحتيال كل واحد منهما وخلطة الذهب والورق على مثل ذلك صارت على غير صحة لامن الذهب ولا من الورق وخلطة الورق والنحاس على غير صحة لامن الورق ولا من النحاس فهذا وجه من الوجوه الثلاثة والوجه الثاني خلطة افتراق من الطبيعتين الثقليتين وقد تعرف من تلك الخلطة كل واحدة من الطبيعتين ثابتة في الاخرى بقوامها ووجهها مثل الزيت والماء في قنديل واحد ومثل الكتان والقز في ثوب واحد منسوج بكتان مضلع بقز ومثل صنم نحاس رأسه من ذهب وما أشبه ذلك مما لاينبغي ان يسمى خلطة مع افتراق الطبيعتين والقوامين مثل مالاينبغي ان يكون بين الماء والقلة التي هو فيها خلطة لان طبيعة القلة

تخار قوامها قلة وليس بينها وبين المـاء خلطة بل أشد الفرقة وكذلك
الماء والزيت لولا ان وعاء القنديل الذى هما فيه ضمهما مااجتمعا وكذلك
الكتان والقز ليس بينهما خلطة وان كانا فى ثوب واحد ولا بين الذهب
والنحاس ولم يسبكا خلطة وان جمعهما صنم واحد فهاتان الخلطتان
لاتكونان أبداً الا في أثقال جسمانيات غليظة فان التحم بعضها ببعض
مثلما يذاب الذهب والنحاس ويفرغان جميعاً وقعت فى وجـه خلطة
الاحتيال والفساد لان تلك النقرة ليست بذهب صحيح ولا بنحاس صحيح
فان لم تلحم والزم بعضها بعضاً مثل طوق يكون من نحاس وذهب
وقعت من وجه خلطة الافتراق التي لايحق لهـا ان تسمى خلطة وفى
هذين الوجهين وقع نسطورس واشياعه فلزموا خلطة الاحتيال والفساد
فزعموا ان الطبيعة الالهيـة والطبيعة الناسية اختلطا في المسيح الواحد
فهو ذو قوام واحد بطبيعة واحدة مختلطة من طبيعتين مختلفتين الهية
وناسية فاقروا انهما قد احتالا والاحتيال فساد والزموا على هذا القول
الكافر طبيعة الله المصائب والموت وصيروا المسيح لا الهاً صحيحاً ولا
انساناً مثل نقرة الذهب والنحاس فنسطورس واشياعه لزموا خلطة
الفرقة والانقطاع فزعموا ان المسيح الواحد ذو طبيعتين مختلفتين
الاهية وناسية وذو قوامين معروفين الهي وناسى فصيروا الفرقة خلطة
كالطوق الملون نصفين أحدهما ذهب والآخر نحاس والثوب المبطن
ظاهره خز وباطنه قطن ليس بينهما خلطة في طبيعة ولا قوام وليس
لهم على هذا ان يؤمنوا بمسيح واحد لان الطوق الملون طوقان والثوب
المبطن ثوبان فالمسيح مثل ذلك مسيحان واحد الهي بطبيعته وقوامه

مثل قضيب الذهب في الطوق الملون ومثل طهارة الخز في الثوب المبطن والآخر ناسي مثل قضيب النحاس في الطوق وبطانة القطن في الثوب والعجب كل العجب كيف لم يفصل اهل الخلاف والشقاق بين الصنفين كليهما ولم يفهموا ان هاتين الخلقتين انهما خلقتان ذواتا اثقال جسمانية غليظة ليس فيهما شيء من الخلق الروحاني اللطيف الخفيف ولذلك لاتقدر الاثقال الغليظة على الخروج من هذين الوجهين من وجوه الخلطة لانهما ان اختلطا خلطة ملتحمة ممتزجة صارت الى احتيال وفساد وان اقامت على حالها لاتلتحم ولا يمتزج بعضها ببعض فهي على وجه خلطة الافتراق ومنقطعة بعضها من بعض وان جمعها ضم واحد او ثوب واحد فليس يوجد لشيء من الاثقال الجسمانية وجه خلطة سوى هذين الوجهين ابدا اما فساد واما انقطاع الا ان تكون الخلطة في اثنين أحدهما ثقيل جسماني والآخر لطيف روحاني فان ذلك هو الوجه الثالث من الخلطة وهي خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع لكنها نفاذ الطبيعة الروحانية في الطبيعة الثقيلة السفلية حتى تنتشر في جميعها وتحل بكلها فلا يبقى موضع من الطبيعة الثقيلة السفلية خلوا من الطبيعة الروحانية ولا احتيال من الثقيلة الجسمانية عن طبيعتها الغليظة الثقيلة ولا تغيير ولا فساد لاحداها مثل خلطة النفس والجسد ومثل خلطة النار والحديد في قوام جمرة واحدة فهي جمرة واحدة بالقوام من طبيعة نار ملتحمة مخالطة لطبيعة الحديدة بلا فرقة من انقطاع ولا تخليط احتيال وفساد وقد انتشرت النار في جميع الحديدة والبستها وانالت النار الحديدة من قوامها وقوتها حتى

انارت الحديدة وأحرقت ولم تنل النار من ضعف الحديدة شيئاً من السواد ولا البرودة فعلى هذا الوجه من الخلطة دبرت كلمة الله الخالقة خلطتها للطبيعة البشرية فهو مسيح واحد ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل الادهار كلها نور من نور اله حق من اله حق مولود ليس بمخلوق من سوس أبيه وجوهره وطبيعته وهو اياه من مريم العذراء المولود منها في آخر الزمان بقوام واحد قوام ابن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كلتيهما الالهية التي لم تزل في البدء قبل كل بدء والناسية التي كونت في آخر الزمان المقوم بالقوام الازلي فهو مسيح واحد بقوام واحد أزلي ذو طبيعتين الاهية لم تزل وناسية خلقها اله والتحم بها من مريم العذراء فقوامه ذلك قوام الطبيعة الالهية والطبيعة الناسية جامعاً لهما بلا اختلاط ولا فساد ولا فرقة انقطاع لم يزل قوام الطبيعة الالهية ثم هو قوام الطبيعة الناسية قد خلقها وكونها وقومها بقوامه الذى لم يزل يقيم الابه ولم يعرف الاله* والجواب عن هذا الكلام بعد ان يقال انه تناقض فجعل هذا تارة اختلاطاً وتارة يقول ليس هو اختلاطاً ان يقال انه اولا قد يجعل هذا الحلول والالتحام اختلاطاً ويقول انه لا يكون فيه استحالة ولا تغير ويقول الاستحالة والتغيير انما يلزم الخلطة اذا كانت من خلقين غليظين كالماء والخمر فاما اذا كانت من لطيف وكثيف لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال اي استحالة ويقول والخلطة تكون على ثلاثة أوجه ثم يقول أحدها كالخمر والماء والثاني كالزيت والماء والكتان والقز ثم يقول وما أشبه ذلك مما لا ينبغي ان يسمى خلطة مع افتراق الطبيعتين فيجعله من أقسام الخلطة ثم يقول ولا ينبغي ان يسمى خلطة وليس

المقصود المنازعات اللفظية بل يقول دعواه ان أحد نوعىْ الاختلاط يكون عن تغير واستحالة بخلاف النوع الآخر الذى هو اختلاط لطيف وغليظ دعوى ممنوعة ولم يقم عليها دليلا بل يقول هى باطلة بل لايكون الاختلاط بين شيئين الا مع تغير واستحالة وما ذكره من الامثال والشواهد فهى حجة عليه لقوله فاما اذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال مثل خلطة النفس والجسد انساناً واحداً أحدهما ملتحم بالآخر من غير ان تكون النفس تغيرت واحتالت عن جوهرها ان تكون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير واستحال عن حاله وفعاله . فيقال هذا قول باطل ظاهر البطلان لكل من تصوره فان الجسد اذا خلا عن النفس مثل ما يكون قبل نفخ الروح فيه وما يكون بعد مفارقة الروح له بالموت بل آدم عليه السلام أبو البشر خلق من تراب وماء وصار صلصالاً كالفخار ثم نفخت فيه الروح فصار جسداً هو لحم وعظم وعصب ودم فهل يقول عاقل ان جسد آدم قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم يتغير ولم تستحل وذريته من بعده يخلق أحدهم من نطفة ثم علقة ثم مضغة فيكون جسداً ميتاً ثم ينفخ فيه الروح فيصير الجسد حياً بعد ان كان ميتاً وأى تغير أعظم من انتقال الجسد من الموت الى الحياة ومعلوم بالحس والعقل الفرق بين الحي والميت كما قال تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) والجسد اذا لم ينفخ فيه الروح فهو موات ليس له حس ولا حركة ارادية ولا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يعقل ولا يبطش ولا يأكل ولا يشرب ولا يمنى ولا ينكح ولا يتفكر ولا يحب ولا يبغض

ولا يشتهي ولا يغضب فاذا اتصلت به النفس وتغيرت أحواله واستحالت صفاته وصار حساساً متحركاً بالارادة فكيف يقال مثل خلطة النفس والجسد انساناً واحداً أحدهما يلتحم بالآخر من غير ان تكون النفس تغيرت واستحالت عن جوهرها ان تكون نفساً يعرفها بفعالها ولا الجسد تغير ولا استحال عن حاله وافعاله فهل يقول عاقل يتصور مايقول ان الجسد كان حاله وفعاله مع مفارقة النفس له كحاله وفعاله مع مخالطتها له وهل يقول عاقل ان الجسد بعد موته ومفارقة النفس له حاله وفعاله كحاله وفعاله اذا كانت النفس مختلطة به وهو اذا مات كالجماد لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يبطش ولا يمشي قد جمد دمه واسود ولم يبق سائلاً وتغيرت صحته ولونه . وتغير الجسد بالحيوة بعد الموت وبالموت بعد الحيوة من أعظم التغيرات والاستحالات وكذلك النفس فان النفس عند اتصالها بالبدن تلتذ بلذته وتتألم بالمه فاذا اكل البدن وشرب ونكح واشتم التذت النفس واذا ضرب البدن وصفع وأهين وحط الشوك على رأسه . وبصق في وجهه تألمت النفس بذلك فاذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح باتحاد النفس بالبدن وهم يقولون ان المسيح وكل أحد اذا ضرب وصفع وصلب فتألم بدنه تألمت نفسه ايضاً فان كان الالم مع نفس المسيح وجسده كالنفس مع الجسد وجب ان يكون الرب يتألم بتألم الناسوت ويجوع بجوعه ويشبع بشبعه فان ألم الجوع ولذة الشبع يحصل للنفس اذا جاع البدن وشبع . وايضاً فالمسيح عندهم اله تام وانسان تام والاله اله قبل الاتحاد والانسان انسان قبل الاتحاد فهم يقولون انهما بعد الاتحاد اله تام كما كان وانسان

تام كما كان فنظير هـذا ان يكون الانسان المركب من بدن ونفس نفساً تامة وبدنا تاماً وان تكون الحديدة المحماة حديداً تاماً وناراً تامـة وهو باطل بل الانسـان مركب من نفس وبدن والانسان اسم للمجموع ليس الانسان روحاً والانسان بدناً فلو كان الاتحاد حقاً لوجب ان يقال ان المسيح نصـفه لاهوت ونصفه ناسوت وهو مركب من هذا وهذا لايقال ان المسيح نفسه انسان تام والمسيح نفسه اله تام فان تصور هذا القول على الوجه التام يوجب العلم الضروري حيث جعلوا المسيح الذي هو المبتدأ الموضوع المخبر عنـه المحكوم عليه هو انسان تام وهو اله تام يوجب ان يكون نفس الانسان هو نفس الاله ولو قيل هذا في مخلوقين فقيـل نفس الملك نفس البشر لكان ظاهر البطلان فكيف اذا قيل في رب العالمين لاسيما وكثير من النصارى لايقولون ان جسد المسيح مخلوق بل يصفون الجميع بالالهية وهـذا مقتضى قول ائمتهم القائلين ان المسيح اله تام لكنهم تناقضوا فقالوا مع ذلك وهو انسان تام فكأنهم قالوا هو الخالق ليس هو الخالق هو مخلوق ليس هومخلوقا فجمعوا بين النقيضين وهذا حقيقة قول النصارى لاسيما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح عنـدهم اتحاد لازم لم يفارقه البتة فيكون ذلك ابلغ من الاتحاد العارض ومن ان الرب كان متحداً بجسد لاروح فيه وثم بالجسد مع نفخ الروح فيـه ثم بالجسد بعد مفارقة الروح له وحيث دفن في القبر ووضع التراب عليه ومعلوم ان الانسان اذا كانت فيه النفس وجعل في التراب تألمت النفس ألماً شديداً ثم تفارق البـدن ومن العجائب انهـم يقولون ان المسيح صلب ومات

ففارقته النفس الناطقة وصار الجسد لا روح فيه واللاهوت مع هذا متحد لم يفارقه وهو في القبر واللاهوت متحد به فيجعلون اتحاده به ابلغ من اتحاد النفس بالبدن والنفس عند اتصالها بالبدن تتغير وتتبدل صفاتها وأحوالها ويصير لها من الصفات والافعال مالم يكن بدون البدن وعند مفارقة البدن تتغير صفاتها وأفعالها فان كان تمثيلهم مطابقاً لزم ان يكون الرب قد تغيرت أوصافه وأفعاله لما اختلط بالمسيح كما تتغير صفات النفس وأفعالها ويكون الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجردة التي لم تقترن ببدن وايضاً فالنفس والبدن شريكان في الاعمال الصالحة والفاسدة لهما الثواب وعليهما العقاب والثواب والعقاب على النفس اكمل منه على البدن فان كان الرب كذلك كان جميع مايفعله المسيح باختياره فعل الرب كما ان جميع ما يفعله البدن باختياره فعل النفس فالنفس هي التي تخاطب بالامر والنهي فيقال لها كلي واشربي وانكحي ولا تأكلي ولا تشربي ولا تنكحي فان كان الرب مع الناسوت كذلك كان الرب هو المأمور والمنهي بما يؤمر به المسيح وكان الرب هو المصلي الصائم العابد الداعي وبطل قولهم يخلق ويرزق بلاهوته ويأكل ويعبد بناسوته فان النفس والبدن لما اتحدا كانت جميع الافعال الاختيارية للنفس والبدن فاذا صلى الانسان وصام ودعى فالنفس والبدن يوصفان بذلك جميعاً بل النفس أخص بذلك وكذلك اذا أمر أو نهى فكلاهما موصوف بذلك وكذلك اذا ضرب فالم الضرب يصل اليهما كما تصل اليهما لذة الاكل والجماع بل أبلغ من ذلك ان الجني اذا دخل في الأنسي وصرعه وتكلم على لسانه فان الانسي يتغير حتى يبقى الصوت

والكلام الذي يسمع منه ليس هو صوته وكلامه المعروف واذا ضرب بدن الانسي فان الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه من ألم الضرب كما قد جرب الناس من ذلك مالا يحصى ونحن قد فعلنا من ذلك مايطول وصفه فاذا كان الجني تتغير صفاته وأحواله لحلوله في الانسي فكيف بنفس الانسان وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أتم وأكمل من اتحاد النفس بالجسد فهل يقول عاقل مع هذا الاتحاد انهما جوهران لكل منهما أفعال اختيارية لايشركه الآخر فيها ويقولون مع قولهم بالاتحاد ان الذي كان يصلي ويصوم ويدعو ويتضرع ويتألم ويتألم ويضرب ويصاب هو نظير البدن والذي كان يأمر وينهى ويخلق ويرزق هو نظير النفس هذا مع قولهم ان مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت وانه اتحد به مع كونه حياً وقبل حياته وعند مماته والجسد في ذلك كله كسائر أجساد الآدميين لم يظهر فيه شيء من خصائص الرب أصلا بل ولا بعد اتيانه بالآيات فان تلك كان يجرى مثلها وأعظم منها على يد الانبياء فهذا أقرب أمثالهم وقد ظهر فساده وأبعد منه وأشد فسادا تمثيلهم ذلك بالنار والحديد ومعلوم عند كل من له خبرة ان النار اذا اتصلت بشيء من الاجسام الحيوانية والنباتية والجمادية مثل جسد الانسان وغيره ومثل الخشب والقصب والقطن وغيره ومثل الحديد والذهب والفضة فانها تغير ذلك الجسد وتبدل صفاته عما كانت فتحرقه أو تذيبه أو تلينه . والنار المختلطة به لاتبقى ناراً محضة بل تستحيل وتتغير أيضاً فقول هؤلاء ومثل ماتختلط النار والحديد فيلتحمان جميعاً فيكونان جمرة واحدة من غير ان تكون النار تغيرت الى ان تكون حديدة ثقيلة

تشج وتقطع ولا الحديدة تغيرت واستحالت الى ان تكون ناراً تحرق كلام باطل ملبس فان الجمرة ليست حديدة محضة ولا ناراً محضة بل نوع ثالث وقوله لم تتغير النار الى ان تصير حديدة ولا الحديدة الى ان تصير ناراً تلبيس • فان الاختلاط لايتضمن الاستحالة والتغير كاختلاط الكثيفين الذي سامه مثل الماء والخمر والماء والعسل والسمن والعسل والذهب والورق والنحاس والرصاص قد قال فيه انه لا الخمر خمر ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما استحالا جميعاً عن جوهرهما فصار الى أمر متغير ليس هو أحدهما بعينه ولا احدهما خالص من الفساد والاستحالة عن حاله • فيقال له فهذا الذى سلمت فيه الفساد والاستحالة لم يصر الخمر فيه ماء ولا الماء له خمراً فكذلك مورد النزاع اذا لم تصر النار حديدة ولا الحديدة ناراً لم ينفعك هذا النفى ولم يكن هذا مانعاً من الاستحالة الى نوع ثالث ومن الاستحالة والفساد كما ذكرته في اختلاط الكثيفين فانه معلوم ان ما خالطته النار واتحدت به غيرته واحالته وافسدت صورته الاولى • والنار المتحمة به ليست ناراً محضة ومعلوم ايضاً ان الجمرة التي ضربتها مثلا للمسيح فقلت ان الله وعيسى اتحدا كاتحاد النار والحديد حتي صارا جمرة فمعلوم ان الجمرة اذا ضربت بالمطرقة او وضعت في الماء او مدت فان هذه الافعال تقع بالمجموع لاتقع على حديدة بلا نار ولا نار بلا حديدة فيلزم من ذلك ان يكون ماحل بالمسيح من ضرب وبصاق في الوجه ووضع الشوك على الرأس ومن أكل وشرب وعبادة ومن مشى وركوب ومن حمل وولادة وغير ذلك مما حل بالمسيح ومن موت اما متقدم واما متأخر اذا نزل الى الارض ومن صلب على قولهم ان

يكون جميع ذلك حل بالمسيح الذي هو عندهم اله تام وانسان تام من غير فرق بين لاهوته وناسوته كما يكون مايحل بجمرة النار من حمل ووضع وطرق بالمطرقة ومد وتصوير بشكل مخصوص والقاء في الماء وغير ذلك حال بمجموع الجمرة لايقول عاقل ان ذلك يحل بالحديد دون النار بل هو حال بالجمرة المستحيلة من حديدة ونار ومن خشبة ونار ليست حديدة محضة ولا نارا محضة ولا مجموع حديد محض ونار محض بل جوهر ثالث مستحيل من حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط الى حقيقة ثالثة فلا فرق بين الشيئين اذا اتحدا واختلطا وصارا شيئاً واحداً من ان يكون كثيفين أو يكون أحدهما كثيفاً والآخر لطيفاً لابد في ذلك كله ان يحصل لكل منهما من التغير والاستحالة مايوجب الاتحاد وان يكون المتحد المختلط المركب منهما شيئاً ثالثاً ليس هو أحدهما فقط ولا هو مجموع كل منهما على حاله فقولهم انه مع الاتحاد انسان تام واله تام كلام فاسد معلوم الفساد بصريح العقل وكلما ضربوا له مثلا كان المثل حجة علي فساد قولهم بل مع الاتحاد ليس بانسان تام ولا اله تام لكنه شيء ثالث مركب من انسان ثالث استحال وتغير واله استحال وتغير واذا كان كل من هذين باطلا بل انسانية المسيح باقية تامة كما كانت لم تستحل ولم تتغير ورب العالمين باق بصفات كماله لم يستحل ولم يتصف بشيء من خصائص المخلوقات ولا استحال عما كان عليه قبل ذلك كان قولهم ظاهر الفساد فهذا مثلهم الثاني ليس الذي ضربوه لله حيث شبهوا المسيح اوالله مع الانسان بالنفس مع الجسد وشبهوه بالنار مع الحديد وهذا المثل أشد فسادا واظهر . واما المثل الثالث وهو تمثيل ذلك

بالشمس مع الماء والطين فهو اشد فسادا فانهم قالوا كما تقدم ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة فهي لاتتغير ولاتستحيل عن نورها وبهائها وضوءها مع مخالطتها كل سواد ووسخ ونتن ونجس فيقال اما جرم الشمس الذى فى السماء فلم يخالط شيئا من الماء والطين ولااتحد به ولا حل فيه بوجه من الوجوه بل بينهما من البعد ما لايقدر قدره الا الله والله تعالى اجل واعظم وابعد من مخالطة الانسان من الشمس للماء والطين فاذا كانت الشمس نفسها لم تتحد ولم تختلط ولا حلت في الماء والطين بل ولا بغيرها من المخلوقات . فرب العالمين اولى ان ينزه عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات ولكن شعاع الشمس حل بالماء والطين والهواء وغير ذلك مما يقوم به الشعاع كما يحل شعاع النار فى الارض والحيطان وان كان نفس جرم النار القائم بنفسه الذى فى ذبالة المصباح هو جوهر قائم بنفسه لم تحل ذاته فى شيء من تلك المواضع ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك يراد به الشيء القائم بنفسه المستنير كالشمس والقمر وكالنار قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) وقال (وجعلنا فيها سراجا وهاجا) وسمى سبحانه الشمس سراجا وضياء لان فيها مع الانارة والاشراق تسخينا واحراقا فهى بالنار أشبه بخلاف القمر فانه ليس فيه مع الانارة تسخينا فلهذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا والمقصود هنا ان لفظ الضياء والنور ونحو ذلك يراد به الشيء المستنير المضيء القائم بنفسه كالشمس والقمر والنار ويراد به الشعاع الذى يحصل بسبب ذلك من الهواء والارض وهذا الثاني عرض قائم بغيره ليس هو الاول ولا صفة قائمة بالاول ولكنه

حادث بسببه فالشعاع الذى هو الضوء والنور الحاصل على الماء والطين والهواء وغير ذلك هو عرض قائم بغيره وليس هو متحدا به البتة فهذا المثل لو ضربته النسطورية الذين يقولون ان الناسوت واللاهوت جوهران بطبيعتين حل أحدهما بالآخر لكان تمثيلا باطلا فان الشمس لم تحل بغيرها ولا صارت مشيئتها ومشيئة غيرها واحدة كما تقوله النسطورية بل شعاعها حل بغيره والشعاع حادث وكائن عنها فاذا قيل ان ما يكون عن الرب من نوره وروح قدسه وهداه وكلامه ومعرفته يحل بقلوب انبيائه والمؤمنين من عباده ومثل ذلك بحلول الشعاع بالارض كان أقرب الى المعقول ولهذا قال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) قال أبي بن كعب مثل نوره في قلوب المؤمنين بهذا وماجاء في بعض الكتب المتقدمة ان الله يحل في قلوب الصديقين فهذا معناه وهو حلول معرفته والايمان به ومثاله العلمي كما بسط فى غير هذا الموضع وكذلك اذا قيل نوره او هداه او كلامه وسمى ذلك روحا يحل في قلوب المؤمنين فهو بهذا الاعتبار والله قد سمى ذلك روحا فقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) وقال تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وما جاء فى الكتب المتقدمة من ان روح الله او روح القدس يحل فى الانبياء والمؤمنين فهو حق بهذا الاعتبار واذا قيل كلام الله يحل في قلوب القارئين فهو

حق بهذا الاعتبار . واما نفس مايقوم بالرب فلا يتصور ان يقوم هو نفسه بغير الرب بل مايقوم بالمخلوق من الصفات والاعراض يمتنع ان يقوم هو نفسه بغيره فيمتنع في صفات الشمس القائمة بها من شكلها واستدارتها وما قام بها من نور او غيره ان يقوم بغيرها وكذلك ماقام بجرم النار من حرارة وضوء فلا يقوم بغيرها بل اذا جاورت النار هواء او غير هواء حصل في ذلك المحل سخونة أخرى غير السخونة القائمة بنفس النار تسخن الهواء الذى يجاورها كما تسخن القدر الذى يوقد تحتها النار فيسخن ثم يسخن الماء الذي فيها مع ان سخونة النار باقية فيها وسخونة القدر باقية فيها وسخونة الماء به سخونة أخرى حصلت في الماء ليست واحدة من تينك وان كانت حادثة عنها وجنس السخونة يجمع ذلك كله ولهذا ذكر الامام أحمد عن السلف انهم كرهوا ان يتكلم فى حلول كلام الله فى العباد بنفي او اثبات فان لفظ الحلول لفظ مجمل يراد به معنى باطل ويراد به معنى حق وقد جاء في كلام الانبياء لفظ الحلول بالمعنى الصحيح فتأوله من في قلبه زيغ كالنصارى واشباههم عن المعنى الباطل وقابلهم آخرون انكروا هذا الاسم بجميع معانيه وكلا الامرين باطل وقد قدمنا ان الناس يقولون أنت في قلبي او ساكن في قلبي وانت حال في قلبي ونحو ذلك وهم لايريدون ان ذاته حلت فيه ولكن يريدون ان تصوره وتمثله وحبه وذكره حل فى قلبه كما تقدم نظائر ذلك . والمقصود هنا ان النسطورية لو شبهوا مايدعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين كان تمثيلهم باطلا فكيف بالملكية الذين هم أعظم باطلا وضلالا بقولهم ومثل

الشمس المخالطة للطين والماء وكل رطوبة وحمأة تمثيل باطل من وجوه منها ان الشمس نفسها لم تتحد ولم تحل بغيرها بل ذلك شعاعها • ومنها ان الشعاع نفسه لم يتحد بالماء والطين ولكن حل به وقام به • ومنها ان ذلك عام في المخلوقات من وجه وبعباده المؤمنين من وجه لا يختص المسيح به فالمخلوقات كلها مشتركة فى ان الله خلقها بمشيئته وقدرته وانه لا قوام لها الا به فلا حول ولا قوة الا به وهى كلها مفتقرة اليه محتاجة اليه مع غناه عنها ولهذا كانت من آيات ربوبيته وشواهد إلهيته • ومن سماها مظاهر ومجالي بمعنى ان ذاته نفسها يظهر فيها فهو مفتر على الله ومن أراد بذلك انه ظهر بها مشيئته وقدرته وعلمه وحكمته فاراد بالمظاهر والمجالى مايراد بالدلائل والشواهد فقد أصاب • وكذلك اذا قال هي آثاره ومقتضى أسمائه وصفاته واما المؤمنون فان الايمان بالله ومعرفته ومحبته ونوره وهداه يحل فى قلوبهم وهو المثل الاعلى والمثال العلمي فلا اختصاص للمسيح بهذه • وكذلك كلامه في قلوب عباده المؤمنين لا اختصاص للمسيح بذلك • ومنها ان الشعاع لم يخالط الماء والطين ولا يخالط شيئاً من الاعيان ولا ينفذ فيه ولا يتحد به بل يكون على سطحه الظاهر فقط لكن الشعاع يسخن مايحل فيه فاذا سخن ذلك سخن جوفه بالمجاورة كما يسخن الماء بسخونة القدر من غير ان تكون النار خالطت القدر ولا الماء فاين هذا من قولهم ان رب العالمين اتحد بابن امرأة فصار الهاً تاماً وانساناً تاماً وهل يقول عاقل ان الماء والطين صار شعاعاً تاماً وطيناً تاماً بل الطين طين لكن اثر الشعاع فيه تجفيفه لم يتحد به الشعاع ولا نفذ فيه ولا حل فى باطنه فهذا المثل ابعد عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار

مع الحديد ومن تمثيلهم بالنفس مع الجسد فان هناك اتصالاً بباطن الحديد والبدن وهنا لم يتصل الشعاع الا بظاهر الطين وغيره وأيضاً فالنفس جوهر قائم بنفسه والشعاع عرض وكذلك النار جوهر فالشمس هنا لم تتحد ولم تحل بالطين بل شعاعها ولا يوصف الطين باتحاده بالشعاع ولا باختلاط الشعاع بباطنه ولا بحلول الشمس نفسها فيه وحينئذ فقول القائل ان الشمس لم تتغير ولم تستحل عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كل وسخ ونتن ونجس . إن اريد به نفس الشمس او صفاتها القائمة بها فتلك لم تتحد بغيرها ولا حلت فيه ولا قامت بغيرها فاذا كانت الشمس كذلك ولله المثل الاعلى فهو أولى ان لا يتحد بغيره ولا يحل فيه ولا يقوم به • وان أريد شعاعها فشعاعها ليس هو الشمس فلا ينفعهم التمثيل به فانهم يقولون ان الله نفسه اتحد بالمسيح والمسيح عندهم هو رب العالمين مع انه انسان تام فهو عندهم اله تام انسان تام والطين ليس بشعاع تام والشعاع نفسه لايخالط شيئاً ولكن يقوم به وقيام العرض بالمحل غير مخالطته له فان المخالطة تكون باختلاط كل من الامرين بالآخر كاختلاط الماء بالطين ونحو ذلك • وأما مايقوم بالسطح الظاهر فلا يقال انه مخالط بجميع الاجزاء فلا يقال للشعاع الذي على الجبال والبحر انه مخالط لجميع الجبال والبحر ولا لشعاع النار انه مخالط للحيطان وداخل الارض وقد تقدم انهم قسموا هذا الباب ثلاثة أقسام • أحدها اختلاط أحد الشيئين بالآخر كالماء والخمر • والثاني اتصال من غير اختلاط كالماء والزيت وكالاناء الذي بعضه فضة وبعضه ذهب وقالوا ان هذا لاينبغي ان يسمي

اختلاطاً مع افتراق الطبيعتين والقوامين مثل مالا ينبغي ان يكون بين الماء والقلة التي هو فيها خلطة لان طبيعة الفخار ليس بينها وبين الماء خلطة وهذا الفرق موجود في الشعاع والطين بل بينهما من الفرق أشد مما بين الماء والقلة فان الماء جرم قائم بنفسه وهـذا عرض قائم بغيره والجسم بالجسم أشبه من الجسم بالعرض والاله عندهم مخالط لجميع ناسوت المسيح لم يخل جزء منه من اتحاد الاله به فاين هذا من هذا ؟ واذا قيل ان الشعاع لم يستحـل عن نوره ونقائه وضوئه مع مخالطته كل سواد ووسخ ونتن ونجس لم يكن مثـلاً يطابقه مع انه لم يخالط الشعاع غـيره ثم يقال ان أراد بمـا لم يتغير نفس الشعاع القائم بالمحل فهذا ممنوع فان الشعاع يتغير بتغير محله فيرى في الاحمر أحمر وفي الاسود اسود وفي الازرق ازرق حتى ان الزجاج المختلف الالوان اذا صار مطرحاً للشعاع ظهر الشعاع متلونا بتلون الزجاج فيرى أحمر وأزرق وأصفر وقد ضرب أهل الاتحاد القائلون بوحدة الوجود وان وجود الخالق هو وجود المخلوق لله امثالاً باطـلة شر من أمثال النصارى ولهم مثل السوء ولله المثل الاعلى وكان ممـا ضربوه لله من الامثال ان شبهوه بالشعاع في الزجاج فالاعيان الثابتة في العدم عندهم هى الممكنات ووجود الحق فاض عليها فشبهوا وجوده بالشعاع وأعيانها بالزجاج وهـذا باطل من وجوه منها ان القول بان اعيان الممكنات ثابتة فى العدم قول باطل . ومنها ان قولهم ان وجود الخالق هو عين وجود المخلوق هو أيضاً باطل. ومنها ان حلول الشعاع بالزجاج يقتضى حلول أحدهما بالآخر وهم ينكرون الحلول ويقولون الوجود

واحد . ومنها ان الشعاع الذى على نفس الزجاج ليس وجوده وجود
الزجاج وعندهم وجود الرب وجود الممكنات. ومنها ان الشعاع الحال
بهذا الزجاج ليس هو بعينه ذلك الشعاع الحال بالزجاج الآخر وان كان
نظيره وهؤلاء عندهم ان الوجود واحد بالعين لا يتعدد . ومنها ان
الشعاع عرض مفتقر الى الزجاج فهو مفتقر اليه افتقار العرض الى محله
فيلزم اذا مثلوا به الرب ان يكون الرب مفتقراً الى كل ماسواه مع
غنى كل ماسواه عنه وهذا قلب كل حقيقة وأعظم كفراً بالخالق تعالى
فانه سبحانه الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه مفتقر اليه وكل من
قال بحلول الله في شيء من المخلوقات من النصارى وغيرهم يلزمهم ان
يكون مفتقراً الى ماحل فيه فانه لاحقيقة للحلول إلا هذا ولهذا كان
ماحل بقلوب المؤمنين من الايمان والهدى والنور والمعرفة مفتقراً الى
قلوب المؤمنين لايقوم إلا بها وجميع الصور الذهنية القائمة بالاذهان
مفتقرة الى الاذهان لا تقوم إلا بها والشعاع مفتقر الى محله لا يقوم
إلا به وهكذا سائر النظائر وهؤلاء الذين شابهوا النصاري وزادوا
عليهم من الكفر بقولهم ان وجود الخالق وجود كل مخلوق وانه
قائم بأعيان الممكنات يقولون انه مفتقر الى الاعيان فى وجوده وهي
مفتقرة اليه في ثباتها فيجعلون الخالق محتاجاً الى كل مخلوق والمخلوق
محتاجاً الى الخالق ويصرحون بذلك كما يصرح بعض النصارى بان
اللاهوت محتاج الى الناسوت والناسوت محتاج الى اللاهوت ومعلوم ان
الله غني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه من كل وجه فهو الصمد
المستغني عن كل شيء وكل شيء مفتقر اليه فمن قال انه مفتقر الى مخلوق

بوجه ما فهو كاذب مفتر كافر فكيف بمن قال انه مفتقر الى كل شيء والمثل الذي ضربوه له يقتضى ان يكون مفتقراً الى غيره وغيره مستغن عنه كالمثل الذي ضربه النصارى له لما مثلوه بشعاع الشمس مع محله فان محل الشعاع مستغن عن الشعاع والشعاع مفتقر الى محله فمقتضى هذا التمثيل ان الاله محتاج الى الانسان والانسان مستغن عن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفورا

(فصل) وهذا الذى قد ذكره هذا البترك سعيد بن البطريق المعظم عند النصاري المحب لهم المتعصب لهم فى أخبارهم التي بين بها أحوالهم فى دينهم معظما لدينهم مع مافى بعض الاخبار من زيادة فيها تحسين لما فعلوه وكثير من الناس ينكر ذلك ويكذبه مثل ما ذكره من ظهور الصليب ومن مناظرة أريوس وغير ذلك فان كثيراً من الناس يخالفه فيما ذكر ويذكر ان أمر ظهور الصليب كان بتدليس وتلبيس وحيلة ومكر ويذكر ان اريوس لم يقل قط ان المسيح خالق .ولكن المقصود انه اذا صدق هذا فيما ذكره فانه بين ان عامة الدين الذى عليه النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح بل هو مما ابتدعه طائفة منهم وخالفهم في ذلك آخرون وانه كان بينهم من العداوة والاختلاف في ايمانهم وشرائعهم مايصدق قوله تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) والنصاري يقرون بما ذكره هذا البترك ان

أول ملك أظهر دين النصارى هو قسطنطين وذلك بعد المسيح باكثر
من ثلاثمائة سنة وهو نصف الفترة التى بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما
وسلم فانها كانت ستمائة سنة أو ستمائة وعشرين واذا كان النصارى مقرين
بان ماهم عليه من الايمان صنعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه
ليس منقولا عن المسيح وكذلك ماهم عليه من تحليل ماحرمه الله
ورسوله وكذلك قتال من خالف دينه وقتل من حرم الخنزير مع ان
شريعة الانجيل تخالف هذا وكذلك الختان وكذلك تعظيم الصليب وقد
ذكروا مستندهم في ذلك ان قسطنطين رأى صورة صليب كواكب ومعلوم
ان هذا لايصلح ان ينبني عليه شريعة فان مثل هذا يحصل للمشركين
عباد الاصنام والكواكب ماهو أعظم منه وبمثل هذا بدل دين الرسل
واشرك الناس بربهم وعبدوا الاوثان فان الشيطان يخيل هذا وأعظم
منه وكذلك الازار الذي رآه من رآه والصوت الذي سمعه هل يجوز
لعاقل ان يغير شرع الله الذي بعث به رسله بمثل هذا الصوت والخيال
الذي يحصل للمشركين عباد الكواكب والاصنام ماهو أعظم منه مع ان
هذا الذي ذكروه عن بطرس رئيس الحواريين ليس فيه تحليل كل ما
حرمه بل قال ماطهره الله فلا تنجسه وما نجسه الله فى التوراة فقد نجسه
ولم يطهره الا ان ينسخه المسيح والحوارى لم يبح لهم الخنزير وسائر
المحرمات ان كان قوله معصوما كما يظنون والمسيح صلى الله عليه وسلم
لم يحل كل ما حرمه الله في التوراة وانما احل بعض ماحرم عليهم
ولهذا كان هذا من الاوصاف المؤثرة في قتال النصارى كما قال تعالى (قاتلوا
الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله

ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون) وقد ذكر من امنه بعض طوائف النصارى لبعض في مجامعهم السبعة وغير مجامعهم مايطول وصفه ويصدق قوله تعالى (فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وحينئذ فقول هؤلاء، من خالفنا لعناه كلام لافائدة فيه فان كل طائفة منهم لاعنة ملعونة فليس في لعنهم لمن خالفهم احقاق حق ولا ابطال باطل وانما يحق الحق بالبراهين والآيات التي جاءت بها الرسل كما قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقد تقدم ماذكره سعيد بن البطريق من أخبارهم انه كان يأتي البترك العظيم منهم الى كنيسة مبنية لصنم من الاصنام يعبده المشركون فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه كملك من الملائكة او نبي من الانبياء كما كان بالاسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه ميكائيل فجعلها النصارى كنيسة باسم ميكائيل الملك وصاروا يعبدون الملك بعد ان كانوا يعبدون الصنم ويذبحون له وهذا نقل لهم من الشرك بمخلوق الى الشرك بمخلوق اعلا منه اولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الاصنام باسماء الكواكب كالشمس والزهرة وغير ذلك فنقلهم المبتدعون من النصارى الى عبادة بعض الملائكة او بعض الانبياء ولهذا قال تعالى (ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول

للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

(فصل) وقد حصل بما ذكرناه الجواب عن قولهم وعلى هذا المثال نقول فى السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التى هى طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به وعرف ان هذا قول من أقوال النصارى وان لهم أقوالا اخر تناقض هذا وكل فريق منهم يكفر الآخر اذ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين بل هى مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم فضلوا بها واضلوا كما قال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فذكر سبحانه انهم ضلوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً فانه يلزمهم الضلال الذي أصله الجهل ولا يوجد قط من هو نصرانى باطناً وظاهراً الا وهو ضال جاهل بمعبوده وباصل دينه لايعرف من يعبد ولا بماذا يعبد مع اجتهاد من يجتهد منهم فى العبادة والزهد ومكارم الاخلاق ثم يقال على هؤلاء قولهم طبيعتان ويقولون أيضاً له مشيئتان ويقولون أيضاً انه شخص واحد لم يزد عدده فانهم يقولون انهما اتحدا كما ذكروه فى كتابهم هذا لايقولون بشخصين

لئلا يلزمهم القول بأربعة اقانيم. ومنهم من يقول هما جوهران ومنهم من يقول هو جوهر واحد فان قالوا هو جوهر واحد صار قولهم من جنس قول اليعقوبية لاسيما وهم يقولون ان مريم ولدت اللاهوت والناسوت وان المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت وهو اله تام وانسان تام فاذا كان جوهراً واحداً لزم ذلك ان يكون اللاهوت قد استحال وتغير وكذلك الناسوت فان الاثنين اذا صارا شيئاً واحداً فذلك الشيء الثالث ليس هو انساناً محضاً ولا الهاً محضاً بل اجتمعت فيه الانسانية والالهية ومع انه قد كان الانسان والاله اثنين متباينين وهما فى اصطلاحهم جوهران فاذا صار الجوهران جوهراً واحداً لاجوهرين فقد لزم ضرورة ان يكون هذا الثالث ليس هو الهاً محضاً ولا انساناً محضاً ولا هو جوهران انساناً والهاً فان هذين جوهران لاجوهر واحد بل هو شيء ثالث اختلط وامتزج واستحال من هذا وهذا فتبدلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت حتى صار هذا الجوهر الثالث الذى ليس لاهوتاً محضاً ولا ناسوتاً محضاً كسائر مايعرف من الاتحاد فان كل اثنين اتحدا فصارا جوهراً واحداً فلا بد في ذلك من الاستحالة في اتحاد الماء واللبن والخمر وسائر مايختلط بالماء بخلاف الماء والزيت فانهما جوهران كما كانا لكن الزيت لاصق الماء وطفا عليه لم يتحد به ومثل اختلاط النار والحديد فان الحديد استحال عما كان ولهذا اذا برد عاد الى ما كان وهكذا اتحاد الهوآء مع الماء والتراب حتى يصير بخاراً او غباراً وامثال ذلك وفي الجملة فجميع مايعرفه الناس من الاتحاد اذا صار الاثنان واحداً وارتفعت التثنية فلا بد من استحالة الاثنين

واذا قيل فيه طبيعة الاثنين ومشيئة الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن. قيل لابد مع ذلك ان تتغير كل قوة عما كانت عليه فتنكسر الاخرى كما يعرف في سائر صور الاتحاد اذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما قوة الآخر عما كانت عليه كما اذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت فيبقى المتحد مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد وعلى هذا فيجب اذا اتحد ان تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عما كانت وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه ويبقى هذا المتحد ممتزجا من لاهوت وناسوت وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله كما انه يوجب من كمال الناسوت مالم يكن فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم من نقص اللاهوت وسلب كماله الذى يختص به و بطلان صفاته التامة بحسب ماحصل له من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد والا فان كان اللاهوت كما كان فلا اتحاد بوجه من الوجوه بل الناسوت كما كان ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صارا شيئاً واحداً وأيضاً فمع كون الجوهر واحداً يجب ان تكون مشيئته واحدة وطبيعته واحدة فانه لو كان مشيئتان لكان محل احدى المشيئتين ان كان هو محل للاخرى مع تضاد موجب المشيئتين لزم اجتماع الضدين فى محل واحد فان الارادة الناسوتية تطلب الاكل والشرب وان تعبد وتصوم وتصلي واللاهوتية توجب امتناعه من ارادة هذه الاشياء وارادته ان يخلق ويرزق ويدبر العالم والناسوتية تمتنع من هذه الارادة فاذا قامت الارادتان والكراهتان

بمحل واحد لزم ان يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريد للشيء ممتنعاً من ارادته غير مريد له كارهاً للشيء غير كاره له وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة ويمتنع ان يقوم بالموصوف الواحد ارادتان جازمتان بالشيء ونقيضه او كراهيتان جازمتان للشيء او نقيضه والفعل لايقع الا بارادة جازمة مع القدرة فاللاهوت ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ومتى شاء شيئاً مشيئة جازمة فانه على ماشاء قادر والناسوت لايفعل شيئاً من خصائص البشرية حتى يريد ذلك ارادة جازمة والناسوت يمتنع ان يريد ارادة اللاهوت ويكره ذلك فيصير الشيء الواحد مريداً للشيء ارادة جازمة قادراً عليه ليس مريداً له ارادة جازمة بل هو عاجز عنه ويلزم أيضاً اذا كانا جوهراً واحداً وقد ولد وصفع وضرب وصلب ومات وتألم ان تكون نفس اللاهوت ضرب وصلب ومات وتألم كما تقوله اليعقوبية وهذا لازم لجميع النصارى وهو موجب عقيدة ايمانهم. فان قالوا بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصاً واحداً لاتعدد فيه كما يقوله من يقوله من الملكية كان هذا كلاما متناقضاً فان الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه جوهر واحد ولهذا حد بانه جسم. وان شبهوا ذلك بالنفس مع الجسد لزمهم المحدود فان الانسان كما يقال فيه انه شخص واحد يقال انه جوهر واحد بما بينهما من الاتحاد ولهذا يحد بانه جسم حساس نام متحرك بالارادة ناطق هذا يتناول جسده وروحه وللنفس والبدن مشيئة واحدة ومتى شاء الانسان الفعل مشيئة جازمة مع قدرته عليه فعله ولم يكن معه جوهر آخر له مشيئة غير مشيئته فاذا شبهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت

بهذا لزمهم ان يكونا جوهراً واحداً ومشيئة واحدة وهذا قول اليعقوبية
ولهذا تتألم النفس بما يحدث في الجسد من الآلام ويتألم الجسم الذى هو
القلب الصنوبرى بما يحدث في النفس من الآلام فاذا تألمت النفس تألم
قلب الجسد وغير قلب الجسد وكذلك اذا تألم الجسد واذا صفع الجسد
وصلب وصفع وبصق فى وجهه ووضع الشوك عليه وتألم ومات كان
ذلك كله حالا بالنفس ونالها من اهانة الصفع وألم النزع ماينالها كما يسلمون
لله انه حل بنفس المسيح وبدنه فانهم لايتنازعون ان الاله حل ببدن
المسيح ونفسه وانما يتنازعون فى اللاهوت مع ان النفس مفارقة للبدن
بالموت. واللاهوت عندهم لم يفارق الناسوت بالموت بل صعد الى السماء
والمسيح الذى هو اله تام وانسان تام يقعد عن يمين أبيه وكذلك يجيء
يوم القيامة وأيضاً فالبدن اذا كانت فيه النفس تتغير صفاته وأحكامه
وتختلف أحواله باجتماعها وافتراقها والنفس اذا كانت في البدن تختلف
صفاتها وأحكامها فيلزم ان يكون ناسوت المسيح مخالفاً فى الصفات والاحكام
لسائر النواسيت وان يكون اللاهوت لما اتحد به تغيرت صفاته وأحكامه
وهذا هو الاستحالة والتغير والتبدل للصفات مع ان ناسوت المسيح كان
من جنس نواسيت البشر لم يظهر عليه الا ماظهر مثله على غيره بل
ظهر على غيره من خوارق العادات أكثر مما ظهر عليه وبالجملة فاي مثل
ضربوه للاتحاد كان حجة عليهم وظهر به فساد قولهم. وان قالوا هذا أمر
لايعقل بل هو فوق العقول كان الجواب من وجهين أحدهما انه يجب الفرق
بين مايعلم العقل بطلانه وامتناعه وبين مايعجز العقل عن تصوره ومعرفته
فالاول من محالات العقول والثاني من مجازات العقول والرسل يخبرون

بالثاني وأما الاول فلا يقوله الا كاذب ولو جاز ان يقول هذا لجاز ان
يقال ان الجسم الواحد يكون أبيض اسود في حال واحدة وانه بعينه
يكون في مكانين وان الشيء الواحد يكون موجوداً معدوما في حال
واحدة وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه وقول النصارى مما يعلم بصريح
العقل انه باطل ليس هو مما يعجز عن تصوره يوضح هذا انه لو قال
قائل في مريم أم المسيح امرأة الله وزوجته فانه نكحها نكاحاً عقلياً
كما يقولون ان المسيح ولده ولادة عقلية لم يكن هذا القول أفسد في
العقل من قولهم فى المسيح كما قد بسطناه فى موضعه وهم يكفرون من
يقول ذلك ويحتجون بالعقل على فساده واذا قال هذا فوق العقل لم
يقبلوه وكذلك كل طائفة من طوائفهم احتجت على الاخرى بالعقل
واذا قالوا قولنا فوق العقل لم يقبلوا هذا الجواب فان كان هذا جواباً
صحيحاً فيجب ان لايبحث في شيء من الالهيات بالعقل بل يقول كل
مبطل ماشاء من الباطل ويقول كلامي فوق العقل كما يقوله أصحاب الحلول
والاتحاد والوحدة الذين يقولون ان وجود الخالق وجود المخلوق
ويقولون ان هذا فوق العقل وانما نعلم بالذوق لا بالسمع ولا بالعقل. الوجه
الثانى ان يقال مايعجز العقل عن تصوره اذا اخبرت به الانبياء عليهم
السلام قبل منهم لانهم يعلمون ما يعجز غيرهم من معرفته وهذه الاقوال
لم يقل الانبياء شيئاً منها بل نفس فرق النصارى قالوها بآرائهم وزعموا
أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب. فيقال لمن قالها منهم أنت تتصور
ماتقول أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله؟ فان قال لا اتصور ماأقول ولا أفقهه
ولا أعقله قيل له فقد قلت على الله مالا تعلم وقفوت ما ليس لك به علم

ومن أعظم القبائح المحرمة في جميع الشرائع ان يقول الانسان برايه
على الله قولا لايتصوره ولا يفهمه وجميع العقلاء يعلمون ان من قال
قولا وهو لايتصوره ولا يفقهه فان قوله مردود عليه غير مقبول منه
وان قوله من الباطل المذموم وان قال قائلهم اني أفقه ماأقول واتصوره
وأعقله قيل له بينه لغيرك حتى يفقهه ويعقله ويتصوره ولا تقل هو فوق
العقل بل هو قول قد عقلته وفقهته وهذا تقسيم لامحيد لهم عنه فانهم
ان كانوا يفقهون مايقولون ويعقلونه لزم ان يكون معقولا وان كانوا
لايفقهونه ولا يعقلونه لزم انهم قالوا على الله مالا يفقهونه ولا يعقلونه
قولا برأيهم وعقلهم لا نقلا لالفاظ الانبياء فان من نقل الفاظ الانبياء
الثابتة عنهم لم يكن عليه ان يفقه ويعقل مايقول ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه فرب
حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه فقد يحفظ
الرجل كلاما فيبلغه غيره وهو لايفقه معناه ولا يعقله فمن نقل لفظ التوراة
أو الانجيل او القرآن او الفاظ سائر الانبياء لم نطالبه ببيان معناه بخلاف
من ادعى انه فهم ماقاله الانبياء وعبر عن ذلك بعبارة أخرى فانه يقال
له ان كنت فهمت ماقالوه فهو معنى واحد عبروا عنه بعبارة وعبرت عنه
بعبارة اخرى كالترجمان فهذا يعقل مايقول ويفقهه وان قال اني لم افهم
كلامهم او لم افهم ماقلته فقد اعترف بجهله وضلاله وانه من الذين لم
يفهموا كلام الانبياء عليهم السلام ولم يفقهوا ماقالوه هم فلو قالوا لم نفهم
كلام الانبياء وسكتوا لكانوا اسوة امثالهم من الجهال بمعاني كلام
الانبياء واما اذا وضعوا عبارة وكلاماً ابتدعوه وامروا الناس باعتقاده

وقالوا هذا هو الايمان والتوحيد وقالوا انا مع هذا لانتصور ماقلناه ولا نفقهه ولا نعقله فهؤلاء من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ويفترون على الله وعلى كتب الله وانبياء الله بغير علم بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح ويقولون مع ذلك انا لانعقله وهذا حال النصارى بلا ريب وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس غالية غلت في المعقولات حتى جعلت ماليس معقولا من المعقول وقدمتــه على الحس ونصوص الرسول وطائفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ماظنته من السمعيات والحسيات وهكذا الناس في السمعيات نوعان وكذلك هم فى الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان فيجب ان يعلم ان الحق لاينقض بعضه بعضاً بل يصدق بعضه بعضاً بخلاف الباطل فانه مختلف متناقض كما قال تعالى في المخالفين للرسل (والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من افك) وان ماعلم بمعقول صريح لايخالفه قط لاخبر صحيح ولاحس صحيح وكذلك ماعلم بالسمع الصحيح لايعارضه عقل ولاحس وكذلك ماعلم بالحس الصحيح لايناقضه خبر ولا معقول والمقصود هنا الكلام مع من يعارض المعقولات بسمع أو حس * فنقول لفظ المعقول يراد به المعقول الصريح الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فطروا عليها من غير ان يتلقاه بعضهم عن بعض كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين اعني اختــلاف التنوع لا اختلاف التضادد والتباين فان لفظ الاختلاف يراد بهذا وهذا وهذه المعقولات فى العلميات والعمليات هي التي ذم الله من خالفها بقوله (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقوله (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ونحو ذلك وأما مايسميه بعض الناس معقولات ويخالفه فيه كثير من العقلاء مثل القول بتماثل الاجسام وبقاء الاعراض فان الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة أو من المادة والصورة وان مالا يتناهى من الامور المتعاقبة شيئاً بعد شيء يمتنع وجوده أما في الماضي والمستقبل أو في الماضي فقط أو ان الكليات موجودة في الخارج جواهر قائمة بانفسها أوان لنا دهراً أو مادة هي جوهر عقلي قائم بنفسه او انه يمكن وجود جوهر قائم بنفسه لايشار اليه ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظار انه عقليات وينازعهم فيه آخرون فليس هذا هو العقليات التي لايجب لاجاهارد الحس والسمع ويبني عليها علوم بني آدم بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية ترد الى معقولات بديهية اولية بخلاف العقليات الصريحة مثل كون الجسم الواحد لايكون في مكانين في وقت واحد فان هذا معلوم بفطرة الله التى فطر الناس عليها فاذا جاء في الحس او الخبر الصحيح مايظن انه يخالف ذلك مثل ان يرى الشخص الواحد في عرفات وهو في بلده لم يبرح اويرى قاعداً في مكانه وهو في مكان آخر او ترى انه اغاث من استغاث به او جاء طائراً في الهواء مع العلم بانه في مكانه لم يتغير منه فهذا انما هو جني تصور بصورة ذلك الشخص ليس هو نفسه فهذا يشبهه ليس هو اياه والحسيات ان لم يميز بينها بالعقل والا فالحس يغلط كثيراً فكذلك من ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمراً يخالف صريح العقل يعلم انه غالط فيه كمن قال من القائلين بوحدة الوجود انى أشهد بباطني وجوداً مطلقاً مجرداً عن الاسماء والصفات لا اختصاص فيه ولا قيد البتة

فلا ينازع في هذا كما قد ينازعه بعض الناس لكن يقال له من أين لك ان هذا هو رب العالمين الذى خلق السموات والارض فان كون ماشهدته بقلبك هو الله أمر لايدرك بحس القلب واذا ادعيت انه حصل لك في الكشف ماينافض صريح العقل علم انك غالط كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني

ياصاحبي أنت تنهاني وتأمرني * والوجد اصدقُ نهاءٍ وامّار
فان اطعك واعصى الوجد عدت عما * عن العيان الى أوهام أخبار
وعين ما أنت تدعوني اليه اذا * حققته ترَهُ المنهى ياجار

فيقال له وجدك وذوقك لم يفدك الا شهود وجود مطلق بسيط لكن من اين لك ان هذا هو رب العالمين بل من اين لك ان هـذا ثابت في الخارج عن نفسك كلياً مطلقا مجرداً بل انما تشهده كلياً مطلقا مجردا في نفسك * ولست تعلم بحس ولا عقل ولا خبر ان هـذا هو في الخارج كما ان النائم اذا شهد حسه الباطن اشياء لم يكن معه يقين ان هـذا فى الخارج فاذا عاد اليه عقله علم ان هذا كان في خياله في المنام وكذلك السكران وغيره ممن يضعف عقله فهـذا يشهد بحسه الباطن أو الظاهر أشياء وقد ضعف عقله عن كنه ذلك لما ورد عليه اذا ثاب اليه عقله علم ان ما شهده كان في نفسه وخياله لافي الخارج عن ذلك فكل من أخبر بما يخالف صحيح المنقول أو صريح المعقول يعلم انه وقع له غلط وان كان صادقا فيما يشهده فى الحس الباطن أو الظاهر لكن الغلط وقع في ظنه الفاسد المخالف لصريح العقل لافى مجرد الحس فان الحس ليس فيه علم بنفى او اثبات فمن راى شخصا فليس في الحس

الا رؤيته واما كونه زيداً او عمرا فهذا لابد فيه من عقل يميز بين هذا وهذا ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيم والسكران والنائم ونحوهم لهم حس ولكن لعدم العقل لايميزون ان هـذا المشهود هو كذا أم كذا بل قد يظنون ظنوناً غير مطابقة قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب) فالظمآن يرى ان ماظنه ماء ولم يكن ماء لاشتباهه بالماء والحس لم يغلط لكن غلط عقله والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون لايقولون على الله الا الحق ولا ينقلون عنه الا الصدق فمن ادعى في أخبارهم مايناقض صريح المعقول كان كاذباً بل لابد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح او ذلك المنقول ليس بصحيح فما علم يقيناً انهم أخبروا به يمتنع ان يكون في العقل مايناقضه وما علم يقيناً ان العقل حكم به يمتنع ان يكون فى أخبارهم مايناقضه . وقول أهل الاتحاد من النصارى وغيرهم سواء ادعوا الاتحاد العام او الخاص قد علم بصريح العقل بطلانه فيمتنع ان يخبر به نبي من الانبياء بل الانبياء عليهم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لابما يعلم العقل بطلانه فيخبرون بمحارات العقول لابمحالات العقول ومن سوى الانبياء ليس معصوماً فقد يغلط ويحصل له فى كشفه وحسه وذوقه وشهوده أمور يظن فيها ظنوناً كاذبة فاذا أخبر مثل هذا بشيء علم بطلانه بصريح العقل علم أنه غالط واذا أخبر غير الانبياء بما يعجز عقل كثير من الناس عن معرفته لم يلزم ان يكون صادقاً ولا كاذباً بل لايحكم بصدقه ولا كذبه الا بدليل لاحتمال ان

يكون غالطاً واحتمال ان يكون قد علم مايعجز غيره عن معرفته واذا قال القول المعلوم فساده بصريح العقل من ليس بنبي وقال ان هذا فوق العقل او هذا وراء طور العقل والنقل او هذا لانعرفه ان لم نترك العقل والنقل او قال

هم معشر حلوا النظام وأحرقوا الا * سياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين الا ان سر جنونهم * عزيز على أبوابه يسجد العقل

قيل وهذا يمتنع ان يقوله نبي او ينقله صادق عن نبي فان أقوال الانبياء لاتناقض العقل الصريح فكيف يقبل هذا ممن ليس بنبي وان قال كما يقوله النصارى او غيرهم ان هذا دل عليه كلام الانبياء اوفهمناه من كلام الانبياء . قيل لهم الكلام في معاني الالفاظ التي نطقت بها الانبياء شيء والكلام الذي فهمتموه عنهم شيء آخر ولو قدر ان ماذكرتموه أنتم او غيركم فهمتموه من كلام الانبياء ليس مخالفاً لصريح العقل لم نجزم بان قائل ذلك يتصور ماقال بل قد يكون فهم من كلامهم مالم يريدوه فكيف اذا كان هو نفسه لم يتصور ماقال بل هم معترفون بانه غير معقول له وهو لايفهمه فكيف اذا كان الذي قاله معلوم الفساد بصريح العقل فهذه ثلاث مقدمات لو فهمه ثم قال اني فهمت كلامهم لم يكن فهمه حجة فكيف اذا قال انى لم أفهمه وان هذا فوق طور العقل ولو قال هذا لم يكن قوله حجة ولم يجب تصديقه من ان الانبياء عنوا بكلامهم المعنى الذى اعترفوا انه فوق طور العقل فكيف اذا عرف ان ذلك المعنى باطل يمتنع ان يقوله عاقل لانبي ولا غير نبي

(فصل) قال الحاكي عنهم فقلت لهم انهم يقولون لنا اذا كان اعتقادكم

فى الباري تعالى انه واحد فما حملكم على ان تقولوا أب وابن وروح
قدس فتوهمون السامعين انكم تعتقدون فى الله ثلاثة اشخاص مركبة
او ثلاثة آلهة او ثلاثة أجزاء وان له ابناً ويظن من لايعرف اعتقادكم
انكم تريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل فتطرقون على أنفسكم تهمة
أنتم منها بريئون ؟ قالوا وهم أيضاً لما كان اعتقادهم في الباري جلت
عظمته انه غير ذى جسم وغير ذى جوارح واعضاء وغير محصور في
مكان فما حملهم على ان يقولوا ان له عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما
وساق ووجه يوليه الى كل مكان وجنب وانه يأتى في ظلل من الغمام
فيوهمون السامعين ان الله ذو جسم وذو اعضاء وجوارح وانه ينتقل
من مكان الى مكان في ظلل من الغمام فيظن من لايعرف اعتقادهم
انهم يجسمون الباري حتى ان قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً
ومن لم يحقق اعتقادهم يتهمهم بماهم بريئون منه قال فقلت لهم انهم
يقولون ان العلة في قولهم هذا ان الله له عينان ويدان ووجه وساق
وجنب وانه يأتي في ظلل من الغمام فهو ان القرآن نطق به واذ ذلك
غير ظاهر اللفظ وكل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ ويعتقد ان الله
له عينان ويدان ووجه وجنب وجوارح واعضاء وان ذاته تنتقل فهم
يلعنونه ويكفرونه فاذا كفروا من يعتقد هذا فليس لمخالفيهم ان
يلزموهم هذا بعد ان لايعتقدوه قالوا وكذلك نحن أيضاً النصارى العلة
فى قولنا ان الله ثلاثة اقانيم أب وابن وروح قدس ان الانجيل نطق
به والمراد بالاقانيم غير الاشخاص المركبة والاجزاء والابعاض وغير
ذلك مما يقتضي الشرك والتكثير وبالاب والابن غير ابوة وبنوة نكاح

او تناسل او جماع او مباضعة وكل من يعتقد ان الثلاثة اقانيم ثلاثة آلهة مختلفة او ثلاثة آلهة متفقة او ثلاثة أجسام مؤلفة او ثلاثة اجزاء متفرقة او ثلاثة أشخاص مركبة او اعراض او قوى او غير ذلك مما يقتضى الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه او بنوة نكاح او تناسل اومباضعة او جماع او ولادة زوجة او من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين فنحن نلعنه ونكفره ونحرمه واذا لعنا وكفرنا من يعتقد ذلك فليس لمخالفينا ان يلزمونا بعد ان لا نعتقده وان الزمونا الشرك والتشبيه لاجل قولنا أب وابن وروح قدس لان ظاهر ذلك يقتضى التكثير والتشبيه • الزمناهم أيضاً نحن التجسيم والتشبيه لقولهم ان الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب وان ذاته تنتقل من مكان الى مكان وانه استوى على العرش من بعد ان لم يكن عليه وغير ذلك مما يقتضى ظاهره التجسيم والتشبيه * والجواب من وجوه احدها ان يقال من آمن بما جاءت به الرسل وقال ما قالوه من غير تحريف للفظه ولا معناه فهذا لا انكار عليه بخلاف من ابتدع اقوالا لم تقلها الرسل بل هى تخالف ما قالوه وحرف ما قالوه اما لفظاً ومعنى واما معنى فقط فهذا يستحق الانكار عليه باتفاق الطوائف واصل دين المسلمين انهم يصفون الله بما وصف به نفسه فى كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك اقوال رسله ويجتنبون ما خالف اقوال الرسل كما قال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) أى عما يصفه

الكفار المخالفون للرسل (وسلام على المرسلين) لسلامة ما قالوه من النقص والعيب (والحمد لله رب العالمين) فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ونزهوه عن ان يكون له مثل في شيء من صفات الكمال واثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل ونفوا عنه التمثيل فاتوا باثبات مفصل ونفي مجمل فمن نفي عنه ما اثبته لنفسه من الصفات كان معطلا ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً والمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً وقد قال تعالى (ليس كمثله شيء)وهو رد على الممثلة (وهو السميع البصير)وهو رد على المعطلة فوصفته الرسل بانه حي منزه عن الموت عليم منزه عن الجهل قدير قوي عزيز منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب سميع بصير منزه عن الصمم والعمي غني منزه عن الفقر جواد منزه عن البخل حكم حليم منزه عن السفه صادق منزه عن الكذب الى سائر صفات الكمال مثل وصفه بأنه ودود رحيم لطيف وقد قال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فالصمد اسم يتضمن اثبات صفات الكمال ونفي النقائص وهو العليم الكامل فى علمه القدير الكامل في قدرته الحكيم الكامل في حكمته ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة وآخر فى بيان انها تعادل ثلث القرآن وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة والتابعين فى معنى الصمد وان عامة ماقالوه حق كقول من قال منهم ان الصمد الذى لاجوف له ومن قال منهم انه السيد الذى انتهى سودده كما قيل انه المستغنى عن كل ماسواه وكل ماسواه محتاج اليه وكما قيل انه العليم الكامل في علمه والقدير

الكامل في قدرته الى سائر صفات الكمال وذكر تعالى في هذه السورة انه أحد ليس له كفواً أحد فنفى بذلك ان يكون شيئاً من الاشياء له كفواً وبين انه أحد لا نظير له وقال في آية أخرى (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقال (ليس كمثله شيء) وقال (فلا تضربوا لله الامثال ولا تجعلوا لله اندادا) وماورد في القرآن والسنة من اثبات صفات لله فقد ورد فى التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك فهو أمر اتفقت عليه الرسل وأهل الكتاب فى ذلك كالمسلمين واذ كان كذلك فهم فى أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والانبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لايوجد فى كلام الانبياء فليس في كلام الانبياء لا المسيح ولا غيره ذكر اقانيم لله لا ثلاثة ولا اكثر ولا اثبات ثلاثة صفات ولا تسمية شيء من صفات الله ابناً لله ولا رباً ولا تسمية حياته روحاً ولا ان لله ابناً هو اله حق من اله حق من جوهر أبيه وانه خالق كما ان الله خالق الى غير ذلك من الاقوال المتضمنة لانواع من الكفر لم تنقل عن نبي من الانبياء فقالوا في شريعة ايمانهم نؤمن بالله الاب مالك كل شيء صانع ما يُرى ومالا يرى وهذا حق ثم قالوا وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلايق كلها مولود ليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه نور من نور مساوى للاب فى الجوهر الذي بيده اتقنت العوالم خالق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول وصار انساناً وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء وجلس

عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس المحيي وروح الحق المنبثق من أبيه أو الذى يخرج من أبيه روح محييه فاين في كلام الانبياء ان شيئاً من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه انه اقنوم وانه اله حق من اله حق من جوهر أبيه وانه مساوى لله فى الجوهر وانه خالق كل شيء وانه قعد عن يمين الله فوق العرش وانه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة وأين فى كلام الانبياء ان لله ولدا قديماً ازلياً ومن الذى سمى كلام الله أو علمه أو حكمته مولوداً له أو ابناً له أو شيئاً من صفاته مولوداً له أو ابناً له ومن الذي قال من الانبياء انه مولود وهو مع ذلك قديم ازلي واين في كلامهم ان لله اقنوماً ثالثاً هو حياته ويسمى بروح القدس وانه ايضاً رب حي محي فلو كان النصارى آمنوا بنصوص الانبياء كما آمن المؤمنون لم يكن عليهم ملام ومن اعترض على نصوص الانبياء كان لفساد فهمه ونقص معرفته ولكن هم ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصة عن أحد من الانبياء عليهم السلام وفيها كفر ظاهر وتناقض بين فلو قدر انهم أرادوا بها معنى صحيحاً لم يكن لاحد ان يبتدع كلاماً لم يأت به نبي يدل على الكفر المتناقض الذى يخالف الشرع والعقل ويقول انى أردت به معنى صحيحاً من غير ان يكون لفظه دالا على ذلك فكيف والمراد الذى يفسرون به كلامهم فاسد متناقض كما تقدم فهم ابتدعوا أقوالا منكرة وفسروها بتفسير منكر فكان الرد عليهم من كل واحد من الوجهين وهم فى ذلك نظير بعض ملاحدة المسلمين الذين يعتقدون الهية بعض أهل البيت أو بعض المشايخ ويصفون الله بصفات

لم ينطق بها كتاب وهؤلاء ملحدون عند المسلمين بخلاف المؤمنين الذين
آمنوا بالله ورسله الذين آمنوا بما قالت الانبياء ولم يبتدعوا أقوالا لم يأت بها
الانبياء وجعلوها أصل دينهم • الوجه الثانى ان يقال ماذكرتموه عن
المسلمين كذب ظاهر عليهم فهذا النظم الذى ذكروه ليس هو في القرآن
ولا فى الحديث ولا يعرف عالم مشهور من علماء المسلمين ولا طائفة
مشهورة من طوائفهم يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين حيث
قالوا عنهم انهم يقولون ان لله عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما وساقا
ووجهاً يوليه الى كل مكان وجنباً ولكن هؤلاء ركبوا من الفاظ القرآن
بسوء تصرفهم وفهمهم تركيباً زعموا ان المسلمين يطلقونه وليس فى القرآن
ما يدل ظاهره على ما ذكروه فان الله تعالى قال فى كتابه وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق
كيف يشاء واليهود أرادوا بقولهم يد الله مغلولة انه بخيل فكذبهم
الله فى ذلك وبين انه جواد لايبخل فاخبر ان يديه مبسوطتان كما قال
(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسوراً) فبسط اليدين المراد به الجود والعطاء ليس المراد ماأوهموه من
بسطه المجرد ولما كان العطاء باليد يكون ببسطها صار من المعروف فى اللغة
التعبير ببسط اليد عن العطاء فلما قالت اليهود يد الله مغلولة وأرادوا
بذلك انه بخيل كذبهم الله فى ذلك وبين انه جواد ماجد واثبات اليدين
له موجود فى التوراة وسائر النبوات كما هو موجود في القرآن فلم يكن
فى هذا شيء يخالف ماجاءت به الرسل ولا ماينافض العقل وقد قال تعالى
لابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي فاخبر انه خلق آدم بيديه

وجاءت الاحاديث الصحيحة توافق ذلك وأما لفظ عينين فليس هوفى القرآن ولكن جاء فيه حديث وذكر الاشعرى عن أهل السنة حيث انهم يقولون ان لله عينين ولكن الذي جاء في القرآن ولتصنع على عيني واصنع الفلك باعيننا ووحينا وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا وأما قولهم له وجه يوليه الى كل مكان فليس هذا في القرآن ولكن فى القرآن (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والا كرام) وقوله (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) وقوله (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) وهذا قد قال فيه طائفة من السلف فثم قبلة الله أي فثم جهة الله والوجه والجهة كالوعد والعده والوزن والزنة والمراد بوجه الله وجهة الله الوجه والجهة والوجهة الذى لله يستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية (ولله المشرق والمغرب ثم قال فاينما تولوا فثم وجه الله(كما قال تعالى (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)فاذا كان لله المشرق والمغرب ولكل وجهة هو موليها وقوله موليها أى متوليها اى مستقبلها فهذا كقوله فاينما تولوا فثم وجه الله أى فاينما تستقبلوا فثم وجهة الله وقد قيل انه يدل على صفة لله لكن يدل على ان ثم وجه لله وان العباد أينما يولون فثم وجه الله فهم الذين يولون ويستقبلون لانه هو يولى وجهه الى كل مكان فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب على المسلمين ومن قال بالقول الثانى من المسلمين فان ذلك يقتضى ان الله محيط بالعالم كله كما قد بسطت هذه الامور في غير هذا الموضع اذ المقصود هنا بيان ضلال هؤلاء في دينهم

فيما ابتدعوا من الكفر والتثليث والاتحاد دون الذين آمنوا بالله ورسله وما أخبرت به الرسل عن الله تبارك وتعالى وأما قولهم وجنب فانه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين أثبتوا لله جنباً نظير جنب الانسان وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله (ان تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) فليس في مجرد الاضافة ما يستلزم ان يكون المضاف الى الله صفة له بل قد يضاف اليه من الاعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق كقوله تعالى بيت الله وناقة الله وعباد الله بل وكذلك روح الله عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم ولكن اذا أضيف اليه ماهو صفة له وليس بصفة لغيره مثل كلام الله وعلم الله ويد الله ونحو ذلك كان صفة له وفي القرآن مايبين انه ليس المراد بالجنب ماهو نظير جنب الانسان فانه قال ان تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله والتفريط ليس في شيء من صفات الله عز وجل والانسان اذا قال فلان قد فرط في جنب فلان او جانبه لايريد به ان التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص بل يريد به انه فرط في جهته وفى حقه فاذا كان هذا اللفظ اذا أضيف الى المخلوق لا يكون ظاهره ان التفريط في نفس جنب الانسان المتصل باضلاعه بل ذلك التفريط لم يلاصقه فكيف يظن ان ظاهره فى حق الله ان التفريط كان فى ذاته وجنب الشيء وجانبه قد يراد به منتهاه وحده ويسمي جنب الانسان جنباً بهذا الاعتبار قال تعالى تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً وقال تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى

جنوبهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائماً فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب واذا قدر ان الاضافة هنا تتضمن صفة لله كان الكلام فى هذا كالكلام فى سائر مايضاف اليه تعالى من الصفات وفى التوراة من ذلك نظير مافى القرآن وهذا يتبين بالوجه الثالث وهو ان يقال مافى القرآن والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيما هو مثل مافى التوراة وسائر كتب الانبياء وهذا الذى في التوراة وكتب الانبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم لكان النبي صلى الله عليه وسلم ذمهم على ذلك كما ذمهم على ماوصفوه به من النقائص فى مثل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) وقوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) فنفى عنه اللغوب الذى يظن* في لفظ الاستراحة الذى في التوراة فان فيها ان الله خلق العالم فى ستة أيام ثم استراح فى يوم السبت فظن بعض الناس انه تعب فاستراح ثم من علماء المسلمين من قال ان هذا اللفظ حرفوا معناه دون لفظه وهذا لفظ التوراة المنزلة قاله ابن قتيبة وغيره وقالوا معناه ثم ترك الخلق فعبر عن ذلك بلفظ استراح ومنهم من قال بل حرفوا لفظه كما قال ابو بكر بن الانبارى وغيره وقالوا ليس هذا لفظ التوراة المنزلة واما مافي التوراة من اثبات الصفات فلم ينكر النبي صلي الله عليه وسلم شيئاً من ذلك بل كان علماء

اليهود اذا ذكروا شيئاً من ذلك يقرهم عليه كما فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ان حبراً من اليهود جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان الله عز وجل يوم القيمة يحمل السموات على أصبع والارض على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) الآية وفى التوراة ان الله كتب التوراة باصبعه واذا ثبت ان مثل هذه النصوص فى التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب ومما يشهد على ذلك من أخبار الرسول بنظير ذلك وترك انكاره لما في التوراة وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من ذلك لم يكن المسلمون مختصين بذكر ماسموه تجسيما بل يلزم أهل الكتاب اليهود والنصارى من ذلك نظير ما يلزم المسلمين وقد افترق أهل الكتاب فى ذلك كما افترق فيه المسلمون منهم الغالى في النفي والتعطيل ومنهم الغالي فى التشبيه والتمثيل والمسلمون أئمتهم وجمهورهم مقتصدون بين التعطيل والتمثيل وكذلك طائفة من أهل الكتاب والمقصود انه اذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الالهية التوراة وغيرها كما جاءت في القرآن لم يكن للمسلمين بذلك اختصاص ولم يجز للنصارى ان يجعلوا ذلك نظير ما اختصوا به من التثليث والاتحاد فان ذلك مختص بهم وهذه الصفات قد اشترك فيها الملل الثلاث لان التثليث والاتحاد ليس منصوصاً عن أحد من الانبياء عليهم السلام وهذه الصفات منصوصة في القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الانبياء

فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا . الوجه الرابع قولهم فيوهمون السامعين ان الله ذو جسم وأعضاء وجوارح كلام باطل وذلك ان الله سمي نفسه وصفاته باسماء وسمى بعض عباده وصفات عباده باسماء هي في حقهم نظير تلك الاسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه حياً كقوله الله لا اله إلا هو الحي القيوم وتوكل على الحي الذى لا يموت وسمى بعض عباده حياً كقوله يخرج الحى من الميت مع العلم بانه ليس الحى كالحي وسمى نفسه عليما كقوله ان ربك حكيم عليم وسمى بعض عباده عليما كقوله وبشرناه بغلام عليم فاعلم بانه ليس العليم كالعليم وسمى نفسه حليما بقوله والله غنى حليم وسمى بعض عباده حليما بقوله وبشرناه بغلام حليم وسمى نفسه رؤفاً رحيما بقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم وسمى بعض عباده رؤفا رحيما بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وليس الرؤف كالرؤف ولا الرحيم كالرحيم وكذلك سمى نفسه ملكا جباراً متكبراً عزيزاً وسمى بعض عباده ملكا وبعضهم عزيزا وبعضهم جباراً متكبرا وليس هو في ذلك مماثلا لخلقه وكذلك سمي بعض صفاته علماً وقوة وايدا وقدرة ورحمة وغضباً ورضى ويدا وغير ذلك وسمي بعض صفات عباده بذلك وليس علمه كعلمهم ولا قدرته كقدرتهم ولا رحمته وغضبه كرحمتهم وغضبهم ولا يده كايديهم وكذلك ما أخبر به عن نفسه من استوائه على العرش ومجيئه فى ظلل من الغمام وغير ذلك من هذا الباب ليس استواءه كاستوائهم ولا مجيئه كمجيئهم وهذه المعانى التي تضاف الى الخالق تارة والى المخلوق أخرى تذكر على ثلاثة أوجه تارة تقيد بالاضافة الى الخالق أو باضافته اليها كقوله

ولايحيطون بشيء من علمه ان الله هو الرزاق ذو القوة وتارة تقيد بالمخلوق كقوله شهد الله انه لا اله إلا هو والملائكة واولو العلم وتارة تطلق مجردة فاذا قيدت بالخالق لم تدل على شيء من خصائص المخلوقين فاذا قيل علم الله وقدرته واستواؤه ومجيئه ويده ونحو ذلك كانت هذه الاضافة توجب مايختص به الرب الخالق وتمنع ان يدخل فيها مايختص به المخلوق وكذلك اذا قيل فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك كانت هذه الاضافة توجب مايختص بالعبد وتمنع ان يدخل في ذلك مايختص بالرب عز وجل واذا جرد اللفظ عن القيود فذكر بوصف العموم والاطلاق تناول الامرين كسائر الالفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوق وهذه للناس فيها أقوال قيل انها حقيقة في الخالق مجاز في المخلوق كقول ابي العباس الناشيء وقيل بالعكس كقول غلاة الجهمية والباطنية والفلاسفة وقيل حقيقة فيهما وهو قول الجمهور ثم قيل هي مشتركة اشتراكا لفظياً وقيل متواطئة وهو قول الجمهور ثم من جعل المشككة نوعا من المتواطئة لم يمتنع عنده اذا قيل مشككة ان تكون متواطئة ومن جعل ذلك نوعا آخر جعلها مشككة لا متواطئة وهذا نزاع لفظي فان المتواطئة التواطأ العام يدخل فيها المشككة اذ المراد بالمشككة مايتفاضل معانيها في مواردها كلفظ الابيض الذي يقال على البياض الشديد كبياض الثلج والخفيف كبياض العاج والشديد أولى به ومعلوم ان مسمى البياض في اللغة لا يختص بالشديد دون الخفيف فكان اللفظ دالا على مابه الاشتراك وهو المعنى العام الكلي وهو متواطيء بهذا الاعتبار وهو باعتبار التفاضل يسمى مشككا وأما اذا

أريد بالتواطىء ماتستوي معانيه كانت المشككة نوعا آخر لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عرف حادث وهو خطأ ايضاً فان عامة المعانى العامة تتفاضل والتماثل فيها في جميع مواردها بحيث لاتتفاضل فى شىء من مواردها اما قليل واما معدوم فلو لم تكن هذه الاسماء متواطئة بل مشككة كان عامة الاسماء الكلية غير متواطئة وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا ان الله سبحانه وتعالى اذا أضاف الى نفسه ما أضافه اضافة تختص بها وتمنع ان يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين وقد قال مع ذلك انه ليس كمثله شيء وانه لم يكن له كفواً أحد وانكر ان يكون له سمى كان من فهم من هذه مايختص به المخلوق قد أتى من سوء فهمه ونقص عقله لامن قصور في بيان الله ورسوله ولا فرق فى ذلك بين صفة وصفة فمن فهم من علم الله مايختص به المخلوق من انه عرض محدث باضطرار أو اكتساب فمن نفسه اتي وليس فى قولنا علم الله ما يدل على ذلك وكذلك من فهم من قوله بل يداه مبسوطتان وما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه فمن نفسه اتى فليس فى ظاهر هذا اللفظ مايدل على مايختص به المخلوق كما فى سائر الصفات وكذلك اذا قال ثم استوى على العرش من فهم من ذلك مايختص بالمخلوق كما يفهم من قوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فمن نفسه أتى فان ظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف الى الله عز وجل كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف الى العبد واذا كان المستوى ليس مماثلا للمستوى لم يكن الاستواء مماثلا للاستواء فاذا كان العبد فقيراً الى ما استوى عليه يحتاج الى حمله

وكان الرب عز وجل غنياً عن كل ما سواه والعرش وما سواه فقيراً اليه وهو الذي يحمل العرش وحملة العرش لم يلزم اذا كان الفقير محتاجا الى ما استوى عليه ان يكون الغني عن كل شيء وكل شيء محتاج اليه محتاجا الى ما استوى عليه وليس في ظاهر كلام الله عز وجل ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة الى حامل وغير ذلك بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ لكن اذا تخيل المتخيل في نفسه ان الله مثله تخيل ان يكون استواؤه كاستوائه واذا عرف ان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله علم ان استواءه ليس كاستوائه ولا مجيئه كمجيئه كما ان علمه وقدرته ورضاه وغضبه ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه وما بين الاسماء كالمعنى العام الكلي كما بين قولنا حي وحي وعالم وعالم وهذا المعنى العام الكلي المشترك لا يوجد عاما كلياً مشتركا الا في العلم والذهن والا فالذى في الخارج أمر يختص بالموصوف فصفات الرب عز وجل مختصة به وصفات المخلوق مختصة به ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق . الوجه الخامس قولهم لما كان اعتقادهم في الباري جلت قدرته انه غير ذي جسم استعمال منهم للفظ الجسم في القدر والغلظ لا في ذي القدر والغلظ وهذا أحد موردي استعماله وهو الاشهر في لغة العامة فيقولون هذا الثوب له جسم وهذا ليس له جسم أي هذا له غلظ وكثافة دون هذا ولكن النظار اكثر مايستعملون لفظ الجسم في نفس ذي القدر فيقولون للقائم بنفسه ذي القدر انه جسم وهذا اللفظ لما كثر استعماله في كلام النظار تفرقوا في معانيه لغة وعقلا وشرعا تفرقا ضل به كثير من الناس فان هذا اللفظ

اصله فى اللغة هو الجسد قال غير واحد من أهل اللغة كالاصمعي وأبي زيد وغيرهما الجسم هو الجسد وهذا انما يستعمله اهل اللغة فيما كان غليظاً كثيفاً فلا يسمون الهواء جسما ولا جسداً ويسمون بدن الانسان جسداً وقد تقدم ان الجسم يراد به نفس الجسد ويراد به قدر الجسد وغلظه قال تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقال تعالى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة) وقد يراد به هذا وهذا ثم ان أهل النظر استعملوا لفظ الجسد في أعم من معناه فى اللغة كما فعلوا مثل ذلك في لفظ الجوهر ولفظ العرض ولفظ الوجود ولفظ الذات وغير ذلك فاستعملوا لفظ الجسم فيما يقوم بنفسه وتمكن الاشارة اليه الحسية المختلفة ثم تنازعوا نزاعا عقلياً فيما يشار اليه كالهواء والنار والتراب والماء وغير ذلك هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لاتقبل القسمة أو من المادة والصورة أو ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا على ثلاثة اقوال قد بسط الكلام عليها فى غير هذا الموضع فمن اعترف انها مركبة من هذا او من هذا يلزمه اذا قال ان الله جسم ان يكون الله مركباً من هذا او هذا . ولهذا قالوا ان هذا باطل واوجبوا على اصلهم نفى مسمى هذا الاسم وهذا هو المشهور عند هؤلاء . ومن اعتقد انه ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا قال لا يلزمني إذا قلت هو جسم أن يكون مركبا . فمن هؤلاء من اطلق عليه لفظ الجسم واراد به القائم بنفسه او الموجود كما اطلق هؤلاء لفظ الجوهر وقالوا اردنا بالجوهر القائم بنفسه وكما قال هؤلاء ليس فى الوجود الا جوهر او عرض فان الوجود اما قائم بنفسه وهو الجوهر او بغيره وهو العرض

والجوهر اشرف القسمين . وقال الآخرون ليس في الوجود الا قائم بنفسه وهو الجسم او قائم بغيره وهو العرض والجسم اشرف القسمين وقال فما سماه اولئك جوهرا سماه اولئك جسما وكلاهما ليست تسميته لغوية ولا شرعية وإذا قال هؤلاء هو جوهر لا كالجواهر كما يقال هو شيء لا كالأشياء . قال اولئك انه هو جسم لا كالاجسام كما يقال هو شيء لا كالاشياء واذا قال هؤلاء الجوهر ينقسم الى كثيف ولطيف قال أولئك والجسم ينقسم الى لطيف وكثيف والمقصود هنا ان هؤلاء الذين نزهوه عما يمتنع عليه من مماثلة المخلوقين وسموه جسماً نزاعهم مع النفاة قد يكون لفظياً كنزاع النصارى في لفظ الجوهر وقد يكون عقلياً كنزاعهم في ان المشار اليه هل هو مركب من الجواهر المنفردة او من المادة والصورة اولا من هذا ولا من هذا ومن قال من القائلين بانه جسم فيقول انه مركب من الجواهر المنفردة او من المادة والصورة فهؤلاء مذمومون لفظاً ومعنى عند جماهير المسلمين وغيرهم وان كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء إذ كان ما يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الاجسام طرقا ضعيفة لاتثبت على المعيار العقلي كما قد بسط في موضع آخر بخلاف من كان نزاعه لفظياً فهذا يذم إمّا لغة واما لغة وشرعا لكونه أطلق لفظاً لم يأذن به الشرع او استعمله في خلاف معناه اللغوي كما قد يذم النافي بمثل ذلك لغة وشرعا اذا كان معناه صحيحاً . واما من كان من النفاة او المثبتة نفى حقاً او أثبت نفياً باطلاً فهذا مذموم ذما معنوياً شرعا وعقلاً واما الشرع فالرسل واتباعهم الذين من أمة موسى وعيسى

ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يقولوا ان الله جسم ولا انه ليس بجسم ولا انه جوهر ولا انه ليس بجوهر لكن النزاع اللغوي والعقلي والشرعي في هذه الاسماء هو مما احدث في الملل الثلاث بعد انقراض الصدر الاول من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء، والذى اتفقت عليه الرسل واتباعهم ماجاء به القرآن والتوراة من ان الله موصوف بصفات الكمال وانه ليس كمثله شيء فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين مع اثبات ما أثبته لنفسه من الصفات ولا يدخل في صفاته ماليس منها ولايخرج منها ما هو داخل فيها اذا تبين هذا فالمسلمون لما كان اعتقادهم بان الله تعالى موصوف بما وصف به نفسه وانه ليس كمثله شيء وكان ما أثبتوه له من الصفات التي جاءت بها الرسل لم يكن عليهم ملام لانهم اثبتوا ما أثبتته الرسل ونفوا ما نفته الرسل فكان فى هذا النفى ماينفى الوهم الباطل بخلاف من أثبت أموراً لم تأت بها الرسل وضم اليها ما يؤكد المعنى الباطل لامايتفيه وكان مما نفوا عنه انه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفردة ولا من المادة والصورة اما على احد قولي النظار بل وأظهرهما فان ماسواه من الموجودات القائمة بانفسها ليس مركباً لامن هذا ولا من هذا فهو سبحانه احق بتنزيهه عن مثل هذا اذ كل نقص نفى عن المخلوق فالخالق أحق بتنزيهه منه وأما على القول الآخر فتارة يقولون لان المركب من الجواهر المنفردة يمكن افتراق اجزائه وذلك ممتنع فى حق الله تعالى وتارة يقولون لانه مفتقر الى اجزائه وذلك ممتنع في حق الله تعالى اذ جزءه غيره والمفتقر الى غيره لايكون واجباً بنفسه قديماً أزلياً كما قد بسط الكلام على هذه الامور في موضع آخر ثم منهم من

لايطلق من النفي والاثبات الا الالفاظ الشرعية فكما لايقول هو جسم وجوهر لايقول ليس بجسم ولا جوهر ومنهم من يطلق هذه الالفاظ وهؤلاء منهم من ينفيها ومنهم من يثبتها وكل من الطائفتين قد يدخل في ذلك ما يوافق الشرع وقد يدخل في ذلك ما يخالف الشرع وكل من الطائفتين يدعي النظر العقلي او اللغوي وربما اعتصم بعضهم بما يظنه دليلا شرعياً والغالب عليهم انهم لايعتصمون في ذلك بشرع اذ لم يكن في ذلك شرع وانما يتكلفون تغيير اللغة التي بعث بها الرسول ثم يحملون الفاظه على ما ابتدعوه من اللغة كما فعلته النصارى في حمل كلام الانبياء على ما ابتدعوه من اللغة فان الانبياء لم يسموا علم الله وحياته ابناً وروح قدس ولا رباً فيسمي النصارى علمه وحياته ابناً وروح قدس ورباً ثم حملوا كلام الانبياء على ذلك كذلك طائفة من أهل الكلام كان السلف يسمونهم الجهمية أحدثوا تسمية الواحد والاحد ونحوهما لما لايشار اليه ولا يميز الحس منه شيئاً عن شيء وهذا خلاف اللغة فان أهل اللغة يسمون بالواحد والوحيد والاحد في النفي لما يشار اليه ويميز الحس منه شيئاً من شيء قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيداً) فسمي الانسان وحيداً وقال تعالى (وان كانت واحدة فلها النصف) فسمى المرأة واحدة (وما أمرنا الا واحدة) وقال (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) فسمي المستجير وهو انسان احداً وكذلك قوله تعالى (ولم يكن له كفواً أحد) نفي ان يكون احدٌ كفواً له فلو كان مايشار اليه لايسمى أحداً لم يكن قد نزهه عن مماثلة المخلوقات له فان المشهود من المخلوقات كلها يشار اليها فان لم يدخل في أحد لم

يكن قد نزّه نفسه عن مماثلتها فهؤلاء لما أحدثوا ان مسمى الاحد والواحد لايكون مشاراً اليه قالوا والرب قد سمى نفسه أحداً وواحداً فيجب ان لايكون مشاراً اليه ولغة الرسول التي خاطب بها الناس لم تكن موافقة لما ابتدعوه من اللغة وكذلك الذين قالوا هو جسم غيروا اللغة وجعلوا الجسم اسما لما يشار اليه او لكل موجود ولكل قائم بنفسه ثم قالوا وهو موجود او قائم بنفسه او مشاراليه فيكون جسما ولايوجد في اللغة اسم الجسم لاهذا ولاهذا ولا هذا وقالوا لايلزم من كونه مشاراً اليه ان يكون مركباً من الجواهر المفردة ولامن المادة والصورة وقال أولئك بل يلزم ان كل مركب فانه يسمى في اللغة جسماً فيلزم ان يسمى جسما إذا قلنا هو مشاراليه او يرى بالابصار اومتصفاً بصفات تقوم به وليس ما ذكروه عن اللغة بمستقيم فان أهل اللغة لايعنون بالجسم المركب بل الجسم عندهم هو الجسد ولا يسمون الهواء جسما اذا تبين هذا فتمثيل هؤلاء النصارى باطل على كل قول طائفة من طوائف المسلمين فمنهم من يقول الجسم فى اللغة هو المركب والله ليس بمركب فليس بجسم • لايقولون بما ذكروه من ان الله له وجه يوليه الى كل مكان وجنب ونحوذلك وكذلك من قال ان الله ليس بمركب وسماه جسما بمعنى انه قائم بنفسه او لم يسمه جسما لايقول بذلك أيضاً ومن حكي عنه انه يثبت له خصائص الاجسام المركبة فهؤلاء ان اطلقوا مانقاه فلا حجة للنصارى عليهم وان لم يطلقوه فحجتهم ابعد فقد تبين انه ليس لهم حجة على أفسد الناس قولا فى التجسيم فضلا عن غيرهم الوجه السادس ان يقال لهؤلاء النصارى اما ان تعنوا بلفظ الجسم

المعنى اللغوي وهو الجسد واما ان تعنوا به المعنى الاصطلاحي عند أهل
الكلام كالمشار اليه مثلا فان عنيتم الاول لم يلزم من نفي ذلك نفي
ماذكرتموه من الصفات لاسيما وأنتم تقولون انه جوهر وقسمتم الجوهر
الى لطيف وكثيف فاذا كان الكثيف هو الجسم واللطيف جوهر ليس
بجسم لم يمتنع على مثل هذا ان يكون له مايناسبه من الصفات كالملائكة
فان الملائكة لايمتنع وصفها بذلك وان لم تكن أجساماً على هذا
الاصطلاح بل هي جواهر روحانية وكذلك روح الانسان التي تخرج
منه لايمتنع وصفها بما يناسبها من ذلك وان كانت ليس بجسم على هذا
التقدير فتبين ان نفي مسمى الجسم اللغوي عن الشيء لايمتنع اتصافه
بما ذكر من الصفات وامثالها وان عنيتم بالجسم القائم بنفسه او المشار
اليه لم يمتنع عندكم ان يكون جسما فانكم سميتموه جوهراً وعنيتم القائم
بنفسه فان قام الدليل على ان كل قائم بنفسه مشار اليه كان أيضاً مشارا
اليه وان قام دليل على انه قائم بنفسه لايشار اليه كان جوهراً وجسما
عند من يفسر الجسم بالقائم بنفسه ومن فسره بالمشار اليه لم يسم عنده
جسما فتبين انه على أصلكم لايمتنع ان يسمى جسما مع تسميتكم له
جوهراً الا اذا أثبت ان من الموجودات ماهو جوهر قائم بنفسه لايشار
اليه وهذا لم يقيموا عليه دليلا وليس هذا قول أهل الملل من المسلمين
واليهود والنصارى وانما هو قول طائفة من الفلاسفة وقليل من أهل
الملل وافقوهم ثم يقال لكم أنتم قلتم انه حي ناطق وله حياة ونطق بل
زدتم على ذلك حتى جعلتموه اقانيم ثلاثة ومعلوم ان الحياة والنطق
لاتعقل الاصفة قائمة بموصوف ولايعلم موصوف بالحياة والنطق الاماهو

مشار اليه بل ما هو جسم كالانسان فان جاز لكم ان تثبتوا هذه
الاعراض في غير جسم جاز لغيركم ان يثبت المجيء واليد ونحو ذلك لغير
جسم وان قلتم هذا لايعقل الا لجسم . قيل لكم وذلك لايعقل الا لجسم
فان رجعتم الى الشاهد كان حجة عليكم وان جاز لكم ان تثبتوا في الغائب
حكما على خلاف الشاهد جاز لغيركم وحينئذ فلا تناقض بين مانفاه
المسلمون وأثبتوه لوكان ماذكرتموه عنهم من النفي والاثبات حقاً على
وجهه فكيف وقد وقع التحريف في الطرفين . الوجه السابع ان يقال
غاية مقصودكم ان تقولوا ان المسلمين لما أطلقوا ألفاظاً ظاهرها
كفر عندهم لمجيء النص بها وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها كذلك
نحن أطلقنا هذه الالفاظ التي ظاهرها كفر لمجيء النص بها ونحن
لا نعتقد مدلولها * فيقال لكم أولا ان ما أطلقه المسلمون من نصوص
الصفات اطلقتموه انتم كما وردت به التوراة فهذا مشترك بينكم وبينهم
وما اختصصتم به من التثليث والاتحاد لم يشركوكم فيه ثم يقال ثانيا ان
المسلمين أطلقوا الفاظ النصوص وأنتم أطلقتم الفاظاً لم يرد بها نص
والمسلمون قرنوا تلك الالفاظ بما جاءت به النصوص من نفي التمثيل
وانتم لم تقرنوا بالفاظكم ما ينفي ما أثبتموه من التثليث والاتحاد
والمسلمون لم يعتقدوا معني باطلا وانتم اعتقدتم من التثليث في الاقانيم
والاتحاد ماهو معني باطل والمسلمون لم يسموا صفات الله باسماء أحدثوا
تسمية الصفات بها وحملوا كلام الرسل عليها وانتم أحدثتم لصفات الله
اسماء سميتموه انتم بها لم تسمه بها الرسل وحملتم كلام الرسل عليها
والمسلمون لم يعدلوا عن النصوص الكثيرة المحكمة البينة الواضحة الى

الفاظ قليلة متشابهة وانتم عدلتم عن هذا الى هذا والمسلمون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ماجاءت به الرسل وانتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ماجاءت به الرسل والمسلمون لم يقولوا قولا لايعقل وانتم قلتم قولا لايعقل والمسلمون لم يتناقضوا فيجعلوا الاله واحداً ويجعلونه اثنين بل ثلاثة وانتم تناقضتم فهذه الفروق وغيرها مما يبين فساد تشبيهكم انفسكم بالمسلمين • الوجه الثامن قولكم وكذلك نحن النصارى العلة في قولنا ان الله ثلاثة اقانيم اب وابن وروح قدس ان الانجيل نطق به فيقال لكم هذا باطل فانه لم ينطق لا الانجيل ولا شيء من النبوات بان الله ثلاثه اقانيم ولا خص أحد من الانبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها ولا قال المسيح ولا غيره ان الله هو الاب والابن وروح القدس ولا ان له اقنوما هو الابن واقنوما هو روح القدس ولا قال ان الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه وان روح القدس حياته ولا سمى شيئاً من صفاته ابناً ولا ولدا ولا قال عن شيء من صفات الرب انه مولود ولا انه جعل القديم الازلي مولودا ولا قال لاعن قديم ولا مخلوق انه اله حق من اله حق ولا قال عن صفات الله انها آلهة وان الكلمة اله والروح اله ولا قال ان الله اتحد لا بذاته ولا بصفاته بشيء من البشر بل هذا كله مما ابتدعتموه وخرجتم به عن الشرع والعقل فخالفتم الكتب المنزلة والمعقول الصريحة وكنتم ممن قيل فيه (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) فانكم انتم الذين سميتم نطق الله ابنا وقلتم سميناه ابنا لانه تولد منه كما يتولد الكلام من العقل فكان ينبغي أيضاً ان تسموا حياته ابناً لانها منبثقة منه ومتولدة عنه

أيضاً اذ لافرق بين علم الرب وحياته • فعلمه لازم له وحياته لازمة له فلماذا جعلتم هذا ابنا دون هـذا وقلتم انه مولود من الله وانه قديم أزلي وانتم تعترفون بان أحداً من الانبياء لم يسم علم الله ولا كلامه ولا حكمته مولودا منه والذى يعقله الخلق في المولود الذى يولد من غيره كما يتولد العلم و الكلام من نفس الانسان انه حادث فيه او منفصل عنه لايعقل انه قائم به وانه متولد منـه قديم ازلي ثم قلتم في امانتكم انه تجسم من روح القدس أو منه ومن مريم وهو انما تجسم عندكم من الكلمة التي سميتموها الابن دون روح القـدس وان كان تجسم من روح القدس فيكون هو روح القدس لايكون هو الكلمة التي هي الابن ثم تقولون هو كلمة الله وروحه فيكون حينئذ اقنومين اقنوم الكلمة واقنوم الروح وانما هو عندكم اقنوم واحد فهذا تناقض وحيرة تجعلونه الابن الذي هو الكلمة وهو اقنوم الكلمة فقط وتقولون تجسم من روح القـدس ولا تقولون انه تجسم من الكلمة وتقولون هو كلمة الله وروحه والكلمة والروح اقنومان ولا تقولون انه اقنومان بل اقنوم واحد وتقولون انه خالق العالم والخالق هو الاب وتقولون ليس هو الاب وتقولون اله حق من اله حق وتقولون اله واحد ساوى الاب فى الجوهر وتقولون ليس له مثل وليس شيء من هذا فى كلام أحد من الانبياء فكيف تشبهون انفسكم بمن اتبـع نصوص الانبياء ولم يحرفها وغاية ماعندكم ماوجد فى انجيـل متى دون سائر الاناجيل من ان المسيح عليـه السلام قال عمـدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس وانتم قد عرفتم في كلام المسيح وغيره من الانبياء انهم لايريدون

بالابن صفة الله لا كلامه ولا علمه ولا حكمته ولا يريدون بالابن اله حق من اله حق ولا مولود قديم ازلي بل يريدون به وليه وهو ناسوت لا لاهوت كيعقوب والحواريين ولا يريدون بروح القدس نفس حياة الله ولا يريدون به انه رب حي وانما يريدون بها الملك أو ماينزله الله على قلوب انبيائه وأصفيائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك فروح القدس يكون عندكم وعند المسلمين فى الانبياء وغيرهم كما كانت فى داود وغيره وكانت فى الحواريين فلو قدر ان لفظ الابن وجد في كلام المسيح مستعملا تارة في كلمة الله وتارة فى وليه الناسوت وروح القدس مستعملا تارة فى حياته وتارة فيما ينزله على قلوب انبيائه كان جزمكم بانه أراد بذلك هنا صفات الله جزما باطلا فما وصف به المسيح من انه ابن الله ومن ان روح القدس فيه قد وصف به غيره من الانبياء والصالحين فان كان الابن وروح القدس صفتين لله وجب ان يكون غير المسيح لاهوتاً وناسوتاً كالمسيح اذ الذي حل فى المسيح حل فى غيره ثم جزمكم بان هذه الصفات اقانيم وانه ليس لله صفات ذاتية أو جوهرية أو نحو ذلك الا هذه الثلاثة ثم تفرقتم في الثلاثة هل المراد بالاقانيم الوجود والعلم والحياة أو الحكمة والكلام أو النطق بدل لفظ العلم أو المراد الوجود والعلم والقدرة بدل الحياة أو المراد الوجود والحياة والقدرة أو المراد الوجود مع الحياة والعلم والقدرة الى أقوال اخر يطول أمرها فياليت شعرى ما الذى أراد المسيح بلفظ الاب والابن وروح القدس من هذه الامور التي اختلفتم فيها لو كان مراده ما ادعيتموه من الاقانيم والاقانيم لفظاً ومعنى لايوجد في كلام أحد من الانبياء بل قيل فيها

انها لفظة رومية يفسرونها تارة بالاصل وتارة بالشخص وتارة بالذات مع الصفة ويفسرونها تارة بالخاصة وتارة بالصفة فهلا تركتم كلام المسيح على حاله ولم تحرفوه هذه التحريفات ولقد أحسن بعض الفضلاء اذ قال لو سألت نصرانياً وابنه وابن ابنه عما يعتقدونه لاخبرك كل واحد بعقيدة تخالف عقيدة الآخر اذ كان أصل اعتقادهم جهلا وضلالا ليس معهم علم لا نقل ولا عقل فهم كما قال الله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وليس معهم بما اعتقدوه من التثليث والاتحاد علم بوجه من الوجوه فضلا عما هو أخص من ذلك وهو علم يهتدون به فليسوا بمهتدين فضلا عما هو أخص من الهدى وهو كتاب منير فليس معهم به كتاب منير ولو تكلمتم بهذا الكلام وقلتم لا نفهم معناه أو ظاهره باطل وله تأويل مقبول كما حكيتموه عمن تشبهتم به من المسلمين من انه يقوله فى الصفات لكان هذا أقرب الى القياس فكيف والامر بعكس ماذكرتم وذلك يتبين بالوجه التاسع وهو انكم انما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الانبياء وظاهره الى ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لايدل عليها لفظه لا نصا ولا ظاهراً فعدلتم عن المحكم واتبعتم المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فلو تمسكتم بظاهر هذا الكلام لم تضلوا فان الابن ظاهره في كلام الانبياء لايراد به شيء من صفات الله بل يراد به وليه وحبيبه ونحو ذلك وروح القدس لا يراد به صفته بل يراد به وحيه وملكه ونحو ذلك فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه الى معنى

لا يدل عليه اللفظ البتة فكيف تدعون انكم اتبعتم نصوص الانبياء
الوجه العاشر انكم بالغتم فى ذم المسيح وانجيله كما بالغتم فى سب الله وشتمه
وان كنتم لا تعلمون ان ذلك ذم فلم ترضوا ان تحملوا ظاهر كلام المسيح
ما انتم عليه من الكفر حتى جعلتم ظاهره كفرا لا ترضونه مثل ثلاثة
آلهة متفقة أو متفرقة أو ثلاثة أجسام مؤلفة أو ثلاثة أجزاء مفرقة أو
ثلاثة أشخاص مركبة فهذا ونحوه هو الذي أدعيتم انه ظاهر كلام المسيح
عليه السلام وأنتم لا تقولون بهذا الظاهر بل تكفرون قائله كما يكفر
المسلمون من يقول بالظاهر الذى هو التجسيم والتمثيل وهذا مما يتضمن
ان كلام المسيح ظاهر فى أثبات ثلاثة آلهة وثلاثة أشخاص مؤلفة وثلاثة
أجزاء متفرقة وثلاثة أشخاص مركبة كما زعمتم ان ظاهر القرآن التجسيم
وانكم عدلتم عن هذا الظاهر الى أثبات الاقانيم الثلاثة التي جعلتم
فيها كلمة الله هى ابنه وهو جوهر خالق يساويه في الجوهر وان المسيح
هو هذا الابن المساوى للاب في الجوهر خالق العالمين وديان يوم
الدين والجالس فوق العرش عن يمين الرب وانه اله حق من اله حق
والروح أيضاً اله ثالث والآلهة الثلاثة اله واحد وهذا الذى ذكرتموه
فيه من عيب المسيح وذمه ما ينتصر الله به للمسيح ولمن افترى عليه
منكم ومن غيركم فان المسيح عليه السلام على قولكم لم يفصح لكم بامانة
تعتقدونها ولا بتوحيد تعرفون به ربكم عز وجل بل تكلم بما ظاهره
أثبات ثلاثة آلهة وثلاثة أجسام مركبة وثلاثة أجزاء متفرقة وانكم أنتم
أصلحتم ذلك حتى جعلتموه ثلاثة أقانيم ووضع تلك الامانة المخالفة لعقول
ذوى العقول ولكل كتاب جاء به رسول مع ان المسيح لم ينطق بتثليث

قط ولا باتحاد ولا بما يدل على ذلك وعمدتم على ما نقله متى عنه دون
الثلاثة انه قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس وهذا الكلام
ظاهره بل نصه حجة على خلاف قولكم وانه أراد بالابن نفسه وهو
الناسوت لم يرد به صفة الله وأراد بروح القدس ماأيده الله به أو روح
القدس الذى نفخ فى أمه حتى حبلت به لم يرد به صفة الله تعالى فتأولتم
كلامه على خلاف ظاهره تأويلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول
فكيف تدعون انكم تمسكتم بظاهر كلامه ولما كان قول النصارى في
التثليث متناقضاً في نفسه لاحقيقة له صار مجرد تصوره التام كافياً فى
العلم بفساده من غير احتياج الى دليل وان كانت الادلة تظهر بفساده
ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك وهو ان مجرد
تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده فانه غير معقول وقالوا ان النصارى
ناقضت فى اللفظ وأحالت في المعنى فلا يجوز ان يعتقد مايدعون انحاله
لتناقضه وذلك انهم يزعمون ان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة وهذا لايصح
اعتقاده لانه لايجوز ان يعتقد المعتقد في الشيء انه ثلاثة مع اعتقاده فيه
انه واحد لان ذلك متضاد واذا كان ذلك كذلك فليس يخلو من ان
يعتقد انه ثلاثة أو انه واحد وليس يحتاج ان يعرف بدليل بطلان قول
من ادعي ان الواحد ثلاثة وان الثلاثة واحد لان ذلك لايعقل وهو كمن
ادعي في الشيء انه موجود معدوم او قديم محدث او في الجسم انه قائم
قاعد متحرك ساكن واذا كان كذلك فتناقضه اظهر من ان يحتاج فيه
الى دلالة واذا قال النصارى انه احدي الذات ثلاثي الصفات • قيل لو
اقتصرتم على قولكم انه واحد وله صفات متعددة لم ينكر ذلك عليكم

جهور المسلمين بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث • فان هذا باطل من وجوه متعددة • منها ان الاب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة فلا يكون له صفة الا الحياة والعلم فيكون جوهراً واحداً له اقنومان وانتم جعلتم ثلاثة اقانيم • ومنها ان صفات الرب لا تنحصر في العلم والحياة بل هو موصوف بالقدرة وغيرها ومنها انكم تارة تفسرون روح القدس بالحياة وتارة بالقدرة وتارة بالوجود وتفسرون الكلمة تارة بالعلم وتارة بالحكمة وتارة بالكلام فبطلان قولكم في اثبات ثلاث صفات كثير وانتم مع هذا تجعلون كل واحدة منها الهاً فتجعلون الحياة الهاً والعلم الهاً وهذا باطل واما من لم يثبت الصفات من المسلمين وغيرهم فيردون عليكم من وجوه اخرى كقول بعضهم اذا قيل الستم تقولون ان الابعاض الكثيرة تكون انسانا واحدا والاحاد الكثيرة عشرة واحدة والاجسام الكثيرة دارا واحدة ومدينة واحدة وما جرى هذا المجرى مما هو اكثر من ان يحصى وأظهر من ان يخفى فكيف عبتم ذلك من النصارى ولم انكرتم ان يكون ثلاثة اقانيم جوهرا واحداً • قيل ان قولنا انسان واحد ودار واحدة وعشرة واحدة وما يجرى هذا المجرى اسماء تنبيء عن الجمل لا عن آحاد واذا قلنا انسان واحد • فكانا قلنا جملة واحدة وكذلك اذا قلنا عشرة واحدة لانا نثبته واحداً في الحقيقة كيف ونحن نقول ان ابعاض الانسان متغايرة فكل بعض منها غير سائرها وكذلك كل واحد من العشرة غير سائرها فنحن وان قلنا انسان واحد فلسنا نثبته شيئاً واحداً في نفسه ولو ثبتنا ذلك لتناقضنا مناقضة النصارى وانما قلنا هي جملة واحدة ولو قالت النصارى مثل ذلك لم تتناقض حتى تزعموا انها ثلاثة اشياء جملة

واحدة فيكون مرادهم في ذلك بوصفهم الاقانيم الثلاثة بأنها جوهر واحد مما نريد بقولنا الابعاض الكثيرة انه انسان واحد فيكون وصفهم لها بأنها جوهر انما ينبيء انها جملة وليس هذا مما يذهبون اليه ولا يعتقدونه ولا يجعلون له معنى لانهم لا يعطون حقيقة التثليث فيثبتون الاقانيم الثلاثة متغايرة ولا حقيقة التوحيد فيثبتون القديم واحدا ليس باثنين ولا اكثر من ذلك واذا كان ذلك كذلك فما قالوه هو شيء لا يعقل ولا يصلح اعتقاده ويمكن ان يعارضوا على قولهم بكل حال . فيقال لهم اذا جاز عندكم ان تكون ثلاثة اقانيم جوهرا واحدا فلم لا يجوز ان تكون ثلاثة الهة جوهرا واحدا وثلاثة فاعلين جوهرا واحدا وثلاثة اغيار جوهرا واحدا وثلاثة اشياء جوهرا واحدا وثلاثة قادرين جوهرا واحدا وكل ثلاثة اشياء جوهرا واحدا وثلاث اغيار جوهرا واحدا وكل مايجرى هذا المجرى من المعارضة فلا يجدون فصلا . الوجه الحادى عشر ان غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون احسن حالا منكم شرعا وعقلا وهم اقل مخالفة للشرع والعقل منكم فاذا كان هؤلاء خيرا منكم فكيف تشبهون انفسكم بمن هو خير من هؤلاء من اهل السنة من المسلمين الذين لا يقولون لا بتمثيل ولا بتعطيل وبيان ذلك ان التوراة والانجيل وسائر كتب الله وغير ذلك مما هو مأثور عن الانبياء فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله وانه لا اله غيره وهو مسمى فيها بالاسماء الحسنى موصوف بالصفات العليا وان كل ماسواه مخلوق له ليس فيها تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات لا المسيح ولا غيره وفيها الفاظ قليلة مشكلة متشابهة وهي مع ذلك لا تدل على ماذكرتموه من

التثليث والاتحاد لا نصاً ولا ظاهرا ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم وليس فيها شيء يحتمل جميع ما قلتم فضلا عن ان يكون ظاهرا فيه أو نصاً بل بعضها يحتمل بعض قولكم فاخذتم ذلك المحتمل وضممتم اليه من الكفر الصريح والتناقض القبيح ماصيرتموه أمانة لكم اى عقيدة ايمان لكم ولو كانت كلها تحتمل جميع ماقلتم لم يجز العدول عن النص والظاهر الى المحتمل ولو كان بعضها ظاهرا فيما قلتم لم يجز العدول عن النصوص الصريحة الى الظاهر المحتمل ولو قدر ان فيها نصوصاً صريحة قد عارضها نصوص أخرى صريحة لكان الواجب ان ينظر بنور الله الذى ايد به عباده المؤمنين فيتبعون أحسن ما انزل الله وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول وسائر كتب الله وذلك النص الآخر ان فهموا تفسيره والا فوضوا معناه الى الله ان كان ثابتاً عن الانبياء وهؤلاء عدلوا عما يعلم بصريح المعقول وعما يعلم بنصوص الانبياء الكثيرة الى مايحتمله بعض الالفاظ لموافقته لهواهم (فلم يتبعوا الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وأما كفار المجسمة فهؤلاء أعذر وأقل كفراً من النصارى فان هؤلاء يقولون كما يقوله معهم النفاة ان ظواهر جميع الكتب هو التجسيم ففى التوراة والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم مالا يحصى وليس فيها نص بما يقوله النفاة من ان الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا هو فوق العرش ولا يشار اليه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا يقرب منه شيء ولا يدنو من شيء ولا يدنو اليه شيء الى نحو ذلك من النفى الذى يقوله نفاة الصفات

فمعلوم انه ليس فى الكتب الالهية لا التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ولا القرآن ولا غير ذلك من النبوات من هذا حرف واحد وكلها مملوءة مما يقول هؤلاء انه تجسيم فيقول هؤلاء نحن اتبعنا نصوص الانبياء ولم نعدل عنها الى غيرها ولم نجد في نصوصهم نصا محكما صريحاً بالنفي الذى يقوله نفاة الصفاة ووجدنا نصوصهم كلها بالاثبات الذى يقولون انه تجسيم فكان على قولنا وقولهم نصوص الانبياء ظاهرة في التجسيم وليس لهم نص يناقض ذلك فاتبعنا نصوصهم وكل من عارض اثبات الصفات لم يعارضها بنصوص صريحة عن الانبياء لكن بحجج عقلية فيقول هؤلاء ان النصارى خالفوا صريح المعقول وصريح كلام الأنبياء واتبعوا قليلا من متشابه كلامهم ونحن اتبعنا نصوص الانبياء ولم نخالف شيئاً من صرايح نصوصهم ولكن مخالفنا يقول انا خالفنا العقل ونحن ننازعه في ذلك وندعى ان العقل معنا لا علينا وان ما تدعيه من المعقولات التي تعارض كلام الانبياء فهى باطلة. أو يقولون نحن والنصارى متفقون على انا لا نعارض كلام الانبياء بالشبه العقلية لكن نحن اتبعنا كلامهم المحكم الظاهر الكثير الذى لا مخالف له من كلامهم وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم واتبعوا قليلا من المتشابه ويقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفرهم ائمة المسلمين وجمهورهم الذين يحكي عنهم ان الله ينزل الى الارض عشية عرفة فيعانق المشاة ويصافح الركبان وانه يمشى في الارض يكون موطؤ أقدامه مروجا ونحو ذلك ليس هذا القول باعجب من قول النصارى الذين يقولون انه هو المسيح وان اللاهوت والناسوت اتحدا فنحن نقول ايضاً انه حل فى بعض الاجساد

المخلوقة كما يقوله النصارى او نقول انه تجسد كما تجسد الملائكة والجن وهذا أقرب من قول النصارى انه اتحد بجسم المسيح فانا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور في صورة بشرية ولم نعهد ملكا صار هو والبشر شيئاً واحداً فاذا لم يجز ان يتحد الملك بالبشر فكيف يجوز ان يتحد رب الخلائق كلهم بالبشر قالوا وقد يحل الجني في بدن الانسى ويتكلم على لسانه الا انهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان ليس بينهما اتحاد لكنه دخل فيه وتكلم على لسانه والنصارى يقولون ان رب العالمين اتحد بالبشر فنهم من يقول جوهر واحد ومنهم من يقول شخص واحد واقنوم واحد ومنهم من يقول مشيئة واحدة فلا بد لكل منهم من نوع اتحاد وهذا أبعد من حلول الجني فى الانسى فاذا كان مايقولونه ممتنعا في الجن والملائكة فكيف برب العالمين ومن غلاة المجسمة اليهود من يحكي عنه انه قال ان الله بكي على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وانه ندم حتى عض يده وجرى منه الدم وهذا كفر واضح ولكن يقولون قولنا خير من قول النصارى فان النصارى يقولون انه أخذ وضرب بالسياط وبصق في وجهه ووضع الشوك على رأسه كالتاج وصاب بين لصين وفعل به من أقبح ما يفعل باللصوص قطاع الطريق وقد صرح كثير منهم بان هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعاً وشريعة ايمانهم تدل على ذلك وهو لازم لمن أنكر ذلك منهم فانه مع القول بالاتحاد الذي لابد لطوائفهم الثلاثة منه يمتنع ان تحل هذه العقوبات في هذا دون ذاك فلا يمكن ان يحل فى الناسوت دون اللاهوت فان هذا انما يتصور اذا كانا اثنين ومن قال بالاتحاد امتنع عنده ان يكون

هناك اثنان وفي الجملة فالنصارى المثلثة اما ان يصرحوا بالاتحاد من كل وجه كاليعقوبيـة وهؤلاء يصرحون بان الآلام حلت باللاهوت واما ان يقولوا بالاتحاد من وجه كقول الملكية انهما شخص واحد وقول النسطورية هما مشيئة واحدة وحينئذ فما قالوه من التعدد والموت الذي يوجب المباينة وانه لايتصف أحدهما بما يتصف به الآخر ولايحل به ماحل به فيكون متناقضاً لهذا فاحسن أحوالهم ان يتناقضوا فى الاتحاد كما تناقضوا في التثليث وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء يتكلمون بالكفر وبما يناقضه وبالتوحيد وبما يناقضه ومعـلوم ان مايفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن هو دون ما يفعله اعداؤه به من ضرب وصفع وجعل الشوك على رأسه وصلبه بين لصين وان استغاثتـه بمن يخلصه من ذلك اشـد نقصاً من ندمه وحزنه وان قالوا فعل هـذا حتى يعلم عباده التشبه به. أمكن اولئك المجسمة ان يقولوا بكى وندم وعض يده ندماً حتى جرى الدم حتى يعلم عباده التوبة من الذنوب ففى الجملة ماقال قوم من أهل الملل قولا في الله الا وقول النصارى أقبح منـه ولهذا كان معاذ بن جبل رضى الله عنـه يقول لاترحموهم فلقـد سبوا الله مسبة ماسبه اياها أحد من البشر ولهذا يعظم الله فريتهـم على الله في القرآن أشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقـد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيـه يوم القيامة فردا) وفي الصحيحين عن أبي

هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عزوجل
كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن ادم ولم يكن له ذلك فاما
شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد
ولم يكن لي كفواً أحد وأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدني كما بداني
وليس أول الخلق باهون علي من اعادته ورواه البخاري عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم انى
لا أقدر لن أعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لي ولد فسبحاني ان
اتخذ صاحبة ولا ولداً وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم ما أحد أصبر على اذى سمعه من الله عز وجل
انه يشرك به ويجعل له ند وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم. الوجه
الثاني عشر ان كل من يعتقد فى التجسيم ما يعتقد يمكنه ان يقول كما
يقوله النصارى فان النصارى عمدوا الى ماهو جسد من جنس سائر
أجساد بني آدم قالوا انه اله تام وانسان تام وليس فيه من الالهية شئ
فما بقى مع هذا يمتنع ان يعتقد في نظائره ما يعتقد فيه فلو قال القائل
ان موسى بن عمران كان هو الله لم يكن هذا أبعد من قول النصارى
فان معجزات موسى كانت أعظم وانتصاره على عدوه أظهر وقد سماه
الله في التوراة إلهاً لهرون ولفرعون فاذا قيل فيه ما قالوا في المسيح
انه أظهر المعجز بلاهوته وأظهر العبودية بناسوته لم يكن بطلان هذا
أظهر من بطلان قول النصارى بل متى جوزوا اتحاد اللاهوت
بالناسوت لم يمكنهم دفع ذلك عن أحد ممن يدعي فيه الا بدليل خاص

بل اذا قيل لهم حل فى كثير من الانبياء والقداديس لم يمكنهم نفى ذلك واذا قالوا لم يخبر بذلك أحد ولم يبشر به نبي او هذا غير معلوم قيل لهم غاية هذا كله انكم لاتعلمون ذلك ولم يقم عندكم دليل عليه وعدم العلم ليس علماً بالعدم فعدم علمكم وعدم علم غيركم بالشيء ليس علماً بعدم ذلك الشيء وكذلك عدم الدليل المعين لايستلزم عدم المدلول عليه فان كل ما خلقه الله دليل عليه ثم اذا عدم ذلك لم يلزم عدم الخالق فلا يجوز نفى الشيء لعدم الدليل الدال عليه الا أن يكون عدم الدليل مستلزماً لعدمه كالامور التي تتوفر الهمم على نقلها اذا لم ينقل علم انتفاءها والمقصود انكم مع العدم لايمكنكم النفى العام عن غير المسيح لعدم الدليل الدال عليه فانه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول في نفس الامر لاسيما وهو كان متحداً بالمسيح عندهم اكثر من ثلاثين سنة ومع هذا فكان يخفى نفسه ولا يظهر الا العبودية فاذا قيل لهم هكذا كان متحدا بغيره من الانبياء والصالحين ولكن أخفى نفسه لحكمة له فى ذلك او اظهر على نفسه بعض خواص عباده او اظهر لطائفة لم ينقل الينا خبرهم ونحو ذلك لم يمكن مع تصديق النصارى فيما يدعونه الجزم بكذب هؤلاء بل من جوز قول النصارى جوز ان يكون متحدا بغير ذلك من الاجسام فيجعل كثيرا من الاجسام المخلوقة هى رب العالمين اذ كان ليس هو متحدا بها فى نفس الامر فاذا اعتقدوا الاتحاد فيها كما اعتقدته النصارى في المسيح لم يكن ثم اله في الحقيقة الا ذلك الجسم الناسوتى المخلوق لكن ظن الضال انه رب العالمين كما ظن عباد العجل ان العجل اله موسى فاذا جاز ان يتحد الرب عز وجل ببعض

الاجسام لم ينكر على أصحاب العجل اذا جوزوا ان يكون رب العالمين اتحد بالعجل وقد رأوا منه نوع خرق عادة فليس للنصارى ان ينكروا على عباد العجل ولا عباد شيء من الاصنام اذا أمكن ان يكون الرب عز وجل حل فيها عندهم إن لم يقيموا دليلا على ان الرب لم يحل فى ذلك فاذا قيل ان موسى عليه السلام انكر على عباد العجل قيل نعم وموسى ينكر على كل من عبد شيئاً من المخلوقات حتى لو عبد احد الشجرة التي كلمه الله منها لانكر عليه فانكاره على النصارى أعظم وموسى عليه السلام لم يقل قط ان الله يتحد بشيء من المخلوقات ويحل فيه بل أخبر من عظمة الله عز وجل بما يناقض ذلك ففى التوراة من نهيه عن عبادة ماسوى الله ومن تعظيم أمره وعقوبة المشركين به وبما أخبر به من صفات الله عز وجل مايناقض قول النصارى ولهذا كان من تدبر التوراة وغيرها من كلام الانبياء عليهم السلام من النصارى تبين له ان دينهم يناقض دين الانبياء كلهم وان ماهم عليه من التثليث والاتحاد والشرك لم يبعث به أحد من الانبياء عليهم السلام وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة او كالانبياء والصالحين الذين ماتوا مثل دعائهم مريم وغيرها وطلبهم من الاموات الشفاعة لهم عند الله لم يبعث به أحد من الانبياء فكيف وقد صوروا تماثيلهم ليكون تذكيرا لهم باصحابها ويدعون تلك الصور وان قصدوا دعاء أصحابها فهم اذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون كانوا مشركين فكيف اذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة وهذا مما يعترفه حذاق علمائهم بانه مخالف لدين الانبياء كلهم

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنائس لما ابتدعه بعضهم
كما هو مذكور في أخبارهم ولم يأت من ابتدع ذلك بحجة شرعية
والمجسمة يعتقدون ان الله قديم أزلي وانه عظيم جداً لايقولون انه
متحد بشيء من الاجسام المخلوقة ولايحل فيها فمن قال باتحاده وحلوله
فيها كان قوله شراً من قول هؤلاء المجسمة كما ان المتفلسفة الذين
يقولون بان الافلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه
بها كما يقوله ارسطو وذووه أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها
كما يقوله ابن سينا وأمثاله وهؤلاء قولهم شر من قول اليهود والنصارى
ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات والارض خالقاً خلقها بمشيئته
وقدرته ولو قال من قال منهم ان ذلك جسم فغايته ان يثبت جسما
قديماً أزلياً موصوفاً بصفات الكمال فمن أثبت جسما قديماً أزلياً ليس
موصوفاً بصفات الكمال كان قوله شراً من قول هذا فتبين ان المجسمة
الذين يثبتون جسما قديماً أزلياً واجب الوجود بنفسه عالماً بكل شيء
قادراً على كل شيء مع قولهم انه تحله الحوادث وتقوم به الحركة
والسكون خيراً من قول الفلاسفة الذين يقولون ان الافلاك اجسام
قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها كما يقوله ارسطو وذووه وخير من
النصارى أيضاً الوجه الثالث عشر قولهم من قال ثلاثة الهة مختلفة أو
متفقة أو ثلاثة أشخاص مركبة أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك
والتكثير والتبعيض والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره* فيقال لهم وأنتم ايضاً
تلعنون من قال ان المسيح ليس هو اله حق من اله حق ولا هو
مساو الاب في الجوهر ومن قال انه ليس بخالق ومن قال انه ليس

بجالس عن يمين أبيه ومن قال ايضاً ان روح القدس ليس برب حق محي ومن قال انه ليس ثلاثة اقانيم وتلعنون ايضاً مع قولكم انه الخالق من قال انه الاب والابُ هو الخالق فتلعنون من قال هو الاب الخالق ومن قال ليس هو الخالق فتجمعون بين النقيضين فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث ومن اثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر وتجمعون بين النقيضين فمن اثبت أحدهما منفكا عن الآخر لعنتموه كمن قال عندي واحد ثلاثه فمن قال هو واحد ليس بثلاثه كذبه ومن قال هو ثلاثة ليس واحداً كذبه ومن قال عندي شيء موجود معدوم فمن قال هو موجود ليس بمعدوم كذبه ومن قال معدوم ليس بموجود كذبه ومن قال عندي شيء هو حي ميت هو عالم جاهل هو قادر عاجز فمن قال هو حي ليس بميت كذبه ومن قال هو ميت ليس بحي كذبه فهكذا انتم تجمعون بين قولين متناقضين أحدهما حق والآخر باطل فمن قال الحق ونفى الباطل لعنتموه ومن قال الباطل ونفى الحق لعنتموه وانتم تشبهون الملاحدة من الجهمية والفلاسفة والباطنية الذين يسلبون عنه النقيضين أو يمتنعون عن أثبات أحد النقيضين فيقولون لانقول هو حي ولا ليس بحي ولا هو عالم ولا ليس بعالم ولا قادر ولا ليس بقادر بل منهم من يقول لانقول هو موجود ولا معدوم ولا نقول هو شيء ولا نقول ليس بشيء ومنهم من يقول ليس بحي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ومنهم من يقول لانطاق لا هذا ولا هذا *فيقال لهم رفع النقيضين كجمع النقيضين والامتناع عن أثبات أحد النقيضين كالامتناع عن نفي أحد

النقيضين وكذلك من وصفه بانه موجود واجب الوجود لذاته ثم وصفه بصفات تستلزم عدمه فقد جمع بين النقيضين وكل قول يتضمن جمع النقيضين واثبات الشيء ونفيه أو رفع النقيضين الاثبات والنفي فهو باطل والنصاري في هذا الباب من ابلغ الناس تناقضا يقولون الشيء ويقولون بما يناقضه ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا وايضاً فكل طائفة منكم تلعن الآخرى فان أهل الامانة تلعن الاريوسية وغيرهم من طوائف النصارى وهم يلعنونكم وكل من فرقكم الثلاثة النسطورية واليعقوبية والملكية تلعن الطائفتين الاخريين فانتم واليعقوبية تلعنون من يقول ان مريم لم تلد الهاً ويقولون ان مريم ولدت انساناً تاماً الهاً تاماً وانتم والنسطورية تلعنون من قال انهما جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة ومن قال ان اللاهوت تألم مع قولكم ان اللاهوت مولود من مريم ومع قولكم المسيح الذي ولدته مريم مات وصلب وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب انكم ملعونون ما يطول وصفه فما منكم من احد إلا وهو لاعن ملعون فلعنكم من قال بهذه المقالات لا يوجب انكم على الحق بل يوجب ان يكون من جملة الملعونين عندكم كطائفة من طوائفكم والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً والطوائف الثلاثة المشهورة في الازمان المتأخرة فهم بعض طوائفهم وإلا فهم طوائف كثيرون مختلفون في التثليث والاتحاد وتجد كل صنف منهم أو من غيرهم في مقالاتهم يحكى اقوالا غير الاقوال التي حكاها الآخرون ومن أجل من جمع أخبارهم عندهم سعيد بن البطريق بترك الاسكندرية في أثناء المائة الرابعة من

دولة الاسلام وقد بحث لهم بحثاً استقصى فيه بزعمه نصر مذهبهم وهو ملكي وقد ذكرت كلامه في غير هذا الموضع وفيهم من يقول ان مريم زوجة الله وفيهم من يجعلها إلهاً آخر كالمسيح وفيهم من يثبت ان المسيح ابن الله الولادة المعروفة من الحيوان ٠ والامانة التي جعلوها عقيدتهم واصل ايمانهم في زمن قسطنطين بعد المسيح باكثر من ثلاثمائة سنة هي وغيرها من اقوالهم الظاهرة تدل على هذه الامور المنكرة القبيحة دلالة بينة لكن علماؤهم يتأولونها بتأويلات تناقض مدلولها مع فساد تلك المعاني التي يحملونها عليها عقلا وشرعا وليست تلك الفاظ الانبياء حتى يقال حكمهم في ذلك حكم سائر الطوائف من المسلمين وغيرهم الذين يقولون مايرونه متشابهاً من كلام الانبياء ويقولون ان الانبياء تكلموا بما لا يعرف احد معناه او انهم خاطبوا الجمهور بما ارادوا به تفهيمهم اموراً ينتفعون بها وان كان ذلك كذباً باطلا في نفس الامر. فان هؤلاء الطوائف وان كان فيهم من الضلال والجهل ما قد بسط في غير هذا الموضع فقد فعلوا ذلك في الفاظ الانبياء التي لها حرمة النبوة بخلاف النصارى فانهم وضعوا عقيدة وشريعة ليست الفاظها منقولة عن احد من الانبياء . الوجه الرابع عشر قولهم ومرادنا بالاب والابن غير ابوة وبنوة نكاح ومن اراد ولادة زوجة لمناه ٠ فيقال لفظ الولادة المعروف انما يكون من اصلين وانما يكون بانفصال جزء من الاصلين وانما يكون بحدوث المولود سواء اريد ولادة الحيوان او غيرها كما تتولد النار من بين الزنادين فاذا قدح احدهما بالآخر خرج منهما جزء لطيف فاستحال نارا ثم سقط على الحراق وقد توسع بعض

الناس في الولادة حتى عبر به عما يحدث عن الشيء وان لم يكن بانفصال جزء منه كتولد الشعاع عن النار والشمس وغيرها لان هذا يحدث بشيئين احدها ما يصدر عنه من الشمس والنار • والثاني المحل القابل له الذي ينعكس عليه وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع فاما ما يحدث عن شيء واحد فلا يعرف انه يسمى ولادة ان قدر وجود ذلك وكذلك لايعرف مايلزم الشيء الواحد انه يسمى ولدا فاما مايقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له فهذا ابعد شيء عن ان يسمى هذا الملزوم ولادة بل لا تكون الولادة الا عن أصلين وكل من قال ان الله ولدا لزمه ان تكون له صاحبة باي وجه فسر الولادة وان يكون له ولد حادثا ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) فاستفهم تعالى استفهام انكار يبين امتناع ان يكون له ولد اذا لم تكن له صاحبة فان الولد لا يكون الا من أصلين وهذا مما ينبغي ان يتفطن له فان جمل ما يلزم الشيء الواحد متولداً عنه لا يعرف لاسيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه وحياته لاسيما الصفات القديمة الازلية لذات رب العالمين الذي لم يزل ولا يزال موصوفا بها فان صفات العبد اللازمة له كحياته وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء ولا يقول عاقل يعقل ما يقول ان لون السماء وقدرها متولد عنها ولا ان قدر الشمس وضوءها القائم بها اللازم لها متولد عنها ولا يقول أحد ان حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها وانما يقال ان قيل فيما ليس بقائم بها بل قائم بغيرها

أو فيما هو حادث بعد ان لم يكن كالشعاع القائم بالأرض والحيطان وهذا ليس بقائم بها بل قائم بغيرها وهو حادث متولد عن أصلين لا عن أصل واحد فاما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له فلا يقول أحد من العقلاء انها متولدة عنه • والنصارى يزعمون ان كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بها ويقولون مع ذلك ان الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الازلي متولداً عنه ولا يجعلون حياته القديمة الازلية متولدة عنه وقد أصابوا فى أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم بانه أنواع كثيرة فانه ان كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال انها ابنه وولده ومتولد عنه ونحو ذلك فتكون حياته أيضاً ابنه وولده ومتولداً عنه وان لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولدا عنه وأبلغ من ذلك ان روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالانبياء والصديقين لا يقولون انها ولده ولا انها متولدة عنه بل يخصون ذلك بالكلمة فلا ينقلون عن أحد من الانبياء انه سمى شيئاً من صفات الله ابناً ولا ولداً ولا قال ان علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه فعلم ان القوم في غاية التناقض في المعانى والالفاظ وانهم مخالفون للكتب الالهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فانهم قالوا تولدت الكلمة عنه كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل • فيقال لهم لو قدر ان الانبياء سموا ذلك تولداً فما يتولد فينا حادث بعد ان لم يكن وحدوثه بتسبب

من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا فاما صفاتنا اللازمة لنا التى لا اختيار لنا فى اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا يقول عاقل انها متولدة فينا وعنا وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها متولدة عنه فلو قدر ان ما ذكرتموه من التولد العقلي أمراً معروفا في اللغة والعقل والشرع لم يكن لكم ان تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابناً له ومولوداً منه لم يزل مولوداً منه لان هذا باطل عقلا وشرعا ولغة أما العقل فان صفة الموصوف اللازمة له وان كان مخلوقا ليست متولدة عنه فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم ولو جاز هذا جاز ان يجعل ما كان لازما لغيره ولداً له ومولوداً منه فيجعل كيفيات الاشياء وكمياتها متولدة عنها وامثالها ويقال ان طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه وان حياة الحي متولدة عنه وان القوى والطبايع التي جعلها الله في الحيوان متولدة عنها وأما الشرع فان هذا لو كان متولداً وهو في بعض اللغات يسمى ولداً لم يجز ان يحمل على ذلك كلام الانبياء الا ان يكون في لغتهم يسمى ولداً وكل من نظر في كتب الانبياء من علماء النصارى وغيرهم لم يجد أحداً من الانبياء يسمي علم الله وكلمته وحياته ولدا له ولا ابناً له ولا قال ان ذلك يتولد عنه فقولهم عن المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس انه أراد بالابن كلمة الله القديمة الازلية وانها متولدة منه وانه أراد بروح القدس حياة الله القديمة الازلية كذب محض على المسيح عليه السلام لايوجد قط فى كلامه ولا كلام غيره من الانبياء انهم سموا علم الله وحكمته ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً ولا سموا حياته

روح القدس وأما اللغة فان هذا التعبير الذي ذكروا وهو تسمية صفات الموصوف اللازمة له ولدا وابناً ومتولدا لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولدا ويجعله بمنزلة الولد وان لم يكن متولدا عنه كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم ولهذا نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالى (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وأما اتخاذ الولد ففي مواضع متعددة كقوله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ له ولدا ولم يكن له شريك في الملك) وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) وقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وقوله (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) وأهل الكتاب يذكرون ان في كتبهم تسمية عباد الله الصالحين ابنا وتسمية الله أبا وتسمية المصطفين ابناً وهذا اذا كان ثابتاً عن الانبياء فانهم لا يعنون به الا معنى صحيحاً واللفظ قد يكون

له فى لغة معنى وله في لغة أخرى كغير ذلك والمراد بهذا الولد والابن لا ينافى كونه مخلوقا مربوبا عبدا لله عز وجل • واما تسمية شيء من صفات الله ابنا او ولدا فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى ولم يبق للتولد الا معنيان أحدهما ان ينفصل عنه جزء • والثاني ان يحدث عنه شيء أما باختياره واما بغير اختياره وقدرته كحدوث الشعاع عن النار والشمس وكل من الامرين لا يكون الا عن أصلين ولا بد ان يكون حادثا لا يكون من صفاته اللازمة له فيمتنع ان يتولد عنه شيء ان لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنع عند أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى وسائر الامم سوى طائفة من المتفلسفة يقولون انه موجب بذاته مستلزم لما يصدر عنه فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد والنصارى تكفر هؤلاء لكن قد ضاهوهم في القول كما قال تعالى (وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) وهذا قاله طائفة من اليهود وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا واتباعه قال ابو محمد ابن حزم والصدوقية طائفة من اليهود نسبوا الى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود ان العزيز ابن الله وكانوا بجهة اليمن ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والافلاك عنه وان سمى ذلك تولدا فهم يجعلون ولده منفصلا عنه لكن يثبتون ولدا قديما أزليا صدر عنه بغير اختياره ويجعلون الشيء الواحد متولدا عنه وسائر الطوائف الذين اثبتوا لله ولدا جعلوه حادثا منفصلا عنه

فاما جعل صفته القائمة به ولداً له ومولوداً فهذا لا يعرف عن غير النصارى فاذا اثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق والصفة القائمة به اللازمة له لم تتولد عنه ولا تسمى ابناً ولا ولداً عند أحد من الانبياء وغيرهم تعين ان يكون الولد اما جزءاً منفصلا عنه واما معلولا له صادراً عنه بغير قدرته ومشيئته واي القولين قالوه فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل وبعض علماءهم وان انكر ذلك لكنهم يقولون بما يستلزم ذلك ويشبهونه بالشعاع من الشمس ويقولون عن الروح هو منبثق من الله خارج منه وهذا كله يناسب الولادة التي هي خروج شيء منه او حدوث شيء عنه بغير اختياره ومشيئته ولا بد له مع ذلك من محل يقوم به فان الشعاع لا يقوم الا بالارض والامر المنبثق الخارج من غيره اما ان يكون جوهراً قائماً بنفسه او صفة قائمة بغيرها فان كان جوهراً فقد انفصل من الرب جزء وان كان عرضاً فلا بد له من محل فيكون متولدا عن اصلين • وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل تشبيه باطل فان ذلك يحصل بقدرة الانسان ومشيئته وهو حادث بعد ان لم يكن هذا اذا عرف ان مايقوم بقلب الانسان من علم وحكمة يقال انه يتولد عنه ويقال انه ابنه مع ان هذا امر غير معروف في اللغات ولو كان معروفا في لغة بعض الامم لم يجز ان يفسر به كلام الانبياء ان لم يكن معروفا في لغتهم واما مايدعونه فانهم يقولون ان الكلمة لازمة لذات الله ازلا وابدا وهي مولودة منه مع انها غير مصنوعة فهذا كلام متناقض باطل من وجوه فان المتولد عن الشيء لا يتولد الا عنه وعن غيره واما الشيء الواحد فلا يتولد عنه وحده شيء وايضاً فان ماتولد عن غيره لم يكن

الا حادثا • واما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب فليست مولودة له ولا متولدة عنه بل هي قائمة به لازمة لذاته وايضاً فان المولود اسم مفعول يقال ولده يلده فهو مولود وهذا لايقال الا في الحادث المتجدد فانه مفعول فعل الوالد • والقديم الازلي لا يكون مفعولا مولودا وايضاً فتسمية الصفة القديمة الازلية مولودا وابناً لا يوجد في كلام احد من الانبياء عليهم السلام فهب ان هذا مما يسوغ لنا في اللغة ان نقوله لكن لا يجوز ان نحدث لغة غير لغة الانبياء ونحمل كلام الانبياء عليها فان هذا كذب عليهم وهكذا تفعل النصارى وأمثالهم من اهل التحريف بكلام الانبياء يحدثون لهم لغة مخالفة لغة الانبياء ويحملون كلام الانبياء عليه مثال ذلك ان الانبياء أخبروا بان الله اله واحد وكفروا من أثبت الهين اثنين وأمروا بالتوحيد ودعوا اليه وحرموا الشرك وكفروا أهله وأخبروا ان الله واحد أحد وكان مرادهم بذلك توحيده وانه لايجوز ان يعبد الا الله وانه لايستحق العبادة الا هو ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته فلم يقصدوا بلفظ الاحد والواحد انه ليس له علم ولا قدرة ولا شيء من الصفات فجاء طائفة من أهل البدع ففسروا لفظ اسم الواحد والاحد بما جعلوه اصطلاحا لهم فقالوا الواحد الذى ليس فيه تركيب ولا ينقسم ولو كان له صفات لكان مركباً ولو قامت به الصفات لكان جسما والجسم مركب من الجواهر المنفردة او من المادة والصور فلا يكون احدا ولا واحدا • فيقال هذا الذى قالوه لو قدر انه صحيح في العقل واللغة فليس هو لغة الانبياء التي خاطبوا بها الخلق فكيف اذا

لم يكن هذا الواحد من لغة أحد من الامم بل جميع الامم تسمى ماقام به الصفات واحدا بل يسمونه وحيدا وقد يسمونه في غير الاثبات احدا كقوله (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) وقوله (ذرني ومن خلقت وحيدا) وامثال ذلك واما البحث العقلي في هذا فقد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا ان مايسميه هؤلاء المتفلسفة تركيباً كقولهم ان الشيء مركب من وجود وماهية وقولهم ان الانواع مركبة من الاجناس والفصول هو باطل عند جميع جمهور العقلاء وليس في الخارج الا ذات متصفة بصفات ليس في الخارج وجود القائم بنفسه وماهية أخرى غير هذا الشيء الموجود القائم بنفسه مثلا ولكن قد يعنى بلفظة الماهيــة ما يتصور فى الاذهان وبالوجود ما يوجــد في الاعيان وحينئذ فهذه الماهية غير هذا الموجود وحينئذ فيقال هــذه الماهية غير هذا الوجود. وكذلك قولهم ان الانسان الموجود فى الخارج مركب من الجنس والفصل فان الانسان الموجود هو ذات متصــفة بصفات هو وغيره من الموجودات ولكن يتصور في الذهن ما هو مركب من الحيوان والناطق كما يتصور ما هو مركب من الحيوان والضاحك وهذا تركيب ذهني لاتركيب فى الخارج وقد بسط هــذا في غير هذا الموضع وتبين ان ما جعلوه من الصفات داخلا في الماهية وما جعلوه خارجا عنها لازمالها وما هو مجموع اجزاء الماهية يرجع عنــد التحقيق الى ماهو مدلول عليه بالتضمن والالــتزام والمطابقة ومن ذلك تركيب الجسم من الجواهر المفردة او من المــادة والصورة واكثر العقلاء ينكرون تركب الجسم من هذا وهذا كما قد

بسط فى موضع آخر والمقصود هنا ان كلام الانبياء لايجوز ان يحمل
الا على لغتهم التى عادتهم ان يخاطبوا بها الناس لايجوز ان يحدث لغة غير
لغتهم ويحمل كلامهم عليها بل اذا كان لبعض الناس عادة ولغة يخاطب
بها اصحابه وقدر ان ذلك يجوز له فليس له ان يجعل ذلك لغة النبي
ويحمل كلام النبي على ذلك ومن هذا اخبار الانبياء بان الله يقول
ويتكلم وينادي ويناجي وانه قال كذا وتكلم بكذا ونادى موسى ونحو
ذلك والمعروف فى لغتهم ولغة سائر الامم ان المتكلم من قام به الكلام
وان كان متكلما بقدرته ومشيئته لايعرف فى لغتهم ان المتكلم من
احدث كلاما منفصلا عنه ولا ان المتكلم من قام به الكلام بدون قدرته
ومشيئته فليس لاحد اذا جعل اسم المتكلم لمن يحدث كلاما بائناً عنه
او من قام به بدون قدرته ومشيئته ان يحمل كلام الانبياء على هذا
بل المتكلم عند الاطلاق من تكلم بقدرته ومشيئته مع قيام الكلام
به وهذا هو المعروف فى لغة الانبياء وسائر الامم عند الاطلاق ونظائر
هذا متعددة فمن فسر كلام الانبياء بغير لغتهم المعروفة فهو ممن بدل
كلامهم وحرفه والنصارى من هؤلاء وكذلك اسم العادل والظالم ونحوهم
فان المعروف من كلام الانبياء وغيرهم ان العادل من قام به العدل
وفعل العدل بمشيئته وقدرته والظالم من قام به الظلم وفعله بقدرته
ومشيئته لايسمون من لم يقم به الظلم ولكن قام بغيره ظالما لكونه قد
جعل ذلك فاعلا له ولا يسمون من لم يفعل الظلم ولكن فعله غيره
فيه ظالماً فمن جعل الظالم والكافر والفاسق من لم يفعل شيئاً من ذلك
ولكن فعله غيره فيه او جعل الظالم من لم يقم به ظلم فعله ولكن جعل

غيره متصفاً بعظالما فقدخرج عن المعروف من كلام الانبياء وغيرهم
وابلغ من ذلك ان المحدث والحادث فى لغة جميع الامم لايسمي
به الاماكان بعد ان لم يكن والمخلوق ابلغ من المحدث والحادث فليس
لاحد اذا احدث اصطلاحا سمى به القديم الازلي الذى لم يزل
موجودا ولكنه زعم انه معلول لغيره فسماه محدثاً بهذا الاعتبار ٠
ان يقول انا احمل كلام الانبياء الذي اخبروا به ان السموات والارض
وما بينهما مخلوق او مصنوع او مفعول أو محدث ونحو ذلك من
العبارات علي أن مرادهم بذلك انه معلول مع كونه قديما ازلياً
لم يزل ٠ واما لفظ القديم فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا بها الانبياء
يراد به ما كان متقدماً على غيره تقدما زمانياً سواء سبقه عدم أو لم
يسبقه كما قال تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وقال تعالى (تالله انك
لفى ضلالك القديم) وقال الخليل افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم
الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين) فلهذا كان القديم الازلي الذي لم
يزل موجودا ولم يسبقه عدم احق باسم القديم من غيره وليس لاحد
ان يجعل القديم والمتقدم اسما لما قارن غيره فى الزمان لزعمه أنه متقدم
عليه بالعلة ويقول انه متقدم على غيره وسابق له بهذا الاعتبار
وان ذلك المعلول متأخر عنه بهذا الاعتبار ثم يحمل ماجاء من كلام
الانبياء واتباع الانبياء وعموم الخلق على هذا الاصطلاح لو كان
حقاً فكيف اذا كان باطلا وما ذكره من التقدم والسبق والتأخر
بغير الزمان أمر غير موجود ولا معقول ولا يعرف فى الوجود
من فعل شيئاً وكان علة فاعلة له الا وهو متقدم عليه سابق له ليس

مقارناً له في الزمان البتة بل متقدم عليه تقدماً زمانياً وكل ما يعرف انه سبب أو علة فاعلة فانه متقدم على مسببه ومعلوله لكن قد يكون متصلا به ليس بينهما زمان آخر فيقال ليس هذا متأخراً عن هذا أي هو متصل به ليس بينهما فصل ويقال ليس ذلك متقدما على هذا أى ليس بينهما زمان بل هو متصل به اذ قد يراد بلفظ التقدم هذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم الجنازة متبوعة وليست بتابعة ليس منها من تقدمها أى من كان قد تقدمها حتى لم يكن قريباً منها لم يكن تابعاً لها كما جاء في الحديث الآخر الراكب خلف الجنازة والماشي امامها ووراءها وعن يمينها ويسارها قريباً منها رواه ابو داود وغيره وهو ابين حديث روى فى هذا الباب فى هذا الحكم منه قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أي لا يتقدم عليه بحيث يكون بينهما انفصال بل كل منهما متصل بالآخر والمقصود هنا ان معرفة اللغة التى خاطبنا بها الانبياء وحمل كلامهم عليها أمر واجب متعين ومن سلك غير هذا المسلك فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى ومثل هذا التحريف والتبديل قد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على انه وقع فيه خلق كثير من اهل الكتب الثلاثة وان التوراة والانجيل حرفا بهذا الاعتبار وكذلك القرآن حرفه اهل الالحاد والبدع بهذا الاعتبار فاهل الكتاب نقلوا عن الانبياء انهم تكلموا بلفظ الاب والابن ومرادهم عندهم بالأب الرب وبالابن المصطفى المختار المحبوب ولم ينقل احد منهم عن الانبياء انهم سموا شيئاً من صفات الله ابناً ولا قالوا عن شيء من صفاته انه تولد عنه ولا انه مولود له فاذا وجد فى كلام المسيح

عليه السلام انه قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس ثم فسروا الابن بصفة الله القديمة الازلية كان هذا كذباً بينا على المسيح حيث لم يكن في لغته ان لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الازلية وكذلك اذا لم يكن في كلام الانبياء ان حياة الله تسمي روح القدس وانما يريدون بروح القدس ماينزله الله تبارك وتعالى على الانبياء والصالحين ويؤيدهم كان تفسير قول المسيح روح القدس انه أراد حياة الله كذباً على المسيح وهـذا من بعض الوجوه أفسد من قول بعض المتفلسفة ان العقول والنفوس والفلك معلولة له متولدة عنه لازمة له أزلا وأبداً وان كان هـذا أيضاً باطل في صريح العقل كما هو كفر بما أخبرت به الانبياء كما قد بسط في موضع آخر فانه لايصدر شيء عن فاعل الاشياء بعد شيء لايتصور ان يكون المفعول مقارنا للفاعل ولا يتأخر عنه ولا يكون التولد الا عن أصلين والواحد من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية لا وجود له ولو كان له وجود لم يصدر عنه وحده شيء كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع اخر ومما يوضح ذلك ان خواص النصارى وعلماءهم مع تجويزهم ان يقال ان المسيح ابن الله يلزمهم ان تكون مريم صاحبة الله وامرأته كما قال ذلك من يغلو منهم. ومنهم من يجعل مريم الهاً مع الله كما جعل المسيح الهاً • فان قالوا بذلك جعلوا لله صاحبة وولداً وجعلوا المسيح بن مريم وأمه الهين من دون الله كما فعل ذلك من فعله منهم فانهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها الهاً كما يجعلون المسيح الهاً فيقولون ياوالدة الاله اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبونه من الله عز

وجل • ومنهم من يقول عن مريم انها صاحبة الله سبحانه وتعالى وبيان
لزوم ذلك ان المسيح عندهم انسان تام واله تام ناسوت ولاهوت
فناسوته من مريم ولاهوته الكلمة القديمة الازلية وهي الخالق عندهم
فالمسيح بين أصلين ناسوت ولاهوت فاذا كان الاب هو الله عندهم
والكلمة المولودة عن الاب ابن الله فمعلوم ان اللاهوت لما التحم بالناسوت
ليصير منهما ان المسيح ازدوج به وقارنه وهذا معنى الزوجية فكما انهم
قالوا ان الولادة عقلية لاحسية فكذلك الازدواج والنكاح عقلي لاحسي
فان اللاهوت على قولهم ازدوج بناسوت مريم ونكحها نكاحاً عقلياً
وخلق المسيح من هذا وهذا وهم يقولون في الامانة ان المسيح تجسد
من مريم ومن روح القدس فان فسروا روح القدس بجبريل كما يقوله
المسلمون فهو الحق وبطل قولهم لكنهم يقولون روح القدس هو الاقنوم
الثالث كما يقولون فى الكلمة وهو اللاهوت عندهم فهم قد ذكروا انه
تجسد من الناسوت واللاهوت فيلزمهم على هذا ان يكون المسيح هو
الابن وهو روح القدس فيكون أقنومين لا أقنوما واحداً وقد تقدم تناقضهم
في هذا والمقصود هنا انهم اذا قالوا ان الرب أو بعض صفاته اتحد بما
خلق من مريم فلا بد ان يحصل له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق
منها وذلك هو معنى النكاح والازدواج وعند جمهور النصارى ان مريم
ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت وهى أم اللاهوت ويقولون في دعائهم
ياوالدة الاله • واللاهوت الذى ولدته مريم هو عندهم رب العالمين واللاهوت
اتحد بالناسوت عندهم من حين خلق الناسوت في بطن مريم لم يحدث
بعد الولادة فاذا جاز ان يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من

الوجوه فامكان ان يكون له صاحبة وزوجة أولى وأحرى وليس في ذلك مايحيله العقل والشرع الا وهو لكونها اما للاهوت أشد احالة فان جاز ان يكون للاهوت أم والام أصل فلان يكون له صاحبة هي زوجة ونظير أقرب وأولى فان من المعلوم ان ولد ذلك الشيء وهو المتفرع المتولد عنه انقص بالنسبة اليه من نظيره فاذا قالوا ان لرب العالمين ولدا اتحد بالناسوت هو نظيره المساوى له فى الجوهر وقالوا ان الناسوت أم هذا المسيح الذي هو الله وهو ابن الله وقالوا ان الناسوت مريم ولد اللاهوت كما ولد الناسوت ولم يكن هذا عيباً ينزه الرب عنه فلان يجعلوا له أم هذا الولد الذى حبلت به واتحد به اللاهوت وهو فيها وولدت اللاهوت صاحبة وزوجة للاب أولى وأحرى وإلا فكيف تلد ابنه الذى هو اللاهوت ولا تكون صاحبته وامرأته وهم يقولون نحن سمينا علمه مولوداً عنه لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن العقل وهذا الولد اتحد بالناسوت فسمينا المجموع ولدا وبهذا يفرقون بين كون المسيح ابناً وغيره من الأنبياء يسمى ابناً فانهم يقولون هؤلاء ابناء بالوضع والمسيح ابن بالطبع أى أولئك سموا ابناء بمشيئة الرب وقدرته لانهم اصطفاهم والكلمة التي جعلوها متحدة بالمسيح هي عندهم متولدة عن الله تولداً قديماً أزلياً لايتعلق بمشيئته وقدرته ولهذا قالوا مولود غير مصنوع فان القديم الازلى مع كونه قائماً بذاته لا يكون مصنوعا عند احد من العقلاء ولا القائلين بقدم العالم فاذا كانت الكلمة اتحدت بالمسيح المخلوق من مريم والتحمت به فاذا قيل مع ذلك ان القديم مس المحدث او لاصقه او باشره كان ايسر من هذا كله والمسيح ولد ولادة حادثة

عندهم غير الولادة القديمة التي للكلمة فيلزم ان تكون مريم قدصارت زوجة وامرأة بل نكحت نكاحاً حادثاً يناسب تلك الولادة المحدثة قال تعالى (اني يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) ولهذا كان الحلول اسهل من الاتحاد فمن قال انه حل في جسد المسيح وماسه وباشره كما يحل الماء في اللبن كان اهون ممن يقول انه اتحد به والتحم به فاذا قيل ان مريم امراة القديم وصاحبته وزوجته كان ما فى هـذا من اثبات مباشرته لها ومماسته لها واتصاله بها ومهما قدر من اتصال الزوج بزوجته اهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث ومصيره واياه اماجوهرا واحدا واما شخصاً واحداً واما مشيئة واحدة ولهـذا كان كل عاقل يعلم ان النكاح الحسى اسهل من الولادة الحسية فالذكر من الحيوان اذا نكح الانثى فانما مس الذكر للانثى لم تصر الانثى متولدة عنه فاذا جوزوا ان يكون للرب القديم الازلي ما يتولد عنه ويتحد به وهو محدث مخلوق فلان يكون له مايمسه أولى واحرى واذا قالوا ان المسيح انما كان ابناً لان الكلمة القديمة التي هي ابن اتحدت به قبل فقد يسمى الناسوت الذى اتحد به القديم ابناً عندكم باسم القديم وجعلتموه الهاً خالقاً فما المانع من جعل ام ذلك الناسوت الذى جعلتموه ابن الله صاحبة لله وزوجة باعتبار ان القديم الازلى حصل منه ومنها ماهو ابن القديم الازلى • الوجه الخامس عشر ان يقال لفظ الابن وروح القدس قد جاء في حق غير المسيح عندكم حتى الحواريين عنـدكم يقولون ان المسيح قال لهم ان الله ابى وابيكم والهي والهكم ويقولون ان روح القدس تحل فيهم وفيما عندكم من التوراة ان الرب قال لموسى

اذهب الى فرعون فقل له يقول لك الرب اسرائيل ابني بكرى ارسله
يعبدنى فان أبيت ان ترسل ابني بكرى قتلت ابنك بكرك فلما لم يرسل
فرعون بني اسرائيل كما قال الله قتل الله ابكار فرعون وقومه من بكر
فرعون الجالس على السرير الى الاول من أولاد الآدميين الى ولد
الحيوان البهم فهذه التوراة تسمى بني اسرائيل كلهم ابناء الله وابكاره
وتسمى ابناء أهل مصر ابناء فرعون ويتوسع فتسميه سخال الحيوان
أولاد المالك للحيوان وفى مزامير داود يقول انت ابني سائي اعطك
وفى الانجيل يقول عن المسيح انا ذاهب الى أبي وابيكم والهي والهكم
وقال اذا صليتم فقولوا ياابانا الذى في السماء قدوس اسمك افعل بنا
كذا وكذا ويقولون عن القديسين ان روح القدس يحل فيهم وكذلك
حلت فى داود وغيره من الانبياء بل عندهم ان الله يحل
في الصديقين كلهم فان كان الابن وروح القدس يقتضى اتحاد اللاهوت
بالناسوت وجب ان يكون كل من الحواريين لاهوتا وناسوتا وكذلك
الانبياء فيكون النبي لاهوتا وناسوتا لانه قد سمى عندكم ابن الله و نطقت
فيه روح القدس لاسيما وانتم قلتم فى الامانة انه روح ممجد مسجود له
ناطق في الانبياء فان كان هذا يوجب حلول اللاهوت فى الناسوت أو
اتحاده به لزم ان يكون غير المسيح من الانبياء بل والحواريين بل
وابناء اسرائيل لاهوتا وناسوتا اذ كان الذى جعلتموه اللاهوت حل
بغير المسيح واتحد به أو سكن فيه أو احتجب به أو ماقلتم من الالفاظ
التي استدللتم بها على ان اللاهوت حل في المسيح كلفظ الابن وروح
القدس موجودة عندكم فى غير حق المسيح والمعجزات التي احتججتم

بها للمسيح قد وجدت لغير المسيح ولو قدر ان المسيح أفضل من بعض اولئك فلا ريب ان المسيح عليه السلام أفضل من جمهور الانبياء افضل من داود وسليمان وأصحاب النبوات الموجودة عندكم وأفضل من الحواريين لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة كفضيلة ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وذلك لايقتضي خروجه عن جنس الرسل كما قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) وقال تعالى (وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قدخلت من قبله الرسل وأمه صديقة) الآيه كلها وجماع هذا الجواب ان مايوصف به المسيح عندهم من كونه ابن الله وكون الله حل فيه أو ظهر أوسكن وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه وكونه مسيحاً كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الالفاظ وانما يوجد اختصاصه بلفظ الكلمة وكونه تجسد من روح القدس وهذا هو الذي خصه به القرآن فان الله قال انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال من شهد ان لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ادخله الله الجنة على ما كان من عمل فهذا الذى خصه به القرآن هو الذى خصته الكتب المتقدمة اذ كان القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأما سائر ما يوصف به ويدعون اختصاصه به من كونه ابناً لله وكونه مسيحاً فغيره أيضاً فى كتب الله يسمى ابناً لله ومسيحاً ولذلك مايذكر من الالفاظ التي يحتجون بها على الحلول مثل كون الرب ظهر فيه أو حل أو سكن فان هذه الالفاظ موجودة عندهم في حق غير المسيح بخلاف لفظ الاتحاد فانه لايوجد عندهم عن الانبياء لافي حق المسيح ولا غيره كما لايوجد عندهم عن الانبياء لفظ الاقانيم ولا لفظ التثليث ولا اللاهوت والناسوت ولا تسمية الله جوهراً بل هذا كله مما ابتدعوه كما ابتدعوا أيضاً تسمية صفات الله ابنا وروح القدس فهم ابتدعوا الفاظاً لم ينطق بها الانبياء أثبتوا لها معان باطلة وابتدعوا استعمال الفاظ الانبياء فى غير مرادهم وحملوا مراهم عليها والالفاظ المتشابهة التي يحتجون بها على اتحاد اللاهوت بالناسوت موجودة عندهم فى حق غير المسيح فليس المسيح خاصة في كلام الانبياء توجب ان يكون هو الله أو ابن الله وتلك الالفاظ قد عرف باتفاقهم واتفاق المسلمين ان المراد بها حلول الايمان بالله ومعرفته وهداه ونوره ومثاله العلمى في قلوب عباده الصالحين كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وقد تقدم. ومن قال من ضلال المسلمين ان الرب يتحد أو يحل في الانبياء والاولياء وان هذا من السر الذي لايباح به فقوله من

جنس قول النصارى في المسيح وهذا كثير في كلام كثير من المشايخ والمدعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد فيجعلون توحيد العارفين ان يصير الموحد هو الموحد ومنهم من يقول ان الله يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه كما يتكلم الجني على لسان المصروع ويقول الاول

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته * عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

ومن هؤلاء من يقول ان هذا هو السر الذى باح به الحلاج وغيره وهذا عندهم من الاسرار التي يكتمها العارفون فلا يبوحون بها إلا لخواصهم • ومنهم من يقول انما قتل الحلاج لانه باح بهذا السر وينشدون

من باح بالسر كان القتل شيمته * بين الرجال ولم يؤخذ له ثار

وأمثال ذلك وهؤلاء في دعواهم الاتحاد والحلول بغير المسيح شر من النصارى فان المسيح صلوات الله عليه افضل من كل من ليس بنبي بل هو افضل من جماهير الانبياء والمرسلين فاذا كان من ادعى ان اللاهوت اتحد به كافراً فكيف بمن ادعى ذلك فيمن هو دونه وهذا الاتحاد الخاص غير الاتحاد والحلول العام لقول الذين يقولون انه حال بذاته فى كل مكان أو متحد بكل شيء وغلاة هؤلاء ومحققوهم يقولون انه عين الوجود والوجود واحد فيجعلون الوجود الخالق القديم الواجب هو عين وجود المخلوق المحدث الممكن وهؤلاء مثل ابن العربى الطائي وصاحبه الصدر القونوى وصاحبه العفيف التلمسانى وابن سبعين وصاحبه الششتري وعبد الله البلباني وعامر البصرى

وطوائف غير هؤلآء وهؤلآء يقولون ان النصارى انما كفروا لانهم خصوا ذلك بالمسيح وحقيقة قول هؤلآء هو جحد الخالق وتعطيله كما قال فرعون وما رب العالمين وقال ماعلمت لكم من اله غيري فان فرعون ما كان ينكر هذا الوجود المشهود لكن ينكر ان له صانعا مباينا له خلقه وهؤلآء موافقون لفرعون في ذلك لكن فرعون أظهر الجحود والانكار فلم يقل الوجود المخلوق هو الخالق وهؤلآء ظنوا انهم يقرون بالخالق وان الوجود المخلوق هو الخالق وقد بسط الكلام على هؤلآء فى آخر هذا الكتاب وهؤلآء لهم شعر نظموا قصائد على مذهبهم كابن الفارض في قصيدته المسماة بنظم السلوك حيث يقول

لها صلواتى بالمقام اقيمها * واشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى * حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لي صلي سواي ولم تكن * صلاتى لغيرى في ادا كل ركعة

الى ان قال

وما زلت اياها واياي لم تزل * ولا فرق بل ذاتى لذاتي احبت

وقوله

الي رسولا كنت مني مرسلا * وذاتى باياى علىّ استدلت
فان دعيت كنت المجيب وان اكن * منادي اجابت من دعاني ولبت
وقد رفعت تاء المخاطب بيننا * وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعت

الى امثال هذه الابيات وكذلك ابن اسرائيل فى شعره قطعة من هذا كقوله

وما أنت غير الكون بل أنت عينه * ويفهم هذا السر من هو ذائق

والتلمساني الملقب بالعفيف وكان من أفجر الناس.وكان احذق هؤلاء الملاحدة ولما قرىء عليه كتاب فصوص الحكم لابن العربي قيل له هذا الكلام مخالف القرآن • فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا • فقيل له اذا كان الوجود واحداً فلماذا تحرم على امى وتباح لي امرأتي؟ فقال الجميع عندنا حلال ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وكلام هؤلاء كله متناقض ينقض بعضه بعضاً فان قوله على هؤلاء المحجوبون وقوله قلنا حرام عليكم يقتضى الفرق بينه وبين المحجوبين وبين المخاطب والمخاطب وهذا يناقض وحدة الوجود واذا قالوا هذه مظاهر للحق ومجال فان كان الظاهر غير المظهر والمجلى غير المتجلى فقد ثبت التعدد وان في الوجود اثنين ظاهراً ومظهراً وان جعلوهما واحدا فقد بطل جوابهم

(فصل) قال الحاكي عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا في قولنا ان الله تعالى جوهر • قالوا انا نسمع عن هؤلاء القوم انهم ذو فضل وأدب ومعرفة ومن هذا صورته وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق فما حقهم ينكرون هذا علينا وذلك انه ليس في الوجود شيء الا وهو اما جوهر واما عرض لان أى امر نظرناه وجدناه اما قائما بنفسه غير مفتقر في وجود الى غيره وهو الجوهر واما مفتقر في وجوده الى غيره لاقوام له بنفسه وهو العرض ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسم ثالث فاشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر ولما كان البارى تقدست اسماؤه اشرف الموجودات اذهو سبب سائرها أوجب ان يكون اشرف

الامور واعلاها الجوهر ولهذا قلنا انه جوهر لا كالجواهر المخلوقة كما نقول انه شيء لا كالاشياء المخلوقة والالزم ان يكون قوامه بغيره ومفتقر في وجوده الى غيره وهذا من القبيح ان يقال على الله تعالى فقلت لهم انهم يقولون انا انما نمتنع من أن نسميه جوهرا لان الجوهر ماقبل عرضاً وماشغل الحيز ولهذا من يطلق عليه القول بانه تعالى جوهر قالوا ان الذي يقبل عرضاً ويشغل حيزا هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزا مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء وما يجرى هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة فاذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضا ولا تشغل حيزا فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضاً ويشغل حيزا كلا * والجواب من وجوه احدها ان يقال اما تسمية البارى جوهرا فهو من اهون ما ينكر على النصارى ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع فقط أو اللغة ومنهم من ينكره من جهة العقل ايضاً ومنهم من يراه نزاعا لفظياً وطائفة من المسلمين يسمونه جوهرا وجسما ايضاً وذلك ان المسلمين فى اسماء الله تعالى على طريقتين وكثير منهم يقول ان اسماءه سمعية شرعية فلا يسمى الا بالاسماء التي جاءت بها الشريعة فان هذه عبادة والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع ومنهم من يقول ماصح معناه فى اللغة وكان معناه ثابتا له لم يحرم تسميته به فان الشارع لم يحرم علينا ذلك فيكون عفوا والصواب القول الثالث وهو ان يفرق بين ان يدعى بالاسماء او يخبر بها عنه فاذا دعى لم يدع الا بالاسماء

الحسنى كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واما الاخبار عنه فهو بحسب الحاجة فاذا احتيج فى تفهيم الغير المراد الى ان يترجم اسماؤه بغير العربية او يعبر عنه باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرما . واما الذين منعوه من جهة العقل فكثير منهم يقولون ان الجوهر ماشغل الحيز وحمل الاعراض والله سبحانه وتعالى ليس كذلك وهذا قول من نفى ذلك من اهل الكلام ومنهم من يقول الجوهر ما اذا وجد كان وجوده لا في موضوع وهذا انما يكون فيما وجوده زائدا على ذاته وواجب الوجود وجوده عين ذاته فلا يكون جوهرا وهذا قول ابن سينا وامثاله من متأخرى المتفلسفة واما قدماء الفلاسفة كارسطو وامثاله فكانوا يسمونه جوهرا وعنهم أخذت النصاري هذه التسمية فان ارسطو كان قبل المسيح باكثر من ثلاثمائة سنة ولهذا قال هؤلآء في كتابهم نعجب ممن ينكر ذلك وهو قد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق وقد ذكرت طائفة ان افلاطون وغيره كانوا ينكرون تسميته جوهرا وان ارسطو سماه جوهرا ومما حكى النزاع بينهم ابو نصر الفارابى وأما اللغة فان لفظ الجوهر ليس من العربية العربا ولهذا لايعرف في كلام العرب المحض وانما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهرى وغيره قال الجوهرى الجوهر معرب الواحدة جوهرة فهو من العربية المعربة لا من العربية العربا كلفظ سجيل واستبرق وأمثال ذلك من الالفاظ المعربة وهذا اللفظ ليس موجودا فى القرآن ومع هذا فاما عرب كان معناه في اللغة هو الجوهر المعروف وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهرا

فهو أمر اصطلاحي ليس هو من الاسماء اللغوية ولا العرفية العامة ولا الاسماء الشرعية وقد قيل انه مأخوذ من كلام الاوائل كاليونان وغيرهم فانه يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهراً وقد قيل سموه بذلك لان جوهر الشيء اصله والقائم بنفسه هو الاصل وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهراً وقيل لان لفظ الجوهر فوعل من الجهر وهو الظهور والوضوح والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل ان يعرف ماقام به من الاعراض والناس متفقون على أثبات الاعيان القائمة بنفسها التي تسمي جواهراواجساما وتنازعوا في ثبوت الاعراض القائمة بها والنزاع عند محققيهم لفظي فان عاقلا لاينازع ان الجسم يحرك بعد سكونه لكن منهم من يقول حركته ليس زائدة على ذاته ومنهم من يقول هي زائدة على ذاته وهو نظير نزاعهم في الصفات هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة والتحقيق ان مسمى الانسان اذا اطلق دخل فيه صفاته واذا ميز بين هذا وهذا قيل الذات والصفات. ومن الناس من يخص بلفظ العرض مالم يكن من الصفات لازما للموصوف والصفات اللازمة يسميها صفات ذاتية أو جوهرية ومنهم من يخص بالعرض مالا يبقى عنده زمانين ويقول صفات المخلوقات تسمى اعراضاً لانها لاتقبل زمانين بخلاف صفات الله فانها ثابتة فلا تسمى اعراضاً ومن نظار المسلمين وغيرهم من يسمى صفات كل موصوف اعراضاً اذا كان كذلك فلا يدخل في اسماء الله التي تذكر في اصول الايمان التي يجب اعتقادها من الاسماء ماهو اصطلاح طائفة من الناس مع انه يوهم معنى باطلا وهذا الموضع مما اضطرب فيه مع النصارى كثير من الناس. منهم من يجعل

الصفات اعياناً قائمة بنفسها وجواهر قائمة بنفسها . ومنهم من يجعل الاعيان القائمة بنفسها صفات والصفات لاتقوم بانفسها بل لابد لها من موصوف تقوم به والاولون نوعان منهم من نفى الصفات وقال لو اثبتنا له حياة وعلما وقدرة لزم ان تكون هذه آلهة فان القدم اخص وصفه فلو اثبتنا قديما ليست هي الذات لزم ان يشارك الذات فى اخص وصفها فتكون ذاتاً أخرى قائمة بنفسها وهذه طريقة كثير من نفاة الصفات من مبتدعة المسلمين واليهود والنصارى احتجوا على نفى الصفات بانا لو اثبتناها لزم ان تكون الهة وقال من قال من المنتسبين الى الاسلام انا لو اثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارى حيث اثبتوا لله الاقانيم وحجة هؤلاء قائمة على النصارى وهم النوع الثالث فانهم اثبتوا لله صفات وجعلوها جوهرا قائماً بنفسه فقالوا ان الله موجود حي ناطق ثم قالوا حياته جوهر قائم بنفسه ونطقه وهو الكلمة جوهر قائم بنفسه وقالوا فى هذا انه اله من اله وهذا إله من اله فاثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمة بنفسها ثم قالوا الجميع جوهر واحد فكان في كلامهم امور كثيرة من الباطل المتناقض منهم من جعل الصفات جوهرا ، ومنهم من جعل الجواهر المتعددة جوهرا واحدا والذين قالوا من نفاة الصفات من المعتزلة والجهمية ان من اثبت الصفات فقد قال بقول النصارى فهو متوجه على من جعل الصفات جواهر وهؤلاء هم والنصارى يزعمون ان الصفات جواهر الهة ثم قال هؤلاء ولا اله الا الله فلا صفة له وقالت النصارى بل الاب جوهر اله والابن جوهر اله وروح القدس جوهر اله ثم قالوا والجميع إله واحد ، ونفس تصور

هذه الاقوال التصور التام يوجب العلم بفسادها واما الرسل واتباعهم فنطقوا ان لله علما وقدرة وغير ذلك من الصفات وبينوا ان الاله واحد فاذا قال القائل عبدت الله ودعوت الله فانما دعى وعبد إلها واحدا وهو ذات متصفة بصفات الكمال لم يعبد ذاتا لاحياة لها ولا علم ولا قدرة ولا عبد ثلاثة آلهة ولا ثلاثة جواهر بل نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة بصفاته سبحانه وليست صفاته خارجة عن مسمي اسمه ولا زائدة على مسمى اسمه بل اذا قدر ذات مجردة عن الصفات فالصفات زائدة على هذه الذات المقدرة فى الذهن المجردة عن الصفات ليست الصفات زائدة على الذات المتصفة بالصفات فان تلك لاوجود لها الا بصفاتها فتقديرها مجردة عن صفاتها تقدير ممتنع وقد تنازع المثبتة هل يقال الصفات غير الذات ام يقال ليست غير الذات ام يقال لا يقال هى غير الذات ولا يقال ليست غير الذات وتنازعوا فى مسمى الغيرين هل هما ماجاز مفارقة احدهما الآخر مطلقاً أو ماجاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان أو هما ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر وغير ذلك منازعات لفظية وكثير منهم فرق فى الصفات اللازمة بين بعضها وبعض فجعل بعضها زائدا على الذات وبعضها ليس بزائد على الذات وكان الفرق بحسب مايتصوره لا بحسب ما الامر عليه فى نفسه فاذا امكنهم تصور الذات بدون صفة قالوا هذه زائدة والا قالوا ليست زائدة وهذا يقتضي انها زائدة على ماتصوروه هم من الذات لا انه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة وصفة زائدة عليها بل ليس الا الذات المتصفة بتلك الصفات ولكن يجب الفرق بين ان يقال ان الصفات

غير الذات وبين ان يقال انها غير الله فان اسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته فاذا قال القائل دعوت الله وعبدت الله فلم يدع ذاتاً مجردة ولا صفات مجردة بل دعى الذات المتصفة بصفاتها فاسمه تعالى يتناول ذلك فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ولا زائدة على ذلك وان قيل انها زائدة على الذات المجردة ومن ظن انها زائدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسماها فقد غلط ولكن الاذهان والالسنة تزلق في هذا الموضع كثيرا فاذا قيل الصفات مغايرة للذات لم يكن في هذا من المحذور مافي قولنا ان صفات الله غير الله فان اسم الله يتناول صفاته فاذا قيل انها غيره فهم من ذلك انها مباينة له وهذا باطل ولهذا كان النفاة اذا ناظروا ائمة المسلمين كما ناظروا الامام احمد ابن حنبل فى محنته المشهورة فقالوا له ماتقول فى القرآن وكلام الله اهو الله ام غير الله؟ عارضهم بالعلم وقال لهم ماتقولون فى علم الله اهو الله ام غير الله واجاب ايضاً بان المرسلين لم تنطق بواحد من الامرين فلا حجة لكم فى كلام الله ورسوله فان الله لم يقل لكلامه هو انا ولا قال انه غيري حتى يقول القائل اذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه فقد أخبر انه خالق لكل ماسواه فان كان الاحتجاج بالسمع فلا حجة فيه وان كان الاحتجاج بالعقل فالمرجع في ذلك الى المعاني لا الى العبارات فان أراد المريد بقوله هل كلامه وعلمه غيره انه مباين له فليس هو غير اله بهذا الاعتبار. وان أراد بذلك ان نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم فهو غير له بهذا الاعتبار واذا كان اللفظ مجملا لم يجز اطلاقه على الوجه الذى يفهم المعنى الفاسد. وأما الذين جعلوا

الاعيان القائمة بانفسها صفات فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفاة ومن أشبههم فانهم قالوا ان رب العالمين عقل وعاقل ومعقول ولفظ العقل عندهم وان كانوا يقولون هو جوهر قائم بنفسه فقد صرحوا أيضاً بانه نفسه علم حتى صرحوا بأن رب العالمين علم كما صرح بذلك ابن رشد وغيره ونقلوه عن ارسطو وان العقول العشرة كل منها علم فهو علم وعالم ومعلوم بل قالوا عقل وعاقل ومعقول وعاشق ومعشوق وعشق ولذيذ وملتذ ولذة فجعلوه نفسه لذة وعقلا وعشقا وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ وجعلوا نفس العلم نفس العشق ونفس اللذة فجعلوه نفسه صفات وجعلوه ذاتاً قائمة بنفسها وجعلوا كل صفة هي الاخري وهذا مما يعلم بصريح العقل بطلانه. ومنهم من لا يصرح بانه نفسه علم فانه يقول هو عاقل ومعقول وعقل يقول انه يعلم نفسه بلا علم بل هو العالم وهو المعلوم وهو العلم وحقيقة كلامهم يعود الى قول أولئك فانهم اذا قالوا ان العلم الذى يعلم به ذاته هو العالم وهو المعلوم فقد جعلوا نفس العلم نفس العالم ونفس العلم نفس المعلوم وهذا هو حقيقة قول اولئك وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع •

الوجه الثانى ان يقال لهم انتم تقولون انكم متبعون للكتب الالهية واذا كان كذلك لم ينبغ لكم ان تدخلوا في شريعة ايمانكم من الاسماء الا ما جاءت به الانبياء عليهم السلام والانبياء لم يسم الله أحد منهم جوهرا وانما سماه بذلك ارسطو وأمثاله وهؤلاء كانوا مشركين يعبدون الاصنام ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة ولا يقولون انه خالق السموات والارض ولا انه بكل شيء عليم ولا على كل شيء

قدير وانما كانوا يعبدون الكواكب العلوية والاصنام السفلية ويعبدون الشياطين ويؤمنون بالجبت والطاغوت وانما صاروا مؤمنين لما دخل اليهم دين المسيح صلوات الله عليه وسلامه بعد الاسكندر المقدونى صاحب ارسطوا بنحو ثلاثمائة سنة وكانوا يسمون الملك من ملوكهم بطلميوس كما تسمى القبط ملكها فرعون والحبشة ملكها النجاشى والفرس كسرى ونحو ذلك وحينئذ فعدولكم عن طريقة الانبياء والمرسلين الى طريقة الكفار والمشركين المعطلين من الضلال المبين وفي كتبهم ان بولص لما صار الى أثينة دار الفلاسفة وفيها دار الاصنام وجد مكتوباً على باب دار العلماء والاصنام مكتوبا الاله الخفى الذى لايعرف هو الذى خلق العالم فكانوا لا يعرفون رب العالمين فكيف يعدل عن طريقة رسل الله وانبيائه كموسى وداود والمسيح الى طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلين ولكن النصارى ركبوا ديناً من دينين من دين الانبياء الموحدين ودين المشركين فصار في دينهم قسط مما جاءت به الانبياء وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم كما احدثوا الفاظ الاقانيم وهى الفاظ لاتوجد في شىء من كلام الانبياء وكما أحدثوا الاصنام المرقومة بدل الاصنام المجسدة والصلاة الى الشمس والقمر والكواكب بدل الصلاة اليها والصيام فى وقت الربيع ليجمعوا بين الدين الشرعي والامر الطبيعي وغير ذلك. الوجه الثالث قولهم ان الذي يشغل حيزاً و يقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء . فيقال الكلام في الجواهر هل

هى منقسمة الى متحيز وغير متحيز او كلها متحيز هو متصل بالكلام
على نفس الانسان الناطقة فنقول ان المسلمين من أعظم الناس معرفة
بوجود الملائكة ووجود الجن كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع
الامة وكذلك سلف الامة وائمتها يعرفون وجود النفس التي هي روح
الانسان التي تفارق بدنه حين الموت كما دل على ذلك الكتاب والسنة
وإجماع السلف والائمة وان كان كثير من أهل الكلام يزعم انها
عرض من اعراض البدن أو جزء من اجزائه فهذا قول محدث فى
الاسلام لم يذهب اليه أحد من السلف والائمة وان كان محكياً عن
اكثر المتكلمين فليس الذين قالوا هذا من سلف الامة ولا ائمتها بل هم
من أهل الكلام المحدث المذموم عند السلف وائمة الامة وكثير من
المتفلسفة الداخلين في أهل الملل يقولون ان الذوات التى تسميها
الانبياء الملائكة هى التي تسميها المتفلسفة المساوون عقولاً او عقولا
ونفوسا وهذا غلط عظيم كما قد بسط فى موضعه فان العقول التي يثبتها
هؤلاء المتفلسفة لاحقيقة لها عند الرسل واتباعهم بل ولا حقيقة لها
عند العقل الصريح انها اعراض قائمة بانفسها وقد صرحوا بان واجب
الوجود نفسه هو علم وجعلوا نفس العلم هو نفس العالم ونفس تصور
هذا القول يكفى فى العلم بفساده كما ان هؤلاء المتفلسفة اتباع ارسطوا
لايعرفون الملائكة بل ولا الجن وانما علمهم بمعرفة الاجسام الطبيعية
وتكلموا فى الالهيات بكلام قليل نزر باطله اكثر من حقه كما قد بسط
فى موضع آخر وهؤلاء يزعمون ان العقل الاول ابدع مادونه من
العقول والافلاك الى ان ينتهى الامر الى العقل العاشر فهو مبدع

ماتحت فلك القمر وهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل واتباعهم أهل الملل فان مضمون هذا ان ملكاً من الملائكة خلق كل ماتحت السماء وملكا فوقه خلق كل ماسوى الله سبحانه وهذا من أعظم الكفر فى دين المرسلين واهل الملل المسلمين واليهود والنصارى قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) فاخبر ان الملائكة لا تسبقه بالقول ولا تعمل إلا بأمره فضلا عن ان يكون ملك هو خالق كل شيء وهؤلاء يقولون ان الوحى والكلام الذى جاءت به الرسل انما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الانبياء والله تعالى عند هؤلاء لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا ابراهيم ولا محمداً ولا غيرهم من الرسل ولا يعرف الجزئيات بل عند ارسطو واتباعه انه لا يعلم شيئاً من الاشياء بل ولا خلق عندهم شيئا بل ولا يقدر عندهم على خلق شيء فضلا عن ان يكون على كل شيء قدير وان يكون قد احاط بكل شيء علما وارسطوا وقومه كانوا مشركين يعبدون الاصنام بمقدونيــة واثينة وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدونى وكان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة ولم يكن وزيراً لذي القرنين الذى بني سد يأجوج ومأجوج وكان عامة علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات وأما العلم الالهى وهو الذى يسمونه علم ما بعد الطبيعة وهو منتهى فلسفتهم فانما تكلموا فيه على امور كليــة قسموا الوجود الى جوهر وتسعة اعراض يجمعها بيتان

زيد الطويل الاسود بن مالك * في داره بالامس كان متكي
في يده سيف نضاه فانتضى * فهذه عشر مقولات سوا
وهى الجوهر والكم والكيف والاين ومتى والاضافة والملك والوضع
وان يفعل وان ينفعل وقد نازعه اتباعه وغيرهم في هذا الحصر
وقالوا انه لادليل عليه . ومنهم من جعلها ثلاثة . ومنهم من قال غير
ذلك واثبت العلة الاولى بناء على حركة الفلك وانه يتحرك حركة
شوقية فلا بد له مما يتشبه به فالعلة الاولى هى علة لحاجة الفلك
اليها من جهة انه يتحرك ليتشبه بها كحركة المؤتم بامامه والمقتدى
بقدوته وقد يقولون كتحريك المعشوق لعاشقه وكلام أرسطو في
ذلك موجود قد نقلته بالفاظه وتكلمت عليه فى غير هذا الموضع
وقد ذكر ذلك فى مقالة اللام وهى آخر فلسفته ومنتهى حكمته
وفي كتاب أثولوجيا ولم يثبت ان الرب مبدع للفلك ولا علة فاعلة ولا
سماه واجب الوجود ولا قسم الموجودات الى واجب قديم وممكن قديم
بل ذلك فعل المتأخرين كابن سينا وأمثاله وقد بسطنا الكلام عليهم فى
غير هذا الموضع .والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا
اصلاح كلامه وتقريبه الى العقول لعلة توافق ماعلم بصريح المعقول
وصحيح المنقول فتكلم عليه ثابت بن قرة وبين ان الفلك اذا كان لاقوام
له الا بطبيعة ولا قوام لطبيعته الا بحركته ولا قوام لحركته الارادية
الا بمحرك لها وزعموا ان المحرك يجب ان لا يكون متحركا وقرروا
ذلك بادلة فاسدة قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع فقالوا انه
انما تحرك الفلك من جهة نسبة الفلك به وان لم يكن هو القادر على تحريكه

الفلك بل ولا شعور منه بالفلك وعبر عن ذلك ابن رشد الفيلسوف وأمثاله فقالوا انه يأمر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لامر الله مع انه عندهم لا ارادة له ولا علم له بما يأمر به بل كونه امراً هو معنى كون الفلك يتشبه به كما يأمر المعشوق عاشقه ان يحبه وان كان المعشوق لاشعور له ولا ارادة في ان يحبه ذلك ثم لو قدر انه هو الآمر فانما يصدر بسبب أمره مجرد حركة الفلك ولهذا شبهوا ذلك بامر السلطان لعسكره بأمر يطيعونه فيه فجعلوا الحركات معلولة له بهذا الاعتبار لم يثبتوا انه أبدع شيئاً من الافلاك والعناصر والمولدات ولا العقول ولا النفوس لا ابدع أعيانها ولا صفاتها ولا أفعالها بل غايته ان يكون آمراً لها بالحركة كامر الملك لعسكره مع انه عندهم ليس آمراً بالحقيقة بل ولا علم له بشيء من الموجودات بل غاية مازعم أرسطو وأتباعه ان للفلك حاجة اليه من جهة تشبهه به وأما كونه هو علة موجبة للفلك وانما يقول هذا من يقوله من متأخريهم كابن سينا وأما الفارابي فهو الذى وسع القول فى هذا الباب وقسم الموجود الى واجب وممكن وجعل الافلاك واجبة ممكنة به وفى ذلك من الفساد والاضطراب ما قد بسط فى غير هذا الموضع وبنى ابن سينا الكلام فى نفى صفاته على كونه واجب الوجود وأما الفارابي في كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة وغير ذلك فاعتمد على كونه أول وكذلك أرسطو في كتاب أثولوجيا اعتمد على كونه هو الاول وشبهه بالاول في العدد وعلى ذلك بنوا نفى الصفات وانا لو أثبتناها لخرج عن كونه أول مع انهم لم يقيموا حجة على كونه أول بهذا المعنى الذي زعموه كما لم يقيموا حجة على كونه واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه بل تكلموا

بألفاظ مجملة متشابهة تحتمل حقاً وباطلاً فانه معلوم ان الله واجب
الوجود بذاته موجود بنفسه وانه الاول الذى ليس قبله شيء وهو
القديم الازلي الذي لم يزل ولا يزال وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود
بمعنى انه لايتعلق بغيره فلا يكون له صفة وكونه أول بمعني أول
الاعداد الذي لاتعدد فيه ومعلوم ان الواحد والاول المجرد عن كل شيء
انما يقدر في الاذهان لافى الاعيان فالذهن يقدر واحدا واثنين وثلاثة
وأربعة الى سائر الاعداد المجردة والعدد المجرد عن المعدود انما يوجد
فى الاذهان لافى الاعيان فأما الموجود فى الخارج فانما هي أعيان قائمة
بأنفسها وصفاتها القائمة بها والاول منها هو ذات متصفة بصفاتها
لايوجد فى الاعيان شيء ليس بذات قائمة بنفسها ولا صفة قائمة
بغيرها بل لايوجد ذات مجردة عن صفاتها وهذه الامور مبسوطة
فى غير هذا الموضع ولكن نبهنا هنا عليها لان هؤلاء القوم
قالوا انا نعجب من هؤلاء القوم انهم ذو فضل وأدب ومعرفة ومن
هذا صورته وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق فما حقهم ينكرون
علينا هذا فكان كلام هؤلاء النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة وأهل
المنطق وان من قرأ كتبهم عرف بها من الحق فى الالهيات ما لايعرفه
سائر أهل الملل وهذا يدل على جهل هؤلاء النصارى بما جاءت به الرسل
وبما يعرف بالعقل المحض أما الاول فلان المسيح واتباعه كالحواريين
ومن اتبعهم ليس فيهم من عظم هؤلاء الفلاسفة ولا استعان بهم ولا
التفت اليهم بل وهم عندهم من أئمة الكفر ورؤس الضلال وكذلك
موسى واتباعه وكذلك محمد واتباعه وليس فى رسل الله وأنبيائه ولا

فى اتباعهم من يعظمهم ولا يستعين بكلامهم بل الرسل واتباعهم متفقون
على تضليلهم وتجهيلهم وأما العقليات فانما يعظم كلام هؤلاء الفلاسفة فى
العلوم الكلية والالهية من هو من أجهل الناس بالمعارف الالهية والعلوم
الكلية اذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال ما لا يحيط به
الا ذو الجلال وانما كان القوم يعرفون ما يعرفونه من الطبيعيات
والرياضيات كالهندسة وبعض الهيئة وشيئاً من علوم الاخلاق والسياسة
المدنية والمنزلية التي هي جزء مما جاءت به الرسل. واليهود والنصارى
بعد النسخ والتبديل اعلم من هؤلاء بالعلوم الالهية والاخلاق والسياسيات
فضلا عما وراء ذلك فاعتضاد هؤلاء النصارى بهؤلاء المتفلسفة يدل على
عظيم جهلهم بالشرعيات والعقليات وهذا قد بسط الكلام عليه في مواضع
متعددة اذ كان الرد على الفلاسفة لايختص به النصارى بل الكلام فى
ذلك معهم ومع من يعظمهم من أهل الملل عموما ومعلوم ان المنتسبين
الى الاسلام من اتباع الفلاسفة كالفارابي وابن سينا والسهروردى
المقتول وابن رشد الحفيد وامثالهم احذق بهم واعلم من النصارى وكتب
الفلاسفة التي صارت الى المسلمين من الطب والحساب والمنطق وغير
ذلك هذبها المنتسبون الى الاسلام فجاء كلامهم فيها خيراً من كلام
اولئك اليونان والنصارى واليهود انما يعتمدون في هذه العلوم على
ماوضعه هؤلاء المنتسبون الى الاسلام مع ان هؤلاء عند علماء المسلمين
جهال ضلال في الالهيات والكليات فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم
من اليهود والنصارى ولما صار اولئك اليونان عارفين بالله موحدين له
عابدين له مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله لما دخل اليهم اتباع المسيح

يدعونهم الى دين الله الذى بعث به المسيح وكل من كان من اتباع المسيح غير مبدل لشيء من دينه قبل النسخ فانه من المؤمنين المسلمين المهتدين وهم من اولياء الله المتقين من اهل الجنة ومن ظن ان كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان فان ذلك يدل على جهله بما جاءت به الرسل وبما يقوله هؤلاء ، وانما يوجد مثل هذا فى كلام الملاحدة من اهل الملل ملاحدة اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم كاصحاب رسائل اخوان الصفا وامثالهم من الملاحدة المنتسبين الى تشيع او الى تصوف كابن العربي وابن سبعين وامثالهما وفى الكتب المضنون بها على غير اهلها ونحو ذلك من الكلام المنسوب الى أبى حامد قطعة من ذلك وهؤلاء قد يحتجون بالحديث المأثور أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتى ما خلقت خلقاً أكرم على منك فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وعليك العقاب . وهذا الحديث كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك اهل العلم بالحديث كأبي جعفر العقيلي وأبى حاتم ابن حبان البستي وابي الحسن الدارقطني وابى الفرج ابن الجوزى وغيرهم ثم لفظه لو كان صحيحاً حجة على نقيض مطلوبهم فانه قال اول ماخلق الله العقل بنصب اول وفي لفظ لما خلق الله العقل قال له . فلفظه يقتضى انه خاطبه فى اول ما خلقه فحرفوا لفظه وقالوا اول ماخلق الله العقل بالضم وليس هذا لفظه ولكن لفظه يقتضى انه خاطبه في اول اوقات خلقه ولهذا قال ماخلقت خلقاً اكرم على منك وهذا يقتضى انه خلق قبله غيره وعندهم هو اول المبدعات يمتنع ان يتقدمه شيء مع انه وسائر العقول والافلاك عندهم

قديمةازلية لم تزل ولا تزال ثم قال فبك آخذ وبك اعطى وبك الثواب
وعليك العقاب فجعل به هذه الانواع الاربعة وعندهم ان العقل صدر
عنه جميع العالم العلوى والسفلي وذلك ان لفظ العقل في الحديث سواء
كان صحيحاً أو ضعيفاً هو العقل في لغة الانبياء والمرسلين هو عقل
الانسان وهو عرض قائم به وهذا صفة قائمة بالانسان ليس هو جوهرا
قائما بنفسه والعقل فى لغة هؤلآء الفلاسفة هو جوهر قائم بنفسه واما
النفس الفلكية فلهم فيها قولان.قيل انها عرض قائم بالفلك وهو قول
اكثرهم.وقيل بل جوهر قائم بنفسه ولهذا يميل ابن سينا. وهذه الامور
مبسوطة في موضع آخر والمقصود هنا ذكر هؤلآء ان ثم جوهرا
لطيفاً غير الجوهر الكثيف ومثلوا ذلك بالنفس والعقل والضوء ثم ان
النصارى لم يقيموا على ثبوت شيء من ذلك دليلا ولا دليل ذلك مما
دلت عليه الكتب الالهيه فان النفس الفلكية والعقول العشرة لم ينطق
بها كتاب ولا رسول بل ولا دل عليها دليل عقلي وادلة المتفلسفة عليها
ضعيفة وانما دل العقل على ما اخبرت به الرسل من الملائكة ولكن
هؤلآء الذين حملوا كلام الرسل على مايوافق قول هؤلآء المتفلسفة
يجعلون اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية كما يجعلون العقل والقلم هو
العقل الاول والعرش هو الفلك التاسع وغير ذلك مما قد بسط الكلام
عليه فى موضع آخر واذا لم يقيموا حجة شرعية ولا عقلية على مامثلوا
به من الجواهر اللطيفة لم يكن لهم حجة على من قال ان الجوهر
مايشغل حيزا ويقبل عرضاً ولما قرنوا النفس بالعقل كان ذلك ظاهراً
فى انهم ارادوا النفس الفلكية فاما ان ارادوا النفس الانسانية فهذه

ثابتة قد اخبرت بها الرسل واتباعهم كما قد بسط فى موضعه لكن هذه
لا تقترن بالعقل الذى هو جوهر والعقل صفة هذه وهو مصدر عقل
يعقل عقلا وقد يراد بالعقل غريزة قائمة بها ويراد بالعقل العمل بالعلم
كما قد بسط فى موضع آخر الوجه الرابع قولهم وجوهر الضوء فيقال
لهم ان اردتم بالضوء نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز يشغل
حيزا أو يقبل عرضا ليس هو من الجواهر اللطيفة التي مثلتم بها
وان اردتم بالضوء الشعاع القائم بالهواء والجدران ونحو ذلك فليس
هذا بجوهر لا لطيف ولا كثيف بل هو عرض قائم بغيره . الوجه
الخامس قولكم ان الجوهر اللطيف لا يقبل عرضاً كلام ممنوع وهو
باطل ايضاً فان نفس الانسان تقبل الاعراض القائمة بها وكذلك
النفس الفلكية عند من اثبتها يقوم بها إرادات وتصورات متجددة
ولفظ العرض في اصطلاح النظار يراد به ماقام بغيره سواء كان صفة
لازمة أو عارضة وهذا موجب تقسيم النصارى كما هو قول الفلاسفة
فانهم قالوا ليس فى الوجود شيء إلا وهو اما جوهر واما عرض
لانه أى أمر نظرناه وجدناه اما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده
الى غيره وهو الجوهر . واما مفتقر فى وجوده الى غيره
لاقوام له بنفسه وهو العرض قالوا ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين
قسم ثالث وهذا الذى قالوه هو تقسيم ارسطو واتباعه وهو
يسمى المبدأ الاول جوهراً وهذا تقسيم سائر النظار لكن اكثرهم
لا يدخلون رب العالمين في مسمى الجوهر ومنهم من يدخله فيه
وبعض النزاع فى ذلك لفظى واذا كان الامر على ماقالوه فالضوء

القائم بالارض والهواء عرض ليس جوهرا قائما بنفسه وهم قد جعلوه جوهرا وهذا تناقض بين • وايضاً فالجواهر اللطيفة تقوم بها الاعراض كالحياة والعلم بل والرب على قولهم تقوم به الحياة والعلم فاذا سموه جوهرا لزمهم ان يسموا صفاته اعراضاً اذا قالوا لاموجود الا جوهر او عرض فهؤلاء ان عنوا بالعرض هذا فكل جوهر يقبل الصفات وان أرادوا بالعرض مايعنيه المتفلسفة بالصفات العرضية التي يفرقون بينها وبين الذاتية مع ان هذا ليس مقتضى كلامهم فقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان تقسيم هؤلاء الصفات اللازمة للموصوف الى ذاتية وعرضية تقسيم باطل وبتقدير ان يكون حقاً فالنفس ايضاً تقبل الصفات العرضية بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفاً أو كثيفاً فقولكم ان الجوهر اللطيف لايقبل عرضاً مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء وما يجرى هذا المجرى من الجواهر اللطيفة كلام باطل على كل تقدير وان عنوا بلفظ العرض شيئاً آخر لم ينفعهم ذلك فان المتكلمين الذين قالوا الجوهر مايشغل حيزا ويقبل عرضاً انما ارادوا بالعرض مايقوم بغيره من المعاني سواء كان لازماً له أو عارضاً له ومعلوم ان كل جوهر فانه تقوم به المعاني والخالق تعالى عندهم تقوم به الحياة والعلم فاذا كان الخالق تقوم به المعاني وهم يسمونه جوهراً فكيف لاتقوم بغيره المعاني وهؤلاء يثبتون جوهراً لا تقوم به الاعراض مع قولهم انه تقوم به المعاني وهذا اصطلاح لهم لايوافقهم عليه احد ثم يتناقضون فيقولون الموجود اما جوهر واما عرض وهذا يناقض قولهم الموجود اما جوهر واما

عرض فليس في الموجودات إلا هذا أو هذا بل وموجب كلامهم انها قائمة بذات الله فكيف بذات غيره وان قالوا نعني بالاعراض الصفات العارضة أو القائمة بالاجسام كان هذا مناقضاً لقولهم الموجود اما جوهر واما عرض مع قولهم ان الرب جوهر ثلاثة اقانيم والاقنوم ذات وصفة ومع اقوالهم ان الرب جوهر فقولهم يقتضى ان الرب جوهر تقوم به الاعراض فكيف غيره ثم يقال اذا قدر انهم يدعون ثبوت جوهر لاتقوم به الاعراض فهذا اصطلاح لهم وافقوا فيه نفاة الصفات من الفلاسفة كارسطو واتباعه فانهم يقولون ان الرب جوهر لايتصف بشيء من الصفات الثبوتية لكن ليس هذا قول النصارى فتبين انهم في قولهم ان الرب جوهر وفى قولهم ان من الجواهر مالا تقوم به الصفات موافقون للمشركين الفلاسفة ارسطو واتباعه لا موافقين المسيح والحواريين وانهم اثبتوا الصفات لله موافقة للمسيح والحواريين ثم جعلوه جوهرا ثم قالوا ان الجوهر اللطيف لاتقوم به الصفات وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين وهذا تحقيق ماذكرناه عنهم من انهم ركبوا ديناً من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين ونظار المسلمين لهم فى تسمية صفات الله القائمة به اعراضاً نزاع بينهم، بعضهم يسميها اعراضاً وبعضهم ينكر هذه التسمية مع اتفاق هاتين الطائفتين على قيام الصفات به وجمهور نظار المسلمين لايسمونه جوهرا وبعضهم يسميه جوهرا واما من انكر قيام الصفات به فذاك لايسمى الله جوهرا ولا جسما وهؤلاء النصارى متناقضون تناقضاً بينا ولهذا كان لهم طريقة لايوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء

وذلك يظهر بالوجه السادس وهو ان الناس لهم في اثبات الصفات القائمة بذات الله تعالى قولان فسلف المسلمين وائمتهم وجمهور الخلق من اهل الملل وغير اهل الملل يثبتون قيام الصفات بالله تبارك وتعالى وهل تسمى اعراضا على قولين والقول الثاني قول من ينفي الصفات مثل الملاحدة الجهمية ونحوهم من مبتدعة المسلمين ومن وافقهم من الفلاسفة وبعض اليهود والنصارى فهؤلاء لاتقوم به المعاني والصفات عندهم فلا يقولون تقوم به الاعراض ثم من هؤلاء من يسميه جوهرا كارسطو واتباعه ومنهم من لايسميه جوهرا كمتأخري الفلاسفة ابن سينا وامثاله مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم واما الجمهور القائلون بقيام المعاني به فبعضهم يسميها اعراضاً وان لم يسمه جوهرا وقد سماه بعضهم جوهرا وبعضهم ينفي ان يكون اعراضاً وبعضهم يسكت عن النفي والاثبات فلا يسميها اعراضاً ولا ينفي تسميتها بذلك أو يستفصل القائل عن كونها اعراضا واما هؤلاء النصارى فقالوا هو جوهر ثلاثة اقانيم ووصفوه بالصفات الثبوتية وهي الحياة والنطق وقالوا الموجود اما جوهر واما عرض فلزمهم ان تكون صفات الله اعراضا عندهم ثم قالوا الجوهر اللطيف لاتقوم به الاعراض ونزهوا الرب ان تقوم به الاعراض مع قولهم انه جوهر فتناقضوا تناقضاً بيناً حيث جمعوا بين كلام الرسل واتباعهم وبين كلام المشركين المعطلين الفلاسفة فما تلقوه عن المسيح فهو حق وما ابتدعوه من قول من خالف الرسل فهو باطل فجمعوا في قولهم بين الحق والباطل وسلكوا مسلكا لايعرف عن غيرهم وايضاح هذا ان يقال في الوجه السابع ان هذا الذي ذكروه تناقض

بين فانهم قالوا الموجود اما جوهر واما عرض فالقائم بذاته هو الجوهر والقائم بغيره هو العرض ثم قالوا انه موجود حى ناطق له حياة ونطق فيقال لهم حياته ونطقه اما جوهر واما عرض وليس جوهرا لان الجوهر ماقام بنفسه والحياة والنطق لايقومان بانفسهما بل بغيرهما فهما من الاعراض فتبين انه عندهم جوهر تقوم به الاعراض مع قولهم انه جوهر لا يقبل عرضا ٠ وان قيل ارادوا بقولهم لايقبل عرضا ما كان حادثا قيل فهذا ينقض تقسيمهم الموجود الى جوهر وعرض فان المعنى القديم الذى يقوم به ليس جوهرا وليس حادثا فان كان عرضاً فقد قام به العرض وقبله وان لم يكن عرضاً بطل التقسيم فتبين من هذا انهم يقال لهم انتم قلتم انه شىء حى ناطق وقلتم هو ثلاثة اقانيم وقلتم المتحد بالمسيح اقنوم الكلمة وقلتم في الامانة نؤمن باله واحد اب ضابط الكل ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور اله حق من إله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر ثم قلتم ان الرب جوهر وقلتم ان الذى يشغل حيزا أو يقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضاً ولا يشغل حيزا مثل جوهر النفس وجوهر العقل وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة فاذا كانت هذه الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضاً ولا تشغل حيزا فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضا ويشغل حيزاً كلا فصرحتم بانه جوهر لا يقبل عرضاً وقلتم ليس في الوجود شىء الا وهو اما جوهر واما عرض فان كان قائماً بنفسه غير محتاج في وجوده الى غيره فهو

الجوهر وان كان مفتقرا في وجوده الى غيره لاقوام له بنفسه فهو العرض فيقال لكم الابن القديم الازلي الموجود من جوهر أبيه الذي هو مولود غير مخلوق الذى تجسد ونزل هو جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم بغيره ؟ والوجود عندكم اما جوهر واما عرض فان قلتم هو جوهر فقد صرحتم باثبات جوهرين الاب جوهر والابن جوهر ويكون حينئذ اقنوم الحياة جوهراً ثالثاً فهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر قائمة بانفسها وحينئذ فيبطل قولهم انه اله واحد وانه احدى الذات ثلاثي الصفات وانه واحد بالجوهر ثلاثة بالاقنوم اذ كنتم قد صرحتم على هذا التقدير باثبات ثلاثة جواهر . وان قلتم بل الابن القديم الازلي الذى هو الكلمة التي هي العلم والحكمة عرض قائم بجوهر الاب ليس هو جوهرا ثانياً فقد صرحتم بان الرب جوهر تقوم به الاعراض وقد انكرتم هذا في كلامكم وقلتم هو جوهر لاتقوم به الاعراض وقلتم ان من المخلوقات جواهر لاتقوم بها الاعراض فالخالق اولى وهذا تناقض بين لاحيلة فيه لمن تدبر كلامهم أوله وآخره فان كلامهم هذا يوجب انه جوهر واحد لايقوم به شيء من الاعراض وهم يقولون جوهر واحد ثلاثة أقانيم وسواء سموها صفات أو خواص أو اعراضا أوقالوا الاقنوم هو الذات والصفة فيقال لهم الرب مع الاقانيم ثلاثة جواهر أو جوهر واحد له ثلاث صفات أو جوهر واحد لاصفة له ؟ فان قالوا ثلاثة جواهر اثبتوا ثلاثة وبطل قولهم ان الرب جوهر واحد واله واحد وصرحوا باثبات ثلاثة آلهة وان قالوا بل جوهر واحد له ثلاث صفات فقد صرحوا ان هذا الجوهر تقوم به الصفات واذا قامت به

الصفات وقد سموه جوهراً وقالوا كل موجود اما جوهر واما عرض لزمهم قطعاً ان تكون صفاته اعراضاً فبطل قولهم انه جوهر لاتقوم به الاعراض • وان قالوا جوهر واحد لاتقوم به الصفات بمحال بطل قولهم له حياة ونطق واذا نفوا الصفات أبطلوا التثليث والاتحاد وبطلت الامانة مع مخالفتهم لكتب الانبياء فانها مصرحة باثبات الصفات ومع مخالفتهم لصريح العقل والمقصود انهم يتناقضون تناقضاً بيناً لانهم اثبتوا جوهراً لاتقوم به الاعراض مع قولهم الموجود اما جوهر واما عرض ومع قولهم انه جوهر ثلاثة أقانيم فاذا لم تقم به الاعراض لم يكن له صفات فان الصفة قائمة بغيرها ليست جوهراً بل هي اذا كان الموجود اما جوهر واما عرض من قسم الاعراض لامن قسم الجواهر فكان هذا الكلام نافياً لقيام الصفات به مطلقاً ثم قالوا بالاقانيم التي توجب اما اثبات صفات واما اثبات جواهر ثلاثة قائمة بنفسها مع انها اذا قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات ولاريب ان القوم يجمعون فى قولهم بين النقيضين بين اثبات الصفات ونفيها وبين اثبات ثلاثة جواهر ثلاثة آلهة وبين قولهم الاله واحد وسبب ذلك انهم ركبوا لهم اعتقاداً بعضه من نصوص الانبياء المحكمة كقولهم الاله واحد وبعضه من متشابه كلامهم كلفظ الابن وروح القدس وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين كقولهم جوهر لاتقوم به الصفات ومما يوضح ذلك انك تجد عامة علماء النصارى فضلا عن عامتهم لايعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره مع اتفاقهم على ان المسيح لم ينسخها كلها ولم يقرها كلها بل أخبرهم انه انما جاء ليتمها لا ليبطلها وقد أحل بعض ماحرم فيها

كالعمل في السبت ومعلوم ان المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا فاذا كان عامة النصارى لايميزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به ولا مانهاهم عنه مما لم ينههم عنه مع اعترافهم بانه أقر كثيراً من شريعة التوراة بل اكثرها واحل بعضها فنسخه ورفعه وهم لايعرفون هذا من هذا لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح ولا يعرفون ما أمرهم الله على لسان موسى وسائر الانبياء فانهم لا يجوز لهم العمل بكل مافي التوراة بل قد نسخ المسيح بعض ذلك باتفاقهم واتفاق المسلمين على ذلك ولا يجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح وعامتهم لايعرفون مانسخه مما لم ينسخه فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ وعامتهم لايعرفون ذلك فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من الله لا من جهة المسيح ولا من جهة موسى فلم يعلموها بل كان ذلك مجهولا عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم فكانوا محتاجين الى ان يعرفوا ما شرعه الله مما لم يشرعه فارسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بشرع أمر فيه بمحاسن مافي الكتابين وعوض عما نسخه بما هو خير منه

(فصل) ثم قالوا انا نعجب من هؤلاء القوم الذين مع ادبهم وما يأخذون به انفسهم من الفضل كيف لم يعلموا ان الشرائع شريعتان شريعة عدل وشريعة فضل لانه لما كان البارى عدلا وجواداً وجب ان يظهر عدله على خلقه فارسل موسى الى بني اسرائيل فوضع شريعة العدل وأمرهم بفعلها الى ان استقرت في نفوسهم ولما كان

الكمال الذى هو الفضل لا يمكن ان يضعه الا اكمل الكمال وجب ان يكون هو تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه الذي يضعه لانه ليس شيء اكمل منه ولانه جواد وجب ان يجود باجل الموجودات وليس في الموجودات اكمل من كلمته ولذلك وجب ان يجود بكلمته فلهذا وجب ان يتحد بذات محسوسة يظهر منها قدرته وجوده ولما لم يكن في المخلوقات اجل من الانسان اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة من مريم البتول المصطفاة على نساء العالمين وبعد هذا الكمال مابقي شيء يوضع لان جميع ماتقدمه منقصة وما يأتي بعد الكمال غير محتاج اليه لانه ليس شيء يأتى بعد الكمال فيكون فاضلا بل دونا أو اخذ منه والاخذ منه فهو فضل لايحتاج اليه وفى هذا القول مقنع والسلام على من اتبع الهدى وهذا مما عرفته من ان القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم في محمد عليه السلام وما يحتجون به عن أنفسهم فان يكن ماذكروه صحيحاً فلله الحمد وان يكن خلاف ذلك فمولانا يكتب ذلك بعد ان جعلونى سفيراً والحمد لله رب العالمين * والجواب عن هذا من وجوه أحدها ان يقال بل الشرائع ثلاثة شريعة عدل فقط وشريعة فضل فقط وشريعة تجمع العدل والفضل فتوجب العدل وتندب الى الفضل وهذه اكمل الشرائع الثلاث وهى شريعة القرآن الذى يجمع فيه بين العدل والفضل مع انا لانكر ان يكون موسى عليه السلام أوجب العدل وندب الى الفضل وكذلك المسيح ايضاً أوجب العدل وندب الى الفضل وأما من يقول ان المسيح اوجب الفضل وحرم على كل مظلوم ان يقتص من ظالمه أو ان موسى لم يندب

الى الاحسان فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين لكن قد يقال ان ذكر العدل في التوراة اكثر وذكر الفضل في الانجيل اكثر والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال والقرآن بين ان السعداء أهل الجنة فهم أولياء الله نوعان ابرار مقتصدون ومقربون سابقون فالدرجة الاولى تحصل بالعدل وهي اداء الواجبات وترك المحرمات والثانية لا تحصل الا بالفضل وهو اداء الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات فالشريعة الكاملة تجمع العدل والفضل كقوله تعالى (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) فهذا عدل واجب من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة ثم قال (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) فهذا فضل مستحب مندوب اليه من فعله أثابه الله ورفع درجته ومن تركه لم يعاقبه وقال تعالى (ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله) فهذا عدل ثم قال إلا ان يصدقوا فهذا فضل وقال تعالى والجروح قصاص فهذا عدل ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له فهذا فضل وقال تعالى (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم فهذا عدل ثم قال الا أن يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا أقرب للتقوى) فهذا فضل وقال تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به فهذا عدل) ثم قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فهذا فضل وقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدل ثم قال فمن عفى وأصلح فاجره على الله فهذا فضل وهو سبحانه دائماً يحرم الظلم ويوجب العدل ويندب الى الفضل كما في آخر سورة البقرة لما ذكر حكم الاموال والناس فيها اما محسن واما عادل واما ظالم

فالمحسن المتصدق والعادل المعاوض كالبايع. والظالم كالمرابى فبدا بالاحسان والصدقة فذكر ذلك ورغب فيه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما انفقوا منى ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم) الآيات ثم ذكر تحريم الربا فقال الذين يأ كلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم لما احل البيع ذكر المداينات وذكر حكم البيع الحال والمؤجل وحفظ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن وختم السورة بأصول الاعمان من الايمان بالكتب والرسل بعد ان افتتحها بذلك وذكر أصناف الناس وهم ثلاثة اما مؤمن واما كافر واما منافق فذكر نعت المؤمنين ثم ذكر نعت الكافرين ثم ذكر نعت المنافقين ثم مهد أصول الايمان فامر بعبادة الله تعالى وذكر آياته وآلائه ثم قرر نبوة رسوله ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات والارض ثم خلق آدم واسجاد الملائكة له وخروجه من الجنة وهبوطه الى الارض ثم بعد ان عم بالدعوة جميع الخلق خص أهل الكتاب فخاطبهم خاطب اليهود أولا بنى اسرائيل ثم النصارى ثم خاطب المؤمنين فقرر لهم قواعد دينه فذكر أصل ملة ابراهيم وبناءه

للبيت * ودعاءه لاهل مكة ووكد الامر بملة ابراهيم ثم ذكر ما يتعلق بالبيت من اتخاذه قبلة ومن تعظيم شعائر الله التي عنده كالصفا والمروة ثم ذكر التوحيد والحلال والحرام في المطاعم للناس عموماً ثم للذين آمنوا خصوصاً ثم ذكر ما يتعلق بالقتل من القصاص وبالموت من الوصية ثم ذكر شرائع الدين فذكر صيام شهر رمضان وما يكون فيه من الاعتكاف ثم ذكر ما يتصل بشهر الصيام وهو أشهر الحج فذكر الحج وذكر حكم القتال عموماً وخصوصاً في البلد الحرام ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة ذكر بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج فذكر أحكام وطء النساء والحيض والايلاء منهن والطلاق لهن واختلاعهن وذكر حكم الاولاد وارضاعهم واعتداد النساء وخطبتهن في العدة وطلاقهن قبل الدخول وبعده ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن ثم قرر المعاد وما يدل عليه من احياء الموتى في الدنيا مرة بعد مرة فتضمنت هذه السورة الواحدة جميع ما يحتاج الناس اليه في الدين أصوله وفروعه وافتتحها بالايمان بالكتب والرسل ووسطها بالايمان بالكتب والرسل وختمها بالايمان بالكتب والرسل فان الايمان بالكتب والرسل هو عمود الايمان وقاعدته وجماعه وأمر فيها الخلق عموماً وخصوصاً بعد عموم وذكر فيها الايمان بالخالق وآيات ربوبيته والايمان بالمعاد والدار الآخرة والاعمال الصالحة التي أمر بها وان من كان من اتباع الرسل عن المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين قائماً بهذه الاصول وهو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

بخلاف من بدل منهم الكتاب أو كذب بكتاب فان هؤلاء من الكفار
فمن كان متبعاً لشرع التوراة قبل مبعث المسيح غير مبدل له فهو من
السعداء وكذلك من كان متبعاً لشرع الانجيل قبل مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم غير مبدل له فهو من السعداء ومن بدل شرع التوراة أو
كذب بالمسيح فهو كافر كاليهود بعد مبعث المسيح عليه السلام وكذلك
من بدل شرع الانجيل اوكذب محمدا صلى الله عليه وسلم فهو كافر
كالنصارى بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم. فقدماء اليهود والنصارى
الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل سعداء وأما اليهود والنصارى
الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتاب والرسول
الذي أرسل اليهم والى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم فهم
كفار. ورد دعاوي اليهود والنصارى الكاذبة مثل قول هؤلاء لن يدخل
الجنة الا من كان هوداً وقول هؤلاء لن يدخل الجنة الا من كان نصارى
فقال بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون. وبين من كفر اليهود والنصارى ماعرف به حالهم
الكن أكثر ما ذكر في هذه السورة اليهود كما ان اكثر ما ذكر في
سورة آل العمران النصارى فان هذه نزلت اول مقدمه المدينة وكان اليهود
جيرانه وآل عمران تأخر نزولها الى آخر الامر لما قدم عليه نصارى
وفد نجران وفيها فرض الحج لما ظهر الله مكة من المشركين فكان
اكثر دعائه في اول الامر للمشركين لانهم جيرانه بمكة ثم لليهود لانهم
جيرانه بالمدينة ثم للنصارى لانهم كانوا ابعد عنه من ناحية الشام واليمن
والمجوس ايضاً لانهم كانوا ابعد عنه بأرض العراق وخراسان وهذا

هو الترتيب المناسب يدعوا الاقرب اليه فالاقرب ثم يرسل رسله الى الابعد وهو صلى الله عليه وسلم كان اولا مشغولا بجهاد المشركين واليهود فلما صالح المشركين صالح الحديبية وحارب يهود خيبر عقيب ذلك ففتحها الله عليه وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة الذين شهدوا صلح الحديبية فتفرغ لمن بعد عنه فارسل رسله الى جميع من حواليه من الامم ارسل الى ملوك النصارى بمصر والشام والحبشة فانه كان قدمات ملك الحبشة النجاشي الذى اسلم واخبر الناس بموته يوم مات وخرج بأصحابه الى ظاهر المدينة فصلي عليه بهم صلاة الجنازة كما كان يصلي على سائر موتى المسلمين وتولى بعد النجاشي آخر فارسل اليه كما ذكره مسلم فى صحيحه وغيره وارسل الى ملوك اليمن من المشركين واليهود والى ملوك العرب وكان فى العرب خلق كثير يهود وخلق كثير نصارى وخلق كثير مجوس فدعى جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين عربهم وعجمهم ٠ الوجه الثاني ان يقال لهم ٠ الناس لهم فى امر الله ونهيه قولان مشهوران احدهما انه يرجع الى محض المشيئة لايعتبر فيه ان يكون المأمور به مصلحة للخلق وان اتفق ان يكون مصلحة وان كان الواقع كونه مصلحة وهذا قول من يقول لا يفعل ولا يحكم لسبب ولا لحكمة ولا لغرض ٠ والقول الثانى وهو قول جمهور الناس ان الله انما ارسل الرسل ليأمروا الناس بما يصلحهم وينفعهم اذا فعلوه كما قال تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال ربي لم حشرتني اعمي وقد كنت بصيراً

قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فان قيل بالاول لم يسئل عن حكمة ارسال الرسل وان قيل بالثانى فنى ارسال محمد صلى عليه وسلم من الحكم والمصالح اعظم مما كان في ارسال موسى والمسيح والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد اضعاف ماحصل بارسال موسى والمسيح من جهة الامر والخلق فان في شريعته من الهدى ودين الحق اكمل مما فى الشريعتين المتقدمتين ويسر الله من اتباع الخلق له واهتدائهم به مالم يتيسر مثله لمن قبله فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ومن جهة كثرة من قبلها وكمال قبولهم لها بخلاف شريعة من قبله فان موسى صلى الله عليه وسلم بعث الى بني اسرائيل وكان فيهم من الرد والعناد فى حياة موسى وبعد موته ما هو معروف وقد ذكر النصارى في كتابهم هذا من ذلك ما تقدم ولم تكن شريعة التوراة فى الكمال مثل شريعة القرآن فان القرآن فيه من ذكر المعاد واقامة الحجج عليه وتفصيله ووصف الجنة والنار مالم يذكر مثله في التوراة وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء مالم يذكر في التوراة وفيه من ذكر اسماء الله الحسنى وصفاته ووصف ملائكته واصنافهم وخلق الانس والجن مالم يفصل مثله فيالتوراة وفيه من تقرير التوحيد بانواع الادلة مالم يذكر مثله فى التوراة وفيه من ذكر اديان اهل الارض مالم يذكر مثله في التوراة وفيه من مناظرة المخالفين للرسل واقامة البراهين على اصول الدين مالم يذكر مثله فى التوراة مع انه لم ينزل كتاب من السماء اهدى من القرآن والتوراة وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات وتحريم الخبائث وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من

الطيبات عليهم حرمت عليهم عقوبة لهم وفي شريعة القرآن من قبول الدية في الدماء مالم يشرع في التوراة وفيهامن وضع الآصار والاغلال التي في التوراة مايظهر به ان نعمة الله على اهل القرآن اكمل واما الانجيل فليس فيه شريعة مستقلة ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الانبياء واممهم بل احالهم على التوراة فى اكثر الامر ولكن احل لهم المسيح بعض ماحرم عليهم وامرهم بالاحسان والعفو عن المظالم واحتمال الاذى والزهد في الدنيا وضرب الامثال لذلك فعامة ما امتاز به الانجيل عن التوراة بمكارم الاخلاق المستحسنة والزهد المستحب وتحليل بعض المحرمات وهذا كله في القرآن وهو في القرآن اكمل فليس فى التوراة والانجيل والنبوات ماهو من العلوم النافعة والاعمال الصالحة الا وهو في القرآن أو ماهو افضل منه وفي القرآن من العلوم النافعة والاعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ماليس في الكتابين لكن النصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الانجيل بل احدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الانبياء كاوضعوا لقسطنطين الامانة ووضعوا له أربعين كتاباً ويسمونها القوانين فيها بعض ماجاءت به الانبياء وفيها شيء كثير مخالف لشرع الانبياء وصاروا الى كثير من دين المشركين الذين عبدوا مع الله الهة أخرى وكذبوا رسله فصار في دينهم من الشرك وتغير دين الرسل ماغيروا به شريعة الانجيل ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الانجيل بغيرها فلا يعرفون مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما اقره ولا ماشرعه مما احدث بعده فالمسيح لم يأمرهم بنصب الصور وتعظيمها ولا دعا من صورت تلك التماثيل على صورته ولا أمر بهذا

أحد من الانبياء لايوجد قط عن نبي انه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاع بهم ولا بدعاء الموتى من الانبياء والصالحين والاستشفاع بهم فضلا عن دعاء تماثيلهم والاستشفاع بها فان هذا من اصول الشرك الذي نهت عنه الرسل وهذا كان اصل الشرك فى بني آدم من عهد نوح عليه السلام قال الله تعالى عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيراً) قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وغيره هؤلآء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا علي قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ذكر ذلك المسيح وعلماء النصارى والمسيح عليه السلام لم يأمرهم بعبادته ولا قال انه الله ولا أمرهم بما ابتدعوه من التثليث والاتحاد والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ماحرمه الله فى التوراة من الخبائث كالخنزير وغيره فاستحلوا الخبائث المحرمة وغيروا شريعة التوراة والانجيل والمسيح لم يأمرهم ان يصلوا الى المشرق ولم يأمرهم ان يعظموا الصليب ولم يأمرهم بترك الختان ولا بالرهبانية ولا بسائر ما ابتدعوه بعده ولهذا لما ظهر فساد دين النصارى صار بعض الناس كابى عبد الله الرازي يقول لم يظهر الانتفاع بدين المسيح الا فى طائفة قليلة كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان الدين الذى كان عليه جمهور النصارى ليس هو دين المسيح ويبين هذا بالوجه الثالث وهو ان يقال هب ان شريعة الكتابين كانت كافية فانما ذاك اذا كانت محفوظة معمولا بها ولم يكن الامر كذلك بل كانت قد درس كثير من معالمها وقد اختلف اهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافا عظيما كما قال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا

ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وقد قال تعالى (كان الناس أمة واحدة اى فاختلفوا . فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) والوقت الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن قد بقى احد مظهراً لما بعث الله به الرسل قبله فبعثه على حين فترة من الرسل وطموس من السبل أحوج ما كان الناس الى رسول كما فى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وكان الناس حين مبعث محمد صلى الله عليه وسلم اما اميين لا كتاب لهم يشركون بالرحمن ويعبدون الاوثان واما اهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه وحرفوا حلاله وحرامه ولبسوا حقه بباطله كما هو الموجود فلو أراد الرجل ان يميز له اهل الكتاب ما جاءت به الانبياء مما هم عليه مما احدثوه بعدهم لم يعرف جمهورهم ذلك بل قد صار الجميع عندهم ديناً واحداً فبعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذى انزله عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال والغي من الرشاد قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك

لكم من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) الى قوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير • الوجه الرابع ان شريعة التوراة يغلب عليها الشدة وشريعة الانجيل يغلب عليها اللين وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هـذا وهذا كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقال فى وصف أمته (محمد رسول والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الخ وقال أيضاً فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فوصفهم بالرحمة للمؤمنين والذلة لهم والشدة على الكفار والعزة عليهم وكذلك كان صفة محمد صلى الله عليه وسلم نبيهم أكمل النبيين وأفضل الرسل بحيث قال أنا محمد وأنا أحمد وانا نبي الرحمة وأنا نبي الملحمة وأنا نبي التوبة وأنا الضحوك القتال فوصف نفسه بانه نبي الرحمة والتوبة وانه نبي الملحمة وانه الضحوك القتال وهذا أكمل ممن نعت بالشدة والبأس غالباً أو باللين غالباً وقد قيل ان سبب ذلك ان بني اسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت بقهر فرعون لهم واستعباد فرعون وقومه لهم فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم ويزول عنهم ذلك الذل ولهذا لما أمروا بالجهاد نكلوا عنه وقال لهم موسى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان

من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون) وأما أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال له قائلهم يوم بدر والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل قال لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون لكن نقاتل أمامك ووراءك وعن يمينك وعن يسارك والذي بعثك بالحق نبياً لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ولو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك وكان الكلام قريباً من بدر والبحر من جهة الغرب وبرك الغماد مكان من يماني مكة بينه وبين مكة عدة ليال والكفار كانوا اذ ذاك بمكة واصحابه من ناحية المدينة شامي مكة فمكة جنوبهم والبحر غربهم يقول لو طلبت ان ندخل بلد العدو ونذهب الى تلك الناحية لفعلناه قالوا فلما نصر الله بني اسرائيل واظهرهم ظهرت فيهم الاحداث بعد ذلك وتجبروا وقست قلوبهم وصاروا شبيهاً بآل فرعون فبعث الله المسيح عليه السلام باللين والصفح والعفو عن المسيء واحتمال اذاه ليلين أخلاقهم ويزيل ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة فافرط هؤلاء في اللين حتى تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وتركوا الحكم بين الناس بالعدل واقامة الحدود وترهب عبادهم منفردين مع ان في ملوك النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ما انزل الله وسفك الدماء بغير حق مما يأمرهم به علماؤهم وعبادهم ومما لم يأمروهم به مما شاركوا فيه اليهود فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالشريعة الكاملة العادلة وجعل امته عدلا خياراً لا ينحرفون الى

هذا الطرف ولا الى هذا الطرف بل يشتدون على اعداء الله ويلينون لاولياء الله ويستعملون العفو والصفح فيما كان لنفوسهم ويستعملون الانتصار والعقوبة فيما كان حقاً لله وهذا كان خلق نبيهم كما في الصحيحين عن عائشة قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له قط ولا امراة له قط ولا دآبة ولا شيئاً قط الا ان يجاهد فى سبيل الله الله ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله وما عرض عليه امران احدهما ايسر من الآخر الا اخذ بأيسرهما الا ان يكون مأثما فان كان مأثماً كان ابعد الناس منه • وفى الصحيحين عن انس انه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته ولا لم صنعت ولا الا صنعت وكان بعض أهله اذا عتبوني على شيء يقول دعوه فلو قدر شيء لكان هذا مع قوله في الحديث الصحيح لما سرقت امرأة كانت من أشرف قريش من بنى مخزوم فامر بقطع يدها فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من يجتري عليه الا اسامة بن زيد فكلموه فكلمه فيها فقال يا أسامة اتشفع فى حد من حدود الله انما هلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها • فى شريعته صلى الله عليه وسلم من اللين والعفو والصفح ومكارم الاخلاق أعظم مما في الانجيل وفيها من الشدة والجهاد واقامة الحدود على الكفار

والمنافقين أعظم مما في التوراة وهذا هو غاية الكمال ولهذا قال بعضهم
بعث موسى بالجلال وبعث عيسى بالجمال وبعث محمد بالكمال • الوجه
الخامس ان نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والاحسان اليهم وذلك
نوعان أحدهما ان يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم مثل
رزقهم الذى لولا هو لماتوا جوعا ونصرهم الذى لولا هو لاهلكهم
عدوهم ومثل هداهم الذى لولا هو لضلوا ضلالاً يضرهم فى آخرتهم
وهذا النوع من النعمة لابد لهم منه وان فقدوه حصل لهم ضرر إما
في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما ولهذا كان في سورة النحل وهى
سورة النعم فى اولها أصول النعم وفي أثنائها كمال النعم والنوع الثانى النعم
التي يحصل بها من كمال النعم وعلو الدرجة مالا يحصل بدونها كما انهم
في الآخرة نوعان ابرار أصحاب يمين ومقربون سابقون ومن خرج
عن هذين كان من أصحاب الجحيم • واذا كانت النعمة نوعين فالخلق
كانوا محتاجين الى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من هذين الوجهين
وحصل بارساله هذان النوعان من النعمة فان الناس بدونه كانوا جهالا
ضالين امبهم وأهل الكتاب منهم ولم يكن قد بقى من أهل الكتاب
أتباع المسيح من هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في
الآخرة بل كانوا قد بدلوا وغيروا وأيضاً فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئاً
ففى ارساله من كمال النعم وفواضلها وعلو الدرجات في السعادة مالم يكن
حاصلا بالكتاب الاول فكان ارساله اعظم نعمة انعم الله بها على أهل
الارض من نوعى النعيم • ومن استقراء أحوال العالم تبين له ان الله لم
ينعم على أهل الارض نعمة اعظم من انعامه بارساله صلى الله عليه

وسلم وان الذين ردوا رسالتـه هم ممن قال الله فيهم (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار)ولهـذا وصف بالشكر من قبـل هـذه النعمة فقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلآء منّ الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين) وقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) الوجه السادس ان يقال قولهم انا نعجب من هؤلآء القوم الى آخر الفصل قول جاهل ظالم يستحق ان يقال له بل العجب من هذا العجب هو الواجب بل هو الذى لاينقضي منه العجب وان كل عاقل ليعجب ممن عرف دين محمد صلى الله عليه وسلم وقصده الحق ثم اتبع غيره ويعلم انه لايفعل ذلك الا مفرط في الجهل والضلال أو مفرط فى الظلم واتباع الهوى وذلك ان أهل الارض نوعان أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند والترك وغيرهم وكالمجوس من الفرس وغيرهم وكالصابئة من المتفلسفة وغيرهم واهل الكتاب يسلمون لنا ان من سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم منفعة ظاهرة وانه دعي جميع طوائف المشركين والمجوس والصابئين الى خير مما كانوا عليه بل كانوا من أحوج الناس الى رسالته وأما اهل الكتاب فاليهود يسلمون لنا حاجة النصارى اليه وانه دعاهم الى خير مما كانوا عليه والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود اليه وانه دعاهم الى خير مما كانوا عليـه فما من طائفة من طوائف اهل الارض الا وهم مقرون بان محمداً صلى الله عليـه وسلم دعا سائر

الطوائف غيرهم الى خير مما كانوا عليه وهذه شهادة من جميع أهل الارض بانه دعا اهل الارض الى خير مما كانوا عليه فان شهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم اذ كانوا غير متهمين عليهم فانهم معادون لمحمد وأمته ومعادون لسائر الطوائف واما شهادتهم لانفسهم فغير مقبولة فانهم خصومه وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة وقد اعترف الفلاسفة بانه لم يقرع العالم ناموس افضل من ناموسه واعترفوا بانه افضل من ناموس موسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام بل لهم من الطعن في نواميس غيره ماليس هذا موضع ذكره بخلاف ناموس محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يطعن فيه احد منهم الا من كان خارجا عن قانون الفلسفة التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم فاما من التزم منهم الكلام بعلم وعدل فهم متفقون على ان ناموس محمد صلي الله عليه وسلم أفضل ناموس طرق العالم فكيف يتعجب من مثل هذا الناموس. الوجه السابع ان يقال لأهل الكتاب خصوصاً فيقال لليهود انتم اذل الامم فلو قدر ان ما انتم عليه دين الله الذي لم يبدل فهو مغلوب مقهور في جميع الارض فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولا يهدي الى الحق والى طريق مستقيم فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله حتي يصير دين الله الذى بعث به رسله وانزل به كتبه منصورا ظاهراً بالحجة والبيان والسيف والسنان ويقال للنصارى انتم لم تخلصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين بل اخذتم من أصول المشركين والمعطلين من الفلاسفة وغيرهم ما ادخلتموه في دينكم وليس لكم على أكثر الكفار لاحجة علمية ولا يد قهرية بل

للكفار فى قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ما انتم به من اضعف الامم حجة واضيقها محجة وابعدها عن العلم والبيان واعجزها عن اقامة الحجة والبرهان تارة تخافون من الكفار الفلاسفة وغيرهم من المشركين والمعطلين فاما ان توافقوهم على اقوالهم واما ان تخضعوا لهم متواضعين وتارة تخافون من سيوف المشركين فاما ان تتركوا بعض دينكم لاجلهم واما ان تذلوا لهم خاضعين ففيكم من ضعف سلطان الحجة وضعف سلطان النصرة ما يظهر به حاجتكم الى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله رسله وانزل به كتبه فالعجب منكم كيف تعدلون عما فيه سعادتكم فى الدنيا والآخرة الى مافيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة هذا هو العجب ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخرة وفي خلافه شقاوة الدنيا والآخرة ومثل هذا لايرد على المسلمين فانه لم يزل ولا يزال فيهم طائفة قائمة بالهدى ودين الحق ظاهرة بالحجة والبيان واليد واللسان الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاتزال طائفة من أمتى قائمة بامر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفى لفظ لاتزال طائفة من أمتي ظاهرة حتى يأتي الله بامره ٠ الوجه الثامن ان يقال لاهل الكتاب لليهود انتم لما كنتم متبعين موسى عليه السلام كنتم على الهدى ودين الحق فكنتم منصورين ثم كثرت فيكم الاحداث التى تعرفونها كما قال تعالى لكم (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك

مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً واضل عن سواء السبيل) وقوله وعبد الطاغوت معطوف على قوله لعنه الله أي من لعنه الله وغضب عليه وعبد هو الطاغوت ليس داخلا فى خبر جعل حتى يلزم اشكال كما ظنه بعض الناس • واهل الكتاب معترفون بان اليهود عبدوا الاصنام مرات وقتلوا الانبياء وقال تعالى (وقضينا الى بني إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددنا كم باموال وبنين وجعلنا كم اكثر نفيرا إن احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وهم معترفون بان بيت المقدس خرب مرتين فالخراب الاول لما جاء بخت نصر وسباهم الى بابل وبقى خراباً سبعين سنة والخراب الثاني بعد المسيح بنحو سبعين سنة وقد قيل هذا تأويل قوله (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) فبعد الخراب الثانى تفرقوا في الارض ولم يبق لهم ملك وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار وبعث المسيح عليه الصلاة والسلام وهم كذلك ويقال للنصارى انتم مازلتم مقهورين مغلوبين مبددين فى الارض حتى ظهر قسطنطين واقام دين النصرانية بالسيف وقتل من خالفه من المشركين واليهود لكن أظهر ديناً مبدلا مغيرا ليس هو دين المسيح

عليه السلام ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس كفارا من المجوس وغيرهم مجوساً ومشركين وكانوا في بعض الازمنة يقهرون النصارى على بلادهم واما أرض المشرق والمغرب ففيهما من انواع المشركين أمم وكان الشرك والكفر ظاهراً فى أرض اليمن والحجاز والشام والعراق فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اظهر به توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ظهوراً لم يعرف في أمة من الامم ولم يحصل مثله لنبى من الانبياء واظهر به من تصديق الكتب والرسل والتوراة والانجيل والزبور وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الرسل مالم يكن ظاهرا لا عند أهل الكتاب ولا غيرهم فاهل الكتاب وان كانوا خيراً من غيرهم فلم يكونوا قائمين بما يجب من الايمان بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا شرائع دينه ولا كانوا قاهرين لاكثر الكفار بل ولا كانوا منصورين عليهم ولهذا قال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب) اما اليهود ففيهم من التنقص بالانبياء وسبهم وذكر عيوب نزههم الله منها ماهو معروف حتى ان منهم من يقول ان سليمان كان ساحراً وداود كان منجماً لم يكن نبياً الى امثال ذلك مما يطول وصفه ففيهم من الكفر بالانبياء من جنس ما كان فى سلفهم الخبيث. واما النصارى فمع غلوهم في المسيح واتباعه يستخفون بغيره فتارة يجعلون الحواريين مثل ابراهيم وموسى او افضل منهم وتارة يقولون كما قال اليهود ان سليمان لم يكن نبياً بل سقط من النبوة وتارة يجعلون ماخاطب الله به داود وغيره من الانبياء انما اريد به المسيح مع

ان اللفظ لايدل على ذلك بل يتأولون كتب الله بمجرد هوى انفسهم وتارة يقولون ان الواحد منهم اذا اطاع الله بما يزعمون انه طاعة صار مثل واحد من الانبياء وافضل منه ووجب طاعته كما تجب طاعة الانبياء ويسوغون لمثل هؤلاء ان يغيروا شرائع الانبياء ويضعوا ديناً ابتدعوه ومحمد صلى الله عليه وسلم وامته اقاموا توحيد الله الذي كان عليه ابراهيم وموسى وسائر الرسل وآمنوا بكل كتاب انزله الله وكل رسول بعثه الله واقاموا دين الرحمن اقامة لم يتمها احد من الأمم فعامة اهل الارض مع محمد اما مؤمن به باطناً وظاهراً وهم اولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون واما مسلمون له في الظاهر تقية وخوفا من امته وهم المنافقون واما مسالمون له بالعهد والذمة والهدنة وهم اهل الذمة والهدنة في جميع الارض واما خائفون من امته وحيث كان الواحد والطائفة من امته متمسكا بدينه كان نوره ظاهراً وبرهانه قاهراً معظماً منصوراً يعرف فضله على كل من سواه وهذا امر يعرفه الناس في ارض الكفار من المشركين واهل الكتاب لما خص الله به محمدا وامته من الهدى ودين الحق وقد اظهروا دين الرب في مشارق الارض ومغاربها بالقول والعمل فهل يقول عاقل ممن عنده علم وعدل انه لافائدة في ارسال محمد وانه يستغنى بما عند اهل الكتاب عن رسالته • الوجه التاسع ان يقال هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع فانه اقام توحيد الله ودينه فيهم وانه عظم المسيح ورد على اليهود قولهم فيه واهانهم وحينئذ فهذا من اعظم الفوائد واجل المقاصد واعظم نعم الله على عباده ثم هو مع ذلك قال ان الله ارسله وامره بذلك فان

كان كاذباً فالكذاب المفترى على الله من شر الكفار ومن يكون كذلك لايحصل منه هذا الخير العظيم الذى ماحصل مثله من احد من الانبياء فانه ازال دين المشركين ودين المجوس وقمع اليهود وكل واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليها احد قبله من الأنبياء والمرسلين • وان كان صادقاً فهو قد اخبر انه رسول الله الى النصارى وغيرهم من الامم واخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به وهذا الوجه مما يخاطب به كل صنف فيقال لكل صنف من الامم انتم معترفون بأن من سواكم اذا اتبعوا دين محمد كان خيرا لهم مما هم عليه فاليهود معترفة بأن النصارى اذا اتبعوه كان خيراً لهم من دين النصارى • والنصاري معترفون بأن اليهود اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين اليهود واهل الكتاب اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم اذا اتبعوا محمدا كان خيرا لهم مما هم عليه فالمجوس والمشركون من العرب والسودان والترك واصناف الخزر والصقالبة اذا اتبعوه كان خيرا لهم مما هم عليه وسائر اصناف الكفار معترفون بأن اتباعه خير من غيرهم ومن ليس من اهل الكتاب عامتهم معترفون بأن دين المسلمين خير من دين اليهود والنصارى وحينئذ فيقال من جاء بهذا الدين الذي يفضله جميع اهل الارض على غيره يمتنع ان يكون من اكفر الناس واحقهم بغضب الله وعقابه وكل من قال انه رسول الله فان كان صادقاً كان من خير اهل الارض واحقهم برضوان الله وثوابه • وان كان كاذباً كان من شر اهل الارض واحقهم بغضب الله وعقابه ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى وما فيه صلاح الدنيا والآخرة اعظم مما حصل من جميع الخلق • يمتنع ان يكون

من اكفر الناس المستحقين لغضب الله وعقابه فوجب ان يكون من خير اهل الارض بل هو خير اهل الارض واحقهم برضوان الله وثوابه

الوجه العاشر ان الله سبحانه وتعالى كانت سنته قبل انزال التوراة اذا كذب نبي من الانبياء ان ينتقم له من اعدائه بعذاب من عنده كما اهلك قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحة وقوم شعيب بالظلة وقوم لوط بالحاصب وقوم فرعون بالغرق قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) فلما انزل التوراة امر اهل الكتاب بالجهاد فنهم من نكل ومنهم من اطاع وصار المقصود بالرسالة لايحصل الا بالعلم والقدرة كما قال تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) فقول هؤلاء . ان التوراة جاءت بالعدل والانجيل بالفضل فلا حاجة الى غيرهما . لو قدر انه حق انما يستقيم اذا كان الكتابان لم يبدلا بل كانا متبعين علماً وعملا وكان أهلهما مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه وأهلهما غير منصورين على الكفار بل الكفار ظاهرون عليهم في اكثر الارض كارض اليمن والحجاز وسائر جزيرة العرب وارض العراق وخراسان والمغرب وارض الهند والسند والترك وكان بايدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك ثم ان الله اظهر النصارى عليهم فكان ظهورهم توطئة وتمهيدا لاظهار دين الاسلام فان الفرس المجوس لما غلبوا الروم ساء ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وفرح بذلك مشركوا العرب وكانوا

اكثر من المؤمنين لان اهل الكتاب أقرب الى المؤمنين من المجوس والمجوس أقرب الى المشركين منهم الى أهل الكتاب ووعد الله المؤمنين ان تغلب الروم بعد ذلك وانه يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فاضاف النصرة الى اسم الله الذى هو الفاعل ولم يقل بنصر الله اياهم وذلك انه حين ظهرت الروم على فارس كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود وارسل النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر الى الايمان به فعرفوه وعرفوا انه النبي المبشر به وكان ذلك أول ظهور دينه ثم ارسل طائفة من اصحابه الى موتة ثم خرج بالمسلمين معه عام تبوك الى الشام ثم فتح هذه البلاد اصحابه فكان تأييد دين الله وظهوره واذلال المشركين والمجوس وغيرهم من الكفار على يديه ويدي أمته لا على يد اليهود والنصارى فلو قدر ان شرع أولئك كامل لاتبديل فيه لكان مغلوبا مقهورا وكان الله قد ارسل من يؤيد دينه ويظهره فكيف وهو مبدل ولو لم يبدل فدين احمد اكمل وافضل منه فذاك مفضول مبدل وهذا فاضل لم يبدل وذاك مغلوب مقهور وهذا مؤيد منصور وببعض هذا تحصل الفائدة في ارساله فكان من اجل الفوائد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يقال انه لافائدة في ارساله . الوجه الحادي عشر قولهم لما كان الباري عدلا جواداً أوجب ان يظهر عدله وجوده * فيقال لهم جود الجواد غير الزام الناس بترك حقوقهم فان الجواد هو الذي يحسن الى الناس ليس هو الذي يلزم الناس بترك حقوقهم وهؤلاء يزعمون ان شريعة الانجيل الزمت الناس بترك حقوقهم وانه لاينصف

مظلوم من ظالمه ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس بل الحكم عندهم حكمان. حكم الكنيسة وليس فيه انصاف المظلوم من الظالم. والثاني حكم الملوك وليس هو شرعا منزلا بل هو بحسب آراء الملوك ولهذا تجدهم يردون الناس الى حكم شرع الاسلام في الدماء والاموال ونحو ذلك حتى في بعض بلادهم يكون الملك والعسكر واكثر أهل البلد نصارى وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم فيردون الناس في الدماء والاموال الى حكم شرع المسلمين وذلك ان الدماء والاموال وان كان يستحب للمظلوم ان يعفو فيها عن ظالمه فالحاكم الذي يحكم بين الناس متى حكم على المظلوم بترك حقه كان حاكما بالظلم لا بالعدل ولو امرنا كل ولي مقتول ان لا يقتص من القاتل وكل صاحب دين ان لا يطالب غريمه بل يدعه على اختياره وكل مشتوم ومضروب ان لا ينتصف من ظالمه لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم وظلم الاقوياء للضعفاء وفسدت الارض قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل ولا بد مع ذلك من ندب الناس الى العفو والاخذ بالفضل وهذه شريعة الاسلام كما تقدم ماذكرناه من الآيات مثل قوله (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله ان الله لا يحب الظالمين) وقوله (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقوله الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

والله يحب المحسنين) وقوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) وقوله (ودية مسلمة الى أهله الا ان يصدقوا وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقال انس مارفع للنبي صلى الله عليه وسلم امر شيء فيه القصاص الا امر فيه بالعفو فكان يأمر بالعفو ولا يلزم الناس به ولهذا لما عتقت بريرة جارية عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان لها ان تفسخ النكاح وطلب زوجها ان لاتفارقه فشفع اليها ان لاتفارقه فقالت اتأمرني ؟ قال لا انما انا شافع فلم يوجب عليها قبول شفاعته صلى الله عليه وسلم • الوجه الثانى عشر قولهم ولما كان الكمال الذى هو الفضل لايمكن ان يضعه الا اكمل الكمال • فيقال لهم العدل والفضل لايشرعه الا الله فشريعة التوراة لم يشرعها الا الله وشريعة الانجيل لم يشرعها الا الله عز وجل يبين ذلك ان الله كلم موسى من الشجرة تكليما وهم غاية ماقرروا به إلهية المسيح ان زعموا ان الله كلم الناس من ناسوت المسيح كما كلم موسى من الشجرة ومعلوم عند كل عاقل لو كان هذا حقاً ان تكليمه لموسى من الشجرة اعظم تكليم كلمه الله لعباده فكيف يقال ان شريعة العدل لم يشرعها الله عز وجل • ثم يقال لهم بل شريعة العدل احق بان تضاف الى الله من شريعة الفضل فان الامر بالاحسان والعفو يحسنه كل واحد واما شريعة العدل والحكم بين الناس به فلا يقدر عليه الا آحاد الناس ولهذا يوجد من الذين يصلحون بين الناس بالاحسان خلق كثير واما الذى يحسن ان يفصل بينهم بالعدل فناس قليل فكيف يقال

ان الذى يأمر بشرع الفضل هو الله دون الذى يأمر بشرع العدل والله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله لقوى عزيز) وامر المسيح عليه السلام للمظلوم بالعفو عن الظالم ليس فيه مايدل على انه من الواجب الذى من تركه استحق الذم والعقاب بل هو من المرغب فيه الذى من فعله استحق المدح والثواب وموسى عليه السلام أوجب العدل الذى من تركه استحق الذم والعقاب وحينئذ فلا منافاة بين ايجاب العدل وبين استحباب الفضل لكن ايجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف في تركه واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق الى فعله فذاك فيه رهبة مع مافيه من الرغبة وهذا فيه رغبة بلا رهبة ولهذا قال المسيح عليه السلام (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) ولهذا قيل ان المسيح عليه السلام بعث لتكميل التوراة فان النوافل تكون بعد الفرائض كما فى صحيح البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبي

يبصر وبى يبطش وبى يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بى لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه ٠ والا فلو قيل ان المسيح عليه السلام أوجب على المظلوم العفو عن الظالم بمعنى انه مستحق للوعيد وللذم وللعقاب ان لم يعف عنه لزم من هذا ان يكون كل من انتصف من الظالم ظالماً مستحقاً للذم والعقاب وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف فان الظالم ظلمه اولاً فلما انتصف منه ظلم ظلماً ثانياً فهو ظلم لعادل انتصف من ظالمه وما أحسن كلام الله حيث يقول (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبواهم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقال (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله قوي عزيز) فهذا من أحسن الكلام واعدله وافضله حيث يشرع العدل فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم ندب الى الفضل فقال فمن عفى وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولما ندب الى العفو ذكر انه لا لوم على المنتصف لئلا يظن ان العفو فرض فقال ولمن انتصر بعد ظلمه

فاولئك ماعليهم من سبيل ثم بين ان السبيل انما يكون على الظالمين فقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ثم لما رفع عنهم السبيل ندبهم مع ذلك الى الصبر والعفو فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فهذا احسن شرع وأجمله يرغب فى الصبر والعفو والاصلاح بغاية الترغيب ويذكر مافيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام والعدل ويبين انه لاحرج عليه ولا سبيل اذا انتصر بعد ماظلم فهل يمكن ان تأتى شريعة تجعل على المنتصف سبيلا مع عدله وهى لاتجعل على الظالم سبيلا مع ظلمه فعلم ان ما أمر به المسيح من العفو لم يكن لان تاركه مستحق للذم والعقاب بل لانه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الاجر والثواب وهذا حق لايناقض شرع التوراة فعلم ان شرع الانجيل لم يناقض شرع التوراة اذ كان فرعا عليها ومكملا لها وحينئذ فزعمهم ان شرع الانجيل شرعه الله دون شرع التوراة كلام من هو من اجهل الناس واضلهم ولهذا كان هذا فرعا على قولهم بالاتحاد وان المسيح هو الله فذاك الضلال أوجب هذا القول المحال

(فصل) وجميع ما احتجوا به من التوراة والانجيل وغيرهما من كلام الانبياء عليهم السلام انما تكون الحجة فيه عاميه برهانية اذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه بان بينوا امكان النبوة ثم تبينوا وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي وهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك بل احتجوا بذلك على انها مقدمة مسلمة

يسلمها المسلمون لهم وهذا لاينفعهم لوجوه • أحدها ان فيمن ذكروه من لم يثبت عند المسلمين انه نبي كميخا وعاموص • الثاني ان من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود وسليمان لم يثبت عندهم انهم قالوا جميع ماذكروه من الكلام وان ترجمته بالعربيـة هو ماذكروه وان مرادهم به مافسروه • الثالث ان جمهور المسلمين لايعلمون نبوة احد من الانبياء قبل محمد الا باخبار محمد صلى الله عليه وسلم بنبوتهم فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلآء الا بعد التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طلب هؤلآء من المسلمين ان يسلموا نبوة هؤلآء دون نبوة محمد لم يمكن المسلمون ان يسلموا ذلك لهم ولا يسوغ ذلك للمسلمين لا عقلا ولا نقلا وحينئذ فاذا لم يقيموا الادلة على نبوة أولئك لم يكونوا قد ذكروا لاحجة برهانية ولا حجة جدلية • الرابع ان المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى الا مع اخبارهما بنبوة محمد فان سلموا انهما اخبرا بنبوة محمد ثبتت نبوته ونبوتهما وان جحدوا ذلك جحد المسلمون نبوة من يدعون انه موسى وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد صلى الله عليه وسلم • الخامس ان المسلمين وكل عاقل يمتنع بعد النظر التام ان يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد صلى الله عليه وسلم اذ كانت نبوته اكمل وطرق معرفتها أتم واكثر وما من دليل يستدل به على نبوة غيره الا وهو على نبوته أدل فان جحد نبوته يستلزم جحد نبوة غيره بطريق الاولى ولكن من قال ذلك هو متناقض كما تناقض سائر أهل الباطل ولهذا قال تعالى في الكفار انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك

(فصل) قد ذكرنا في جواب أول كتابهم بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره من الانبياء عليهم السلام على ما يخالف دين المسلمين من دينهم ونحن نبسط هذا هنا فنقول لاريب ان الباطل لايقوم عليه دليل صحيح لاعقلي ولا شرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات فان الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه فلو قام على الباطل دليل صحيح لزم ان يكون حقاً مع كونه باطلا وذلك جمع بين النقيضين مثل كون الشيء موجوداً معدوماً واهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات ومعهم باطل وهو مابدلوه في الخبريات سواء كان المبدل هو اللفظ أو معناه وما ابتدعوه أو مانسخ من العمليات والمنسوخ الذى تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل فان الذي اتفقت عليه هو الذي لابد للخلق منه في كل زمان ومكان وهو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وعامة السور المكية كالانعام والاعراف وال حم والطس وال آلر هي من الاصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالامر بعبادة الله وحده لاشريك له والصدق والعدل والاخلاص وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم وعامة ماعندهم من النقول الصحيحة عن الانبياء من التوراة والانجيل والزبور ونبوات الانبياء توافق المنقول عن محمد صلى الله عليه وسلم يشهد هذا لهذا وهذا لهذا وذلك من دلائل نبوة محمد صلي الله عليه وسلم ومن

دلائل نبوة أولئك الانبياء ولهذا يذكر الله ذلك بياناً لانعامه على محمد ودلالة لنبوته كقوله تعالى لما ذكر قصة مريم (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقال تعالى لما قص قصة نوح (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) فذكر آلاءه ونعمته وآيته بكونه لم يكن يعلمها هو ولا قومه أيضاً كانوا يعلمونها لئلا يظن انه تعلم ذلك من قومه فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك وقد علم بالنقل المتواتر ان محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة وبها نشا بعد ان كان مسترضعاً فى بادية سعد بن بكر قريبا من الطائف شرقى مكة وهو صغير ثم حملته مرضعته حليمة السعدية الى أمه بمكة ولا يعلم شيئاً من ذلك ولا هناك من يتعلم منه شيء من ذلك واهل مكة يعلمون حاله وانه لم يتعلم ذلك من احد ثم اخبرهم بالغيب الذي لايعلمه أحد الا بتعليم الله له فكان هذا من اعلام رسالته ودلائل نبوته عليهم أولا وعلى غيرهم آخرا فانهم كانوا مشاهدين له يعلمون انه لم يتعلم ذلك من أحد وغيرهم يعلم ذلك بالاخبار المتواترة ويعلم ان قومه المكذبين له مع حرصهم على الطعن فيه ومع علمهم بحاله لو كان قد تعلم من اهل الكتاب لقالوا هذا قد تعلمه منهم ثم قال تعالى (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) والمقصود انه نبي علم قومه بما أخبره فيه بياناً

لآلاء الله التي هي آياته ونعمه فان ذلك يدل على أنه لم يتعلم ذلك من قومه وفيه انعام الله على الخلق بذلك وقال تعالى لما ذكر قصة يوسف ذلك من انباء الغيب نوحيها اليك وما كنت لديهم إذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وقال تعالى (ولقد اتينا موسى الكتاب من بعدما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً فى اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك) فنفى سبحانه شهوده لهذه الامور الغائبة وحضوره لها تنبيهاً للناس على انه اخبر بالغيب الذي لم يشهده ولم يعرفه من جهة اخبار الناس فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك ولا عاشر غير قومه وكل من عرف حاله يعلم انه لم يتعلم شيئاً من ذلك لامن أهل الكتاب ولا ممن نقل عن اهل الكتاب فاذا كان محمد صلى الله عليه وسلم اخبر بمثل ما اخبرت به الانبياء قبله فى باب اسماء الله وصفاته وتوحيده وملائكته واوليائه واعدائه مع العلم بان في هذه الامور من التفاصيل الكثيرة مايمتنع اتفاق اثنين عليه الا عن مواطأة بينهما ومحمد وموسى صلوات الله عليهما وسلامه لم يتواطئا بل لم يواطىء محمد صلى الله عليه وسلم أحدا من الرسل قبله ولا واطئوه والخبر الكذب اما ان يتعمد صاحبه الكذب فيه واما ان يغلط فالكاذبان المتعمدان للكذب لايتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة وكذلك الغالطان لايتفق غلطهما فى مثل ذلك بل الاثنان من آحاد الناس اذا اخبر كل منهما عن حال بلدة

رآها واخبر الآخر بمثل خبره من غير مواطأة عرف صدقهما فكيف بالامور الغائبة التي لايمكن العلم بها الا من جهة الله تعالى فهذا من دلائل نبوة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم • واما القدر الذى يخالف ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم مما ينقلونه عن الانبياء فهو نوعان احدهما ما وقع فيه النسخ من الشرائع وهذا لايمنعه لكن المنسوخ مثل هذا بالنسبة الى مالم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والاحاديث النبوية فانه قليل جدا بالنسبة الى مالم ينسخ وكذلك عامة ما أمر به موسى وداود والمسيح وغيرهم من الانبياء اذا اعتبر بما أمر به محمد صلى الله عليه وسلم وجد عامة ذلك متفقاً لم ينسخ منه الا القليل والثانى الخبريات وهذه قد ادعى بعض اهل الكتاب ان محمدا خالف بعض ما اخبرت به الانبياء قبله وهذا باطل فان اخبار الانبياء لايجوز ان تتناقض اذ هم كلهم صادقون مصدقون فان علم ان محمدا رسول الله وان موسى رسول الله وان المسيح رسول الله علم ان اخبارهم لاتتناقض لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر هذا فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره لا ما يناقض خبر غيره وما يذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد صلى الله عليه وسلم فهو عامته مما حرفوا معناه وتأويله وقليل منه حرف لفظه وأهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متفقون على ان الكتب المتقدمة وقع التحريف بها اما عمداً واما خطأ في ترجمتها وفى تفسيرها وشرحها وتأويلها وانما تنازع الناس هل وقع التحريف فى بعض الفاظها فكل مايدعي مدع ان محمداً صلى الله عليه وسلم ناقضه فلا بد له من ان يثبت مقدمتين احداهما ثبوت ذلك اللفظ

عن ذلك النبي والثاني ثبوت معناه وكل من احتج بنقل عن نبى فلا بد له من هاتين المقدمتين الاسناد والمتن فلا بد له من ثبوت اللفظ ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ واذا كان النقل ليس بلغة النبى بل بلغة أخرى فلا بد من الترجمة الصحيحة وعام النصارى ليس عندهم كتب الانبياء بلغة الانبياء فان موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني اسرائيل انما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية والمسيح كان عبرانياً لم يتكلم بغير العبرانية وانما تكلم بغيرها كالسريانية واليونانية والرومية بعض من اتبعه وجمهور النصارى لايعرفون بالعبرانية فلا يحسنون ان يقرؤا بالعبرانية لا توراة ولا انجيلا ولا غير ذلك وانما يتكلمون بذلك باللغة الرومية أو السريانية أو غيرها وان كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية بخلاف اليهود فان العبرانية فاشية فيهم وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الانبياء المنقولة بالرومية والسريانية أو بالعبرانية فانه يحتاج مع اثبات النقل الى اثبات الترجمة وصحتها فانهم كثيراً مايضطربون في الترجمة ويختلفون في معناها فهذه مقدمات ثلاث لا بد لهم منها فى كل مايحتجون من كلام الانبياء ولو لم يدعوا انه معارض لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا ادعوا مناقضته لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان قدر انه ثبت ان نبياً أخبر بشيء امتنع قطعاً ان يخبر محمد بنقيضه فان فيما نقل عن محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً ماليس بثابت لفظه مثل بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وفيما ثبت لفظه ماليس معناه صريحاً في المناقضة بل لايدل على ذلك فكم ممن يفسر القرآن بما لايدل عليه لفظ القرآن بل ولا قاله أحد من الصحابة ولا التابعين

كمن يقول ان شعيباً النبي كان هو حما موسى وليس في القرآن والسنة وكلام الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك وكمن يقول ان الرسل الذين أرسلوا الى القرية كانوا من اتباع المسيح وليس فى القرآن والمنقول عن الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك وأما ماعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم أخبر به فقد قامت الادلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق ما اخبر به أعظم مما قامت على صدق غيره وصدق ماجاء به فمهما عارض ذلك علم انه كذب على الانبياء ولا يمكن احداً من الخلق ان يذكر دليلا قطعياً على صحة ذلك النقل بل غايتهم ان يذكروا طريقاً ظنياً لا يفيدهم الا الظن والظن لايعارض اليقين فما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم يمكن صاحب النظر والاستدلال ان يعلمه علماً يقينياً لا يرتاب فيه وما يناقضه لاسبيل لاحد الى العلم به ولا يتصور ان يقوم بقلبه منه الا الظن والتقليد وكلاهما لايناقض العلم فهذا أصل جامع ثم العارف يعبر عنه مع كل انسان بحسب مايوصل معناه الى ذلك المخاطب والمقصود هنا ان يقال كل مايحتجون به على مخالفة ماثبت عن محمد صلي الله عليه وسلم لايمكن ان يقوم لهم عليه دليل لاشرعى ولا عقلي وهذا نعلمه مجملا ونحن نبين ذلك مفصلا فنقول مايحتجون به اما ان يكون حجة عقلية واما ان يكون سمعية أما العقليات فمعلوم ان الحجج العقلية الدالة على فساد ماتقوله النصارى أظهر مما يحتجون به على صحة دينهم ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها اجوبة • احدها ان يبين ان ذلك يلزم غيره من الانبياء فانهم جاؤا بذلك أو بأعظم منه فلا يقدح احد بحجة عقلية فى محمد صلى الله عليه

وسلم الا كان ذلك قد جاء بطريق الاولى في غيره من الانبياء كما بينا
فى الرد على الرافضة انه لايقدح احد فى الخلفاء الثلاثة ابي بكر وعمر
وعثمان الا امكن ان يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه فى على فيمتنع ان
يكون على سليما من القوادح في أمامته الا والثلاثة اسلم منه مما يقدح
فى امامتهم ويمتنع ان يكون موسى وعيسى وداود برآء مما يقدح في
نبوتهم الا ومحمد ابرأ مما يقدح في نبوته وهذا كما اذا احتج محتج بما فى
القرآن من آيات الصفات فيقال له فى التوراة وغيرها من كتب الانبياء
مثل ذلك واعظم واذا احتج بانزال المتشابهات فيقال له فى الكتب
المتقدمة من المتشابهات اعظم مما في القرآن وهل ضلت النصارى الا
باتباع المتشابهات من كلام الانبياء وترك المحكم • والثاني ان يبين ان
مثل تلك الحجة لاتصلح ان يعارض بها ماجاءت به الانبياء كما اذا اخذ
بعض الناس يطعن فى شيء من الشرائع بالرأى بين له ان ما ثبت عن
الانبياء لا يعارض برأى ولا قياس . الثالث ان يبين فساد تلك الحجة
العقلية ان كانت من باب الخبريات بين فسادها كما قد بسطنا القول في
ذلك فى كتاب رد تعارض العقل والشرع وذكرنا ان جميع ما يحتج
به على خلاف نصوص الانبياء من العقليات فانه باطل فذكرنا مايعتمد
عليه النفاة في هذا الباب وان كان من باب الطلبيات فهى من باب الامر
والنهي فمن كان من مذهبه انه لايعلل أحكام الله ولا يقول بأن حسن
الافعال وقبحها يعلم بالعقل ولا ينزه الله عن فعل ولا عن حكم بل يجوز
عليه كل شيء وانما ينفى ذلك بالخبر السمعي اوالعادة فهذا يجيب بهذا
الجواب لكن عامة القلوب والعقول لاتقبل هذا وأما على قول

الجمهور فيبين ما في مأموراته من الحكم والمصالح وما في منهياته من المفاسد والضرر ويبين رجحان ما جاء فيه على ما يعارض به بل ويبين رجحان شرائع الانبياء على سياسات سائر الامم ويبين رجحان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الشرائع وهذا مبسوط في مواضع واما اذا احتج أهل الكتاب في مناقضة محمد صلى الله عليه وسلم بحجة سمعية سواء كانت من كلامه أو كلام غيره من الانبياء عليهم السلام كان الجواب من وجوه . احدها ان يقال لهم لا يمكنكم ان تصدقوا بنبوة نبي من الانبياء مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم فانكم لا يمكنكم ان تحتجوا بكلام أحـد من الأنبياء حتى تثبت نبوته والطريق التي بها تثبت نبوة الانبياء تثبت نبوة محمد بمثلها وبأعظم منها بل نحن نبين ان التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره لان كل ما يستدل به على نبوة نبي فمحمد صلى الله عليه وسلم احق بجنس ذلك الدليل من غيره وما يعارض به نبوة نبي فالجواب عن محمد صلى الله عليه وسلم أولى من الجواب عن غيره فهو مقدم فيما يدل على النبوة وفيما يجاب به عن المعارضة وهو اكمل في ذلك فيمتنع مع العلم والعدل ان يصدق بنبوة غيره مع التكذيب بنبوته كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين أحدهما اكمل من الآخر في فن ان يقر بمعرفة ذلك الفن للمفضول دون الفاضل وقولنا مع العلم والعدل لان العالم يفضل المفضول مع علمه بأنه مفضول والجاهل قد يعرف المفضول ولا يعرف الفاضل فان كثيراً من الناس يعلمون فضيلة متبوعهم اما في العلم او العبادة ولا يعرفون أخبار غيره حتى يوجد اقوام يعظمون بعض الاتباع دون متبوعه الذي هو افضل منه عند التابع

وغيره لايعرفونه فهؤلاء ليس عندهم علم ولهذا تجد كثيرا من هؤلاء
يرجح المفضول لعدم العلم بأخبار الفاضل وهذا موجود في جميع الاصناف
حتى في المدائن يفضل الانسان مدينة يعرفها على مدينة هي اكمل منها
لكونه لايعرفها والحكم بين الشيئين بالتماثل او التفاضل يستدعي معرفة
كل منهما ومعرفة مااتصف به من الصفات التي تستدعي التماثل والتفاضل
كمن يريد ان يعرف ان البخاري اعلم من مسلم وكتابه أصح أو ان
سيبويه اعلم من الاخفش ونحو ذلك وقد فضل الله بعض النبيين على
بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى
(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والكلام فى شيئين احدهما فى
كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل وهذا غاية الجهل
والظلم كقول الرافضة الذين يقولون ان عليا كان اماما عالماً عادلا
والثلاثة لم يكونوا كذلك وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون ان موسى
كان رسولا ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك فان هذا في غاية الجهل
والظلم بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة ولكن فضل
المفضول فهذا اقل جهلا وظلما ومعلوم ان المرسلين يتفاضلون تارة فى
الكتب المنزلة عليهم وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم
وتارة فى الشرائع وما جاؤا به من العلم والعمل وتارة فى اممهم فمن
عنده علم وعدل فينظر في القرآن وفى غيره من الكتب كالتوراة
والانجيل أو في معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات غيره أو
في شريعته وشريعة غيره أو في أمته وأمة غيره وجد من التفضيل على
غيره مالا يخفى الاعلى مفرط فى الجهل أو الظلم فكيف يمكن مع هذا

ان يقال هو كاذب مفتر وغيره هو النبي الصادق نعم كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره مايبين لهم ذلك كما ان كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة مايبين لهم فضيلتهم على علي رضى الله عنه فهؤلاء في الجهل وطلب العلم عليهم فرض خصوصاً أمر النبوة فان النظر في أمر من قال انى رسول الله اليكم مقدم على كل شيء اذ كان التصديق بهذا مستلزماً لغاية السعادة والتكذيب به مقتضياً لغاية الشقاوة فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والاشقياء وبين الحق والباطل والهدى والضلال والفرق بين أولياء الله وأعدائه وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار بأن يعتبر حال محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وشرعه وأمته بحال غيره وكتابه وشرعه وامته وينظر هل هما متماثلان او متفاضلان وايهما افضل واذا تبين ان حاله أفضله كان تصديقه اولى وامتنع ان يكون غيره صادقا وهو كاذب بل لو كانا متماثلين لوجب كونه صادقا بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره افضل فان المتنبي الكذاب لايقارب الصادق بل بينهما من التباين مالايخفى الا على أعمى الناس فكذلك يسلك هذا الطريق في جنس الانبياء عليهم السلام مطلقاً وأممهم بان تعرف اخبار من مضى من الانبياء وأممهم وترى آثار هؤلاء وهؤلاء كما قال تعالى (أولم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى) وقال تعالى (أفلم يسيروا) في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا يعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم

قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى لما ذكر آل فرعون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وكذلك قال تعالى عن عادوا تبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عاداً كفروا ربهم الا بعداً لعاد قوم هود وقال تعالى عن قوم شعيب الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود واذا ذكر الانبياء عليهم السلام قال تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون سلام على آل يس وقال تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا ومثل هذا في القرآن كثير فيذكر من حال الانبياء واتباعهم وما حصل لهم من الكرامة وما حصل للكفار بهم من الخزي والعذاب وحسن حال هؤلاء وقبح حال هؤلاء. ومما يوضح ذلك ان من اعتبر حال اهل الملل من المسلمين والنصارى وحال غيرهم في العلوم النافعة والاعمال الصالحة تبين له ان حال اهل الملل اكمل بما لا يحصى واذا نظر ما عند غير اهل الملل من الحكمة العلمية والعملية كحكمة الهند واليونان والعرب في الجاهلية والفرس وغيرهم وجد ما عندهم بعض ما عند اهل الملل من الحكمة العلمية والعملية فيمتنع ان يكون علماء اليونان والهند ونحوهم على حق وهدى وعلماء المسلمين واليهود والنصارى على باطل وضلال وكذلك يمتنع ان تكون تلك الامة لها علم نافع وعمل صالح واهل الملل ليسوا كذلك ففي الجملة لا يوجد في غير اهل الملل من علم نافع وعمل

صالح من حكمة علمية وعملية الا وذلك في اهل الملل اكمل ولا يوجد في اهل الملل شر الا وهو في غيرهم اكثر وهؤلاء فلاسفة اليونان الذين قد شهروا عند كثير من الناس باسم الحكمة وحكمتهم كحكمة سائر الامم نوعان نظرية وعملية والعملية في الاخلاق وسياسة المنزل وسياسة المدائن وكل من تأمل ماعند اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل من سياسة الاخلاق والمنزل والمدائن وجده خيراً مما عند اولئك باضعاف مضاعفة فان اولئك عمدة أمرهم الكلام على قوى النفس الشهوية والغضبية وقوة العلم والعدل كامور من جنس آداب العقلاء ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله ومن عبادته وحده لاشريك له شيء له قدر والذي عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية ليس مما ينفع بعد الموت إلا ان يستعان به على ماينفع بعد الموت والذي عندهم من العلم الالهي قليل جداً مع مافيه من الخطأ الكبير وكل ماعندهم من علم نافع وعمل صالح فهو جزء مما جاءت به الانبياء عليهم السلام فيمتنع ان يكون هؤلاء المسمون بالحكماء واتباعهم على حق في الاعتقاد وصدق في الاقوال وخير في الاعمال كما هو غاية مطلوبهم والانبياء واتباعهم ليسوا كذلك واعتبر ذلك بمن تعرف من خاصة هؤلاء وعامتهم وخاصة هؤلاء وعامتهم وان كان بينهما من التفاوت كما بين اهل الجنة واهل النار فالاعتبار في مثل ذلك مما جاء به التنزيل قال تعالى آلله خير أما يشركون والمقصود انه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة توزن الشيء بما يناظره وتعتبر به قياس الطرد وقياس العكس فيظهر لكل من تدبر ذلك ان أهل الملل أولى

بالحق والصدق والخير من غيرهم وان كان لاولئك من الحكمة ما يناسب أحوالهم وحكماؤهم أفضل من عوامهم وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس لهم من الحكمة مالهم وهذا مما استفادوه اتباع الانبياء منهم فيكون هذا من دلائل نبوتهم واعلام رسالتهم استدلالا بالأثر على المؤثر وبالمعلول على علته وكذلك من تدبر حال المسلمين وحال اليهود والنصارى تبين له رجحان حال المسلمين فيكون هذا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واعلام رسالته وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان النبوة تعلم بطرق كثيرة وذكرنا طرقاً متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبيء الكذاب غير طريق المعجزات فان الناس كلما قويت حاجتهم الى معرفة الشيء يسر الله اسبابه كما يسر ما كانت حاجتهم اليه في ابدانهم أشد فلما كانت حاجتهم الى النفس والهواء أعظم منها الى الماء كان مبذولا لكل أحد في كل وقت ولما كانت حاجتهم الى الماء اكثر من حاجتهم الى القوت كان وجود الماء اكثر لذلك فلما كانت حاجتهم الى معرفة الخالق أعظم كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها ولما كانت حاجتهم الى معرفة صدق الرسل بعد ذلك اعظم من حاجتهم الى غير ذلك اقام الله سبحانه من دلائل صدقهم وشواهد نبوتهم وحسن حال من اتبعهم وسعادته ونجاته وبيان ما يحصل له من العلم النافع والعمل الصالح وقبح حال من خالفهم وشقاوته وجهله وظلمه ما يظهر لمن تدبر ذلك ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وهذا الذي ذكرناه من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه واشباهه واعتباره

باضداده ومخالفيه حتى يعرف في المتشابهين ايهم أكمل وافضـل وفي المختلفين ايهم أولى بالحق والهدى والعـدل موجود في سائر الامور علمها وعملها كعلم الطب والحساب والنحو والفقه وغير ذلك فيمتنع مع العلم والعدل ان يقال جالينوس كان طبيباً وابقراط لم يكن طبيباً أو ان يقال الاخفش كان نحوياً وسيبويه لم يكن نحويا او ان زفر والحسن بن زياد ويونس بن خالد السمتي كانوا فقهاء وابو حنيفة لم يكن فقيها أو ان اشهب وابن القاسم وابن وهب كانوا فقهاء ومالك لم يكن فقيها أو ان المزني والبويطى والربيع كانوا فقهاء والشافعي لم يكن فقيها أو ان أبا داود وابراهيم الحربى وابا بكر الاثرم كانوا فقهاء واحمد بن حنبل لم يكن فقيها او ان علياً كان امام عدل وابو بكر وعمر لم يكونا امامي عدل او ان نور الدين الشهيد كان عادلا وعمر بن عبد العزيز لم يكن عادلا او ان كوشيار كان يعلم الهيئة وبطليموس لم يكن يعرف الهيئة او ان ابا علي بن الهيثم كان يعرف علم الهندسة واقليـدس لم يكن يعرف ذلك او ان النابغة الجعـدى كان شاعراً والنابغة الذبيانى لم يكن شاعراً او ان يقال ان القمر مستنير والشمس ليست مستنيرة او ان عطارد نجم ثاقب ثقب ضوءه والمشترى ليس بنجم ثاقب او ان مسلماً كان عالما بالحديث والبخارى لم يكن كذلك او ان كتابه اصح من كتاب البخارى ونحو ذلك مما يطول تعداده

(فصل) والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم وهو ان منهم من يقول محمد لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح فانه بشرت به النبوات وزعموا ان من لم تبشر به فليس بنبي وهذا السؤال يورد على وجهين احدهما

انه لا يكون نبياً حتى يبشر به والثاني ان من بشرت به افضل او اكمل ممن لم يبشر به او ان هذا طريق تعرف به نبوة المسيح اختص به وانتم قد قلتم ما من طريق تثبت به نبوة نبي الا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق و افضل فاما هذا الثاني فيستحق الجواب واما الاول فنحن نجيبهم عنه ايضاً لكن هل يجب الاجابة عنه فيه قولان بناء على اصل وهو انه هل من شرط النسخ الاشعار بالمنسوخ ولنظار المسلمين فيه قولان . احدهما انه لابد اذا شرع حكما يريد ان ينسخه فلا بد ان يشعر المخاطبين باني سأنسخه لئلا يظنوا دوامه فيكون ذلك تجهيلا لهم والثاني لايشترط ذلك وايضاً فمن بعث بعد موسي بشريعة هل يجب ان يكون مبشرا به . فيه قولان وبكل حال فلا ريب عند علماء المسلمين ان المسيح عليه السلام بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) الآية وقد قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وقال تعالى الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم في موضعين من القرآن احدهما في التوحيد او القرآن والآخر في القبلة والقرآن ومحمد فقال في الاول قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون وهذا في سورة الانعام وهي مكية وقال في سورة البقرة وهي مدنية ومن حيث خرجت فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى أفغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وقال تعالى أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق

الآية وقال تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وقال تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) واذا كان كذلك فيقال معلوم باتفاق أهل الملل انه ليس من شرط نبوة كل نبي ان يبشر به من قبله اذ النبوة ثابتة بدون ذلك لاسيما ونوح وابراهيم وغيرهما لم يعلم انه بشر بهما من قبلهما وكذا عامة الانبياء الذين قاموا في بني اسرائيل لم يتقدم لهم بشارات اذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة كداود واشعياء وغيرهما وانما قد يدعى هذا فيمن جاء بنسخ بعض شرع من قبله كما جاء المسيح بنسخ بعض احكام التوراة وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم ففي مثل هذا يتنازع المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم هل يشترط ان يكون قد اخبر بذلك قبل النسخ على قولين وحينئذ فنقول فالمسلمون يقولون شريعة التوراة والانجيل لم تشرع شرعا مطلقاً بل مقيدا الى ان يأتي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مثل الحكم الموقت بغاية لايعلم متى يكون كقوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره وقوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل وهل يسمى هذا نسخاً فيه قولان قيل لايسمى نسخا كالغاية المعلومة كقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى

يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل فان ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل لايسمى نسخاً باتفاق الناس فقيل ان الغاية المجهولة كالمعلومة وقيل بل هذا يسمى نسخاً ولكن هذا النسخ جائز باتفاق اهل الملل اليهود وغيرهم وعلى هذا فثبوت نبوة المسيح ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما لاتتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه فان ذلك انما يكون في الحكم المطلق والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقاً وسواء قيل ان الاشعار بالناسخ واجب أو قيل انه غير واجب فعلى القولين قد اشعر أهل الشرع الاول بانه سينسخ فان موسى بشر بالمسيح وكذلك غيره من الانبياء وموسى والمسيح وغيرهما من الانبياء بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم واذا كان هذا هو الواقع فنبوة المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم لاتتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه وحينئذ فنقول • العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح لاتتوقف على العلم بان من قبلهما بشربهما بل طرق العلم بالنبوة متعددة فاذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ثبتت نبوته عند من علم ذلك وان لم يعلم ان من قبله بشر به لكن يقال اذا كان الواجب أو الواقع انه لابد من اخبار من قبله بمجيئه وان الاشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع صار ذلك شرطاً في النبوة ومن علم نبوته علم أن هذا قد وقع وان لم ينقل اليه فاذا قال المعارض عدم اخبار من قبله به قد يقدح في نبوته فانه اذا قدر انه لم يخبر به من قبله والاخبار شرطا فى النبوة كان ذلك قدحا• قيل الجواب هنا من طريقين احدهما ان يقال اذا علمت نبوته بما قام عليها من اعلام النبوة

فاما ان يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته واجباً أو واقعاً واما ان لا يكون لازماً فان لم يكن لازما لم يجب وقوعه وان كان لازماً علم انه قد وقع وان كان ذلك لم ينقل الينا اذ ليس كل ما قالته الانبياء المتقدمون علمناه ووصل الينا وليس كل ما اخبر به المسيح ومن قبله من الانبياء وصل الينا وهذا مما يعلم بالاضطرار ولو قدر ان هذا ليس في الكتب الموجودة لم يلزم ان المسيح ومن قبله لم يذكروه بل يمكن انهم ذكروه وما نقل • ويمكن انه كان فى كتب غير هذه الكتب • ويمكن انه كان فى نسخ غير هذه النسخ فازيل من بعضها ونسخت هذه مما ازيل منه وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه فكل هذا ممكن في العادة لايمكن الجزم بنفيه فلو قدر انه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بايدي اهل الكتاب لم يقطع بان الانبياء لم يبشروا به فاذا لم يمكن اليهود ان يقطعوا بان المسيح لم تبشر به الانبياء ولا يمكن اهل الكتاب ان يقطعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم لم تبشر به الانبياء لم يكن معهم علم بعدم ذلك بل غاية مايكون عند احدهم ظن لكونه طاب ذلك فلم يجده ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية لايمكن القدح فيها بظن فان الظن لايدفع اليقين لاسيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بان محمدا كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الانبياء كما في صحيح البخارى انه قيل لعبد الله بن عمرو اخبرنا ببعض صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم فى التوراة فقال انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا

صخاب بالاسواق ولا تجزى بالسيئة السيئة ولكن تجزى بالسيئة الحسنة وتعفو وتغفر ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء فافتح به اعينا عمياء وآذاناً صماء وقلوباً غلفا بان يقولوا لا اله الا الله ولفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان مابين ان يسرج دابته الى ان يركبها يقرأ القرآن والمراد به قرآنه وهو الزبور ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل الا على محمد وكذلك ماجاء في صفة أمة محمد اناجيلهم فى صدورهم فسمى الكتب التي يقرؤونها وهى القرآن اناجيل وكذلك في التوراة اني سأقيم لبنى اسرائيل نبياً من اخوتهم انزل عليه توراة مثل توراة موسى فسمي الكتاب الثاني توراة فقوله اخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلها وكلها تسمى توراة ويكون هذا في بعضها وقد يراد به التوراة المعينة وعلى هذا فيكون هذا فى نسخة لم تنسخ منها هذه النسخ فان النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا لكن هذا عندهم فى نبوة أشعيا قال فيها عبدى الذي سرت به نفسي انزل عليه وحي فيظهر في الامم عدلي ويوصيهم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته فى الاسواق يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيى القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطى أحدا يحمد الله حمدا جديدا يأتى من اقصى الارض وتفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوى مشقح ولا يذل

الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى . أثر سلطانه على كتفيه وهذه صفات منطبقة على محمد صلى الله عليه وسلم وامته وهي من اجل بشارات الأنبياء المتقدمين به ولفظ التوراة قد عرف انه يراد به جنس الكتب التي يقر بها اهل الكتاب فيدخل فى ذلك الزبور ونبوة أشعيا وسائر النبوات غير الأنجيل فان كان المراد بلفظ التوراة والانجيل في القرآن هذا المعنى فلا ريب ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة بهذا الاعتبار كثير متعدد ظاهر كاسنبين بعضه وحينئذ فتكون التوراة فى قوله يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل متناولة لجنس الكتب التى يقر بها اهل الكتاب ولفظ الانجيل يختص بما عند النصارى ولهذا لم يذكر كونه في الزبور مع انه مذكور فيه اذ كان مندرجا فى لفظ التوراة . الطريق الثاني من الجواب ان نبين ان الانبياء قبله بشروا به وهذا هو دليل مستقل على نبوته وعلم عظيم من اعلام رسالته وهذا أيضاً يدل على نبوة ذلك النبي اذ اخبر بانباء من الغيب مع دعوى النبوة ويدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لاخبار من ثبتت نبوته بنبوته هذا اذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن نبوته ولم يذكر في كتابنا وأما من ثبتت نبوته بطرق أخرى كموسى والمسيح فهذا مما تظاهر فيه الادلة على المدلول الواحد وهو أيضاً يتضمن ان كل ماثبتت به نبوة غيره فانه تثبت به نبوته وهو جواب ثان لمن يجعل ذلك شرطاً لازما لنبوته

(فصل) ثم العلم بأن الانبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه أحدها ما فى الكتب الموجودة اليوم بايدي أهل الكتاب من ذكره الثاني

أخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم وممن لم يسلم بما وجدوه من ذكره بها وهذا مثل ما تواتر عن الانصار ان جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وانه رسول الله وانه موجود عندهم وكانوا ينتظرونه وكان هذا من أعظم مادعي الانصار الى الايمان به لما دعاهم الى الاسلام حتى آمن الانصار به وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة ولهذا قيل ان المدينة فتحت بالقرآن لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ومثل ما تواتر عن أخبار النصارى بوجوده فى كتبهم مثل أخبار هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر صاحب الاسكندرية والنجاشى ملك الحبشة والذين جاؤه بمكة وقد ذكر الله ذلك عنهم في القرآن في قوله عن اليهود وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال عن النصارى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا

فاكتبنا مع الشاهدين وقوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وقال ابن اسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ما جاءنا شيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين وقال أبو العالية وغيره كانوا يعني اليهود اذا استنصروا بمحمد علي مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم فلما بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم وارؤا انه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآيات (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وروي ابن اسحاق عن عاصم بن عمر ابن قتادة الانصاري ثم الظفري عن رجال من قومه قالوا ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه انا كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم

فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات التي في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين قال ابن اسحاق وحدثنا صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثنا يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أسعد بن زرارة الانصاري قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان ابن ثابت الانصارى قال والله اني لغلام يفقه ابن سبع سنين أو ثمان سنين اعقل كما سمعت اذ سمعت يهوديا يقول على اطم يثرب يصرخ يا معشر اليهود فلما اجتمعوا عليه قالوا مالك ويلك قال طلع نجم أحمد الذى يبعث الليلة وروى ابو زرعة باسناد صحيح عن اسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرد في . ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حار من أيام مكة حتى اذا كنا باعلى الوادى لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عمرو مالى أرى قومك قد شنفوك قال أما والله ان ذلك لغير مأثرة كانت مني فيهم ولكن أراهم على ضلال فخرجت ابتغى هذا الدين فأتيت الى أحبار يثرب فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ما هذا بالدين الذى ابتغى فخرجت حتى آتي أحبار خيبر فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ماهذا بالدين الذى ابتغي فقال لى حبر من احبار الشام انك لتسأل عن دين

ما نعلم احدا يعبد الله به الا شيخ بالجزيرة فخرجت فقدمت عليه فاخبرته
بالذى خرجت له فقال ان كل من رأيت في ضلالة ممن انت؟ قال قلت
انا من اهل بيت الله ومن اهل الشوك والقرظ فقال انه قد خرج
في بلدك نبى او هو خارج قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه وآمن
به فرجعت فلم احس شيئاً بعد قال فاناخ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعيره فقدمنا اليه السفرة قال زيد ما اكل شيئاً ذبح لغير الله فتفرقا فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت قال زيد وانا معه وكان صنمان
من نحاس يقال لهما أساف ونائلة مستقبل الكعبة يتمسح بهما الناس اذا
طافوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسهما ولا تمسح بهما قال
زيد فقلت في نفسي وقد طفنا لامسهما حتى انظر مايقول فمسستهما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تنهه فلا والذى أكرمه ما مسستهما حتى
انزل الله عليه الكتاب ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وروى البخارى حديث
خروج زيد بن عمرو قريباً من هذا اللفظ وقال ابن اسحاق حدثنا صالح
بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة
ابن وقش قال كان بين ابياتنا يهودى فخرج على بادى قومه بنى عبد
الاشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان
فقال ذلك لاصحاب وثن لا يرون ان بعثا كائن بعد موت وذلك قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يافلان أو ويلك وهذا
كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون من
أعمالهم قال نعم والذى يحلف به لوددت ان حظي من تلك النار ان

يوقدوا أعظم تنور فى داركم فيحمونه ثم يقذفونى فيه ثم يطينون علي وانى انجو من تلك النار غداً فقيل يافلان فما علامة ذلك قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار الى مكة واليمن بيده قالوا فمتى نراه فرمي بطرفه فرآنى وانا مضطجع بفنايات اهلي وانا أحدث القوم فقال ان يستقد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وانه لحي بين اظهرهم فآمنا به وصدقناه وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له يافلان الست الذى قلت ما قلت واخبرتنا قال ليس به وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ان غلاماً يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يايهودى انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فى التوراة صفتي ومخرجي قال لاقال الفتى بلى والله يارسول الله انا نجد في التوراة نعتك ومخرجك وانى أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم رواه البيهقى باسناد صحيح وقال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال هل تدرى عما كان اسلام اسيد وثعلبة ابني سعيد واسد بن عبيد نفر من بنى هذيل لم يكونوا من بني قريظة وبني النضير كانوا فوق ذاك فقلت لا قال فانه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا والله مارأينا رجلا قط لايصلي الخمس خيراً منه فقدم علينا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وكنا اذا اقحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان اخرج فاستسق

لنا فيقول لا والله حتى تقدموا امام مخرجكم صدقة فنقول كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير فنخرجه ثم يخرج الى ظاهر حرتنا ونحن معه فنستقي فوالله مايقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب قد فعل ذلك غير مرة ولامرتين ولا ثلاثة فحضرته الوفاة واجتمعوا اليه فقال يا معشر يهود ماترونه اخرجني من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع قالوا انت اعلم قال فانه انما اخرجني توقع خروج نبي قد أظل زمانه هذه البلاد ومهاجره فاتبعوه ولا تسبقن اليه اذا خرج يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ولا يمنعكم ذلك منه ثم مات فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله انه الذى ذكر لكم ابن الهيبان فقالوا ماهو به قالوا بلى والله انه لصفته ثم نزلوا فاسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم واهاليهم قال بن اسحق فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن ابى سفيان بن حرب لما حدثه عن هرقل وقد تقدم حديثه في اول الكتاب وذكر فيه ان هرقل لما سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يكن ماتقول فيه حقاً انه لنبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو اعلم انى اخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وزاد البخاري في حديثه وقال ابن الناظور وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم فنظر فقال ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قال تختتن اليهود فلا يهمنك شأنهم وابعث الى من فى مملكتك من اليهود

فيقتلونهم ثم وجد انساناً من العرب فقال انظروا أمختتن هو فنظروا فاذا هو مختتن وساله عن العرب فقال يختتنون وقال فيه وكان برومية صاحب له كان هرقل نظيره في العلم فارسل اليه وسار الى حمص فلم يرم من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي صلي الله عليه وسلم وانه نبي وكذلك النجاشي ملك الحبشة لما هاجر الصحابة اليه لما اذاهم المشركون وخافوا ان يفتنوهم عن دينهم وقرؤا عليه القرآن قال فاخذ عودا بين اصبعيه فقال ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته فقال وان نخرتم اذهبوا فانتم سيوم بارضى يعني أنتم آمنون وقال هذا لان قريشاً ارسلوا هدايا اليه وطلبوا منه ان يرد هؤلاء المسلمين وقالوا هؤلاء فارقوا ديننا وخالفوا دينك الحديث رواه أحمد وغيره وفى الصحيحين حديث ورقة ابن نوفل الذى ترويه عائشة رضى الله عنها فى بدء الوحي قالت أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة في النوم وكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد الى ان قالت فاتت به خديجة ورقة بن نوفل وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الانجيل ماشاء الله ان يكتب فقالت اسمع من ابن أخيك فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى ليتنى جذعا انصرك نصراً مؤزرا اذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم قال نعم لم يأت أحد بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزرا ثم لم ينشب

ورقة ان توفى وقال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا أو قريب من ذلك وهو بمكة من النصارى حين ظهر خبره بالحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل وتلى عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لترتادوا لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركبا احمق منكم أو كما قالوا لهم. فقالوا سلام عليكم لانجاهلكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ويقال فيهم نزل قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) الآية وعن محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن جبير حدثني جدتي ام عثمان بنت سعيد بن محمد جبير عن بن أبيها سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت ابى جبيرا يقول لما بعث الله نبيه وظهر أمره بمكة خرجت الى الشام فلما كنت ببصرى أتتنى جماعة من النصارى فقالوا لي امن الحرم انت؟ قلت نعم قالوا فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم؟ قلت نعم قال فاخذوا بيدى فادخلوني ديرا لهم فيه تماثيل وصور فقالوا لى انظر هل ترى صورة هذا النبي الذى بعث فيكم فنظرت فلم أر صورته. قلت

لا أرى صورته فادخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير فيه صور اكثر مما فى ذلك الدير فقالوا لي انظر هل ترى صورته فنظرت فاذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته واذا انا بصفة ابى بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لي انظر هل ترى صفته قلت نعم قالوا هو هذا وأشاروا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت اللهم نعم اشهد انه هو قالوا اتعرف هذا الذي أخذ بعقبه قلت نعم قالوا نشهد ان هذا صاحبكم وان هذا الخليفة من بعده رواه البخارى في تاريخه وقال فيه قال الذى أراه الصور لم يكن نبي الا كان بعده نبى الا هذا النبي ورواه ابو نعيم فى دلائل النبوة وروى موسى بن عقبة ان هشام بن العاص ونعيم بن عبدالله ورجلاً آخر قد سماه بعثوا الى ملك الروم زمن ابي بكر قال فدخلنا على جبلة بن الايهم وهو بالغوطة فذكر الحديث وانه انطلق بهم الى الملك وانهم وجدوا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة واذا فيها ابواب صغار ففتح منها بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء وذكر صفة آدم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح ثم ابراهيم ثم أراهم حريرة فيها صورة محمد صلى الله عليه وسلم فقال هذا آخر الابواب لكني عجلته لانظر ماعندكم ثم فتح أبواباً اخر واراهم صورة بقية الانبياء موسى وهرون وداود وسليمان وعيسى بن مريم عليهم السلام وصفة لوط وصفة اسحاق وذكر ان هذا عندهم قديما من عهد آدم وان دانيال صورها باعيانها وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة انه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية

ملك النصارى اخرج له صور الانبياء واخرج له صورة نبينا صلى الله عليه وسلم فعرفها • والوجه الثالث نفس اخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة واستشهاده باهل الكتاب واخباره بانه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل على انه كان موجوداً في كتبهم فانه لاريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر انه كان من اعقل أهل الارض فان المكذبين له لايشكون في انه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق ما أوجب ان يقيم مثل هذا الامر العظيم الذي لم يحصل لاحد مثله لا قبله ولا بعده فعلم ضرورة انه لايفعله ولا يخبر به وهو من أحرص الناس على تصديقه وأخبرهم بالطرق التي يصدق بها وأبعدهم عن ان يفعل ما يعلم انه يكذب به فلو لم يعلم انه مكتوب عندهم بل علم انتفاء ذلك لامتنع ان يخبر بذلك مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه واوليائه واعدائه فان هذا لايفعله الا من هو أقل الناس عقلا لان فيه اظهار كذبه عند من آمن به منهم وعند من يخبرونه وهو ضد مقصوده وهو بمنزلة من يريد اقامة شهود على حقه فيأتي الى من لا يعلم انه لايكذب ويعلم انه ليس بشاهد ولا حضر قضيته ويقول هذا يشهد لي وهذا يشهد لي فانهم كانوا حاضرين هذه القضية فيقول اولئك لسنا نشهد له ولا حضرنا هذه القضية فهذا لايفعله عاقل يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين وانهم يكذبونه ولا يشهدون له • الرابع ان يقال لما قامت الاعلام على صدقه فقد أخبر انه مكتوب في الكتب المتقدمة وان الانبياء بشروا به علم ان الامر كذلك لكن هذا لايذكر الا بعد ان يقام دليل منفصل على نبوته والطريق الاول

هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب وأظهر الاعلام على نبوته وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن فى أيدى أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعـددة وصنفوا فى ذلك مصنفات وهذه البشارات فى هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح صلى الله عليه وسـلم • واليهود يقرون باللفظ لكن يدعون ان المبشر به ليس هو المسيح عيسي بن مريم وانما هو آخر ينتظر .وهم في الحقيقة لاينتظرون الا المسيح الدجال وينتظرون أيضاً مجيء المسيح عيسى بن مريم اذا نزل من السماء كما بسط فى موضع آخر ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون انها لاتدل على نبي منتظر كما قالوا فى قوله ساقيم لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم مثلك ياموسى انزل عليه توراة مثل توراة موسى اجعل كلامى على فيه قال بعضهم ليس هذا اخبارا بل هذا استفهام انكار وقدروا الف استفهام وليس فى النص شيء من ذلك فاليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح وذلك عنـد المسلمين والنصارى لايقدح فى البشارات بالمسيح بل تبين دلالة النصوص عليه وبطلان تحريف اليهود وكذلك البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة لايقدح فيها تحريف أهل الكتاب اليهود والنصارى بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد صـلى الله عليه وسـلم وبطلان تحريف أهل الكتاب الوجه الخامس ان يقال معلوم ان ظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم في مشارق الارض ومغاربها أعظم حادث حدث فى الارض فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه فان شرع موسى وان دام فلم ينتشر انتشاره ودوامه بل كان غاية ظهوره ببعض الشام واما شرع

المسيح فقبل قسطنطين لم يكن له ملك بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها وكانوا مستضعفين بذل أعيانهم او عامتهم فى كثير من الاوقات ولما انتشر تفرق أهله فرقا متباينة يكفر فيها بعضهم بعضاً ثم ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم ظهر في مشارق الارض ومغاربها وفي وسط الارض المعمورة الاقليم الثاني والثالث والرابع وظهرت أمته على النصارى في أفضل الارض وأجلها عندهم كارض الشام ومصر والجزيرة وغيرها ودام شرعه فله اليوم اكثر من سبعمائة سنة ومعلوم ان هذا المدعي للنبوة سواء كان صادقاً او كاذباً لابد ان يخبر به الانبياء فانهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب تحذيراً للناس من فتنته وانه كذاب يظهر على يده أمور يفتتن بها الناس مع ان الدجال مدته قليلة فلو كان مايقوله المكذب لمحمد حقاً وانه كاذب ليس برسول لكانت فتنته اعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة لان الذين اتبعوه اضعاف اضعاف من يتبع الدجال فلو كان كاذباً لكان الذين افتتنوا به اضعاف اضعاف من يفتتن بالدجال فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال اذ ليس فى العالم من زمان آدم الى اليوم كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام فكيف يغفل الانبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذباً ٭ واذا كان صادقا فالبشارة به للايمان به من أولى مايبشر به الانبياء من المستقبلات ويخبر به فعلم انه لابد أن يكون فى الكتب ذكره ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب تزيد على مائة موضع استدلوا بها على انه مذكور وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب انه موجود في كتبهم وتواتر عن كثير ممن أسلم انه كان سبب اسلامهم أو من أعظم

سبب اسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة اما بانه وجد ذكره
فى الكتب كحال كثير ممن أسلم قديماً وحديثاً واما بما ثبت عندهم
من أخبار أهل الكتاب كالانصار فانه كان من أعظم أسباب اسلامهم
ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته وانتظارهم
اياه وان من خيارهم من لم يسكن أرض يثرب مع شدتها ويدع أرض
الشام مع رخائها الا لانتظاره لهذا النبي العربي الذى يبعث من ولد
اسماعيل ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شئ من الكتب انه وجد
فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال وعند أهل
الكتاب من ذكر أصحابه كعمر بن الخطاب وغيره وعدلهم وسيرتهم عن
المسيح وغيره ما هو معروف عندهم فاذا كان الذين استخرجوا
ذكره من كتب أهل الكتاب والذين سمعوا خبره من علماء أهل
الكتاب انما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء علم بذلك ان الانبياء
المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء ولم يذكروه بذم ولا عيب وكل من
ادعى النبوة ومدحه الانبياء واثنوا عليه لم يكن الا صادقا فى دعوى
النبوة يمتنع ان الانبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة (فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شئ وهذا مما
يبين انه لابد أن يكون الانبياء ذكروه وأخبروا به وانه لم يذكروه الا
بالثناء والمدح لا بالذم والعيب وذلك مع دعوى النبوة لا يكون الا اذا
كان صادقا في دعوى النبوة فتبين انهم بشروا بنبوته وهو المطلوب
تبين من ذلك ان الانبياء أخبروا أهل الكتاب بما سيكون منهم من
الاحداث وما يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ويخربون بلادهم

ويسبونهم كبخت نصر وسنجاريب ولكن هؤلآء الملوك لم يدعوا انهم انبياء ولم يدعوا الى دين فلم تحتج الانبياء الى التحذير من اتباعهم وقد حذروا من اتباع من يدعى النبوة وهو كاذب ومحمد صلى الله عليه وسلم قد قهر أهل الكتاب وسبى من سبى وقتل من قتل وأخرجهم من ديارهم فلا بد ان يذكروه ويذكروا الاحداث التي تجري عليهم فى ايامه واذا كان كاذباً مدعياً للنبوة فلا بد ان يحذروهم من اتباعه ومعلوم ان عامة أهل الكتاب ومن نقل عنهم اما ان يقول ليس موجوداً في كتبنا او يقول انه موجود بالمدح والثناء لايمكن أحد ان ينقل عن الكتب المتقدمة انه موجود فيها بالذم والتحذير ولو كان مذكوراً عندهم بالذم والتحذير لكان هذا من أعظم مايحتجون به عليه في حياته وعلى أمته بعد مماته ويحتج به من لم يسلم منهم على من أسلم فانه معلوم ان كثيراً من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه والحرص على ابطال أمره ما أوجب ان يفتروا أشياء لم توجد ونسبوا اليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره حتى آل الامر ببعضهم الى ان فسروا قول المسلمين الله اكبر بان اكبر صنم وان النبي أمرهم بتعظيم هذا الصنم وقال بعضهم فيه انه أوجب الزنا على المرأة المطلقة ثلاثا عقوبة لزوجها بانه لاينكحها حتى يزني بها غيره • وقال بعضهم انه تعلم من بحيرا الراهب مع علم كل من عرف سيرته انه لم يجتمع بحيرا وحده ولم يره الا بعض نهار ومع اصحابه لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة وان بحيرا سالهم عنه ولم يكلمه الا كلمات يستخبره فيها عن حاله لم يخبره بشيء • ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بانه بعث بالسيف حتى قد يقولوا انما قام دينه

بالسيف وحتى يوهموا الناس ان الذين اتبعوه انما اتبعوه خوفا من
السيف وحتى يقولوا ان الخطيب انما يتوكأ على سيف يوم الجمعة اشارة
الى انه انما يقوم الدين بالسيف الى أمثال هذه الامور التي هي من أظهر
الامور كذبا عليه يعرف أدنى الناس معرفة بحاله انها كذب وهم مع
هذا يتشبثون بها فلو كان عندهم اخبار عن الانبياء توجب ذمه وتكذيبه
والتحذير من متابعته لكان اظهارهم لذلك واحتجاجهم به أقوى وأبلغ
وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم قديماً وحديثاً
وكان ظهور ذلك فيهم أولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين
فان هذا الامر من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره
فاذا لم يكن كذلك علم أنه ليس في كتب الانبياء ما يوجب تكذيبه وذمه
وقد قام الدليل على انه لابد من ان تذكره الانبياء وتخبر بحاله فاذا لم
يخبروا انه كاذب . علم انهم اخبروا انه نبي صادق كما شاع ذلك وظهر
واستفاض من وجوه كثيرة فالكتاب الذي بعث به مملوء بشهادة أهل
الكتب له والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه
متعددة والاخبار متواترة عمن اطلع على ما فيها بذلك والاخبار
متواترة عمن أسلم لاجل ذلك وهذا مما يوجب القطع بانه مذكور
فيها بما يدل على صدقه في دعوى النبوة وليس فيها ما يخبر بكذبه والتحذير
منه وهذا هو المطلوب * وفي الجملة أمره أظهر واشهر وأعجب وأبهر
وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر ومثل هذا اذا كان
كاذباً فلكذبه لوازم كثيرة جداً تفوق الحصر متقدمة ومقارنة ومتأخرة
فان من هو ادني دعوة منه اذا كان كاذبا لزم كذبه من اللوازم ما يبين

كذبه فكيف مثل هذا فاذا انتفت لوازم المكذب انتفى الملزوم • وصدقه لازم لامور كثيرة كلها تدل على صدقه وثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ماضيه ومقارنه ومتأخره ومدعي النبوة لا يخلو من الصدق أو الكذب وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات فادلة الصدق مستلزمة له وأدلة الكذب مستلزمة له والصدق له لوازم والكذب له لوازم فصدقه يعرف بنوعين بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه وبانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاءها انتفاء كذبه كما ان كذب الكذاب يعرف بادلة كذبه المستلزمة لكذبه وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم انتفاؤها لانتفاء صدقه والله أعلم • والشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته وتارة بما يدل على انتفاء نقيضه وهو الذي يسمى قياس الخلف فان الشيء اذا انحصر في شيئين لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر ومدعي النبوة اما صادق واما كاذب وكل منهما له لوازم يدل انتفاؤها على انتفائه وله ملزومات يدل ثبوتها على ثبوته فدليل الشيء مستلزم له كاعلام النبوة ودلائلها وآيات الربوبيـة وأدلة الاحكام الشرعية وغير ذلك وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه كانتفاء لوازمه مثل صدق الكذاب يقال لو كان صادقا لكان متصفاً بما يتصف به الصادقون وكذلك كذب الصادق يقال لو كان كذاباً لكان متصفاً بما يتصف به الكذاب فانه قد عرف حال الانبياء الصادقين والمتنبئين الكذابين فانتفاء لوازم الكذب دليل صدقه كما ان ثبوت ما يستلزم الصدق دليل صدقه وكذلك الكذاب يستدل على كذبه بما يستلزم كذبه وبانتفاء لوازم صدقه وهكذا سائر الامور

(فصل) ومما ينبغي ان يعرف ماقد نبهنا عليه غير مرة ان شهادة الكتب المتقدمة لمحمد صلى الله عليه وسلم اما شهادتها بنبوته واما شهادتها بمثل ما اخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله وهو حجة على اهل الكتاب وعلى غير اهل الكتاب من اصناف المشركين والملحدين كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه كما في قوله تعالى (اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) وقوله (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) وقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) وقوله (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وذلك مثل قوله في التوراة ماقد ترجم بالعربية جاء الله من طورسينا وبعضهم يقول في الترجمة تجلي الله من طورسينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ٠ قال كثير من العلماء واللفظ لمحمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء علي من تدبر ولا غموض لان مجيء الله من طورسينا انزاله التوراة علي موسى من طورسينا كالذى هو عند اهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل

على المسيح وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه من نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلي الله عليه وسلم وجبال فاران هي جبال مكة قال وليس بين المسلمين واهل الكتاب خلاف في ان فاران هي مكة فان ادعوا انها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم قلنا اليس في التوراة ان ابراهيم اسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبى الذى انزل عليه كتاباً بعد المسيح او ليس استعلن وعلن هما بمعنى واحد ؟ وهو ماظهر وانكشف فهل تعلمون ظهر دين ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه؟ وقال ابو هاشم بن ظفر ساعير جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح .قلت وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمى الى اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير وفى التوراة ان نسل العيص كانوا سكاناً بساعير وأمر الله موسى ان لا يؤذيهم وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقاجبل حراء الذي ليس حول مكة جبل اعلا منه ومنه كان نزول اول الوحى على النبى صلي الله عليه وسلم وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل ان بمكة اثنى عشر الف جبل وذلك المكان يسمى فاران الى هذا اليوم وفيـه كان ابتداء نزول القرآن والبرية التي بين مكة وطورسينا تسمى برية فاران ولا يمكن احداً ان يدعى انه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الارض ولا بعث نبي . فعلم انه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه ذكر

هذا بالتوراة على الترتيب الزماني فذكر انزال التوراة ثم الانجيل ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهداه وقال في الاول جاء أو ظهر وفي الثاني أشرق وفي الثالث استعلن وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ماهو أظهر من ذلك ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ازداد به النور والهدى . واما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال واستعلن من جبال فاران فان النبي صلي الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق الارض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس اذا استعلنت في مشارق الارض ومغاربها ولهذا سماه الله سراجاً منيراً وسمى الشمس سراجاً وهاجاً والخلق محتاجون الى السراج المنير اعظم من حاجتهم الى السراج الوهاج فان الوهاج يحتاجون اليه في وقت دون وقت بل قد يتضررون به بعض الاوقات واما السراج المنير فيحتاجون اليه كل وقت وفي كل مكان ليلا ونهارا سرا وعلانية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مازوي لي منها وهذه الاماكن الثلاث اقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله باحكم الحاكمين) فاقسم بالتين والزيتون وهو الارض المقدسة الذى ينبت فيها ذلك ومنها بعث المسيح وانزل عليه فيها الانجيل واقسم بطورسينا وهو الجبل الذى كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الايمن في البقعة المباركة من الشجرة واقسم

بالبلد الامين وهي مكة والبلد الذي اسكن ابراهيم ابنه اسمعيل وامه وهو الذي جعله الله حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم وجعله آمناً خلقاً وامراً قدراً وشرعاً فان ابراهيم حرمه ودعا لاهله فقال (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامناواتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فاخبر الله تعالى ان ابراهيم دعى الله بان يجعل مكة بلداً آمنا واستجاب الله دعاء ابراهيم وبها بنى ابراهيم البيت كما قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) وقد استجاب الله دعاء ابراهيم فبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وذكر ذلك في غير موضع قال تعالى (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وقال

تعالى (لإيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وقال تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وقال تعالى (أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون)وقال تعالى(واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوامنافع لهم ويذكروااسم الله فى ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)وقال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم مافي السموات والارض وان الله بكل شيء عليم)فقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اقسام منه بالامكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وانزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن كما ذكر الثلاثة فى التوراة بقوله جاء الله من طورسينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ولما كان مافي التوراة خبراً عنها اخبر بها على ترتيبها الزمانى فقدم الاسبق فالاسبق . واما القرآن فانه اقسم بها تعظيما لشأنها وذلك تعظيم لقدرته سبحانه وآياته وكتبه ورسله فاقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة نختمها باعلى الدرجات فاقسم اولا بالتين والزيتون ثم

بطورسينا ثم بمكة لان أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل وكذلك الانبياء فاقسم بها على وجه التدريج كما في قوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امراً فاقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة فاقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحاب الحاملات للمطر فانها فوق الرياح ثم بالجاريات يسراً وقد قيل انها السفن ولكن الانسب ان تكون هي الكواكب المذكورة في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فسماها جواري كما سمى الفلك جوارى في قوله ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام والكواكب فوق السحاب ثم قال فالمقسمات أمراً وهى الملائكة التي هى اعلا درجة من هذا كله وما ذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين من تربية اسماعيل فى برية فاران فهكذا هو فى التوراة قال فيها وغدا ابراهيم فاخذ الغلام وأخذ خبزاً و سقاء من ماء ودفعه الى هاجر وحمله عليها وقال لها اذهبي فانطلقت هاجر فضلت في برية سبع ونفد الماء الذي كان معها فطرحت الغلام تحت شجرة وجلست في مقابلته على مقدار رمية سهم لئلا تبصر الغلام حين يموت ورفعت صوتها بالبكاء وسمع الله صوت الغلام فدعاملك الله هاجر وقال لها مالك يا هاجر لا تخشى فان الله قد سمع صوت الغلام حيث هو فقومى فاحملي الغلام وشدى يديك به فاني جاعله لامة عظيمة وفتح الله عينها فبصرت بئر ماء فسقت الغلام وملئت سقاءها وكان الله مع الغلام فربى وسكن فى برية فاران فهذا خبر الله في التوراة ان اسماعيل ربى وسكن فى برية فاران بعد ان كاد يموت من العطش وان الله سقاه من بئر ماء وقد علم بالتواتر

واتفاق الامم ان اسماعيل انما ربي بمكة وهو وابوه ابراهيم بنيا البيت فعلم ان ارض مكة من فاران والله تعالى قد اخبر في القرآن في غير موضع بكون اسماعيل كان بمكة فقال عن الخليل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وقال تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وهذه البشارة التي في التوراة لهاجر باسماعيل وقول الله اني جاعله لامة عظيمة ومعظمة جداً جداً وان هاجر فتحت عينها فرأت بئر ماء فدنت منها وملأت المزادة وشربت وسقت الصبي وكان الله معها ومع الصبي حتى تربى وكان مسكنه في برية فاران وفي موضع آخر قال عن اسماعيل انه يجعل يده فوق يدي الجميع ومعلوم باتفاق الامم والنقل المتواتر ان اسماعيل تربى بارض

مكة فعلم انها فاران وانه هو وابراهيم بنيا البيت الحرام الذى مازال محجوجا من عهد ابراهيم تحجه العرب وغير العرب من الانبياء وغيرهم كما حج اليه موسى بن عمران ويونس بن متى كما في الصحيح من رواية ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بوادى الازرق بين مكة والمدينة فقال اي واد هذا؟ فقالواهذا وادى الازرق فقال كاني انظر الى موسى صلى الله عليه وسلم هابطاً من الثنية واضعاً أصبعيه في اذنيه له جوار الى الله عز وجل في التلبية ماراً بهذا الوادى قال ثم سرنا حتى اتينا على ثنية فقال اى ثنية هذه؟ قالوا هو شىء فقال كانى انظر الى يونس على ناقة حمرا عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى مليبا • وفي رواية اما موسى فرجل آدم جعل على جمل أحمر مخطوم بخلبة ليف ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أوجب حجه على كل احد فحجت اليه الامم من مشارق الارض ومغاربها والبئر الذي شرب منها اسماعيل وأمه هي بئر زمزم وحديثها مذكور في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقاً ليعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلا المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى ليس فيه انس ولا شىء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا

قال نعم قالت اذاً لايضيعنا • وفي لفظ وتبعته ام اسماعيل حتى بلغوا كداء نادته من وراء يا ابراهيم الى من تتركنا ؟ قال الى الله قالت رضيت بالله ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند البيت حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعي بهذه الدعوات فقال رب انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتي بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد مافي السقاء وعطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط انطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى من أحد فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ماتغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لولم تغرف من الماء لكان زمزم عيناً معيناً قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله

لايضيع أهله • وكان البيت مرتفعاً من الارض كالرابية تأتيه السيول
فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم
أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في أسفل مكة
فرأوا طائراً عايفاً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم
بالماء فاقبلوا • قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان ننزل عندك
فقالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم • قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس فنزلوا
فارسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب
الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه
إمرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع
تركته فلم يجد فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه. قال اذا جاء زوجك
فاقرئى عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كانه انس
شيئاً فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا
عنك فاخبرته وسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل
أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرني ان أقرأ عليك السلام وقال تغير عتبة
بابك قال ذاك أبي قد أمرنى ان أفارقك الحقى باهلك فطلقها ثم تزوج
منهم أخرى فلبث عنهم ما شاء الله ثم أتاهم بعدُ فلم يجده فدخل على
امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا • قال كيف أنتم وسألها عن
عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال ماطعامكم

قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء
قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا
لهم فيه قال فهما لايخلو عنهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء
زوجك فاقرئ عليه السلام ومريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل
قال هل أتيكم من أحد؟ قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه
فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك
بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويقول لك ان تثبت عتبة بابك
قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني ان أمسكك ثم جاء بعد ذلك واسماعيل
يبرى نبلاله تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام اليـه فصنع كما
يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر
قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال؟ واعينك قال فان الله أمرني
ان ابني هاهنا بيتاً واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك
رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني
حتى اذا ارتفع البناء جاء بهـذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني
واسماعيل يناوله الحجارة وهمايقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع
العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل
منا انك أنت السميع العليم وكانت بئر زمزم قد عميت ثم أحياها
عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وصارت السقاية في ولده في
العباس وأولاده يسقون منها ويسقون أيضاً الشراب الحلو . والشرب من
ذلك سنة والله تعالى قال في اسماعيل اني جاعله لامة عظيمة ومعظمة
جداً جداً وهذا التعظيم المؤكد بجداً جداً يقتضى أن يكون تعظيما مبالغاً

فلو قدر ان البيت الذى بناه لايحج اليه أحد وان ذريته ليس منهم شيء كما يقوله كفرة أهل الكتاب لم يكن هناك تعظيم مبالغاً فيه بجداً جداً اذا كثر مافي ذلك ان يكون له ذرية ومجرد كون الرجل له نسل وعقب لايعظم به الا اذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله وكذلك قوله اجعله لامة عظيمة إن كانت تلك الامة كافرة . لم تكن عظيمة بل كان يكون ابا لامة كافرة فعلم ان هذه الامة العظيمة كانوا مؤمنين وهؤلاء يحجون البيت فعلم ان حج البيت مما يحبه الله ويأمر به وليس في أهل الكتاب الا المسلمون فعلم أنهم الذين فعلوا ما يحبه الله ويرضاه وأنهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت أمة اثنى الله عليها وشرفها وان اسماعيل عظمه الله جداً جداً بما جعل فى ذريته من الايمان والنبوة وهذا هو كما امتن الله على نوح وابراهيم بقوله (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) وقال في الخليل (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ولما قال فى نوح وجعلنا ذريته هم الباقين كان فى ذريته أهل الايمان كلهم فعلم بذلك ان اسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون وان اسماعيل معظم جداً جداً كما عظم الله نوحا وابراهيم وان كان ابراهيم أفضل من اسماعيل لكن المقصود ان هذا التعظيم له ولذريته انما يكون اذا كانت ذريته معظمة على دين حق وهؤلاء يحجون الى هذا البيت ولا يحج اليه بعد مجيء محمد غيرهم ولهذا لما قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود او بعض أهل الكتاب فنحن مسلمون قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فقالوا لانحج فقال (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وأيضاً

فهذا التعظيم المبالغ فيه الذى صار به ولد اسماعيل فوق الناس لم يظهر
الا بنبوة محمد فدل ذلك على أنها حق مبشر به ومثل هذا بشارة أخرى
بمحمد صلى الله عليه وسلم من كلام شمعون بما رضوه من ترجمتهم وهو
جاء الله بالبينات من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من
تسبيحه وتسبيح أمته فهذا تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذى
جاء بالنبوة من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه
وتسبيح أمته ولم يخرج أحد قط وامتلأت السموات والارض من
تسبيحه وتسبيح أمته مما يسمى فاران سوى محمد صلى الله عليه وسلم
فان المسيح لم يكن بارض فاران البتة * وموسى انما كلم من الطور والطور
ليس من أرض فاران وان كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز
من فاران فلم ينزل الله فيها التوراة وبشارات التوراة قد تقدمت
بجبل الطور وبشارة الانجيل بجبل ساعير ومثل هذا ما نقل عن نبوة
حيقوق أنه قال جاء الله من التيمن وظهر القدس على جبال فاران وامتلأت
الارض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الامم وأنارت الارض لنوره
وحملت خيله في البحر • ومن ذلك ما فى التوراة التي بأيديهم في السفر
الاول منها وهى خمسة أسفار فى الفصل التاسع فى قصة هاجر لما فارقت
سارة وخاطبها الملك فقال ياهاجر من أين أقبلت والى أين تريدين ؛ فلما
شرحت له الحال قال ارجعي فاني ساكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون
وها انت تحبلين وتلدين ابناً تسمينه اسماعيل لان الله قد سمع تذللك
وخضوعك وولدك يكون وحي الناس ويكون يده فوق الجميع ويد
الكل به ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته • قال المستخرجون لهذه

البشارة معلوم ان يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدي بني اسحاق بل كان فى بني اسحاق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبنى اسماعيل فوقهم يد ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى أعز أهل الارض لم يكن لاحد عليهم يد ثم مع يوشع بعده الى زمن داود وملك سليمان الذى لم يؤت أحد مثله وسلط عليهم بعد ذلك بخت نصر فلم يكن لبني اسماعيل عليهم أمر ثم بعث المسيح وخرب بيت المقدس الخراب الثاني حيث أفسدوا في الارض مرتين ومن حينئذ زال ملكهم وقطعهم الله فى الارض اىما وكانوا تحت حكم الروم والفرس والقبط ولم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم فلم يكن لولد اسماعيل سلطان على أحد من الامم لاهل الكتاب ولا الاميين فلم يكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الذي دعا به ابراهيم واسماعيل حيث قالا (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) فلما بعث صارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع فلم يكن في الارض سلطان أعز من سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الامم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به وهذا أمر مستمر الى آخر الدهر • فان قيل هذه بشارة بملكه وظهوره . قيل الملك ملكان ملك ليس فيه دعوى نبوة وهذا لم يكن لبنى اسماعيل على الجميع وملك صدر عن دعوى نبوة فان كان مدعي النبوة كاذبا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي

الي ولم يوح اليه شيء وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم
وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع نبوة كبخت نصر وسنجاريب
ومعلوم ان الاخبار بهذا لايكون بشارة ولا تفرح ساره وابراهيم بهذا
كما لو قيل يكون جبارا طاغياً يقهر الناس على طاعته ويقتلهم ويسبي
حريمهم ويأخذ أموالهم بالباطل فان الاخبار بهذا لايكون بشارة ولا
بشر المخبر بذلك وانما يكون بشارة تسره اذا كان ذلك يعدل وكان
علوه محمودا لا اثم فيه وذلك من مدعى النبوة لا يكون الا وهو
صادق لا كاذب

(فصل) وقال داود في الزبور في قوله سبحوا الله تسبيحاً جديداً
وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته واعطاه النصر وسدد الصالحين منهم
بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة
بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الامم الذين لا يعبدونه
وهذه الصفات انما تنطبق على صفات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فهم
الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وعلى
الاماكن العالية كما قال جابر بن عبد الله كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلاة على ذلك
رواه البخاري وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قفل من الجيوش او السرايا او الحج او العمرة
اذا اوفى على ثنية او فدفد كبر ثلاثاً ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب

له عيد الفطر قال تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون وقال لما ذكر الهدى الذي يقرب في عيد النحر وهو يوم الحج الاكبر قال (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا أوجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهديكم وبشر المحسنين) والنصارى يسمون عيد المسلمين عيد الله الاكبر لظهور التكبير فيه وليس هذا لاحد من الامم لا اهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين وانما كان موسى يجمع بني اسرائيل بالبوق والنصارى شعارهم الناقوس واما تكبير الله بأصوات مرتفعة فانما هو شعار المسلمين فان الآذان شعار المسلمين وبهذا يظهر تقصير من فسر ذلك بتلبية الحجاج وفي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا غزا أقواماً لم يغز حتى يصبح فان سمع اذاناً امسك وان لم يسمع اذانا اغار بعد مايصبح وفي لفظ مسلم كان يغير اذا طلع الفجر وكان يستمع الاذان فان سمع اذانا أمسك والا اغار فسمع رجلا يقول الله اكبر الله اكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفطرة ثم قال أشهد ان لا اله إلا الله فقال خرجت من النار وعن عصام المزني قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث السرية يقول اذا رأيتم مسجداً أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحداً رواه احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة وكذلك قوله بايديهم سيوف ذات شفرتين وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة

وحده • وفي صحيح البخاري عن انس قال صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن معه بالمدينة الظهر اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين
ثم بات بها حتى اصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء
حمد الله وسبح وكبر ثم اهل بعمرة وحج وذكر الحديث وعن
ابى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله انى اريد ان اسافر فاوصني
قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف فلما ان ولى الرجل قال
اللهم اطوله البعد وهون عليه السفر رواه الامام احمد والترمذي
والنسائى وروى ابن ماجة منه أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل
شرف وروى ابو داود وغيره باسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان النبى صلى الله عليه وسلم وجيوشه اذا علوا
شرفا كبروا واذا هبطوا سبحوا وهم يكبرون الله باصوات عالية مرتفعة
فى أعيادهم عيد الفطر وعيد النحر في الصلاة والخطبة وفى ذهابهم
الى موضع الصلاة وفي ايام منى الحجاج وسائر اهل الامصار يكبرون
عقيب الصلوات فامام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير • وذكر البخاري عن عمر
بن الخطاب انه كان يكبر في قبة بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره
فيسمعهم اهل الاسواق فيكبرون حتى ترتج منى تكبيراً قال وكان ابن عمر
وابن عباس يخرجان الى السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما
ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم كما كان نبيهم يقول عند الذبح
بسم الله والله اكبر ويكبرون اذا رموا الجمار ويكبرون على الصفا والمروة
ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن وكل هذا يجهرون فيه
بالتكبير غير مايسرونه قال تعالى لما ذكر صوم رمضان الذى يقيمون

واتباعهم البلاد وقوله يسبحونه على مضاجعهم بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويصلي الفرض أحدهم قائماً فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب فلا يتركون ذكر الله في حال بل يذكرونه حتى في هذه الحال ويصلون فى البيوت على المضاجع بخلاف اهل الكتاب والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) وقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وهذا معنى قول داود سبحوا الله تسبيحا جديداً يعني التسابيح التي شرعها الله جديداً كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديدا ولما اقامها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم قال هذا وقتك ووقت الانبياء قبلك فكان الانبياء يسبحون في هذه الاوقات وذلك هو التسبيح المتقدم والتسبيح الجديد للمسلمين كما يدل عليه سائر الكلام ولا يمكن ان يكون ذلك للنصارى لانهم لايكبرون الله باصوات مرتفعة ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم الله بهم من الامم بل اخبارهم تدل على انهم كانوا مغلوبين مع الامم ولم يكونوا يجاهدونهم بالسيف بل النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف • ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد صلى الله عليه

وسلم وامته ويغفلون عما عندهم من ان الله أمر موسى بقتال الكفار فقاتلهم بنوا اسرائيل بامره وقاتلهم يوشع وداود وغيرهما من الانبياء وابراهيم الخليل قاتل لدفع الظلم عن أصحابه

(فصل) قالوا وقال داود في مزاميره وهي الزبور من اجل هذا بارك الله عليك الى الابد فتقلد ايها الجبار بالسيف لان البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك اركب كلمة الحق وسمة التأله فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك • قالوا فليس متقلد السيف من الانبياء بعد داود سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى خرت الامم تحته وقرنت شرائعه بالهيبة كما قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وقد أخبر داود ان له ناموساً وشرائع وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعداء الله بخلاف المستضعف المقهور وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ونبي الملحمة وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين بخلاف من كان ذليلا للطائفتين من النصارى المقهورين مع الكفار أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود بل كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً

(فصل) قالوا وقال داود في مزمور له ان ربنا عظيم محمود جداً وفي ترجمة إلهنا قدوس ومحمد قد عم الارض كلها فرحاً قالوا فقد نص داود على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله وأخبر ان كلمته تعم الارض كلها قلت قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو وروى انه عبد الله بن سلام في غير البخارى أخبرنا ببعض صفة رسول الله صلى

الله عليه وسلم في التوراة فقال انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن وذكر صفته موجودة فى نبوة أشعياء وليست موجودة في نفس كتاب موسى وتقدم ان لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب وكذلك ما يوجد كثيراً من قول كعب الاحبار وغيرهم ممن ينقل عن اهل الكتاب قرأت فى التوراة انما يريدون به جنس الكتاب الذى عند اهل الكتاب لايخصون بذلك كتاب موسى واذا كان هذا معروفا عندهم وقد خوطبوا بهذه اللغة فان قوله تعالى فى القرآن يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند اهل الكتاب فيتناول ذلك كتاب موسى وزبور داود وصحف سائر الانبياء سوى الانجيل فانه ليس عند اهل الكتاب وانما هو عند النصارى خاصة واما سائر كتب الانبياء فالامتان يقران بها ويؤيد ذلك ان الله كثيرا مايقرن فى القرآن بين التوراة والانجيل وانما يذكر الزبور مفردا كقول تعالى (الم الله لااله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان) وقوله (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) وقوله تعالى (الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل واهل الكتاب يجدونه مكتوباً في الكتب التي بأيديهم وهو فى كثير منها اصرح مما هو فى كتاب موسى خاصة فاذا اريد بالتوراة جنس الكتب فلا يستريب عاقل فى كثرة ذكره ونعته ونعت امته في تلك الكتب ومعلوم

ان الله اراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب واقامة الحجة بذكره فيها فاذا كان ذكره في غير كتاب موسى اكبر واظهر عندهم كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى فاذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة وتصديق بعضها بعضاً وقد أمرنا ان نؤمن بما أوتى النبيون مطلقاً كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) والزبور ذكره مفرداً في موضعين من القرآن في قوله (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) فذكره مفرداً وذكر كتاب موسى بهذه الاضافة لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) وقال قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الى قوله

(ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس) وقال تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن) واذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب التي عند أهل الكتاب جميعاً والزبور وغيره داخل فى هذا الاسم كان ظهور اسمه ونعته فى التوراة ووجودهم ذلك فيما عندهم وتكرره فى غاية القوة وكان معرفتهم لذلك كما يعرفون ابناءهم واضحاً بيناً وان قدر ان هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يكتم منها شىء بل هى باقية كما كانت

(فصل) وقالوا قال داود في مزموره لترتاح البوادى وقراها ولتصر أرض قيذار مروجاً وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه فى الجزائر قالوا فمن البوادى من الامم سوى أمة محمد ومن قيذار سوى ابن اسماعيل جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب

(فصل) قالوا وقال داود فى مزمور له ويجوز من البحر الى البحر ومن لدن الانهار الى منقطع الارض وبحر أهل الجزائر بين يديه ويلحس أعداؤه التراب ويسجد له ملوك الفرس وتدين له الامم بالطاعة والانقياد ويخلص البائس المضطهد ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلي عليه ويبارك في كل حين وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته لا على المسيح فان

محمداً جاز من البحر الرومي الى البحر الفارسي ومن لدن الانهار كسيحون وجيحون الى منقطع الارض بالمغرب كما قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مازوى لي منها وهو يصلي عليه ويبارك في كل حين في كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها يقول كل من امته اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد فيصلي عليه ويبارك وقد خرت اهل الجزائر بين يديه اهل جزيرة العرب وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة قبرص واهل جزائر الاندلس وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق منهم إلا من اسلم أو ادى الجزية عن يد وهم صاغرون بخلاف ملوك الروم فان فيهم من لم يسلم ويؤد الجزية فلهذا خص ملوك فارس ودانت له الامم فعامة الامم التي تعرفه وتعرف امته كانت اما مؤمنة به أو مسلمة له منافقة أو مهادنة له مصالحة أو خائفة منهم وانقذ الضعفاء من الجبارين وهذا بخلاف المسيح فانه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن ولا جازوا ماذكر ولا صلي عليه وبورك عليه في اليوم والليلة فان النصارى يدعون إلهية المسيح فلا يصلون عليه وانما يصلون له

(فصل) وقالوا في نبوة اشعياء قال لشعياء فقيل لي قم نظاراً فانظر ماذا ترى فقلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل واصنامها للمنجر قالوا فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو اشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت بابل

(فصل) ومما ينبغي ان يعرف ان الكتب المتقدمة بشرت بالمسيح كما بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك انذرت بالمسيح الدجال والامم الثلاثة المسلمون واليهود والنصاري متفقون على ان الانبياء انذرت بالمسيح الدجال وحذرت منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح مامن نبي الا وقد انذر امته المسيح الدجال حتى نوح انذر أمته وساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لامته انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء والامم الثلاثة متفقون على ان الانبياء بشروا بمسيح من ولد داود فالامم الثلاثة متفقون على الاخبار بمسيح هُدى من نسل داود ومسيح ضلالة وهم متفقون على ان مسيح الضلالة لم يأت بعد وسيأتى ومتفقون على ان مسيح الهدى سيأتى ثم المسلمون واليهود والنصارى متفقون على ان مسيح الهدى هو عيسى بن مريم واليهود ينكرون ان يكون هو عيسى بن مريم مع اقرارهم بانه من ولد داود قالوا لان المسيح المبشر به تؤمن به الامم كلها وزعموا ان المسيح بن مريم انما بعث بدين النصارى وهو دين ظاهر البطلان ولهذا اذا خرج المسيح الدجال اتبعوه فيخرج معه سبعون الف مطياس من يهود اصبهان ويساط المسلمون على اليهود فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر يامسلم هذا يهودي ورائى تعالَ فاقتله كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح والنصارى تقربان المسيح مسيح الهدى بعث ويقرون بانه سيأتى مرة ثانية لكن يزعمون ان هذا الاتيان الثانى هو يوم القيامة ليجزي الناس باعمالهم وهو فى زعمهم هو الله والله الذى هو اللاهوت

يأتي في ناسوته كما زعموا انه جاء قبل ذلك . واما المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الانبياء على وجهه وهو موافق لما اخبر به خاتم الرسل حيث قال في الحديث الصحيح يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماماً مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وأخبر في الحديث الصحيح انه اذا خرج مسيح الضلالة الاعور الكذاب نزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين واضعاً يديه على منكبي ملكين فاذا رآه الدجال انماع كما ينماع الملح في الماء فيدركه فيقتله بالحربة عند باب لُد الشرقي على بضع عشرة خطوة منه وهذا تفسير قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى يؤمن بالمسيح قبل ان يموت حين نزوله الى الارض وحينئذ لايبقى يهودى ولا نصرانى ولا يبقى دين الا دين الاسلام وهذا موجود فى نعته عند اهل الكتاب ولكن النصارى ظنوا ان ذلك مجيئه بعد قيام القيامة وانه هو الله فغلطوا في ذلك كما غلطوا في مجيئه الاول حيث ظنوا انه هو الله . واليهود انكروا مجيئه الاول وظنوا ان الذى بشر به ليس هو اياه وليس هو الذى يأتي آخراً وصاروا ينتظرون غيره وانما هو بعث اليهم أولاً فكذبوه وسيأتيهم ثانياً فيؤمن به كل من على وجه الارض من يهودى ونصرانى الا من قتل أو مات ويظهر كذب هؤلآء الذين كذبوه ورموا امه بالفرية وقالوا انه ولد زنا وهؤلآء الذين غلوا فيه وقالوا انه الله ولما كان المسيح عليه السلام نازلا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم صار بينه وبين محمد من الاتصال ماليس بينه وبين غير محمد ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث

الصحيح ان اولى الناس بابن مريم لانا انه ليس بيني وبينه نبي وروى كيف تهلك أمة انا في أولها وعيسى في آخرها وهـذا مما يظهر به مناسبة اقترانهما فيما رواه اشعياء حيث قال راكب الحمار وراكب الجمل

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي عليه السلام مثنياً على مكة شرفها الله ارفعي الى ماحولك بصرك فستبتهجين وتفرحين من أجـل ان الله يصير اليك ذخائر البحرين ونحج اليك عساكر الامم حتى يعم بك قطر الابل الموبلة وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع اليـك وتساق اليك كباش مدين ويأتيك أهل سبا ويسير اليك أغنام فاران ويخدمك رجال مارب يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مارب بن اسماعيل . قالوا فهذه الصفات كلها حصلت بمكة فحملت اليها ذخائر البحرين وحج اليها عساكر الامم وسيقت اليها أغنام فاران الهدايا والاضاحي وفاران هي البرية الواسعة التي فيها مكة وضاقت الارض عن قطرات الابل الموبلة الحاملة للناس وازوادهم اليها واتاها أهل سبا وهم أهل اليمن

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي صلى الله عليه وسلم معلناً باسم رسول الله صلى الله عليه وسـلم اني جملت أمرك محمداً يا محمد ياقدوس الرب اسمك موجود من الابد • قالوا فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال، اولطاعن مجال وقول أشعياء ان اسم محمد موجود من الابد موافق لقول داود الذي حكيناه ان اسمه موجود قبـل الشمس وقوله ياقدوس الرب يعني يامن طهره الرب وخلصه من شوائب بشريته واصطفاه لنفسه

(فصل) قالوا وقال اشعياء وشهد لهذه الامة بالصلاح والديانة سأرفع علماً لاهل الارض بعيداً فيصفر لهم من أقاصي الارض فيأتون سراعا

والنداء هو ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التلبية فى الحج وهم الذين جعلوا لله الكرامة فوحدوه وعبدوه وأفردوه بالربوبية وكسروا الاصنام وعطلوا الاوثان والعلم المرفوع هو النبوة وصفيره دعاؤهم الى بيته ومشاعره فيأتونه سامعين مطيعين

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي والمراد مكة شرفها الله تعالى سيرى واهتزى ايتها العاقر التي لم تلدي وانطقى بالتسبيح وافرحي اذ لم تحبلي فان أهلك يكونون أكثر من أهلي يعني باهله بيت المقدس ويعني بالعاقر مكة شرفها الله لانها لم تلد قبل نبينا عليه السلام ولا يجوز ان يريد بالعاقر بيت المقدس لانه بيت للانبياء ومعدن الوحى فلم تزل تلك البقعة ولادة

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي ونص على خاتم النبوة ولد لنا غلام يكون عجباً وبشراً والشامة على كتفيه اركون السلام اله جبار وسلطانه سلطان السلام وهو ابن عامله يجلس على كرسي داود. قالوا الاركون هو العظيم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون ولما أبرأ المسيح مجنوناً من جنونه قال اليهود ان هذا لايخرج الشياطين من الادميين الا باركون الشياطين يعنون عظيمهم وقال المسيح في الانجيل ان اركون هذا العالم يدان يريد اما ابليس او الشرير العظيم الشر من الادميين وسماه آلهاً على نحو قول التوراة ان الله جعل موسى آلهاً لفرعون اي حاكما عليه ومتصرفا فيه وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه انكم آلهة فقد شهد اشعيا بصحة نبوة محمد صلي الله عليه وسلم ووصفه باخص علاماته وأوضحها وهى شامته فلعمرى لم تكن الشامة

لسليمان ولا للمسيح وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود يعني انه سيرث بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويبتزهم رياستهم

(فصل) قالوا وقال اشعياء في وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم

ستمتلئ البادية والمدن من اولاد قيذار يسبحون ومن رؤس الجبال ينادون هم الذين يجعلون لله الكرامة ويسبحونه في البر والبحر . قلت وقيذار هو ابن اسماعيل باتفاق الناس وربيعة ومضر من ولده ومحمد صلى الله عليه وسلم من مضر وهذا الامتلاء والتسبيح في البر والبحر لم يحصل لهم الا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم والتسبيح الصلوات الخمس وقد جعلت لهم الارض مسجداً وطهوراً فهم يصلون الخمس في البر والبحر

(فصل) قالوا وقال اشعياء والمراد مكة انا رسمتك على كفي وسيأتيك اولادك سراعا ويخرج عنك من اراد ان يخيفك ويخربك فارفعي بصرك الى ماحولك فانهم سيأتونك ويجتمعون اليك فتسمي باسمي اني انا الحي لتلبسي الحلل وتزيني بالاكليل مثل العروس ولتضيقن خراباتك من كثرة سكانك والداعين فيك وليهابنَّ كل من يناويك وليكثرن اولادك حتى يقول من رزق هؤلاء ، كلهم وانا وحيدة فريدة يرون رقوب فمن ربى لي هؤلاء ، ومن تكفل لي بهم ؟ قالوا وذلك ايضاح من اشعياء بشأن الكعبة فهي التي البسها الله الحلل الديباج الفاخرة ووكل بخدمتها الخلفاء والملوك ومكة هي التي بارك الله لها الاولاد من حجاجها والقاطنين بها قلت • وذلك ان مكة هي التي أخرج عنها كل من اراد ان يخيفها ويخربها فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة لم يهنها احدمن البشر قط بل اصحاب الفيل

لما قصدوها اعذبهم الله العذاب المشهور ولم تزل عامرة محجوجة من لدن ابراهيم الخليل بخلاف بيت المقدس فانه قد أخرب مرة بعد مرة وخلا من السكان واستولى العدو عليه وعلى أهله وكذلك أخباره باهانة كل من يناويها هو للكعبة دون بيت المقدس كما قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) • والحجاج بن يوسف كان معظماً للكعبة لم يرمها بمنجنيق وانما قصد ابن الزبير خاصة واما كثرة أولادها وهم الذين يحجون اليها أو يستقبلونها في صلاتهم فهم اضعاف اضعاف اولاد بيت المقدس

(فصل) قالوا وقال اشعيا حاكياً عن الله تعالى اشكر حبيبي وابني احمد فسماه الله حبيباً وسماه ابنا وداود ابنا غير ان الله خصه عليهم بمزية فقال حبيبي ابني اشكره فتعبد اشعيا لشكر محمد ووصف عليه وعلى قومه شكره واجلاله ليتبين قدره ومنزلته عنده وتلك منزلة لم يؤتها غيره من الرسل وقال اشعيا انما سمعنا من أطراف الارض صوت محمد وهذا افصاح من اشعيا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرنا اهل الكتاب نبياً نعتت الانبياء على اسمه صريحاً سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل) قالوا وقال حيقوق وسمى محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين في نبوته ان الله جاء من التيمن والقدوس من جبال فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده شعاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه تسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده قام فسح الارض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت

الروابي وتزعزعت ستور أهل مدين ولقد حاز المساعى القديمة
ثم قال زجرك فى الانهار واختدام صوامك في البحار ركبت
الخيول وعلوق مراكب الايقاد وسينزع فى قسيك اعراقاً ونزعا
وترتوى السهام بأمرك يامحمد ارتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت
وانحرف عنك شؤبوب السيل وتعبرت المهاوى تعبرا ورعبا رفعت
ايديها وجلاً وخوفا وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان تباريك
تدوخ الارض غضباً وتدوس الامم زجراً لانك ظهرت بخلاص
امتك وانقاذ تراث ابائك • قالوا وهذا تصريح بمحمد ومن رام صرف
نبوة حيقوق هذه عن محمد صلي الله عليه وسلم فقد رام ستر النهار
وحبس الانهار وانى يقدر على ذلك وقد سماه باسمه مرتين واخبر
بقوة امته وسير المنايا امامهم واتباع جوارح الطير اثارهم وهذه النبوة
لا تليق إلا بمحمد ولا تصلح الا له ولا تدل الا عليه فمن حاول صرفها
عنه فقد حاول ممتنعاً . قلت وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن
وهى ناحية مكة والحجاز فان انبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من
ناحية الشام ومحمد صلي الله عليه وسلم جاء من ناحية اليمن وجبال
فاران هي جبال مكة كما قد تقدم بيان ذلك وهذا مما لايمكن النزاع
فيه واما امتلاء السماء من بهاء احمد فانوار الايمان والقرآن التى ظهرت
منه ومن امته وامتلاء الارض من حمده وحمد امته فى صلواتهم فأمر
ظاهر فان امته هم الحمادون لابد لهم من حمد الله في كل صلاة وكل
خطبة ولا بد لكل مصل في كل ركعة من ان يقول الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فاذا قال الحمد لله رب العالمين

قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدى فهم يفتتحون القيام في الصلاة بالتحميد ويختمونها بالتحميد واذا رفعوا رؤسهم من الركوع يقول امامهم سمع الله لمن حمده ويقولون جميعاً ربنا ولك الحمد ويختمون صلاتهم بتحميده بجعل التحيات له والصلوات والطيبات وانواع تحميدهم فيه والثناء عليه مما يطول وصفه

(فصل) قالوا وقال دانيال وهو يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وان الله يظهرهم عليكم وباعث فيهم نبيا ومنزل عليهم كتاباً ومملكهم رقابكم يقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال قيذار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم الى النار نعوذ بالله من النار. قلت وذلك ان رجال بني قيذار هم ربيعة ومضر ابناء عدنان وهما جميعاً من ولد قيذار بن اسماعيل والعرب كلهم من بني عدنان وبنى قحطان فعدنان أبو ربيعة ومضر وانمار من ولد اسماعيل باتفاق الناس وأما قحطان فقيل هم من ولد اسماعيل وقيل هم من ولد هود ومضر ولده الياس ابن مضر والياس بن مضر وقريش هم من ولد الياس بن مضر وهوازن مثل عقيل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم هم من ولد الياس بن مضر وهولاء انتشروا في الارض فاستولوا على أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها حتى انهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة سكنت مضر فى حران وما قرب منها فسميت ديار مضر وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعة

وقال تنزل الملائكة على خيل بيض وهذا مما تواترت به الآثار ان الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض فانها نزلت يوم بدر لنصر النبي صلى الله عليه وسلم وامته ونزلت يوم الاحزاب واحاطت ببني قريظة

تم الجزء الثالث بحمد الله وحسن معونته
ويليه الجزء الرابع أوله فصل وقال دانيال
عليه السلام



﴿ فهرست الجزء الثالث من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ﴾

صحيفه

صحيفه

٨٣ فصل قال سعيد بن البطريق ومثل ان كلمة الانسان المولودة الخ وهو يتضمن ردتمثيل حلوله فى عيسي بالكلمة الموجودة فى العقل تكتب في القرطاس من غير ان تفارق العقل الذى منه ولدت ولا يفارقها العقل وبيان فساد تمثيلهم من وجوه

٩٧ فصل قال سعيد بن البطريق وليس حلول كلمة الله الخالق الخ وهو يتضمن الجواب عن قولهم ليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت عن انتقال ولا تغير ولا استحالة فلا الالهى احتال ان يكون الهاً ولا الناسوتي احتال ان يكون انساناً مخلوقاً والاحتيال والتغير انما يلزم الخلطة اذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين الخ وهو مبحث طويل يشتمل على جملة مواضيع مختلفة منها الرد على قولهم صلب ومات مع قولهم بالالوهية الى غير ذلك من المناقضات

١١٦ فصل وهذا الذى قد ذكره هذا البترك سعيد بن البطريق الخ وهو يتضمن آراء الناس في ابن البطريق الذي تعصب للنصارى ونصب نفسه لنصرتهم وان بعضهم ينكر عليه ويخالفه فى اعتقاده ويكذبه وبعضهم يستحسن آراءه وفيه مباحث شتى ذكر فيها أول ملك أظهر دين المسيح وغير ذلك

١١٩ فصل وقد حصل بما ذكرنا الجواب عن قولهم الخ وهو يتضمن رد مذهبهم من حلول اللاهوت بالناسوت باوضح مما تقدم ومعارضته بما لا يبقى لهم شبهة فى ابطال مذهبهم ويذكر لوازم اللاهوتية ولوازم الناسوتية ويرد قولهم ان هذا أمر فوق

صحيفه

العقول بذكر لوازم تقنعهم ومباحث مهمة في هـذا الموضع ينبغي استقصاؤها

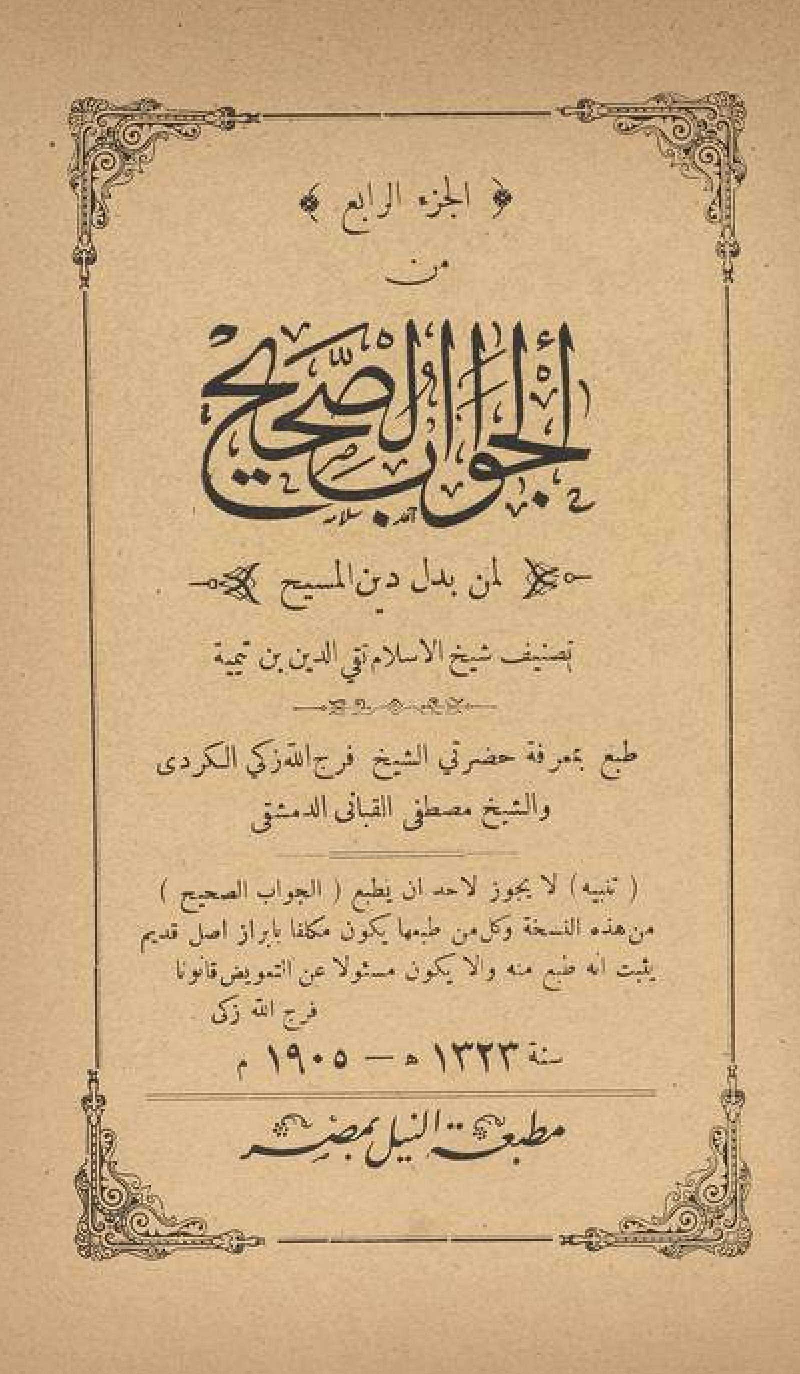
١٣٠ فصل قال الحاكي عنهم فقلت لهم انهم يقولون انا اذا كان اعتقادكم في الباري انه واحد الخ وهو يحتوى على صورة مناظرة بين مسلم ونصراني يقول المسلم لم تقولون ما ظاهره يخالف اعتقادكم من انه واحد وانتم تقولون أب وابن وروح قدس فيقول النصراني ولم تقولون ان له يداً وعيناً ووجهاً وساقاً مما يخالف اعتقادكم وتمتد بينهم المجادلة الى ان تنتهى باسكات النصرانى وفيـه يذكر بعض مذاهب للمسلمين مردودة وتأويل آيات ظاهرها غير مراد وفيه مباحث فلسفية يرتاح الضمير لسماعها ومسائل متعلقة بعلم التوحيـد والتكلم على الصفات ومعناها وهو موضوع طويل ومبحث نفيس

١٩١ فصل قال الحاكي عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا فى قولنا ان الله تعالى جوهر الخ وهو يتضمن استغراب النصارى من عـدم موافقة الاسلام لهم فى انه جوهر وبيان مذهب الاسلام فى معنى الجوهر وتقسيمه وهل ان الصفات جواهر أو اعراض وهل هو غير الصفات أو عينها وما يتعلق بكل منها وبيان الحق من هذه الاقوال وفيه تحقيق معني الوحي والكلام الذى جاءت به الرسل وفيه تقسيم الموجودات الى جوهر واعراض هي مجموع المقولات التسع وآراء لبعض الفلاسفة في واجب الوجود وبالجملة

صحيفه

صحيفه





الجزء الرابع

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردي
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

مطبعة النيل بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل) وقال دانيال عليه السلام وذكر محمداً صلى الله عليه وسلم باسمه فقال ستنزع في قسيك اغراقا وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء فهذا تصريح بغير تعريض وتصحيح ليس فيه تمريض فان نازع في ذلك منازع فليوجدنا آخر اسمه محمد له سهام تنزع وامر مطاع لا يدفع
وقال دانيال النبي ايضاً حين ساله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم نسيها. رأيت أيها الملك صنماً عظيماً قائماً بين يديك راسه من ذهب وساعداه من الفضة وبطنه وفخذاه من النحاس وساقاه من الحديد ورجلاه من الخزف ورأيت حجراً لم تقطعه يد انسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتاً ثم نسفته الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملاء الارض كلها فهذا ما رايت أيها الملك؟ فقال بخت نصر صدقت فما تأويلها؟ قال دانيال انت الراس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك ولداك الذان رايت من الفضة وهما دونك ويقوم بعدهما مملكة أخرى هي دونها وهي التي تشبه النحاس والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شيء فاما الرجلان التي رأيت من خزف فمملكة ضعيفة وكلمتها سخيفة وأما الحجر الذي رأيت قد صك ذلك الصنم العظيم ففتته فهو نبي يقيمه الله اله السماء والارض من قبيلة بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الارض وأممها حتى تمتلئ منه الارض ومن أمته ويدوم

سلطان ذلك النبي الى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك ايها الملك قلت فهذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا بعث المسيح فهو الذى بعث بشريعة قوية دون جميع ملوك الارض وامها حتى امتلات الارض منه ومن امته في مشارق الارض ومغاربها وسلطانهم دائم لايقدر أحدان يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الارض واوسطها

(فصل)قالوا وقال دانيال النبي أيضاً سألت الله وتضرعت اليه ان ان يبين لى ما يكون من بني اسرائيل وهل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث فيهم الانبياء اويجعل ذلك في غيرهم فظهر لي الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال السلام عليك يادانيال ان الله يقول ان بني اسرائيل اغضبونى وتمردوا على وعبدوا من دوني آلهة اخرى وصاروا من بعد العلم الى الجهل ومن بعد الصدق الى الكذب فسلطت عليهم بخت نصر فقتل رجالهم وسبي ذراريهم وهدم مسجدهم وحرق كتبهم وكذلك فعل من بعده بهم وانا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثرات فلا يزالون في سخطى حتي ابعث مسيحى ابن العذراء البتول واختم ذلك عليهم باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتي ابعث نبي بني اسماعيل الذى بشرت به هاجر وارسلت اليها ملاكي وبشرها وأوحي الى ذلك النبي واعلمه الاسماء وازينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوى ضميره والصدق قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سنته اخصه بكتاب مصدق كما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض مافيها اسرى به اليّ وارقيه من سماء الى سماء حتي يعلو فادنيه واسلم عليه واوحى اليه ثم ارده الى عبادى بالسرور

والغبطة حافظاً لم استودع صادقا فيما أمر يدعو الى توحيدي باللين من القول و الموعظة الحسنة لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق رؤف بمن والاه رحيم بمن آمن به خشن على من عاداه فيدعو قومه الى توحيدي وعبادتي ويخبرهم بما رآى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما املاه عليه الملك حتى اوصل آخر ايام امته بالنفخة وانقضاء الدنيا وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرأونها ويمترون ويقولون لم يظهر صاحبها بعد قال ابو العالية فانا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم واخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم وكان أهل الناحية يعني أرض السوس حيث دانيال مدفون بها اذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون فكتب ابو موسى فى ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر ان احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به

(فصل) قالوا قال كعب وذكر صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ويريد بها التوراة التي هى اعم من التوراة المعينة احمد عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة يعفو ويغفر مولده بكا وهجرته طابا وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله على كل نجد ويسبحونه في كل نزلة ويغضون اطرافهم ويأتزرون على انصافهم وهم رعاة الشمس ومؤذنهم في جو السماء وصفهم في القتال وصفهم فى الصلاة سواء رهبان بالليل اسد فى النهار لهم دوى كدوى النحل يصلون الصلاة حيثما أدركتهم ولو على كناسة

(فصل) قالوا قال ابن ابي الزناد حدثني عبد الرحمن ابن الحارث عن عمر

ابن حفص وكان من خيار الناس قال كان عند ابي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام فيها اسم الله وقوله الحق وقول الظالمين تبار هذا الذكر لامة تأتي في آخر الزمان يتزرون على اوساطهم ويرصدون اطرافهم ويخوضون البحور الى اعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة

(فصل) قالوا قال اشعياء وذكر قصة العرب فقال ويدوسون الاسم دياس البيادر وينزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موترة من شدة الملحمة وهذا اخبار عما طراء بعبدة الاوثان من رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي (فصل) في كلمة الانجيل وتفسيرها قالوا وقال يوحنا الانجيلي قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من انجيله ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شئ وقال يوحنا التلميذ ايضاً عن المسيح انه قال لتلاميذه ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لم يطق العالم ان يقتلوه لانهم لم يعرفوه ولست ادعكم ايتاما لاني سآتيكم عن قريب • وقال يوحنا قال المسيح من يحبني يحفظ كلمتي وابي يحبه واليه يأتي وعنده يتخذ المنزل كلمتكم بهذا لاني عندكم مقيم والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شئ وهو يذكركم كل ما قلت لكم استودعتكم وامي لاتقلق قلوبكم ولا تجزع فاني منطلق وعائد اليكم لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضي الى الاب

فان انتم ثبتم في كلامي وثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون وبهذا يمجد ابي وقال ايضاً اذا جاء الفارقليط الذي ابي ارسله روح الحق الذي من ابي هو يشهد لي قلت لكم هذا حتي اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه وقال أيضاً ان خيراً لكم ان انطلق لابي ان لم اذهب لم يأتكم الفارقليط فاذا انطلقت أرسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة وان لي كلاماً كثيراً اريدان أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب. وقال يوحنا الحواري قال المسيح ان اركون العالم سيأتي وليس لي شيء. وقال متى التلميذ قال المسيح الم يقروا ان الحجر الذي ارذله البناؤن صار راساً للزاوية من عند الله كان هذا وهو عجيب في اعيننا ومن اجل ذلك اقول لكم ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى تأكل ثمرها ومن سقط على هذا الحجر ينشرح وكل من سقط هو عليه يمحقه. وقال يوحنا التلميذ في كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفراكيس يا اخاي اياكم ان تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها واعلموا ان كل روح يؤمن بان يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهي من عند الله وكل روح لا يؤمن بان يسوع المسيح جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذي سمعتم به وهو الآن في العالم. وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين في كتاب فراكيس انه قد حان ان يبتدىء الحكم من بيت الله ابتداء * قلت وهذا اللفظ لفظ الفارقليط في لغتهم ذكروا فيه اقوالا . قيل انه الحماد وقيل

انه الحامد وقيل انه المعز وقيل انه الحمد ورجح هـذا طائفة وقالوا
الذي يقوم عليه البرهان في لغتهـم انه الحمد والدليل عليه قول يوشع
من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد .اى حمد جيد وقولهم المشهور
في مخاطبتهم فارقليط وفارقليطان وما زاد على الجمع اى حمد ومنـه كما
يقول تحويد ومنه هنا روبده يأتى بعد قوله وواحـد منها بقى عبرانياً
ومن قال معناه المخلص فيحتجون بأنها كلمة سريانيـة ومعناها المخلص
وقالوا هو مشتق من قولنا فار ويقال بالسريانية فاروق فجمل فارق
قالوا ومعنى ليط كلمة يراد بها التثبت والتقدير كما يقال في العربية رجل
هو وحجر هو وبدر هو وذكر هو قالوا وكذلك يراد في السريانيـة
ليط والذين قالوا هو المعز قالوا هو فى لسان اليونان المعز ويعترض على
هذين القولين بان المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية
ويجاب عنه بانه تكلم بالعبرانية وترجم عنه بلغة أخرى كما املوا احد
الاناجيل باليونانية وآخر بالسريانية والآخر بالرومية وواحد منها بقى
عبرانياً وقد اختلف فيـه فمن النصارى من قال هو روح نزلت على
الحواريين وقد يقولون انه السن نارية نزلت من السماء على التلاميذ
ففعلت الآيات والعجائب ولهذا يقول من خبر احوال النصارى انه
لم ير احد منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفارقليط الموعود به • منهم من
يزعم انه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب باربعـين يوماً وكونه قام
من قبره . وتفسيره بالروح باطل وابطل منه تفسيره بالمسيح لوجوه منها
ان روح القدس ما زالت تنزل على الانبياء والصالحين قبل المسيح وبعده
وهذا مما اتفق عليه اهل الكتاب ان روح القدس نزلت على الانبياء

والصالحين قبل المسيح وبعده وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين اللهم ايده بروح القدس وقال ان روح القدس معك مازلت تنافح عن نبيه واذا كان كذلك ولم يسم احد هذه الروح فارقليطا دل على ان الفارقليط أمر غير هذه وايضاً فمثل هذه مازالت يؤيد بها الانبياء والصالحون وما بشر به المسيح أمر عظيم يأتي بعده اعظم من هذا. وايضاً فانه وصف الفارقليط بصفات لاتناسب هذا وانما تناسب رجلا يأتي بعده نظيراً له فانه قال ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياى وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم الى الابد. فقوله فارقليطا آخر دل على انه ثان لاول كان قبله ولم يكن معهم في حياة المسيح الا هو لم تنزل عليهم روح فعلم ان الذى يأتى بعده نظيراً له ليس أمراً معتادا يأتى الناس وايضاً فانه قال يثبت معكم الى الابد وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر ومعلوم انه لم يرد بقاء ذاته فعلم انه بقاء شرعه وامره فعلم ان الفارقليط الاول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الابد وهذا يبين ان هذا الثاني صاحب شرع لاينسخ بخلاف الاول وهذا انما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وايضاً فانه اخبر ان هذا الفارقليط الذى اخبر به يشهد له ويعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كل ما قال المسيح وانه يوبخ العالم على الخطيئة فقال والفارقليط الذى يرسله ابى هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم

كل ما قلت لكم . وقال اذا جاء الفارقليط الذى ابى ارسله وهو يشهد لي
قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه وقال ان خيرا
لكم ان انطلق لانى ان لم اذهب لم يأتكم الفارقليط فاذا انطلقت
أرسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة وان لي كلاما كثيرا اريد ان
اقوله ولكنكم لاتستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم
الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عندة بل يتكلم بما يسمع ويخبركم
بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها
عن المسيح لاتنطبق على شيء فى قلب بعض الناس لايراه احد ولا
يسمع كلامه وانما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه فيشهد
للمسيح ويعلمهم كل شيء ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ويوبخ العالم
على الخطيئة ويرشد الناس الى جميع الحق وهو لاينطق من عنده بل
يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتى ويعرفهم جميع ما لرب العالمين
وهذا لا يكون ملكا لايراه احد ولا يكون هدى ولا علما فى قلب
بعض الناس بل لا يكون الا انساناً عظيم القدر يخاطب الناس بما اخبر به
المسيح وهذا لا يكون الا بشرا رسولا بل يكون أعظم من المسيح فان
المسيح بين انه يقدر على مالا يقدر عليه المسيح من خطاب الناس في
امور عظيمة لاتحملها عقول اولئك ويعلم ما لايعلمه المسيح ويخبر بكل
مايأتى وبما يستحقه الرب حيث قال وان لي كلاماً كثيرا اريد ان
أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ولكن اذا جاء روح الحق ذاك
الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بما يسمع ويخبركم بكل مايأتى ويعرفكم جميع ماللاب وهذه الصفات

لاتنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعن ما اعده الله في الجنة لاوليائه وفي النار لاعدائه امر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل ولهذا قال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال ابن مسعود ما من رجل يحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم. وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) قال مايؤمنك ان لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت وكفرك بها تكذيبك بها فقال لهم المسيح عليه السلام ان لى كلاما كثيرا أريد ان اقوله ولكنكم لاتستطيعون حمله وهو الصادق المصدوق في هذا ولهذا ليس في الانجيل من صفات الله وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر الا امور مجملة وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا امور مجملة مع ان موسى كان قد مهد الامر للمسيح ومع هذا فقد قال لهم المسيح ان لى كلاماً كثيراً اريد ان قوله ولكنكم لاتستطيعون حمله ثم قال ولكن اذا جاء روح الحق ذلك الذى يرشدكم الى جميع الحق. وقال انه يخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم بجميع ماللرب فدل هذا على ان هذا الفارقليط هو الذى يفعل هذا دون المسيح وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم ارشد الناس الى جميع الحق حتى أكمل الله له الدين واتم به النعمة ولهذا كان خاتم الانبياء فانه لم يبق شيء يأتي به غيره وأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما يأتى من اشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن

الاعمال والجنة وانواع نعيمها والنار وأنواع عذابها فلهـذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى من ذلك أمور كثيرة لا توجد لا في التوراة ولا في الانجيل وذلك تصديق قول المسيح انه يخبر بكل مايأتى ومحمد بعثه الله بين يدى الساعة كما قال بعثت انا والساعـة كهاتين وأشار باصبعيه السبابة والوسطى وكان اذا ذكر الساعة علا صوته واحمر وجهه واشتد غضبه كانه منذر جيش وقال اني نذير لكم بين يدى عذاب شديد وقال أنا النـذير العريان فاخبر من الامور التي تأتى في المستقبل بمـا لم يخبر به نبي من الانبياء كما نعته به المسيح حيث قال انه يخبركم بكل مايأتى ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يوجد نيء ينزل على قلب بعض الحواريين وايضاً فقـال ويعرفكم جميع ما للرب فبـين انه يعرف الناس جميع ما لله وذلك يتناول ما لله من الاسماء والصفات وما له من الحقوق وما يجب من الايمان به وبملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون مايأتى به جامعاً لكل مايستحقه الرب وهذا لم يأت به أحد غير محمد حيث يتضمن ماجاء به من الكتاب والحكمة هذا كله ومعلوم ان مانزل على الحواريين لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه بل ماجاء به المسيح أعظم مما جاءبه الحواريون وهذا الفارقليط الثانى جاء بأعظم مما جاء به المسيح وأيضاً فان المسيح قال اذا جاء الفارقليط الذى ارسله ابي هو يشهد لي قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه فبين انه أخبركم به لتؤمنوا به اذا جاء ولا تشكوا فيـه وانه يشهد له وهذه صفة من بشر به المسيح ويشهـد

للمسيح كما قال تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه احمد وأخبر انه يوبخ العالم على الخطيئة ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه انذر جميع العالمين من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ووبخ جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم ووبخ المجوس وكانت مملكتهم أعظم الممالك ووبخ أهل الكتابين اليهود والنصاري وقال في الحديث الصحيح عنه ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب لم يقتصر على مجرد الامر والنهى بل وبخهم وقرعهم وتهددهم وايضاً فانه اخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع وهذا إخبار بان كل مايتكلم به فهو وحى يسمعه ليس هو شيئاً تعلمه من الناس أو عرفه باستنباطه وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم فان المسيح ومن قبله من الانبياء كانوا يتعلمون من غيرهم مع ما كان يوحى اليهم فعندهم علم غير مايسمعونه من الوحي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم ينطق الا بما يسمعه من الوحي فهو مبلغ لما أرسل به وقد قيل له بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فضمن الله له العصمة اذا بلغ رسالاته فلهذا أرشد الناس الى جميع الحق والقى الى الناس مالم يمكن غيره من الانبياء القاءه خوفاً ان يقتلوه كما يذكرون عن المسيح وغيره وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ماعنده وانهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بانه كان يخاف منهم اذا أخبرهم

بحقائق الامور ومحمد صلى الله عليه وسلم أيده الله تأييداً لم يؤيده
لغيره فعصمه من الناس حتى لم يخف من شيء بقوله وأعطاه من البيان
والعلم مالم يؤته غيره فالكتاب الذى بعث به فيه من بيان حقائق
الغيب ماليس فى كتاب غيره وأيد أمته تأييداً أطاقت به حمل ما ألقاه
اليهم فلم يكونوا كاهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ولا كاهل
الانجيل الذين قال لهم المسيح ان لي كلاما كثيراً أريد ان أقوله
لكم ولكن لا تستطيعون حمله وروى ان المسيح قال جئتكم بالامثال
وهو يجيئكم بالتأويل ولا ريب ان أمة محمد أكمل عقولا وأعظم ايمانا وأتم
تصديقاً وجهاداً ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وايمانهم أعظم
وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل
اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وقد ثبت فى الصحيح
عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قال قد فعلت وايضاً فانه أخبر عن
الفارقليط انه يشهد له وانه يعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كل ماقال
المسيح ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس
لا يكون هذا شيئاً في قلب طائفة قليلة ولم يشهد أحد للمسيح شهادة
سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه أظهر أمر المسيح

وشهد له بالحق حتي سمع شهادته له عامة أهل الارض وعلموا انه صدق المسيح ونزهه عما افترته عليه اليهود وعما غات فيه النصارى فهو الذى شهد له بالحق ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم مازاد عيسى على ماقلتم هذا العود وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس يشهدون عليهم بما علموه من الحق اذ كانوا وسطاً عدلاً لايشهدون بباطل فان الشاهد لايكون الا عدلاً بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق أو نقص منه كشهادة اليهود والنصارى فى المسيح وأيضاً فان معنى الفارقليط ان كان هو الحامد أو الحماد اوالحمد أو المعز فهذا الوصف ظاهر فى محمد صلى الله عليه وسلم فانه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال وهو صاحب لواء الحمد والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته ولما كان حماداً جوزي بوصفه فان الجزاء من جنس العمل فكان اسمه محمدا واحمد واما محمد فهو على وزن مكرم ومعظم وهو الذى يحمد حمدا كثيراً مبالغاً فيه ويستحق ذلك فلما كان احمد كان محمداً وفي شعر حسان ابن ثابت

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

واما احمد فهو افعل التفضيل هو احمد من غيره اى احق بأن يكون محمودا اكثر من غيره يقال هذا احمد من هذا اى هذا احق بأن يحمد من هذا فيكون فيه تفضيل له على غيره فى كونه محمدا فلفظ محمد يقتضي فضله فى الكمية ولفظ احمد يقتضى فضله في الكيفية ومن الناس من يقول احمد اى اكثر حمدا من غيره فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد وقال من رجح ان معنى الفارقليط فى لغتهم هو الحمد كما تقدم واذا كان كذلك

فهو ماجاء في القرآن ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد قالوا
ولاشك عندهم انه اسم مشتق من الحمد مثل ماتقول فى لغتنا ضارب
ومضروب واما من فسره بالمعز فلم يعرف قط نبي اعز اهل التوحيد
لله والايمان كما اعزهم محمد فهو احق باسم المعز من كل انسان واما
معنى المخلص فهو ايضاً ظاهر فيه فان المسيح هو المخلص الاول كما ذكر
فى الانجيل وهو معروف عند النصارى ان المسيح صلوات الله عليه
قد سمي مخلصاً فيكون المسيح هو الفارقليط الاول وقد بشر بفارقليط
آخر فانه قال وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم
الى الابد فهذا بشارة بمخلص ثاني يثبت معهم الى الابد والمسيح هو
المخلص الاول واما ماينزل في القلوب فلم يسمه احد مخلصاً ولا فارقليطاً
ولا يجوز ان يفسر كلام المسيح الا بلغته ومعانيه المعروفة فى لغته التي
خاطب بها وكذلك سائر الانبياء بل وسائر الناطقين وقد وصف هذا
المخلص الثانى بأنه يثبت معهم الى الابد ومحمد هو المخلص الذي جاء
بشرع باق الى الابد لاينسخ وايضاً فان في الانجيل انجيل يوحنا ان المسيح
قال ان اركون العالم سيأتي وليس لى شيء وقد ذكروا ان الاركون
بلغتهم العظيم القدر والاراكنة العظماء وقد كانوا يقولون عن المسيح
ان اركون الشياطين يعنيه اى عظيم الشياطين وهو من افتراء اليهود
على المسيح فقول المسيح عليه السلام اركون العالم انما ينطبق على عظيم
العالم وسيد العالم وكبير العالم وقد اخبر انه سيأتى فامتنع ان يكون هذا
الاركون المسيح او احدا مثله ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم واطاعه
العالم غير محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من بشارة المسيح به وقد سئل

صلى الله عليه وسلم ما كان اول امرك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي رأت حين ولدتني انه خرج منها نور اضاءت له قصور
الشام ببصرى وبالجملة فمعلوم باتفاق أهل الارض والاضطرار انه
لم يأت بعد المسيح من ساد العالم باطناً وظاهرا وانقادت له القلوب
والاجساد وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع
الاعصار وأفضل الاقاليم شرقا وغربا احد غير محمد فان الملوك
يطاعون ظاهرا لا باطناً ولا يطاعون بعد موتهم ولا يطيعهم اهل
الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ويخافون عقاب الله
في الدار الآخرة بخلاف الانبياء. ومحمد اظهر دين الرسل قبله وصدقهم
ونوه بذكرهم وتعظيمهم فبه آمن بالانبياء والرسل مثل موسى والمسيح
وغيرهما أمم عظيمة لولا محمد لم يؤمنوا بهم ومن كان يعرف هؤلاء من
أهل الكتاب كانوا مختلفين فيه كاختلاف اهل الكتاب في المسيح
وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما بما هو معروف عندهم وايضاً
فانه ذكر لهم من الرسل مالم يكونوا يعرفونه مثل هود وصالح وشعيب
وغيرهم ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق المسيح في أخباره بانه اركون
العالم فقال انا سيد ولد آدم ولا فخر .آدم فمن دونه تحت لوائي انا خطيب
الانبياء اذا وفدوا وامام الانبياء اذا اجتمعوا وهو صاحب لواء الحمد
وهو صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون يوم
القيامة فهو سيد العالمين حقاً وهذا مطابق لقول المسيح انه اركون
العالم فهو اركون الآخرين في الدنيا والآخرة وهو اركون الاولين
والآخرين في الآخرة وقول المسيح ان اركون العالم سيأتي وليس لي

شيء تضمن الاصلين اثبات الرسول واثبات التوحيد وان الامر كله لله وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقول المسيح ليس لي شيء تنزيه له مما نسب اليه من الربوبية وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق قال الله تعالى لمحمد صلي الله عليه وسلم (ليس لك من الامر شيء) وقال تعالى (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي) وقال (قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا (أي ملجأ وملاذا) الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وقال تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرا الا ماشاء الله) وايضاً في نبوة اشعيا انه وصف محمدا بانه اركون السلم والسلم والسلام الاسلام فهو يبين انه سيد دين الاسلام ولا ريب ان الانبياء كلهم بعثوا بدين الاسلام لكن لم يظهر هذا الدين واسمه وانتشر ذكره من بينهم في الارض كما ظهر لمحمد فمحمد اركون الاسلام الذي يجمع كل خير وبر كما ان ابليس اركون الشر قال تعالى عن نوح (ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا علي الله وامرت ان اكون من المسلمين) فهذا نوح أول رسول بعثه الله الى اهل الارض يذكر انه امر ان يكون من المسلمين وقال تعالى عن ابراهيم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا
تموتن الا وانتم مسلمون وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقالت بلقيس رب انى ظلمت نفسي
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقالت السحرة لما اسلموا واراد
فرعون قتلهم ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا وقال واذ
اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا
مسلمون وقال تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. فان قيل فقد
سمى المسيح الفارقليط روح الحق وسماه روح القدس . قيل قد قال
يوحنا فى كتاب اخبار الحواريين المسمى افراكسيس يا احبابى اياكم
ان تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها
واعلموا ان كل روح يؤمن بان يسوع المسيح قد جاء فكان جسدانياً
فهى من عند الله وكل روح لايؤمن بان المسيح قد جاء وكان جسدانياً
فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذى هو الآن في العالم
واذا كان كذلك علم ان الروح عندهم يتناول النبي المرسل من البشر .
وجبريل الذى نزل بالوحي على محمد هو روح القدس وهو روح الحق
كما قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال نزل به الروح
الامين على قلبك وقال من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن
الله وهذا الروح انما جاء بمجيء محمد والكلام الذى نزل به هو الذى

بلغه محمد ولهذا قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فاصطفى الله جبريل من الملائكة واصطفى محمدا من البشر ولهذا يشير القول الذي هو القرآن الى نزول هذا تارة والى نزول هذا تارة كما قال تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين فهذا الرسول هنا جبريل وقال في الآية الاخرى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين فهذا الرسول هنا محمد واضافه الى كل منهما بلفظ الرسول لتضمنه انه بلغه عن مرسله لم يقل انه لقول ملك ولا نبي بل كفر من قال انه قول البشر كما ذكر ذلك عن الوحيد وقد قال تعالى فى القرآن قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومعلوم ان الرسول نفسه لم ينزله بل أبدل الرسول من الذكر لان الرسول جاء بالذكر ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل امورا متلازمة يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخرين ومن الايمان بواحد الايمان بالآخرين فيلزم من كون القرآن حقاً كون جبريل ومحمد حقا وكذلك يلزم من كون محمد حقا كون جبريل والقرآن حقا ويلزم من كون جبريل حقا كون القرآن ومحمد حقا ولهذا جمع الله بين الايمان بالملائكة وبالانبياء من جهتين من جهة أنهم أخبروا به قبل ان يبعث بسنين كثيرة فكان الامر كما أخبروا به . وهذا آية لنبوتهم . وإخبارهم بنبوته دليل على نبوته فصار مافي الكتب المتقدمة من خبره دليلاً على نبوة من قبله وعلى نبوته وكما ان اخباره

هو ايضاً عنهم مع بعد العهد خبراً لم يتعلمه من بشر دليلاً على نبوته وقد اخبر بنبوتهم فثبتت نبوته ونبوتهم صلى الله عليهم أجمعين. الجهة الثانية انه اخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينهم وبينه ولا تشاعر لم يأخذوا عنه ولم يأخذ عنهم وكل منهما أخبر عن الله باخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة الا بتواطئ فاذا لم يكن تواطؤ وتشاعر وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة علم ان كلا من المخبرين صادق قال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقص قصته في السورة الى ان قال ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون الى قوله قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا وقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من من أمر ربي وما اوتيتم من

العلم الا قليلا وقال ام حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا وقال تعالى لما قص قصة نوح فى سورة هود وهى اطول ما قصه الله في القرآن من قصة نوح تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين فذكر سبحانه ان هذا الذي أوحاه اليه من انباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لامن أهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الاقومه وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون ايضاً انه هو لم يكن تعلم ذلك وانه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه ومثل هذا ما اخبرهم عن قصة آدم وسجود الملائكة له وتزيين ابليس له حتى اكل من الشجرة وهبط هو وزوجته واخبرهم عن نوح ودعاه على قومه ومكثه فيهم الف سنة الا خمسين عاماً وهذا في التوراة الموجودة بايدى أهل الكتاب مقدار لبثه فى قومه قبل الغرق وبعده وأخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه والقائه في النار وذبح ولده ومجيء الملائكة اليه فى صورة ضيفان وتبشيره باسحاق ويعقوب وذهاب الملائكة الى لوط وماجرى للوط مع قومه واهلاك الله مدائن قوم لوط وقصة يعقوب مع بنيه كقصة يوسف وما جرى له بمصر وقصة موسى مع فرعون وتكليم الله اياه مرة بعد مرة وآياته كالعصى واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وتظليل الغمام على بني اسرائيل واطعامهم المن والسلوي وانفجار الماء من الحجر اثني عشر عينا لسقيهم

وعبادتهم العجل وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم وقصة البقرة ونتق الجبل فوقهم وقصة داود وقتله لجالوت وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وقصة الذى اماته الله ماية عام ثم بعثه وغير ذلك من أحوال بني اسرائيل الى ان ذكر قصة زكريا وابنه يحيي وعيسى بن مريم وأحوال المسيح وآياته ودعائه لقومه والايات التي بعث بها وتفاصيل ذلك وذكر قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وغير ذلك من قصص الانبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة باحسن بيان واتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره الى ان ادعى النبوة انه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو باحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لايهودى ولا نصرانى ولا غيرهم كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بان هذا انما اعلمه به وانباه به الله ومثل هذا الغيب لايعلمه الا نبي أو من اخذ عن نبي فاذا لم يكن هو قد أخذه عن نبي تعين ان يكون نبياً ثم سائر أهل الارض يعلمون انه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق أحدها ان قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس على القدح فى نبوته مع كمال علمهم لو علموا انه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه بذلك وأظهروه فانهم مع علمهم بحاله يمتنع ان لايعلموا ذلك لو كان ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع ان لايقدحوا فيه ويمتنع ان لا يظهر ذلك * الثانى انه قد تواتر عن قومه انهم كانوا يقولون انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك • الثالث انه لوكانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من اهل الكتاب مع عداوته لهم

لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ولو أظهروا ذلك لنقل ذلك وعرف فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها. الرابع انه حين بعث كان الناس اما مشركا واما كتابياً فلم يكن هناك أحد على الدين الذى دعا اليه وقد علم الناس بالتواتر ان المشركين من قريش وغيرهم لم يكونوا يعرفون هذه القصص ولو قدر انهم كانوا يعرفونها فهم أول من دعاهم الى دينه فعادوه وكذبوه فلو كان فيهم من علمه أو يعلم انه تعلم من غيره لاظهر ذلك. الخامس ان مثل هذا لو كان فلا بد ان يعرفه ولو خواص الناس وكان فى أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك وكان ذلك يشيع ولو تواصوا بكتمانه كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية واكان خواصه فى الباطن يعلمون كذبه وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن كما عرف في نظائر ذلك فكيف وكان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله اعظمهم محبة وموالاة بخلاف حال من يبطن خلاف مايظهر فان خواص أصحابه لايعظمونه في الباطن فاذا علم الناس ان قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق يخبرون انه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا وانه لم يكن فى قومه ولا بلده من يعرف هذا. علم الناس ماعلمه قومه من ان هذا انما انبأه به الله وكان هذا من اعلامه وآياته وبراهينه وهذا مما بين الله فى القرآن انه من آياته وانه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم وفرط عداوتهم له لم يمكن أحدا منهم ان يقول له بل فينا من كان يعلم ذلك وانت كنت تعلم ذلك وقد تعلمته منا أو من غيرنا فكان اقرارهم بعدم علمه وعلمهم مع فرط عداوتهم له اية بينة لجميع الامم انه لم يكن هو

ولاهم يعلمون ذلك ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة كانوا كلهم يعلمون كذبه واذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعترفون ان هذا كذب ظاهر عليه كما كان بعضهم يقول انه مجنون وبعضهم يقول انه كاهن وبعضهم يقول انه ساحر وبعضهم يقول انه معلم تعلمه من بشر وبعضهم يقول اضغاث أحلام فحكى الله أقوالهم مبينا ظهور كذب من قال ذلك وانه قول ضال حائر قد بهره حال الرسول فحار فلم يدر مايقول كما قال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) فاخبر عمن قال ذلك وهم يعلمون ان هذا من أظهر الكذب فان هذه القصص المذكورة في القرآن لم يكن بمكة من يعرفها فضلا عن ان يمليها كما قال (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) وقال (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ولهذا قال (قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض) فاخبر ان هذا من علم من يعلم السر اذ كان البشر لايعلمون ذلك الا من جهة أخبار الانبياء وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الانبياء ثم ذكر ما اقترحوه فقال (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه

ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أمر بالنظر فى كيفية ما ضربوه من الامثال حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهوراً لايخفى على الناظر ولهذا قال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اذ كان ظاهراً ان هذا ضلال عن طريق الحق فلا يستطيع الضال عن طريق الحق اليه سبيلا وقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان اية والله أعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) فاخبر عما افتراه بعضهم من قوله انما يعلمه هدى القرآن بشر وكان بمكة مولى أعجمى لبعض قريش قيل انه مولى لبني الحضرمى والنبي لايحسن يتكلم باللسان العجمى وذاك لا يحسن يتكلم بهذا اللسان العربي فلما قالوا انه افترى هدي القرآن وانه علمه اياه بشر قال تعالى لسان الذى يلحدون اي يضيفون اليه هدى التعليم وينسبونه اليه وعبر عنه بلفظ الالحاد لما فيه من الميل فقال لسان هذا الشخص الذى قالوا انه يعلمه القرآن لسان أعجمى وهم لم يمكنهم ان يضيفوا هدى التعليم الى رجل عربي بل الى هدى لاعجمي لكونه كان ربما يجلس أحيانا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذاك الاعجمى لا يمكنه ان يتكلم بهدي الكلام العربي

بل هو أعجمي ومحمد لايعرف بالعجمية لكن غاية ذاك الأعجمي كعبد بني الحضرمي ان يعرف قايلا من كلام العرب الذي يحتاج اليه في العادة مثل الالفاظ التي يحتاج اليها في غالب الاوقات كلفظ الخبز والماء والسماء والارض ولا يعرف ان يقرأ سورة واحدة من سور القرآن فبين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه ولم يقل أحد منهم مايمكن ان يكون شبهة في تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك وانما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ولم ينقل عن أحد منهم انه قال قولا يخفى بطلانه بل ما يظهر كذبه لكل أحد فتبين انه لم يمكنهم ان يقولوا انه تعلم أخبار الغيوب من أحد وهذه القصة قصة نوح لاسيما قصته المستوفاة في سورة هود كما تقدم لا يعلمها الا نبي أو من تلقاها عن نبي فاذا عرف انه لم يتلقها عن أحد علم انه نبي ولهذا قال تعالى فى آخرها تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) والقول في سائر القصص كالقول فيها وكما قال في سورة يوسف ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال فى سورة آل عمران لما ذكر قصة ذكريا ومريم (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقال في قصة موسى (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك»

الآية والانسان انما يعلم مثل هـذا بمشاهدة أو خبر فبه بقوله وما كنت لديهم على انك انما علمت ذلك باخبارنا وايحائنا اليك واعلامنا لك بذلك اذ كان معلوما عند كل من عرفه انه لم يسمع ذلك من بشر وانه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك وقد قال تعالى (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) بين بذلك ان تلاوته عليهم هذا الكتاب وادرائهم أي اعلامهم به هو بمشيئة الله وقدرته لامن تلقاء نفسه كما قال قبل هذا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحي الي اني أخاف ان عصيت ربي يوم عظيم قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدريكم به) الآية فبين انه لبث فيهم عمراً من قبله وهو لايتلو شيئاً من ذلك و لايعلمهم به فليس الامر من جهته ولكن من جهة الله الذي لو شاء ماتلاه عليهم ولا أدراهم به وتلاوته عليهم وادراؤهم به هو من الاعلام بالغيوب الذي لايعلمها الا نبي وبين ان ذلك من الارسال الديني الذي يحبه الله ويرضاه لامن الكوني الذي قدره وقضاه وهو لايحبه ولا يرضاه كارسال الشياطين ولهذا كانوا يعرضون عليه ان يصير ملكا عليهم وان يعطوه حتى يكون من أغناهم وان يزوجوه ما شاء من نسائهم فيقول لو وضعتم الشمس في يميني والقمر فى شمالي على ان أدع هذا الامر لم أستطع ان أدعه وهذه الثلاث هى مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان والمال والنساء) فعرض عن قبول الدنيا التي هى غاية أماني طالبها وبين انه لا يقدر على ان يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة قال تعالى

(وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجدلك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلافك الاقليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) ولا تجد لسنتنا تحويلا بين سبحانه انهم طلبوا ان يمنعوه بكل طريق فان الانسان انما يتم عمله بارادته وقدرته فمع الارادة الجازمة والقدرة التامة يجب وجوب المقدور واذا تعذر أحدهما امتنع فطلبوا تغيير ارادته ليركن اليهم فيغير ما أوحي اليه فعصمه الله وثبته ثم طلبوا تعجيزه بان يستفزوه ويخرجوه حتى يعجز عن تبليغ رسالة ربه ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة اسوة من تقدمه من الرسل فان الله كان اذا اراد اهلاك امة اخرج نبيها من بينها ثم اهلكها لا يهلكها وهو بين اظهرها كما قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذا بعد قوله (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فلما خرج من بينهم بالهجرة اتاهم الله بعذاب اليم يوم بدر وغيره فقوله ان كادوا ليفتنونك اشارة الى سعيهم في افساد ارادته وقوله (وان كادوا ليستفزونك من الارض اشارة الى سعيهم في تعجيزه) وقال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه

متواتر عند من غاب عنه وبلغته اخباره من جميع الناس انه كان اميا لا يقرأ كتاباً ولا يخط كتاباً من الكتب لا المنزلة ولا غيرها ولا يقرء شيئاً مكتوباً لا كتاباً منزلاً ولا غيره ولا يكتب بيمينه كتاباً ولا ينسخ شيئاً من كتب الناس لا المنزلة ولا غيرها ومعلوم ان من يعلم من غيره اما ان يأخذ تلقينا وحفظاً واما ان يأخذ من كتابة وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه ولا يقرأ مكتوباً والذي يأخذ من كتاب غيره اما ان يقرأه واما ان ينسخه وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) الى قوله (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) فقال تعالى (وانه لفي زبر الاولين) وقال (او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) وعلماء بني اسرائيل يعلمون ذكر ارسال محمد ونزول الوحي عليه كما قال تعالى (الذي يجدونه

مكتوباً عنـدهم في التوراة والانجيل) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقال (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) وقال (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) ويعلمون المعاني التي فيه انها موافقـة لاقوال الرسل قبله في الخبر والامر فانه أخبر عن توحيد الله وصفاته وعرشه وملائكته وخلقه السموات والارض وغير ذلك بمثل ما أخبرت به الرسل قبـله وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لاشريك له وبالعـدل والصدق والصـلاة والزكاة ونهى عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت ونهت الرسل قبله والسور المكية نزلت بالاصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل التي لابد منها وهي الاسلام العام الذى لايقبل الله من أحد من الاولين والآخرين ديناً غيره وأما السور المدنية ففيها هذا وفيها مايختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج فان دين الانبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحـد قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينابه ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى (فاقم وجهـك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين

من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) واما الشرعة والمنهاج فقـد قال عن أهل التوراة والانجيل والقرآن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون وان ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الى قوله لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه واما القبلة فلم يجعل ما ابتـدعه اهل الكتاب من القبلة فلذلك قال ولكل وجهـة هو موليها لم يقل انا جعلنا لكل وجهة كما قال فى المنسك والشرعة والمنهاج وقال تعـالى (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى) فانه اذا أتاهم ببيان مافي الصحف الاولى مع علمهـم بأنه لم يعاشر أحداً من أهل الصحف الاولى ولا استفاد منهم علماً كان هذا من أعظم الآيات من الله وكما ان أخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته فانه يدل على ان النبوة أنباء من الله ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفـة كابن سينا وامثاله انه فيض فاض عليه من النفس الفلكية او العقل الفعال ويقولون ان النفس او العقل هو اللوح المحفوظ وان من اتصلت نفسـه به علـم ما علمته الانبياء ويقولون النبوة مكتسبة لان هذه صفتها ويقولون ان سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية ويزعمون انهـا اللوح المحفوظ وان تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث فى الارض فتكون عالمة بمـا يحدث في الارض لان العلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب فان هـذا مبني على مقدمات باطلة قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر منهـا

اثبات العقل الفعال ومنها دعواهم انه لاسبب للحوادث الا حركة الفلك
ومنها ان المحرك له هو النفس ومنها ايصال نفوسنا بتلك النفس
والمقصود هنا ان هذا لو كان حقاً فانما يفيد علماً بالمستقبل الذى تكون
الحركة الحاضرة سبباً له اماما قد مضى قبل ذلك بمئين او الوف من
السنين فليس شيء من حركات الفلك حين مبعث الرسول كان سبباً له
وانما تكون الحركة الموجودة في زمانه سبباً للمستقبل لالماضي وحينئذ
فلايكون تحريك النفس للفلك سبباً للعلم بهذه الامور ولا يكون ذلك
هو اللوح المحفوظ بل القرآن المجيد فى لوح محفوظ وهو في أم الكتاب
فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون واخبر سبحانه انه نزل به
الروح الامين وقال فى آية أخرى قل نزله روح القدس من ربك
بالحق وقال في موضع آخر قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على
قلبك باذن الله وقال انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش
مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما
هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان
هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء
الله رب العالمين وقال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن
الناس) فذكر انه قول رسول اصطفاه من الملائكة نزل به على رسول
أصطفاه من البشر فقال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب
العالمين * ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا

لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) فنزه كلا من الرسولين عما قد يشتبه به • نزه الملك ان يكون شيطاناً • ونزه البشر ان يكون شاعراً او كاهناً وبين برهان ذلك وآيته فقال (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فبين انه ما يصلح لهم النزول به بل هم منهيون عن ذلك وهم ممتنعون عن ذلك لايريدوه لمنافاته لمقصودهم وانهم لو أرادوا ذلك لعجزوا عن ذلك فلم يستطيعوه اذ كانوا معزولين عن ان يسمعوه من الملأ الاعلى وهم انما يقدرون على ان ينزلوا بما سمعوه لابما لم يسمعوه وذلك ان الفاعل للفعل انما يفعله اذا كان مريداً له قادراً عليه فبين بقوله ومايذبغي لهم انهم لايريدون تنزيله وبقوله وما يستطيعون انهم عاجزون عن تنزيله • اما كونهم لايريدون فلأنه لاينبغي لهم وينبغي مضارع بغى يبغى أى طلب واراد فالذى لاينبغى للفاعل هو الذى لايطلبه ولا يريده اما لكونه ممتنعاً من ذلك او لكونه ممنوعا منه والشيطان انما يريد الكذب والفجور لايريد الصدق والصلاح وما جاء به الرسول مناقض لمراد الشياطين غاية المناقضة فلم يحدث في الارض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من ارسال محمد ونزول القرآن عليه فيمتنع ان تفعل الشياطين مالايريدون الا نقيضه وهم أيضاً ممنوعون من ذلك بحيث لايصلح لهم ذلك ولا يتأتى منهم كما ان الساحر لاينبغى له ان يكون نبياً والمعروف بالكذب والفجور لاينبغي له مع ذلك ان يكون رسولا ولا ان يكون حاكما ولا شاهداً ولا مفتياً اذ الكذب والفجور يناقض مقتضى الرسالة والحكم والشهادة

والفتيا فكذلك مافى طبع الشياطين من ارادة الكذب والفجور يناقض ان تتنزل بهذا الكلام الذى هو فى غاية الصدق والعدل لم يشتمل على كذبة واحدة ولا ظلم لاحد . ثم قال وما يستطيعون فانهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون بما حرست به السماء من الشهب كما قال عن الجن (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا) وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وان السماء حين مبعثه حرست حرساً لم يعهده الناس قبل ذلك ورأى الناس ذلك بأبصارهم فكانوا قد عاينوا ما اخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمى بها لطرد الشياطين فعزلوا بذلك عن سمع الملاء الاعلى وكان ماعاينه الكفار من الرمي الشديد العام الذى انتقضت به العادة المعروفة فى رمي الشهب دليلا على سبب خارق للعادة ولم يحدث اذ ذاك فى الارض امر لم تجر به العادة الا ادعاه للرسالة فلم يعرف قبله ولا بعده من نزل عليه الكلام كنزوله عليه اذ كان موسى عليه السلام انما انزلت عليه التوراة مكتوبة لم تنزل عليه منجمة مفرقة ملقاة اليه حفظاً حتى تحتاج السماء الى حراسها عن استراق سمعها . والزبور تابع لشرع التوراة وكذلك الانجيل فرع على التوراة لم ينزل كتاب مستقل الا التوراة والقرآن كما قال تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن كثيرا كما في قوله (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل على بشر من شيء قل من انزل التوراة الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس الى قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه) وقال(افمن

كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما
ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده)
قال سعيد بن جبير وغيره الاحزاب هي الملل كلها قال وهذا تصديق
قول النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يسمع بى من هذه
الامة يهودى ولا نصرانى ثم لايؤمن بى الا دخل النار • وقرأ هذه الآية
ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقالت الجن انا سمعنا كتاباً
انزل من بعد موسى الآية وقال النجاشي لما سمع القرآن ان هذا والذى
جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وقال ورقة بن نوفل للنبي صلى
الله عليه وسلم يا ابن اخي هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى وايضاً
فكان معروفا عندهم اخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع فلما
رؤا ان السماء قد حرست حرساً شديداً خلاف العادة علموا ان الشياطين
منعوا استراق السمع وعلمت الجن ذلك كما تقدم وقد قالت الجن (انا لمسنا
السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهباً وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى اشر اريد بمن في
الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) وقد تواترت الاخبار بانه حين المبعث
كثر الرمي بالشهب وهذا أمر خارق للعادة حتى خاف بعض الناس ان يكون
ذلك لخراب العالم حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك ام
الرمي بالشهب فلما رأوا انه بالشهب علموا انه لامر حدث وأرسلت
الجن تطلب سبب ذلك حتى سمعت القرآن فعلمت انه كان لاجل ذلك
كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين

الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم؟قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب . قالوا ماحال بينكم وبين خبر السماء الا لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الامر الذي حدث . فانطلقوا فضربوا مشارق الارض ومغاربها ينظرون ماهذا الامر الذى حال بينهم وبين خبر السماء . قال فانطلقوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً فانزل الله على نبيه قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن وروى الامام احمد عن ابن عباس قال كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ماسمعوا حقاً وما زادوه باطلا وكانت النجوم لايرمي بها قبل ذلك فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لايقعد مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من أمر قد حدث فبث جنوده فاذاهم بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض وروى ابن ابي حاتم باسناده عن السدي زعم ان السماء لم تكن تحرس الا ان يكون في الارض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون مايحدث فى السماء من امر حتى لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم

نبياً رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون ارقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير ويحكم يامعشر الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رايتموها مستقرة في امكنتها فلم يهلك اهل السماء انما هذا من اجل ابن ابي كبشة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وان انتم لم تروها فقد هلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن اموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا ابليس فحدثوه بالذى كان من امرهم . فقال ائتونى من كل ارض بقبضة من تراب اشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين قدموا مكة فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلى في المسجد الحرام يقرا القرآن فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم اسلموا فانزل الله عزوجل شأن امرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا من أعلام النبوة ودلائلها وقبل زمان البعث وبعده كان الرمي خفيفاً لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن وقوله تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) والافاك الكذاب والأثيم الفاجر كما قال (لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال

الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً • فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه وهو المناسب لها فى الكذب والاثم فاما الصادق البار فلا يحصل به مقصود الشياطين فان الشيطان لايطلب الصدق والبر وانما يطلب الكذب والفجور ومحمد صلى الله عليه وسلم ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الامين لم تجرب عليه كذبة واحدة ولما جاءه الروح بالوحى لم يخبر بخبر واحد كذب لاعمداً ولاخطأ ومن تنزلت عليه الشياطين لابد أن يخبر بالكذب فان الشياطين يلقون اليهم السمع ولا يلقون اليهم ما سمعوه على وجهه بل يكذبون فيه كثيراً إذ كان اكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم فان الشياطين وان كان كلهم كاذباً فليس كل من القى السمع يكذب فيما يلقيه بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه ولو مرة ولكن أكثرهم يكذبون والذى يصدق منهم مرة يكذب مرات والذى ينزل عليه الشياطين افاك اثيم وفى صحيح البخارى عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضى فى السماء فيسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مایة كذبة من عند أنفسهم فالفرق بين الصادق البار الذى يأتيه الملك الكريم والكاذب الاثيم الذى يأتيه الشيطان الرجيم فرق مبين يعرف بأدنى معرفة بحال الاثنين ولما كان الكاهن الذى يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الامور الغائبة بين سبحانه ان هذا يكون وان صدق في بعض الاخبار كاذباً فاجراً والذى يأتيه أيضاً يأتيه بالكذب فلا يشتبه بمن لايكذب ولا يفجر وهذا مما

يبين ان النبي لايكون الا باراً معصوماً ان يصر على ذنب

(فصل) وقد ذكرنا ان قومه المعادين له غاية المداوة مازالوا معترفين بصدقه صلى الله عليه وسلم وانهم لم يجربوا عليه كذباً بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة وانه ليس بساحر وكانوا في أول أمره يرسلون الى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب يسألونهم عنه لان مكة لم يكن بها ذلك ففي الصحيحين عن ابن عباس ان ابا سفيان ابن حرب حدثه قال انطلقت الى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا انا بالشام اذ جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل • فقال هرقل هل ههنا احد من قوم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي ؟ قالوا نعم قال فدعيت فى نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه فقال ايكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟قال ابو سفيان فقلت انا • فاجلسوني بين يديه واجلسوا اصحابي خلفي فدعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه قال ابو سفيان وايم الله لولا مخافة ان يؤثر علي كذباً لكذبت عليه • ثم قال لترجمانه سله كيف نسبه فيكم ؟ قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان في آبائه من ملك ؟ قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟ قلت لا وذكر باقي الحديث وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف وكان أمية اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة

ينزل على سعد فقال لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبينا سعد يطوف اذا أبو جهل . فقال من هذا الذي يطوف بالبيت فقال أنا سعد فقال أبو جهل تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه قال نعم فتلاحيا بينهما فقال أمية لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي ثم قال سعد والله لان منعتني ان اطوف بالبيت لاقطعن متجرك بالشام قال فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد فقال دعنا عنك فاني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم انه قاتلك قال اياي ؟ قال نعم قال والله ما يكذب محمد اذا حدث فرجع الى امرأته فقال اما تعلمين ما قال أخي اليثربي قالت وما؟ قال قال زعم ان محمداً يزعم انه قاتلي . قالت فوالله مايكذب محمد . قال فلما خرجوا الى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته اما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال وأراد ان لا يخرج فقال له أبو جهل انك من اشراف الوادي فسر يوماً او يومين فسار معهم فقتله رسول الله وفي رواية انه قال والله مايكذب محمد وعزم ان لا يخرج خوفاً من هذا حتى قال له أبو جهل انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فقال اما اذ غلبتني فلاشترين اجود بعير بمكة وذكرته امرأته بقول سعد فقال ما أريد ان اكون معهم الا قريباً وكذلك ما ذكره أهل المغازي وغيرهم ان أمية بن خلف لما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا اقتله ثم طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدشه وجعل أصحابه يجرعونه ويقولون انما هو خدش وليس بشيء فقال والله لو كان بمضر لقتلهم أليس قال لاقتلنك . وعن مجاهد

قال قال مولاى السايب بن يزيد كنت فيمن بنى البيت وان قريشاً اختلفوا في الحجر حين ارادوا ان يضعوه حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف فقالوا اجعلوا بينكم اول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونه فى الجاهلية الامين • فقالوا يامحمد قد رضينا بك • وقال ابن اسحاق فى قصة بناء البيت واختلاف قريش فيمن يضع الحجر وانهم مكثوا على ذلك اربع ليال او خمساً ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل الرواية ان أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذاسن قريش كلهم قال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه • ففعلوا فكان اول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين قد جاء رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلم لي ثوبا فأتي به فأخذ الركن يعنى الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه • وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي الامين • وعن عقيل بن أبي طالب قال جاءت قريش الى أبي طالب فقالوا له ان ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا ويسمعنا مايؤذينا فان رأيت ان يكف عنا فافعل • قال فقال لي ياعقيل التمس ابن عمك • قال فاخرجته من كيس من اكياس شعب أبي طالب فاقبل يمشي حتى انتهى الى ابي طالب فقال له يا ابن أخي والله ماعلمت ان كنت لي

مطيعاً وقد جاءني قومك يزعمون انك تأتيهم في كعبتهم وناديهم فتسمعهم ما يؤذيهم فان رأيت ان تكف عنهم • قال فحلق ببصره نحو السماء فقال والله ما انا باقدر على ان ادع ما بعثت به من ان يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار • فقال أبو طالب انه والله ما كذب قط فارجعوا راشدين • رواه البخاري في تاريخه وأبو زرعة في الدلائل ورواه ابن اسحاق قريباً من هذا اللفظ وقال فأخرجته من حفش وهو بيت صغير وقال فيه فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قد بدأ لعمه وانه خاذله ومسامه وضعف عن القيام معه فقال يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك في طلبه . وفي الصحيحين عن عبدالله بن الصامت قال قال أبوذر خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخي أنيس وامنا فنزلنا على خال لنا فاكرمنا وأحسن الينا فحسدنا قومه فقالوا انك اذا خرجت عن أهلك خالف اليهم أنيس فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له فقلت له • اما مامضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطي خالنا ثوبه يبكي وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر أنيس رجلا عن صرمتنا وعن مثلها فاتيا الكاهن فخير انيساً فأتى بصرمتنا ومثلها معها • قال وقد صليت يا ابن أخي قبل ان القى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين • قلت لمن ؟ قال لله قلت فاين توجه قال اتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى اذا كان من آخر الليل القيت كأني خفا حتى تعلوني الشمس. فقال انيس ان لى حاجة بمكة فاكفني فانطلق انيس حتى اتى مكة فرأث علي ثم جاء فقلت ماصنعت

قال لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم ان الله أرسله. قلت فما يقول الناس
قال يقولون شاعر كاهن ساحر وكان انيس أحد الشعراء قال انيس لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على اقراء الشعراء
فما يلتئم على لسان أحد يقرى بعدي انه شعر والله انه لصادق وانهم
لكاذبون . قال قلت فاكفني حتي أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر
من أهل مكة فانهم قد سبقوا له وتجهموا قال فأتيت مكة فضفت رجلا
منهم فقلت أين هذا الذى تدعونه الصابئ ؟ فاشار الي فقال الصابئ فمال
على أهـل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً على وذكر
الحديث وصفة اسلامه رضى الله عنه بلفظ مسلم وفي حديث البخارى
عن ابن عباس ان ابا ذر أرسل أخاه وقال اعلم لي علم هذا الرجل الذى
يزعم انه يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر
حتي قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع الى أبي ذر فقال رأيته يامر
بمكارم الاخلاق وكلاما ماهو بالشعر. فقال ما شفيتنى فيما أردت فتزود
وحمل شنة له فيها ماء حتي قدم مكة فاتي المسجد وذكر تمام الحديث
وعن جابر بن عبد الله قال قال الملاء وأبو جهل لقد غلبنا أمر محمـد
فلو التمستم رجلا عالماً بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه فأتانا ببيان
من أمره .قال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
وعلمت من ذلك علماً فما يخفى علي ان كان كذلك .فأتاه فلما خرج اليه
قال أنت يامحمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير ام عبد
الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك
الرياسة فكنت رأسنا ما بقيت .وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة

تختار من اى بنات قريش شئت .وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون) الى قوله (فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف ورجع الى اهله فلم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال ابو جهل يامعشر قريش والله ماترى عتبة الا قد صبى الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فأتاه ابو جهل فقال ياعتبة ماحبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك امره فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب واقسم ان لا يكلم محمداً ابداً وقال لقد علمتم انى من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فأجابنى بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه ابو بكر احمد بن مردويه في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل عن الاجلح عن الذيال بن حرملة عنه ورواه يحيي بن معين عن محمد بن فضيل ورواه ابو يعلى الموصلى في مسنده ورواه عبد بن حميد عن شيخ ابى يعلى بن ابى شيبة وفي بعض الطرق ان كنت تزعم ان هؤلاء خير امنك فقد عبدوا الآلهة . وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتي نسمع

ورواه ابن اسحاق قال حدثني يزيد بن زياد مولي لبني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماً وذكر الحديث الى ان قال لما جلس اليهم قالوا ماوراء ياابا الوليد؟ قال ورائي اني والله قد سمعت قولا ماسمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يامعشر قريش اطيعوني واجعلوني خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به .قالوا سحرك والله ياابا الوليد بلسانه قال هذا راى لكم فاصنعوا مابدا لكم ثم ذكر شعر ابي طالب يمدح عتبة فيما قال . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال قدم ضماد مكة وهو رجل من ازد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رايت هذا الرجل لعل الله ان يشفيه على يدي قال فلقيت محمدا فقلت اني ارقي من هذه الريح وان الله يشفي على يدي من شاء فهلم . فقال محمد ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونسترشده من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اما بعد فقال اعد على كلماتك هؤلاء . فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر . قال فقال هات يدك ابايعك على الاسلام قال فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وعلى قومك فقال وعلى قومي الحديث. وعن ابن عباس ان الوليد ابن

المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرء علي فقرأ عليه من القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) قال اعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا البشر. وفى لفظ قال ابن عباس ان الوليد ابن المغيرة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فأتاه فقال ياعم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا. قال ولم؟ قال ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتعرض مما قبله. قال قد علمت قريش انى من اكثرها مالا قال فقل فيه ولا تبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له. قال وماذا اقول والله مافيكم رجل اعلم بالاشعار منى ولا اعلم برجزه ولا بقصيدته مني والله مايشبه الذى يقول شيئاً من هذا ووالله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلا وانه ليحطم ما تحته. قال لاترضى عنك قومك حتي تقول فيه. قال فدعني حتى افكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره. فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عنه وفى رواية اخرى ان الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد بعضكم قول بعض. فقالوا فانت ياابا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقوم به. فقال بل انتم فقولوا وانا اسمع. فقالوا نقول كاهن فقال ماهو بكاهن لقد رايت

الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا نقول مجنون. فقال ماهو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فماهو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا فنقول شاعر فقال ماهو بشاعر قدعرفنا الشعر برجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال فما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده فقالوا ما نقول يا ابا عبد شمس؟ قال والله ان لقوله حلاوة وان اصله لغدق وان فرعه لجني فما انتم بقائلين من هذا شيئاً الاعرف انه باطل وان اقرب القول ان تقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين ابيه وبين المرء وبين اخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لايمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا له امره فانزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وذلك من قوله (ذرني ومن خلقت وحيدا الى قوله سأصليه سقر وانزل في النفر الذين كانوا معه الذين جعلوا القرآن عضين اي اصنافاً وروى ابن اسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال قام النضر بن الحارث فقال يامعشر قريش والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلاما حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ماهو بكاهن قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها مخرجه ورجزه وقريضه وقلتم مجنون ولا والله ماهو بمجنون لقد رأينا المجنون فماهو بخنقه ولا تخليطه يا معشر قريش

انظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة . قال وحدثني الزهري قال حدثت ان ابا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريف خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته وأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لايعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتي اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لاتعودوا فلو راءكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ماقال أول مرة ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة فعلوا كذلك ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا ان لايعودوا فلما اصبح الاخنس ابن شريف أخذ عصاه ثم اتي ابا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها واعرف مايراد بها فقال الاخنس وانا والذى حلفت به ثم خرج من عنده حتي أتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا ثم اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لانؤمن به ولا نصدقه أبداً وكذلك روى عن المغيرة بن شعبة ان ابا جهل قال له مثل ذلك وقال انى لاعلم ان

ما يقول حق ولكنّ بنى قصى قالوا فينا الندوة فقلنا نعم فينا الحجابة فقلنا نعم فينا السقاية فقلنا نعم وذكر نحوه. وقد كانوا يرسلون الى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره صلي الله عليه وسلم قال محمد بن اسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم اسألوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم علم ماليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم احبار يهود سلوه عن ثلاث فامركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه. وسلوه عن الروح ماهو فان أخبركم بذلك فانه نبي فاتبعوه وان هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا احبار يهود ان نسأله عن امور فاخبروهم بها فجاؤا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا يامحمد خبرنا فسألوه عما أمروهم به • فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم اخبركم وجاءه جبريل من الله بسورة الكهف فيها خبر ما سألوه عنه من أمر

الفتية والرجل الطواف وقول الله (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) قال ابن اسحاق بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب يعني محمداً انك رسولي في تحقيق ما سألوه عنه من نبوته ولم يجعل له عوجا قيما اى انزله قيما اى معتدلا لا اختلاف فيه وذكر تفسير السورة الى قوله أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اى وما قدروا من قدرى وفيما صنعت من أمر الخلائق وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك قال قال مجاهد ليس بأعجب آياتنا من آياتنا ماهو أعجب من ذلك وفي تفسير العوفي عن ابن عباس الذى آتيتك من العلم والسنة والكتاب افضل من شأن اصحاب الكهف • قلت والامر على ماذكره السلف فان قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله فان مكثهم نياماً لايموتون ثلاثمائة سنة اية دالة على قدرة الله ومشيئته وانه يخلق مايشاء ليس كما يقوله اهل الالحاد وهي اية على معاد الابدان كما قال تعالى (وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها) وكان الناس قد تنازعوا فى زمانهم هل تعاد الارواح دون الابدان ام الارواح والابدان فجعل الله أمرهم آية لمعاد الابدان وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقصتهم من غير ان يعلمه بشر آية على نبوته فكانت قصتهم اية على أصول الايمان الثلاثة الايمان بالله واليوم الآخر والايمان برسوله ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه

عنها ليعلموا هل هو نبي صادق ام كاذب فقال تعالى (ويسئلونك عن ذي القرنين وقال لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين الى قوله تلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون الى قوله وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا يعقلون حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها (ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا اى يسئلونك عن ذالك ويسألونك عن هذا والقرآن مملوء من أخباره عن الغيب الماضي الذي لايعلمه أحد من البشر الا من جهة الانبياء الذين أخبرهم الله بذلك ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة فان هذه الامور الغيبية المعينة المفصلة لا يؤخذ خبرها قط الا عن نبي كموسي ومحمد وليس أحد ممن يدعي المكاشفات لامن أولياء الله ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك ولهذا كان هذا من أعلام الانبياء وخصائصهم التي لايشركهم فيها غيرهم واهل الملل متفقون على مادل عليه العقل الصريح من ان هذا لايعلم الا بخبر نبي فاذا كان محمد قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الانبياء وأخبر بما

يعلمونه مما لا يعلمه احد الا بالتعلم منهم وقد عرف ان محمداً لم يتعلم
هذا من بشر كان هذا آية بينة وبرهانا قاطعاً على نبوته ثم العلم بان محمداً
لم يتعلم هذا من بشر يحصل بوجوه ٠ أما قومه المباشرون له الخبيرون بحاله
وكانوا يعلمون انه لم يتعلم هذا من بشر فقامت عليهم الحجة بذلك
واما من لم يعرف حاله الا بالسماع فيعلم ذلك بطرق ٠ منها تواتر أخباره
وكيف كان من حين ولد الى ان مات كما هي مستفيضة مشهورة متواترة
يعلمها من له خبرة بذلك اعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى فان
محمداً أظهر أمره وانتشرت أخباره وتواترت أحواله أعظم من جميع
بني آدم فما بقي مادون هذا من أحواله يخفى على الناس فكيف مثل
هذا ٠ ومنها انه قد أخبر في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتاب مثل
قصة هود وصالح وشعيب وبعض التفاصيل في قصة ابراهيم وموسى
وعيسى مثل تكليم المسيح في المهد ومثل نزول المائدة فان هذا لا يعرفه
أهل الكتاب ومثل ايمان إمراة فرعون وغير ذلك فيمتنع ان يقال
ان هذا تعلمه من أهل الكتاب وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك بل قد
راوا هم وغيرهم آثار المنذرين الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل كقوم
عاد وثمود وغيرهم فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل
وعقوبة الله لمن يكذبهم ويستدل قومه وغيرهم على صدقه فيما اخبر به
من هذه الامور التي لم يتعلمها من أهل الكتاب بتصديق اهل
الكتاب له فيما وافقهم فيه مع علمهم انه لم يتعلم ذلك منهم ويكون هذا
مما يدل على انه لم يتعلم ذلك من أهل الكتاب كما قد يظنه بعضهم وذلك
من الوجهين كما تقدم ٠ ومنها ان اكثر قومه كانوا من أعظم الناس

عداوة له وحرصاً على تكذيبه والطعن فيه وبحثاً عما به يقدحون فيه
فلو كان قد تعلم هذه الاخبار من بشر لكانوا يعلمون ذلك ويقدحون
به فيه ويظهرونه ولكان هذا مما يظهر اعظم مما ظهر غيره فلما لم يقع
ذلك دل على انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به
فيه مع علمهم بحاله ورغبتهم في القدح فيه ومع كمال الداعي والقدرة
يجب وجوب المقدور فلما كان داعيهم تاماً ولم يقدحوا علم ان ذلك
لعجزهم وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله دليل على انهم علموا انه
لم يتعلمه من بشر • ومنها ان يقال مثل هذا لو وقع لكان من أعظم
ماتتوفر الهمم والدواعى على نقله ويشيع بل كان المتبعون له المؤمنون
به اذا اطلعوا على ذلك فلا بد ان يشيعوه ويعلنوه فكيف المخالفون
له المكذبون له فان القوم المتفرقين الذين لم يتواطئوا كما لايجتمعون على
تعمد الكذب فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك بل يجتهد الملوك
والرؤساء في اخفاء مايبطنونه من أمر ملكهم الذى بنوه عليه ويحلفون
اولياءهم على كتمان ذلك ويبذلون لهم الرغبة والرهبة فى ذلك ثم يظهر
ذلك كما فعل القرامطة الباطنية من أهل البحرين وبنى عبيد الله بن
ميمون القداح وكما قد عرف الناس ان النصيرية لهم خطاب يسرونه
الى اوليائهم وان لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب الذى يسرونه
لاسيما والذين آمنوا بمحمد واتبعوه اولا من المهاجرين كانوا مؤمنين
به باطناً وظاهراً هجروا لاجله الاوطان والاهل والمال وصبروا على
أنواع المكاره والاذى فطائفة كبيرة ذهبت الى الحبشة مهاجرة بدينها
لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه وطائفة كانوا بمكة يعذبون

هذا يقتل وهذا يخرج به الى بطحاء مكة في الحر وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر فلا يكفر وهذا يمنع رزقه ويترك جائعا عريانا ثم انهم هجروا أحب البلاد اليهم وأفضلها عندهم مكة أم القرى الى مدينة كانوا فيها محتاجين الى أهلها وتركوا أموالهم بمكة قال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) وقال تعالى (فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) وقال (يخرجون الرسول واياكم) وجميع المهاجرين والانصار آمنوا به طوعا واختياراً قبل أن يؤمر أحد بقتال فانه مكث بمكة بضع عشرة سنة لايقاتل احداً ولم يؤمر بقتال بل كان لايكره احداً على الدين كما قال الله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وكانوا خلقاً كثيراً ومعلوم ان الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصاً قد جاء بدين لايوافقه عليه في زمانه احد وطلب منهم ان يؤمنوا به ويتبعوه ويفارقوا دين آبائهم ويصبروا على عداوة الناس لهم واذاهم وهجروا لاجله ماترغب النفوس فيه من الاهل والمال والوطن وهو مع ذلك لم يعط أحداً منهم مالا ولا كان له مال يعطيهم اياه ولا ولي احدا ولاية ولم يكن عنده ولاية يوليهم اياها ولا اكره احداً ولا بقرصة في جلده فضلا عن سوط او عصا او سيف وهو مع

ذلك يقول عما يخبرهم به من الغيب الله اخبرني به لم يخبرني بذلك بشر فلو كانوا مع ذلك يعلمون انه تعلمه من بشر لكان هـذا مما يقوله بعضهم لبعض ويمتنع في جبـلة بني آدم وفطرهم ان يعلموا انه كاذب وانه قد تعلم هذا من بشر وليس فيهم من يخبر بذلك مع انهـم كانوا كثـيرين لايمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان بل ولا داعي لهم يدعوهم الى ذلك ويمتنع ان لايعلموا ذلك وهم بطانتـه المطلعون على أحواله وهم يسمعون كلام اعـدائه المطلعين على حاله والقرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً لم ينزل جملة بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب بين الذين آمنوا به وباطنوه واطلعوا على اسراره وهـو لايعلم شيئاً من ذلك ثم يخبرهم به وهم مطلعون على أمره خـبرا بعد خبر وسؤالا بعد سؤال وهذا كان بمكة وليس بها احد من علماء اهل الكتاب لا اليهود ولا النصارى ثم هاجر الى المدينة وبها خلق كثير من يهود قينقاع وقريظة والنضير ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها او أقل او اكثر وهم ايضاً يسألونه عن الغيوب التي لايعلمها الا نبي فيخبرهم بها ويتلو عليهم ماسأله عنه المشركون من الغيب وما أخبرهم به ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه اليه ويبين ان الله اعلمه ذلك لم يعلمه اياه بشر فامن به طائفة من اهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى والطائفتان ليس فيهـم من يقول ان هـذا تعلمه منا او من اخواننا او نظرائنا ولا انك قرأته في كتبنا مع انه لو كان قد تعلم ذلك منهم لكان شيوخه منهم وشيوخهم اذا علموا انه كاذب تعلمه منهم يمتنع ان يصدقوه باطناً وظاهراً بل تصديقهم الكتاب الأول وعلمهم

بكذب من ادعى نزول كتاب ثان وقد تعلم منهم يدعوهم الى ان يبينوا
امره ويظهروا كذبه ويقولوا للناس تعلم منا ونحن اخبرناه بذلك لاسيما
مع مافعله باليهود من القتل والحصار والجلاء والسبي وغير ذلك وهذا
لو وقع لكان من اعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ينقله الموافق
والمخالف فلما لم ينقل ذلك احد ولم ينقله احد مع ما اظهره من الاخبار
المستفضية المتواترة التي علمها الخاص والعام بان هذا مما انبأني الله لم
يخبرني به بشر كان هذا دليلا قاطعاً بيناً في ان هذه الاخبار الغيبية التي
لايعلمها الا نبي اعلمه الله بها او من تعلمها من نبي اعلمه الله بها هي مما
انبأه الله به ولم يعلمه ذلك بشر وهـذا من الغيب الذى قال الله فيه فى
السورة التي ذكر فيها استماع الجن للقرآن وانذار قومهم به حيث قال
(قل اوحى اليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجبا
يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احداً وانه تعالى جد ربنا
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا الى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا
يكونون عليه لبدا قل انمـا ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل انى
لا أملك لكم ضراً ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد
من دونه ملتحداً الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابداً حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون
من اضعف ناصراً واقل عدداً قل إن ادرى اقريب ما توعدون ام
يجعل له ربى امداً عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى
من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم ان قد
ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا) فقوله

تعالى فلا يظهر على غيبه احداً يبين انه غيب يضاف اليه يختص به لايعلمه احد الا من جهته بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم فان هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا) (فهذه انباء الغيب التي أوحاها اليه هي من الغيب الذي لايظهر الله عليه أحداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) يرصدون من يأتيه من الني وحني فيدفعونه ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم فما سأله عنه اهل الكتاب فى المدينة مسائل وهي غير المسائل التي كان يسأل عنها وهو بمكة كما كان مشركو قريش يرسلون الى اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد فيرسل اليهود اليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته وذلك مثل مافي صحيح البخارى عن انس قال جاء عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال اني سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبي مااول اشراط الساعة • وما اول طعام يأكله اهل الجنة. والولد ينزع الى امه ذلك والى ابيه. قال اخبرني جبريل انفاً • قال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب. واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت • واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد الى أبيه واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه. فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد انك رسول الله قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني

بهتوني عندك. فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
وعالمنا وابن عالمنا • قال ارأيتم ان أسلم عبد الله؟ قالوا أعاذه الله من ذلك
فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً
رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه • قال فهذا ما كنت أخاف
واحذر • وروى مسلم فى صحيحه عن ثوبان قال كنت قائماً عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود. فقال السلام عليك
يامحمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني ؟ قال قلت الا تقول
يارسول الله؟ قال انما سميته باسمه الذى سماه به أهله • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اسمي الذى سماني به أهلي محمد فقال اليهودى
جئت اسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعك شيء ان
حدثتك • قال اسمع باذنى فنكت بعود معه. فقال له سل • فقال اليهودي
اين الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الظلمة دون الجسر • قال فمن اول الناس اجازة
قال فقراء المهاجرين • فقال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون • قال زيادة
كبد نون • قال وما غداؤهم على اثره • قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان
يأكل من أطرافها • قال فما شرابهم عليه • قال من عين فيها تسمى سلسبيلا
قال صدقت قال وجئت اسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الارض
الا نبى أو رجل أو رجلان • قال ينفعك ان حدثتك • قال اسمع باذنى
قال جئت اسألك عن الولد • قال ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر
فاذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة ذكرا باذن الله واذا علا مني

المرأة مني الرجل انثى باذن الله • فقال اليهودي صدقت وانك لنبي ثم انصرف • فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سألني هذا الذي سألني عنه وما اعلم شيئاً منه حتي اتاني به الله تعالى • ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن احمد بن يونس عن عبد الحميد به وروى أبو داود الطيالسى حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال حضرت عصابة من اليهود يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله حدثنا عن خلال نسألك عنها لايعلمها إلا نبي . فقال سلونى عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه ان انا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقا لتتابعونى على الاسلام . قالوا لك ذلك • قال فسلوني عما شئتم قالوا أخبرنا عن أربع خلال اخبرنا عن الطعام الذى حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة . واخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكرا وكيف يكون الانثى حتى يكون انثى • وأخبرنا كيف هذا النبي الامى في التوراة ومن وليه من الملائكة قال فعليكم عهد الله وميثاقه لئن انا حدثتكم لتتابعونى • فاعطوه ماشاء من عهد وميثاق • قال انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً طال سقمه فيه فنذر لله نذرا لان شفاه الله من سقمه ليحرمنّ احب الشراب اليه واحب الطعام اليه • وكان احب الشراب اليه البان الابل واحب الطعام اليه لحوم الابل • قالوا اللهم نعم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عليهم • قال فانشدكم بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ ابيض وان ماء المراة

رقيق اصفر فايهما علا كان الولد والشبه له باذن الله. قالوا اللهم نعم. فقال اللهم اشهد قال انشدكم بالله الذى لا اله الا هو وانزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه. قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد. قالوا انت الآن حدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك او نفارقك قال وليي جبريل عليه السلام ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك قال فما يمنعكم ان تصدقوا به قالوا انه عدونا من الملائكة فانزل الله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه الى قوله فان الله عدو للكافرين) ففي هذه الاحاديث ان علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها لايعلمها الا نبي اي ومن تعلمها من الانبياء فان السائلين كانوا يعلمونها كما جاء ايضاً لايعلمها الا نبي او رجل اورجلان وكانوا يمتحنونه بهذه المسائل ليتبين هل يعلمها واذا كان يعلم مالايعلمه لا نبي كان نبياً. ومعلوم ان مقصودهم بذلك انما يتم اذا علموا انه لم يتعلم هذه المسائل من اهل الكتاب ومن تعلم منهم. والا فمعلوم ان هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس لكن تعلمها هؤلاء . من الانبياء وهذا يبين ان هؤلاء السائلين له من اهل الكتاب كانوا يعلمون ان احدا من البشر لم يعلمه ما عند اهل الكتاب من العلم اذ لو جوزوا ذلك عليه لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي املا فانهم اذا جوزوا ان يكون تعلم مالا يعلمه الا نبي من اهل الكتاب كان من جنسهم فلم يكن علمهم بها واحاديثهم عنها دليلاً على نبوته فلا بد ان يكون

هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من اهل الكتاب وهذا كان بالمدينة بعد ان اقام بمكة بضع عشر سنة وانتشر أمره وكذبه قومه وحرصوا على ابطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه أو لقي أحداً من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين فتبين انه كان معلوما عند أهل الكتاب انه لم يتعلم شيئاً من الغيب من بشر لا سيما ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب وقد كذبهم وحاربهم لاظهروا ذلك ولشاع في اهل الكتاب وكان اذا اجابهم قالوا هذا تعلمته من فلان وفلان منا او هذا علمكه بعض اهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون الى قومه من قريش ليسألوه عن مسائل ويقولون ان اخبركم بهن فهو نبي مرسل والا فهو متقول ويقولون سلوه عن مسائل لا يعلمها الا نبي فهذا من اهل المدينة ومن قريش قومه يبين ان قومه المشركين واهل الكتاب كانوا متفقين على انه لم يتعلم شيئاً من ذلك من البشر اذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ولم يجز ان يقولوا لا يعلمها الا نبي فانهم كانوا جميعاً يعلمون ان من اهل الكتاب من تعلم هذه المسائل وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الانبياء وبخلاف ذلك ويعلمون ان من كان يعلمها من اهل الكتاب ومن تعلم منهم لا يدل جوابه عنها على نبوته كما لو اجاب عن تلك المسائل بعض اهل الكتاب وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من انباء الغيب التي لا يعلمها الا نبي فان ذلك لايدل على نبوته لانه قد تعلم ذلك من الانبياء فدل على ان مرادهم بقولهم لايعلمها الا

نبي اي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم بشر الا نبي ويدل على ان المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعاً متفقين على انه لم يتعلم من بشر مع انتشار اخباره ومع اطلاع قومه على اسراره ومع ظهور ذلك لو وجد ومع انهم لو جوزوا تجويزاً ان يكون قد تعلمها من بشر فى الباطن . لم يجز ان يستدل بها على نبوته فدل على انهم كانوا قاطعين بانه لم يتعلم ذلك من بشر لافي الباطن ولا في الظاهر وهذا طريق بين يدل على انه لم يتعلم ذلك من بشر سوى الطرق المذكورة هنا

(فصل) ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى جميع الثقيلين جنهم وانسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الانبياء لا نبي بعده كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه ان تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذي بعث اليهم وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ماليس عند هؤلاء . وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والافقية مايبين به ان القرآن حق كما قال تعالى (قل اراتيم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) اخبر سبحانه انه سيري العباد الآيات في انفسهم وفي الآفاق حتى يتبين لهم ان القرآن حق فان الضمير عائد اليه اذ هو الذي تقدم ذكره كما قال (قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) والضمير في كان عائد الى معلوم يقول ارأيتم ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد فانه على هذا التقدير يكون الكافر فى

شقاق بعيد قد شاق الله ورسوله ولا احد اضل ممن هو في مثل هذا الشقاق حيث كان في شق والله ورسوله في شق كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) بين ان من تولى عن ذلك لم يكن متبعاً للحق قاصداً له فان هذا الذي قلتموه لا يتولى عنه من اهل الكتاب من قصده الحق وانما يتولى عنه من قصده المشاقة والمعاداة لهوى نفسه وهذا يكفيك الله امره • والقرآن ان كان من عند الله ثم كفر به من كفر فلا احد اضل ممن هو في مثل حاله اذ هو في شقاق بعيد • وان قدر انه لم يعلم انه حق فهو ضال والشقاق قد يكون مع العناد وقد يكون مع الجهل فان الآيات اذا ظهرت فاعرض عن النظر الموجب للعلم كان مشاقا ولهذا قال عقيب ذلك سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فأخبر انه سيري عباده من الآيات الافقية والنفسية ما يبين انه حق ثم قال (اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فان شهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات كما قال تعالى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وشهادته للقرآن ولمحمد تكون بأقواله التي انزلها قبل ذلك على انبيائه كما قال تعالى عن اهل الكتاب (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) وتكون بأقواله التي انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم فان القرآن نفسه آية بينة ومعجزة قاهرة • وتكون بأفعاله وهو ما يحدثه من

الآيات والبراهين الدالة على صدق رسله فانه صدقهم بها فيما اخبروا به عنه وشهد لهم بأنهم صادقون • والقرآن نفسه هو قول الله وفيه شهادة الله بما اخبر به الرسول وانزاله على محمد صلى الله عليه وسلم واتيان محمد به هو آية وبرهان وذلك من فعل الله اذ كان البشر لا يقدرون على مثله ولا يقدر عليه احد من الانبياء ولا الاولياء ولا السحرة ولا غيرهم كما قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ومحمد صلى الله عليه وسلم اخبر بهذا في اول امره اذ كانت هذه الآية في سورة سبحان وهي مكية صدرها بذكر الاسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس وقد اخبر خبرا واكده بالقسم عن جميع الثقلين انسهم وجنهم انهم اذا اجتمعوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله بل يعجزون عن ذلك وهذا فيه آيات لنبوته • منها اقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الانس والجن الى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا بل يعجزون عنه وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس ان يصدقوه الا وهو واثق بأن الامر كذلك اذ لو كان عنده شك في ذلك لجواز ان يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده وهذا لا يقدم عليه عاقل مع اتفاق الامم المؤمن بمحمد والكافر به على كمال عقله ومعرفته وخبرته اذ ساس العالم سياسة لم يسسهم احد بمثلها ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ الى يوم القيامة الذي يقرأ به في الصلوات ويسمعه العام والخاص والولي والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر • والا لو كان شاكاً في ذلك لخاف ان يظهر كذبه عند خلق كثير بل عند اكثر من اتبعه ومن

عاداه وهـذا لايفعله من يقصد ان يصدقه الناس فمن قصد ان يصدقه الناس لايقول مثل هذا ويظهره هذا الاظهار ويشيعه هذه الاشاعة ويخلده هذا التخليد الا وهو جازم عند نفسه بصدقه ولا يتصور ان بشراً يجزم بهذا الخبر الا ان يعلم ان هذا مما يعجز عنه الخلق اذ علم العالم بعجز جميع الانس والجن الى يوم القيامة هو من اعظم دلائل كونه معجزاً وكونه آية على نبوته فهذا من دلائل نبوته في أول الامر عند من سمع هذا الكلام وعلم انه من القرآن الذى امر ببلاغه الى جميع الخلق وهو وحده كافٍ في العلم بأن القرآن معجز . دع ماسوى ذلك من الدلائل الكثيرة على انه معجز مثل عجز جميع الامم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته • وعدمُ الفعل مع كمال الداعى يستلزم عدم القدرة فلما كان دواعى العرب وغيرهم على المعارضة تامة وانتفت المعارضة، علم عجز جميع الامم عن معارضته وهذا برهان بيّنٌ يعلم به صدق هذا الخبر وصدقُ هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز فذلك آية مستقلة لنبوته وهى آية ظاهرة باقية الى آخر الدهر معلومة لكل أحد وهى من أعظم الآيات فان كونه معجزا يعلم بأدلة متعددة والاعجاز فيه من وجوه متعددة فتنوعت دلائل اعجازه وتنوعت وجوه اعجازه وكل وجه من الوجوه فهو دليل على اعجازه وهذه جُمل لبسطها تفصيل طويل ولهذا قال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فهو كاف في الدعوة والبيان وهو كاف في الحجج والبرهان

(فصل) فى اظهار معجزاته والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهى اكثر واعظم من آيات غيره من الانبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة واعلام النبوة ونحو ذلك وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت ادل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وانما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان كما قال تعالى فى قصة موسي (فذانك برهانان من) ربك فى العصى واليد وقال الله تعالى في حق محمد (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا) وقد قال في مطالبة اهل الدعاوي الكاذبة بالبرهان وقالوا لن يدخل الجنة الامن كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وقال تعالى (ام من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وقال (ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون) وقال تعالى (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) . واما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله تعالى (ولقد آتينا موسي تسع آيات بينات فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم وقال تعالى

وادخل يدك فى جيبـك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) وقول فرعون له (فات بآية ان كنت من الصادقين) وقال قوم صالح فات بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولـكم شرب يوم معلوم وقال هذه ناقة الله لـكم آية .وقال المسيح قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لـكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيـه فيكون طيراً باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بمـا تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ن في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقال في حق محمـد (وما تأتيهم من آية من آيات ربهـم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهـم انباء ما كانوا به يستهزؤن وقال أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيـل وقال اقتربت الساعـة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وقال ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهـم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وقال تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقال (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وقال تعالى (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار) وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون

لي ان ابدله من تلقاء نفسي) وقال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) وقال لما ذكر قصص الانبياء في سورة الشعراء قال في آخر كل قصة ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) الى ان قال في آخرها ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) الى قوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقال تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين) وقال (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) واما لفظ المعجز فانما يدل على انه أعجز غيره كما قال تعالى (وماهم بمعجزين) وقال (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) ومن لايثبت فعلا الا لله يقول المعجز هو الله وانما سمى غيره معجزاً مجازاً وهذا اللفظ لايدل على كون ذلك آية ودليلا اذا فسر المراد به وذكر شرائطه ولهذا كان كثير من أهل الكلام لايسمى معجزاً الا ما كان للانبياء فقط • وما كان للاولياء ان أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة والسلف كاحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذا لم يكن في اللفظ مايقتضي اختصاص الانبياء بذلك بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل مستلزم المدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول

فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع ان يكون لغير النبي . وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه ولهـذا سموها آيات ايضاً او لانها تعجز غيرهم وهي آية على صحة طريقهم . وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب وبينا ان من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط بل هي انواع كثيرة لكن الآيات نوعان منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر كمعجزات موسى وعيسى ومنها ما هو باق الى اليوم كالقرآن الذي هو من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكالعلم والايمان اللذين في اتباعه فانه من اعلام نبوته وكشريعته التي أتى بها فانها ايضاً من أعلام نبوته وكالآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من أمتـه ووقوع ما أخبر بوقوعه كقوله لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك وقوله لاتقوم الساعة حتى تخرج نار بارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستمائة وشاهد الناس اعناق الابل في ضوء النار ببصرى وظهور دينه وملته بالحجة والبرهـان واليد والسنان ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق باعدائه وغير ذلك وكنعته الموجود في كتب الانبياء قبله وغير ذلك

(فصل) في معجزات القرآن. والقرآن كلام الله وفيه الدعوة والحجة فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح انه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان

الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة. والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه جملة وتفصيلا اما الجملة فانه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الامم علماً متواتراً انه هو الذي اتى بهذا القرآن وتواترت بذلك الاخبار اعظم من تواترها بخبر كل احد من الانبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم . والقرآن نفسه فيه تحدى الامم بالمعارضة والمتحدى هو ان يحدوهم اى يدعوهم ويبعثهم الى ان يعارضوه فيقال فيه حداني على هذا الامر أى بعثني عليه ومنه سمي حادى العيس لانه يحداه يبعثها على السير وقد يريد بعض الناس بالتحدى دعوى النبوة ولكن أصله الاول قال تعالى في سورة الطور (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) فهنا قال فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين في انه تقوله فانه اذا كان محمد قادراً على ان يتقوله كما يقدر الانسان على ان يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكناً للناس الذين هم من جنسه فامكن الناس ان يأتوا بمثله ثم انه تحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال تعالى (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فطلب منهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات هم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسورة واحدة هم ومن استطاعوا قال (فان لم

يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا إله الا هو) وهـذا
اصل دعوته وهو الشهادة بانه لا إله الا الله والشهادة بان محمدا رسول
الله وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله كما قال
(لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله
شهيدا) اى هو يعلم انه منزل لايعلم انه مفترى كما قال(وما كان هـذا
القرآن ان يفـترى من دون الله) اى ما كان لان يفترى يقول ما كان
ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله بل نفى احتمال فعله واخبر بأن مثل هذا
لايقع بل يمتنع وقوعه فيكون المعنى ما يمكن ولا يحتمل ولا يجوز ان
يفترى هذا القرآن من دون الله فان الذى يفتريه من دون الله مخلوق
والمخلوق لايقدر على ذلك وهذا التحدى كان بمكة فان هذه السور
مكية سورة يونس وهود والطور ثم اعاد التحدى في المدينة بعد
الهجرة فقال فى البقرة وهى سورة مدنية (وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان
كنتم صادقين) ثم قال (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) فذكر امرين احدهما قوله
(فان لم تفعلوا فاتقوا النار) يقول اذا لم تفعلوا فقـد علمتم انه حق
فخافوا الله ان تكذبوه فيحيق بكم العـذاب الذى وعد به المكذبين
هذا دعاء الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد ان دعاهم بالحكمة وهو
جدالهم بالتي هى احسن • والثانى قوله ولن تفعلوا ولن لنفى المستقبل
فثبت للخبر انهم فيما يستقبل من الزمان لايأتون بسورة من مثـله كما
اخبر قبل ذلك وامره ان يقول في سورة سبحان وهى سورة مكية

افتتحها بذكر الاسراء وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ما يبين ذلك بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهـم لبعض ظهيراً) فعم بأمره له ان يخبر بالخبر جميع الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم اذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا علي ذلك وهذا التحدى والدعاء هو لجميع الخلق وهـذا قد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه الخاص والعام وعلم مع ذلك انهم لم يعارضوه ولا اتوا بسورة مثله ومن حين بعث والى اليوم الامر على ذلك مع ماعلم من ان الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل ان يبعث ولما بعث انما تبعه قليل وكان الكفار من أحرص الناس على ابطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن. تارة يذهبون الى اهل الكتاب فيسئلونهم عن امور من الغيب حتى يسئلوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف واهل الكهف وذى القرنين كما تقدم. وتارة يجتمعون فى مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه وصاروا يضربون له الامثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبه ما مع ظهور الفرق فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر الى امثال ذلك من الاقوال التي يعلمونها هم وكل عاقل سمعها انها افتراء عليه فاذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته فمعلوم انهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها فانه مع وجود هذا الداعى التام المؤكد اذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور ثم هكذا القول فى سائر اهل الارض فهذا القدر يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز عن جميع اهل الارض عن ان

يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة وهذا ابلغ من الآيات التي يكرر جنسها كاحياء الموتى فان هـذا لم يأت أحد بنظيره وكون القرآن انه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط او نظمه واسلوبه فقط ولا من جهة اخباره بالغيب فقط ولا من جهـة صرف الدواعي عن معارضته فقط ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة فى دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى واسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التى أخبر بها عن الغيب الماضى وعن الغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والاقيسـة العقليـة التى هي الامثال المضروبة كما قال تعالى (ولقد ضربنا في هـذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا) وقال تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هـذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا) وقال (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) وكل ما ذكره الناس من الوجوه فى اعجاز القرآن هو حجة على اعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ومن أضعف الاقوال قول من يقول من أهل الكلام انه معجز بصرف الدواعى مع قيام الموجب لها أو بسلب القدرة الجازمة وهو ان الله صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضى التام أو سلبهم القـدرة المعتادة فى مثله سلباً عاما مثل قوله تعالى لزكريا (آيتك الا تكلم الناس ثلاث

ليال سويا) فان هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو انه اذا قدر ان هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة الى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات بمنزلة من يقول اني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم واضربهم جميعهم وأجوعهم وهم قادرون على ان يشكوا الى الله أو الى ولي الامر وليس فيهم مع ذلك من يشتكي فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة ولو قدر ان واحداً صنف كتابا يقدر أمثاله على تصنيف مثله أو قال شعراً يقدر أمثاله على ان يقولوا مثله وتحداهم كلهم فقال عارضوني وان لم تعارضوني فانتم كفار مأويكم النار ودماءكم لي حلال امتنع فى العادة ان لايعارضه أحد فاذا لم يعارضوه كان هذا من العجائب الخارقة للعادة والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم انا رسول الله اليكم جميعاً ومن آمن بى دخل الجنة ومن لم يؤمن بى دخل النار وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم ووجب عليهم كلهم طاعتي ومن لم يطعنى كان من أشقى الخلق ومن آياتى هذا القرآن فانه لا يقدر أحد على ان يأتى بمثله وانا أخبركم ان أحدا لايأتى بمثله • فيقال لايخلو إما ان يكون الناس قادرين على المعارضة أوعاجزين فان كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعى قلوبهم ومنعها ان تريد معارضته مع هذا التحدى العظيم أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه فان سلب القدرة المعتادة ان يقول رجل معجزتي انكم كلكم لا يقدر احد منكم على الكلام ولا على الاكل والشرب فان المنع من المعتاد كاحداث غير المعتاد فهذا من أبلغ الخوارق • وان كانوا عاجزين ثبت انه خارق للعادة فثبت

كونه خارقاً للعادة على تقدير النقيضين النفي والاثبات فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الامر فهذا غاية التنزل والا فالصواب المقطوع به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لايقدرون على ذلك ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على ان يبدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر كما قد اخبر به في قوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) وايضاً فالناس يجدون دواعيهم الى المعارضة حاصلة لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه وقد انتدب غير واحد لمعارضته لكن جاء بكلام فضح به نفسه وظهر به تحقيق ما اخبر به القرآن من عجز الخلق عن الاتيان بمثله مثل قرآن مسيلمة الكذاب كقوله ياضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين. وكذلك ايضاً يعرفون انه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه فلا يجدون انفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه وأيضاً فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد والمكذبين له انه كان قصده ان يصدقه الناس لا يكذبوه وكان مع ذلك من أعقل الناس وأخبرهم واعرفهم بما جاء به ينال مقصوده سواء قيل انه صادق او كاذب فان من دعى الناس الى مثل هذا الامر العظيم ولم يزل حتى استجابوا له طوعا وكرها وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا الانتشار هو من عظماء الرجال على اي حال كان . فاقدامه مع هذا القصد في أول الامر وهو بمكة واتباعه قليل على

ان يقول خبرا يقطع به انه لو اجتمع الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله لافي ذلك العصر ولافي سائر الاعصار المتأخرة لا يكون الا مع جزمه بذلك وتيقنه له والا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف ان يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن تصديقه واذا كان جازما بذلك متيقنا له لم يكن ذلك الا عن اعلام الله له بذلك وليس في العلوم المعتادة ان يعلم الانسان ان جميع الخلق لايقدرون ان يأتوا بمثل كلامه الا اذا علم العالم انه خارج عن قدرة البشر والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً فانا نعلم ذلك وان لم يكن علمنا بذلك خارقا للعادة ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم والا كان العلم جهلا فثبت انه على كل تقدير يستلزم كونه خارقا للعادة ولو قال مفتر بل انا اقول الذي اخبر بهذه الغيوب واتي بهذه العجائب كان جاهلا اخرق لايدرى مايقول • قيل له فهذا ابلغ في الاعجاز وخرق العادة ان يكون مجنونا قد اتى بهذه الغيوب والعجائب التي لايقدر عليها احد من العقلاء ولا المجانين • واما التفصيل فيقال نفس نظم القرآن واسلوبه عجيب بديع ليس من جنس اساليب الكلام المعروفة ولم يأت احد بنظير هذا الاسلوب فانه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر ونفس ما أخبر به القرآن فى باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر لانبي ولا غير نبي

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم وغير ذلك ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك ونفس ما أخبر به من الامثال وبينه من الدلائل هو أيضاً كذلك ومن تدبر ماصنفه جميع العقلاء في العلوم الالهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ماجاء في الكتب الالهية التوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء تفاوتاً عظيما ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر الفاظ العرب ونظمهم . فالاعجاز في معناه أعظم واكثر من الاعجاز في لفظه وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الاتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه وما في التوراة والانجيل لو قدر انه مثل القرآن لايقدح في المقصود فان تلك كتب الله أيضاً ولا يمتنع ان يأتي نبي بنظير آية نبي كما أتى المسيح باحياء الموتى وقد وقع احياء الموتى على يد غيره فكيف وليس مافي التوراة والانجيل مماثلا لمعاني القرآن لافي الحقيقة ولا في الكيفية ولا في الكمية بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب وهذه الامور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له اعجازه من هذا الوجه . ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالامر الظاهر الذي يظهر له ولامثاله كعجز جميع الخلق عن الاتيان بمثله مع تحدي النبي وأخباره بعجزهم فان هذا أمر ظاهر لكل أحد ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية فيها الظاهر البين لكل أحد كالحوادث المشهودة مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وانزال المطر وغير ذلك وفيها مايختص به من عرفه مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب

وحركاتها وغير ذلك فان الخلق كلهم محتاجون الى الاقرار بالخالق والاقرار برسله وما اشتدت الحاجة اليه فى الدين والدنيا فان الله يجود به على عباده جوداً عاماً ميسراً فلما كانت حاجتهم الى النفس اكثر من حاجتهم الى الماء وحاجتهم الى الماء اكثر من حاجتهم الى الاكل كان سبحانه قد جاد بالهواء جوداً عاماً في كل زمان ومكان لضرورة الحيوان اليه ثم الماء دونه ولكنه يوجد اكثر مما يوجد القوت وايسر لان الحاجة اليه أشد فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق اليها فى دينهم أشد الحاجات ثم دلائل النبوة • فلهذا يسرها الله وسهلها اكثر مما يحتاج اليه العامة مثل تماثل الاجسام واختلافها وبقاء الاعراض أو فنائها وثبوت الجوهر الفرد أو انتفاؤه ومثل مسائل المستحاضة وفوات الحج وفساده ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء

(فصل) وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من آياته واخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته وأمته من آياته وعلم امته ودينهم من آياته وكرامات صالح امته من آياته وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد الى ان بعث ومن حين بعث الى ان مات وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله فانه كان من أشرف أهل الارض نسباً من صميم سلالة ابراهيم الذى جعل الله في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت نبي من بعد ابراهيم الا من ذريته وجعل له ابنين اسماعيل واسحاق وذكر في التوراة هذا وهذا وبشر فى التوراه بما يكون من ولد اسماعيل ولم يكن في ولد اسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره ودعى ابراهيم لذرية اسماعيل بان يبعث فيهم رسولا منهم ثم من قريش صفوة

بني ابراهيم ثم من بني هاشم صفوة قريش ومن مكة ام القرى وبلد
البيت الذى بناه ابراهيم ودعى الناس الى حجه ولم يزل محجوجا من
عهد ابراهيم مذكورا في كتب الانبياء باحسن وصف وكان من اكمل
الناس تربيـة ونشأة لم يزل معروفا بالصـدق والبر والعدل ومكارم
الاخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم مشهوداً له بذلك
عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوة لايعرف
له شيء يعاب به لافى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخـلاقه ولا جرت
عليـه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة وكان خلقـه وصورته من اكمل
الصور واتمهـا واجمعها للمحاسن الدالة على كماله وكان اميا من قوم
اميين لايعرف لاهو ولا هم مايعرفه أهل الكتاب التوراة والانجيـل
ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدع نبوة الى ان
اكمل الله له أربعين سنة فاتي بامر هو أعجب الامور وأعظمها وبكلام
لم يسمع الاولون والآخرون بنظـيره وأخبرنا بامر لم يكن فى بلده
وقومه من يعرف مثله ولم يعرف قبله ولا بعده لافى مصر من الامصار
ولا فى عصر من الاعصار من اتى بمثل ما اتى به ولا من ظهر كظهوره
ولا من اتى من العجائب والآيات بمثـل ما اتى به ولا من دعى الى
شريعـة اكمل من شريعته ولا من ظهر دينه على الاديان كلها بالعلم
والحجة وباليد والقوة كظهوره ثم انه اتبعه اتباع الانبياء وهم ضعفاء
الناس وكذبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه
بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالانبياء واتباعهم والذين اتبعوه لم
يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم

اياها ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه وقد آذوا اتباعه بانواع الاذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة وكانت مكة يحجها العرب من عهد ابراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم الى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافي واعراض المعرض الى ان اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا انه النبي المنتظر الذى تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ماعرفوا به مكانته فان أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه الى بلدهم وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة وبها المهاجرون والانصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة الا قليلا من الانصار اسلموا في الظاهر ثم حسن اسلام بعضهم ثم اذن له فى الجهاد ثم أمر به ولم يزل قائماً بأمر الله على اكمل طريقة واتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لاحد ولا غدر بأحد بل كان اصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الاحوال عليه من حرب وسلم وامن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو على ذلك كله ملازم لاكمل الطرق واتمها حتى ظهرت الدعوة فى جميع ارض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الاوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الارحام لا يعرفون آخرة ولا معاداً فصاروا

اعلم هل الارض واديهم واعدلهم وأفضلهم حتي ان النصارى لما رأوهم
حين قدموا الشام قالوا ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء
وهــذه آثار علمهم وعملهم في الارض وآثار غيرهم يعرف العقلاء
فرق مابين الامرين وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره وطاعة
الخلق له وتقديمهم له على الانفس والاموال مات صــلى الله عليه وسلم
ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ولا شاة ولا بعيراً الا بغلته وسلاحه ودرعه
مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا(١) من شعير ابتاعها لاهله وكان بيده
عقار ينفق منه على اهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فحكم بانه
لايورث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يظهر على
يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ويخبرهم
بخبر ما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئاً بعــد شيء
حتى اكمل الله دينه الذى بعث به وجاءت شريعته اكمل شريعة لم
يبق معروف تعرف العقول انه معروف الا امر به ولا منكر تعرف
العقول انه منكر الا نهي عنه لم يأمر بشيء فقيل ليته لم يأمر به ولا نهي
عن شيء فقيل ليته لم ينه عنه واحل الطيبات لم يحرم شيئاً منها كما حرم
فى شرع غــيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحله غــيره
وجمع محاسن ماعليه الأمم فلا يذكر فى التوراة والأنجيل والزبور نوع
من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به
على اكمل وجه واخبر بأشياء ليست في هــذه الكتب فليس في تلك
الكتب ايجاب لعــدل وقضاء بفصل وندب الى الفضائل وترغيب

(١) صاعاً ـ نسخة

في الحسنات الا وقد جاء به وبما هو احسن منه واذا نظر اللبيب
في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الامم ظهر فضلها
ورجحانها وكذلك في الحدود والاحكام وسائر الشرائع وأمته اكمل
الامم في كل فضيلة فاذا قيس علمهم بعلم سائر الامم ظهر فضل علمهم
وان قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر انهم أدين من غيرهم
واذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات
الله ظهر انهم اعظم جهادا واشجع قلوباً واذا قيس سخاؤهم وبذلهم
وسماحة انفسهم بغيرهم تبين انهم اسخى واكرم من غيرهم وهذه
الفضايل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذي امرهم بها لم يكونوا قبله
متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة
فكانت فضائل اتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من
الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده
كالحواريين ومن بعد الحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة
وغيرهم حتى ادخلوا لما غيروا دين المسيح في دين المسيح امورا
من امور الكفار المناقضة لدين المسيح. واما امة محمد صلى الله عليه
وسلم فلم يكونوا قبله يقراؤن كتاباً بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى
وداود والتوراة والانجيل والزبور الا من جهته فهو الذي امرهم ان
يؤمنوا بجميع الانبياء ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله
ونهاهم ان يفرقوا بين احد من الرسل فقال تعالى في الكتاب الذي
جاء به (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون

من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين
احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
لايكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وأمته لايستحلون
ان يأخذوا شيئاً من الدين من غير ماجاء به ولايبتدعون بدعة ماانزل
الله بها من سلطان ولا يشرعون من الدين مالم يأذن به الله لكن
ما قصه عليهم من أخبار الانبياء واممهم اعتبروا به وما حدثهم به أهل
الكتاب موافقاً لما عندهم صدقوه ومالم يعلموا صدقه ولا كذبه امسكوا
عنه وما عرفوا انه باطل كذبوه ومن ادخل في الدين ما ليس منه من
اقوال متفلسفة الهند والفرس أواليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل
الالحاد والابتداع وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتابعون وهو الذى عليه أئمة المسلمين الذين لهم
في الامة لسان صدق وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن
ذلك كان مذموما مدحوراً عند الجماعة وهو مذهب اهل السنة
والجماعة وهم الظاهرون الى قيام الساعة الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه
وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم

ولا من خذلهم حتي تقوم الساعة وقد تنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم علي هـذا الاصل الذى هو دين الرسل عموما ودين محمـد خصوصاً ومن خالف هـذا الاصل كان عندهم ملحداً مذموما ليسو كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً قام به اكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم وكان به جمهورهم وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الانبياء والله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة وانما دخل في البدع من قصر في اتباع الانبياء علماً وعملاً ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته فكل علم نافع وعلم صالح عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخـذوه عن نبيهم مع مايظهر لكل عاقل ان أمته اكمل الامم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ومعلوم ان كل كمال في الفرع المتعلم فهو من الاصل المعلم وهذا يقتضي انه كان اكمل الناس علماً وديناً وهذه الامور توجب العلم الضروري بانه كان صادقاً فى قوله انى رسول الله اليكم جميعاً لم يكن كاذباً مفترياً فان هـذا القول لايقوله الا من هو من خيار الناس واكملهم ان كان صادقاً او هو من شر الناس واخبثهم ان كان كاذباً وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل فتعين انه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين وهـذا يستلزم انه كان صادقاً في قوله انى رسـول الله لان الذي لم يكن صادقاً اما ان يكون متعمداً للكذب او مخطئاً . والاول يوجب انه كان ظالماً غاوياً . والثاني يقتضى انه كان جاهلا ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه ينافي تعمد الكذب

فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمداً للكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم واذا انتفى هذا وذاك تعين انه كان صادقاً عالماً بانه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الامرين بقوله تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى عن الملك الذى جاء به (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين) ثم قال عنه (وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين) أى بمتهم او بخيل كالذى لا يعلم الا بجعل او لمن يكرمه (وماهو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الى قوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون) بين سبحانه ان الشيطان انما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه فان الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور لايقصد الصدق والعدل فلا يقترن الا بمن فيه كذب وفجور اما عمداً واما خطأ فان الخطأ فى الدين من الشيطان ايضاً كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسئلة • اقول فيها برأى فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه فالرسول برىء من تنزل الشيطان عليه فى العمد والخطأ بخلاف غير الرسول فانه قد يخطئ ويكون خطاؤه من الشيطان وان كان خطاؤه مغفوراً له فاذا لم يعرف له خبر اخبر به كان فيه مخطئاً ولا أمر به كان فيه فاجراً • علم ان الشيطان لم ينزل وانما ينزل عليه ملك كريم

ولهذا قال في الآية الاخرى عن النبي (انه لقول رسول كريم الى آخر الآية

(فصل) في صفاته وقد نقل الناس صفاته الظاهرة الدالة على كماله ونقلوا اخلاقه من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغير ذلك ونحن نذكر بعض ذلك ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة الى شحمة اذنيه عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه. وفي البخاري وسئل البراء اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال لا بل مثل القمر • وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه فلقة قمر • وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ضخم الرأس والقدمين لم ار قبله ولا بعده مثله وكان بسيط الكفين ضخم اليدين • وسئل عن شعره فقال كان شعراً رجلا ليس بالجعد ولا بالسبط بين اذنيه وعاتقه • وفي الصحيحين عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين وفسرها سماك بن حرب فقال واسع الفم طويل شق العين قليل لحم العقب وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالابيض الابهق ولا بالادم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط وفي الصحيحين عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ازهر اللون كان عرقه اللؤلؤ اذا مشى تكفأ وما مسست ديباجة ولا
حريرة الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا
ولا عنبرة اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
الدارمي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابلج
الثنيتين اذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه • وروى عن ابن عمر قال
مارأيت احداً انجد ولا أجود ولا أشجع ولا اضوأ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها
فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذى
تصنعين؟ قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وانه أطيب من الطيب • أخرجاه
وروى الدارمي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يسلك طريقاً فيتبعه احد الاعرف انه قد سلكه من طيب عرفه • وفى
حديث أم معبد المشهور لما مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة
هو وابو بكر ومولاه ودليلهم وجاء زوجها فقال صفيه لي يا أم معبد
فقالت رجلا ظاهر الوضاءة حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان
منطقه خرزات نظم يتحدرن • وروى ابو زرعة باسناده عن محمد بن
عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ بن عفرا صفي لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فقالت يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة • وفي
الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحسن الناس وكان اجود الناس وكان اشجع الناس ولقد فزع أهل
المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم راجعاً وقد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر وهو على
فرس لابي طلحة عُري في عنقه السيف وهو يقول لم تراعوا وقال
وجدناه بحراً وكان الفرس قبل ذلك بطيئاً فعاد لايجارى • وفى
الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه
جبريل فيدارسه القرآن فلرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير
من الريح المرسلة • وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال كنا اذا احمر
البأس يتقى به وان الشجاع منا الذي يحاذى به يعني النبي صلى الله
عليه وسلم وعن علي بن أبي طالب قال لما كان يوم بدر اتقينا المشركين
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأساً وما كان احد
اقرب الى العدو منه ذكره البيهقى باسناد صحيح • وفي الصحيحين عن
أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله
ما قال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلت وهلا فعلت كذا وفى رواية
في الصحيحين ايضاً قال خدمته في السفر والحضر والله ما قال لي لشيء
صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا
وكان أحسن الناس خلقاً وفي الصحيحين عن جابر قال ما سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئاً الا أعطاه قال فجاءه رجل
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمداً
يعطى عطاء من لايخاف الفاقة • وفى الصحيحين عن أبي سعيد الخدري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في
خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه . وفي الصحيحين عن

عبد الله بن عمرو وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وروى البخاري عن أنس قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً كان يقول لاحد عند المعتبة ماله ترب جبينه • وفي صحيح مسلم عن عائشة انها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار ايسرهما مالم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك محارم الله وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط لا امرأة ولا خادماً الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله وروى مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وروى ابوداود الطيالسي عن شعبة حدثنا ابو اسحاق حدثنا ابو عبد الله الجدلي قال سمعت عائشة وسألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أو يغفر شك أبو داود • ورواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين . وفي الصحيحين عن علقمة قال سألت عائشة كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كان يخص شيئاً من الايام قالت لا كان عمله ديمة وايكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع • وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام وقد سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ القرآن ؟ قال بلى • قالت فان خلق نبي الله القرآن وفي صحيح الحاكم

عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم صالح الاخلاق • وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل يارسول الله اليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط إن اشتهاه أكله والا تركه • وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وأبو الشيخ الاصبهاني من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ان أخاه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جيراني على ما اخذوا فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الناس يزعمون انك نهيت عن البغي ثم تستحلي به فقال لان كنت افعل ذلك انه لعلي وما هو عليهم خلوا له جيرانه وروى الامام أحمد عن انس بن مالك قال ما كان شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك • رواه عن عبد الرحمن ابن مهدي • حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عنه ورواه أبو داود والترمذي وروى أبو نعيم وأبو الشيخ وغيرهما عن ابن عباس ان الله أرسل الى نبيه صلى الله عليه وسلم ملكا من الملائكة معه جبريل فقال الملك ان الله خيره بين ان يكون عبداً نبياً وبين ان يكون ملكاً نبياً قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير فاشار جبريل بيده ان تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بل أكون عبداً نبياً ورواه النسايء والبخاري في تاريخه وفي صحيح مسلم عن أنس قال كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده النبي صلى الله

عليه وسلم فقال اتشهد ان لا اله الا الله؟ فنظر الغلام الى أبيه فقال له أبوه اطع أبا القاسم فاسلم • فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى انقذه بى من النار وعن ابى حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم رجلا فارعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن أمرأة من قريش كانت تأ كل القديد رواه ابن الجوزي من طرق بعضها متصلا عن ابن مسعود وجرير قال ابن الجوزى وروى متصلا والصواب ارساله كما تقدم • وفي الصحيح عن انس بن مالك ان امرأة كان في عقلها شيء فقالت يارسول الله ان لى اليك حاجة • قال يا أم فلان خذي في أي الطرق شئت قومي فيه حتى أقوم معك فخلا معها يناجيها حتى قضت حاجتها رواه مسلم • وعن انس قال كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدور به في حوائجها حتى تفرغ ثم يرجع رواه البخارى في الادب وروى عن ابن ابى اوفي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له حاجته وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يستنكف ان يمشى مع العبد ولا مع الارملة حتى يفرغ من حاجتهم رواه الدارمي والحاكم في صحيحه وروى ابو داود الطيالبى عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه ليف وروى مسلم في صحيحه عن انس قال ما رأيت ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البخارى عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه

وسلم على صبيان فسلم عليهم • وروى ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك وعن قدامة بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء لاضرب ولا طرد ولا اليك رواهما أبو الشيخ وعن عائشة قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مستجمعاً ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وكان اذا راى غيما او ريحاً عرف ذلك فى وجهه فقلت يارسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرف فى وجهك الكراهية • قال ياعائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد اتى العذاب قوما وتلا قوله تعالى (فلما راوه عارضاً مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) اخرجاه فى الصحيحين وفي الصحيحين ايضاً عن انس قال كنت امشى مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذ بردائه جبذا شديدا حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يامحمد مر لى من مال الله الذى عندك • قال فالتفت اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم فضحك ثم امر له بعطاء وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقوم من مصلاه الذي يقوم فيه حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفي رواية اخرى صحيحة كان طويل الصمت قليل الضحك وكان اصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من امورهم فيضحكون ويتبسم وفى

صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها وسألها الاسود ما كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يصنع فى اهله؟ فقالت كان يكون في مهنة اهله
يعني خدمة اهله فاذا حضرت الصلاة خرج وفى رواية عبد الرزاق عن
معمر عن الزهرى عن عروة قال سأل رجل عائشة هل كان يعمل في
بيته ؟ قالت كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم
في بيته • وروى الطيالسى ثنا شعبة ثنا الاغر قال سمعت انسا يقول كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب
دعوة المملوك ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف • وفي
صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام من خبز بر تباعا حتي مضى لسبيله وعنها قالت كنا
آل محمد صلى الله عليه وسلم يمر بنا الهلال والهلال ما نوقد بنار لطعام
الا انه التمر والماء الا انه حولنا اهل دور من الانصار فيبعث اهل كل
دار بغريزة شاتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يشرب من ذلك اللبن اخرجاه فى الصحيحين وفى صحيح
البخاري قال أنس ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفاً مرققا
حتي لحق بالله ولا راي شاة سميطا بعينه قط وفى صحيح البخارى عنه
ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق • فقيل له على ما كانوا يأكلون؟ قال على السفر وفى
صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب انه خطب وذكر ما فتح على الناس
فقال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوى يومه من الجوع
ما يجد من الدقل ما يملاء به بطنه • وفى صحيح البخارى عن انس انه

مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير واهالة سنخة ولقد رهن
درعه عند يهودى فاخذ لاهله شعيراً ولقد سمعته يقول ما امسى
عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وانهم يومئذ تسعة أبيات • وفيه
عن عائشة قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ادم حشوه ليف • وفى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لما ذكر اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزانته فاذا
هو مضطجع على حصير فادنى اليه ازاره وجلس واذا الحصير قد اثر
بجنبه وقلبت عينى فى بيته فلم أجد شيئاً يرد البصر غير قبضة من شعير
وقبضة من قرض نحو الصاعين واذا افق معلقة فابتدرت عيناي • فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت يارسول
الله ومالي لا ابكي وانت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه وهذه
خزانتك وهذه الاعاجم • وفى رواية كسرى وقيصر في الثمار والانهار
فقال أو في شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى
حياتهم الدنيا وفى رواية أو مارضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة
قال بلى قال فاحمدالله عز وجل • قال فقلت استغفر الله وفى صحيح مسلم
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا وروي الطيالسى باسناد صحيح عن ابن مسعود قال
اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر الحصير بجلده فجعلت
امسحه عنه واقول بابى انت وأمى يارسول الله الا اذنتنا فنبسط لك شيئاً
يقيك منه تنام عليه ؟ فقال مالي وللدنيا ما اناوالدنيا الا كراكب استظل

تحت شجرة ثم راح وتركها رواه أحمد وروى الحاكم في صحيحه عن ابن عباس ان عمر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال حج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة ورواه البخاري عن أنس ايضاً في كتاب الحج قال حج انس على رحل رث ولم يكن شحيحاً وحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم حج على رحل وكانت زاملته • وفى صحيح الحاكم عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خشناً واكل خشناً ولبس الصوف واحتذى المخصوف قيل للحسن ما الخشن؛ قال غليظ الشعير ما كان يسيغه الا بجرعة ماء

(فصل) في المعاد ومما يبين به فضل أمته على جميع الامم وذلك مستلزم لكونه رسولا صادقا كما تقدم وهو آية وبرهان على نبوته فان كل ملزوم فانه دليل على لازمه اعلم ان الامم نوعان نوع لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى • ونوع لا كتاب لهم كالهند واليونان والترك وكالعرب قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما من أمة الا ولابد لها من علم وعمل بحسبهم يقوم به مايقوم من مصالح دنياهم وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل انسان بل لكل حيوان كما يهدي الحيوان الى جلب ماينفعه بالاكل والشرب ودفع مايضره باللباس والكن وقد خلق الله فيه حباً لهذا و بغضاً لهذا قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذي قدر فهدى) وقال موسى لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال الخليل (الذى خلقني فهو يهدين) وقال في اول ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم

(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقال تعالى (الم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين) ثم الامم متفاضلون في معرفة الخالق تعالي وفى الاقرار بمعاد بعد الموت اما للارواح فقط واما للابدان فقط واما لمجموعهما كما هو قول سلف المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ومتفاضلون فيما يحمدونه ويستحسنونه من الافعال والصفات ومايذمونه ويستقبحونه من ذلك لكن عامة بنى آدم على ان العدل خير من الظلم والصدق خير من الكذب والعلم خير من الجهل فان المحسن الى الناس خير من الذى لايحسن اليهم • واما المعادفهو اما للارواح أو للابدان وان الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء فيقرّ به كثير من الامم غير أهل الكتاب وان كان على وجه قاصر كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم وذلك ان أهل الارض في المعاد على أربعة أقوال أحدها وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار وهو أثباتُ معاد الروح والبدن جميعاً وان الانسان اذا مات كانت روحه منعمة أومعذبة ثم تعاد روحه الى بدنه عند القيامة الكبرى ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين القيامة الصغرى بالموت والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم الى ابدانهم كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة حيث قال في أولها (اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء

منبثاً وكنتم أزواجاً ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم) ثم ذكر سبحانه حال الاصناف الثلاثة في القيامة الكبرى وقال في آخر السورة فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وكذلك قال في سورة القيامة (لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم) بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) فذكر القيامة الكبرى ثم قال فى آخر السورة (كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) وبسط هذا له موضع آخر فان ذكر ماتناله الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية واما وصف القيامة الكبرى فى الكتاب والسنة فكثير جداً لان محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقد بعث بين يدى الساعة فلذلك وصف القيامة بما لم يصفه به غيره كما ذكر المسيح فى صفته فقال انه يخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للرب. والقول الثانى قول من

يثبت معاد الابدان فقط كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الامة وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين أو جمهور المسلمين وذلك غلط فانه لم يقل ذلك أحد من ائمة المسلمين ولا هو من قول جمهور نظارهم بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة الذين ذمهم السلف والأئمة والقول الثالث المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط وان الابدان لا تعاد وهذا لم يقله أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلاء كلهم متفقون على اعادة الابدان وعلى القيامة الكبرى ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على ان المعاد للروح وحده فانه يزعم ان الانبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الابدان وان لم يكن له حقيقة وخاطبوهم باثبات الصفات لله وليس لها حقيقة وان الانبياء لم يظهروا الحقائق للخلق وانه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ولا معرفة شيء من أمر المعاد . وحقيقة قولهم ان الانبياء كذبوا للمصلحة وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للانبياء من المسلمين واليهود والنصارى وان كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بانه من أهل الملل لظهور اديانهم وهو في الباطن على هذا الرأى وهؤلاء القائلون بمعاد الارواح فقط منهم من يقول بان الارواح تتناسخ اما في ابدان الآدميين أو ابدان الحيوان مطلقا أو في جميع الاجسام النامية . ومنهم من يقول بالتناسخ في الانفس الشقية فقط وكثير من محققيهم ينكر التناسخ . والقول الرابع انكار المعادين جميعاً كما هو قول اهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك وغيرهم

والمتفلسفة اتباع ارسطو كالفارابي واتباعه لهم في معاد الارواح ثلاثة اقوال قيل بالمعاد للانفس العالمة والجاهلة وقيل بانكار الاثنين والفارابي نفسه قد قال الاقوال الثلاثة وبسط الكلام على هذه الامور له موضع آخر اذ المقصود هنا ان كل ما عند اهل الكتاب بل وسائر أهل الارض من علم نافع وعمل صالح فهو عند المسلمين وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة وعقلاء جميع الامم تأمر بالعدل ومكارم الاخلاق وتنهى عن الظلم والفواحش ولهم علوم الهيئة وعبادات بحسبهم ويعظمون أهل العلم والدين منهم . والهند والفرس واليونان في ذلك اكمل من كفار الترك والبربر ونحوهم مع ان هؤلاء فيهم ايضاً قسط من ذلك بحسبهم ومعلوم عند الاعتبار ان الامم الذين لهم كتاب كاليهود والنصارى اكمل من الامم الذين لا كتاب لهم في الفضائل العلمية والعملية فان ما لم يأخذه الناس عن الانبياء يعلم بالعقل والاعتبار و بالمنام والالهام وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق الامم . وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والالهامية وغيرها يشارك أهل الكتاب فيه من لا كتاب له ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال اخذوها عن الانبياء ليس في قوة من ليس بنبي ان يعلمها وهذا ظاهر في الاخلاق والسياسات الملكية والمدنية فان جنس اهل الكتاب ولو كان منسوخاً مبدلا هم احسن حالا ممن لا كتاب له اما في العبادات والايمان بالله واليوم الآخر فرجحانهم فيه ظاهر . واما علوم واعمال يكون ضررها راجحاً كالسحر والطلسمات وما يتوسل به من الشرك الى استخدام الشياطين ونحو ذلك فهذا وان

كان غير أهل الكتاب أقوم به فانما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو انفع لهم في الدنيا والآخرة ولهذا لما ذكر الله تعالى في قصة سليمان براءته عن ذلك وكانت الشياطين كتبت كتب كفر وسحر ودفنتها تحت كرسي سليمان فلما مات اظهروا ذلك وقالوا انما كان يسخر الجن بهذه الاسماء والعزائم فصدقهم فريقان فريق قدحوا في سليمان بل كفروه من اهل الكتاب وقالوا من فعل ذلك فهو كافر . وفريق قالوا نحن نقتدى بسليمان ونفعل كما كان يفعل وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن ويقولون ان سليمان كان يستخدمهم بها حتى يقولوا ان هذه الاسماء كانت مكتوبة على تاجه وهذا صورة خاتمه وهذا كلام آصف بن برخيا الى أمثال ذلك مما يضيفونه اليه وهو كذب على سليمان وقد ذكر ذلك علماء المسلمين في تفسير قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) فذم سبحانه من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله واتبع ما تتلوه الشياطين على عهد

سليمان وبين سبحانه ان سليمان لم يكفر ولكن الشياطين كفروا وانهم
يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وان
الملكين ما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفروا خبر
سبحانه انهم لايضرون به أحداً الا باذن الله وانهم يتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم ثم قال (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق)
أي نصيب أي هؤلاء يعلمون ان صاحبه لانصيب له فى الآخرة وانما
يطلبون انهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما هم فى ذلك من الهوى
وذلك ضار لهم لانافع كما قال في المشرك يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
ثم قال تعالى (ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون) فبين سبحانه انه بالايمان والتقوى يحصل من ثواب الله ماهو
خير لهم من هذا فانهم انما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم وهذا
خير لهم وهذا كقوله (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر
الله وذروا البيع ذلكم خير لكم) فان ماتطلبه النفوس فيه لها لذة فجعل
خيرا بذلك الاعتبار لكن اذا كان الالم زائدا على اللذة كان شره
اعظم من خيره. والشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل
المفاسد وتقليلها فهي تأمر بما ترجح مصلحته وان كان فيه مفسدة
مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجحت مفسدته وان كان فيه مصلحة
مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر تعالى ان نأخذ
بأحسن ما أنزل الينا من ربنا . فالاحسن اما واجب واما مستحب قال
تعالى (فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها وقال واتبعوا احسن
ما أنزل اليكم من ربكم فامر باتباع الاحسن والاخذ به وقال تعالى

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله) فاقتضى ان غيرهم لم يهده وهـذا يقتضى وجوب الاخذ بالاحسن وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى وقل لعبادى يقولوا التي هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم) وقوله تعالى ادفع بالتي هى احسن السيئة مع قوله تعالى فى موضع آخر ويدرؤن بالحسنة السيئة وقال تعالى (وجادلهم بالتي هى أحسن وقال ولا تجادلوا اهـل الكتاب الا بالتي هى احسن) وقال(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن) في موضعين وقد يقال هذا نظير قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم) وقوله تعالى (آلله خير اما يشركون) وقوله تعالى (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) وقوله (والله خير وابقى) وقوله (والآخرة خير وابقى) وقوله (فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) وقوله (أى الفريقين خير مقاما واحسن نديا) وقوله تعالى (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخـذ الله ابراهيم خليلا) وقوله تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوي) وقوله (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا) ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه ان المأمور به خير واحسن من المنهي عنه وان كان الاول واجباً والثاني محرماً وذلك لان المأمور به قد يشتمل على مصلحة مرجوحة فيكون باعتبار ذلك فى هذا خير وحسن وفي هذا شر وسيء لكن هذا خير واحسن وان كان واجباً فقوله تعالى (واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) هو أمر بالاحسن

من فعل المأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الامر بالواجب والمستحب فان كليهما احسن من المحرم والمكروه لكن يكون الامر امر ايجاب وأمر استحباب كما امر بالاحسان في قوله تعالى (واحسنوا ان الله يحب المحسنين) والاحسان منه واجب ومنه مستحب

(فصل) في وجوه العدل ومقصود العبادات وصفاتها واذا كان جنس اهل الكتاب اكمل في العلوم النافعة والاعمال الصالحة ممن لا كتاب له فمعلوم ان امته اكمل من طائفتي اهل الكتاب اليهود والنصارى واعدل وقد جمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الانجيل فليس عند اهل الكتاب فضيلة علمية وعملية الا وامة محمد صلى الله عليه وسلم اكمل منهم فيها • فأما العلوم فهم احذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا اخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك هم احذق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها اكمل من مصنفات الامتين بل احسن علماً وبياناً لها من الاوائل الذي كانت هي غاية علمهم وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق والحاد ولا قدر له عندهم لكن يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما اعانه على الحذق في تلك العلوم فصار حثالة المسلمين احسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من اولئك المتقدمين • واما العلوم الالهية والمعارف الربانية وما اخبرت به الانبياء من الغيب كالعرش والملائكة والجن والجنة والنار وتفاصيل المعاد فكل من نظر في كلام المسلمين فيها وكلام علماء اليهود والنصارى وجد كلام المسلمين فيها اكمل واتم • ومعلوم ان علم اهل الكتاب والملل بذلك اتم من علم غيرهم واما العبادة والزهد والاخلاق

والسياسة الملكية والمدنية فالكلام فيها مبني على اصل وهو معرفة المقصود بها وما به يحصل المقصود *فنقول للناس في مقصود العبادات مذاهب منهم من يقول المقصود بها تهذيب اخلاق النفوس وتعديلها لتستعد بذلك للعلم وليست هي مقصودة فى نفسها ويجعلونها من قسم الاخلاق وهذا قول متفلسفة اليونان وقول من اتبعهم من الملاحدة والاسماعيلية وغيرهم من المتفلسفة الاسلاميين كالفارابي وابن سينا وغيرهما ومن سلك طريقتهم من متكلم ومتصوف ومتفقه كما يوجد مثل ذلك فى كتب أبي حامد والسهروردى المقتول وابن رشد الحفيد وابن العربي وابن سبعين لكن ابو حامد يختلف كلامه تارة يوافقهم وتارة يخالفهم وهذا القدر فعله ابن سينا وامثاله ممن رام الجمع بين ماجاءت به الانبياء وبين فلسفة المشائين ارسطو وامثاله ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات وجعلوا لها ثلاثة أسباب القوى الفلكية والقوى النفسانية والطبيعية اذ كانت هذه هى المؤثرات في هذا العالم عندهم وجعلوا ما للانبياء وغير الانبياء من المعجزات والكرامات وما للسحرة من العجائب هو من قوى النفس لكن الفرق بينهما ان ذلك قصده الخير وهذا قصده الشر وهذا المذهب من افسد مذاهب العقلاء كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع فانه مبني على انكار الملائكة وانكار الجن وعلى ان الله لايعلم الجزئيات ولا يخلق بمشيئته وقدرته ولا يقدر على تغيير العالم ثم ان هؤلاء لايقرون من المعجزات الا بما جرى على هذا الاصل وامكن ان يقال فيه هذا مثل نزول المطر وتسخير السباع وامراض الغير وقتله ونحو ذلك • فاما قلب العصاة حية واحياء الموتى واخراج

الناقة من الهضبة وانشقاق القمر وامثال ذلك فلا يقرون به وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب افعال الجن وبسبب افعال الملائكة . واحوال الجن معلومة عند عامة الامم مسلمهم وكافرهم لايجحد ذلك الا من هو من اجهل الناس وكذلك من فسرها بقوى النفس وهذا غير اخبار الله عنهم فيما أنزله من الكتب واما الملائكة فامرهم اجل وهم رسل الله فى تدبير العالم كما قال تعالى (فالمدبرات أمرا) وقال (فالمقسمات أمرا) وقد ذكر الله تعالى في كتبه من اخبارهم واصنافهم مايطول وصفه وآثارهم موجودة في العالم يعرف ذلك بالاعتبار كما قد بسط في موضعه اذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس في العبادات وهؤلاء غاية ماعندهم في العبادات والاخلاق والحكمة العملية انهم رأوا النفس فيها شهوة وغضب من حيث القوة العملية ولها نظر من جهة القوة العلمية فقالوا كمال الشهوة فى العفة وكمال الغضب فى الحلم والشجاعة وكمال القوة النظرية فى العلم والتوسط في جميع ذلك بين الافراط والتفريط هو العدل وما ذكروه من العمل متعلق بالندب لم يثبتوا خاصية النفس الذى هو محبة الله وتوحيده بل ولا عرفوا كمال ذلك كما لم يكن عندهم من العلم بالله الا قليل مشتمل على كثير من الباطل كما قد بسط الكلام عليهم فى موضع آخر ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح النفس وهو عبادة الله وحده لاشريك له فلاصلاح للنفس ولا كمال لها الا فى ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لاصلاح لها كما قد بسط الكلام على ذلك فى موضع آخر ولهذا كان هو دين الاسلام الذى اتفقت عليه الرسل وهو جماع دعوة المرسلين قال الله تعالى (ولقد بعثنا في

كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وقال ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وقال تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال لما ذكر قصص الانبياء (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهى حقيقة قول القائل لا اله الا الله وبهذا بعث الله جميع الرسل وانزل جميع الكتب فلا تصلح جميع النفوس وتزكو وتكمل الا بهذا كما قال تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكوة اى لايؤتون ماتزكوا به نفوسهم من التوحيد والايمان وكل من لم يحصل له هذا الاخلاص لم يكن من اهل النجاة والسعادة كما قال تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر

مادون ذلك لمن يشاء وهذا في موضعين من كتابه وهذا اول الكلمات
العشر التي انزلها الله على موسى حيث قال انا الله لا اله الا انا الهك
الذى اخرجتك من ارض مصر من التعبد لايكون لك اله غيرى لاتخذ
صورا ولا تمثالا مافي السموات من فوق ومن في الارض من اسفل
وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن انى انا ربك
العزيز وقد شهد المسيح عليه السلام ان هذا هو اعظم وصية في الناموس
فعبادة الله وحده لاشريك له وان يكون الله احب الى العبد من كل
ماسواه هو اعظم وصية وكلمة جاء بها المرسلون كموسى والمسيح ومحمد
صلوات الله عليهم اجمعين وضد هذا هو الشرك الذى لايغفره الله تعالى
قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله
والذين آمنوا اشد حباً لله وقد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع
وبين ان النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال الا بان يكون الله
معبودها ومحبوبها الذى لا احب اليها منه ولهذا كثر في الكتب الالهية
الامر بعبادة الله وحده ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب
فلا بد ان يكون العابد محباً للاله المعبود كمال الحب ولا بد ان يكون
ذليلا له كمال الذل فمن احب شيئاً ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له
ولم يحبه لم يعبده • وكمال الذل والحب لايصلح الا لله وحده فهو الاله
المستحق للعبادة التي لايستحقها الا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل
والاجلال والاكرام والتوكل والعبادة • فالنفوس محتاجة الي الله من
حيث هو معبودها الذى هو محبوبها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن
حيث هو ربها وخالقها فمن اقر بان الله رب كل شئ • وخالقه ولم

يعبد الله وحده بحيث يكون الله احب اليه من كل ماسواه واخشى عنده من كل ماسواه واعظم عنده من كل ماسواه وارجى عنده من كل ماسواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل مايدعوه فهو مشرك الشرك الذى لايغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه وكان حليما شجاعا فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ليس فيها من الاعمال ماتسعد به النفوس وتنجو من العذاب كما ان ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فليس عندهم من العلم ماتهتدى به النفوس ولا من الاخلاق ماهو دين حق ولهذا لم يكونوا داخلين فى أهل السعادة فى الآخرة المذكورين في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وهذه الفضائل الاربع التي ذكرتها المتفلسفة لابد منها فى كمال النفس وصلاحها وزكيتها والمتفلسفة لم يجدوا ما يحتاج اليه بحد يبين مقدار ما تحصل به النجاة والسعادة ولكن الانبياء بينوا ذلك وقد قال سبحانه (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) فهذه الانواع الاربعة هى التي حرمها تحريماً مطلقاً لم يبح منها شيئاً لاحد من الخلق ولا فى حال من الاحوال بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير وغير ذلك فانه

يحرم في حال ويباح في حال واما الاربعة فهى محرمة مطلقا فالفواحش متعلقة بالشهوة • والبغى بغير الحق يتعلق بالغضب والشرك بالله فساد أصل العدل فان الشرك ظلم عظيم والقول على الله بلا علم فساد العلم فقد حرم سبحانه هذه الاربعة وهى فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم وقوله (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) يتضمن تحريم أصل الظلم في حق الله وذلك يستلزم ايجاب العدل فى حق الله تعالى وهو عبادته وحده لاشريك له فان النفس لها القوتان العلمية والعملية وعمل الانسان عمل اختيارى والعمل الاختيارى انما يكون بارادة العبد وكل انسان له ارادة وعمل بارادته فان الانسان حساس متحرك بالارادة ولهذا قال النبي صلي الله عليه وسلم اصدق الاسماء الحارث وهمام والارادة لابد لها من مراد وكل مراد فاما ان يراد لنفسه واما ان يراد لغيره والمراد لغيره لابد ان ينتهى الى مراد نفسه فالقوة العملية تستلزم ان يكون للانسان مراد وذلك المراد لنفسه هو المحبوب لنفسه وهو الاله الذي يستحق ان يكون محبوباً لذاته وهذا هو العلة الغائية الذى هو علة فاعلية للعلة الفاعلية ولهذا قيل العامة تقول قيمة كل امرئ ما يحسن والعارفون يقولون قيمة كل امرئ ما يطلب وفى بعض الكتب المتقدمة انى لا أنظر الى كلام الحكيم وانما انظر الى همته وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس وانما جعلوا كلامها العملي في تعديل الشهوة والغضب بالعفة والحلم وهذا غايته ترك الاسراف في الشهوة والغضب والشهوة هي جلب ما ينفع البدن ويبقى النوع والغضب دفع ما يضر البدن ولم يتعرضوا المراد الروح الذي يحبه كذابه

مع انهم انما تكلموا فيما يعود الى البدن وجعلوا ذلك اصلاحا للبدن الذي هو آلة النفس وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم وقد بسطنا غلطهم في هذا الاصل من وجوه في غير هذا الموضع وبينا ان النفس لها كمال في العلم والارادة كما ان لها كمالا في العلم وان العلم المجرد ليس كمالا لها ولا صلاحا ولو كان كمالا لم يكن ما عندهم من العلم ما هو كمال للنفس وبينا غلط الجهمية الذين قالوا الايمان هو مجرد العلم وان الصواب قول السلف والأئمة ان الايمان قول وعمل أصله قول القلب وعمل القلب المتضمن عمل القلب وارادته واذا كان لابد للنفس من مراد محبوب لذاته لاتصلح الا به ولا تكمل الا به وذلك هو آلهها فليس لها إله يكون به صلاحها الا الله ولهذا قال الله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وليس ذلك للانسان فقط بل والملائكة والجن فانهم كلهم احياء عقلاء ناطقون لهم علم وعمل اختيارى ولا صلاح لهم الا بمرادهم المحبوب لذاته وهو معبودهم ولا يجوز ان يكون معبوداً محبوباً لنفسه الا الله فلو كان فى السموات والارض اله الا الله لفسدتا فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لاشريك له وهؤلاء المتفلسفة لايعرفون ذلك فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها فى العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء فضلا عما تسعد به . ومما يبين ذلك ان ارسطو معلمهم الاول هو واتباعه انما أثبتوا العلة الاولى بالحركة الفلكية فقالوا الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقوامه بحركته الاختيارية وفساده بعدمها وقوام حركته بما يحرك لاجله فان الفاعل بالاختيار انما قوامه بعلته الغائية التي يحرك لاجلها وغايته التي يحرك لاجلها هو

العلة الاولى فانه يتحرك للتشبه بها فجعلوا قوام العالم كله بالعلة الاولى من حيث هو متشبه به لان المتحرك باختياره لابد له من مراد ومعلوم ان الحركة الارادية تطلب مرادًا محبوباً لنفسه وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها تشبها به فان كل متحرك بالارادة لابد له من مراد محبوب لنفسه فان الارادة لابد لها من مراد والمراد يكون اما مرادًا لنفسه واما مرادًا لغيره والمراد لغيره انما يراد لذلك الغير فلا بد أن يكون ذلك الغير مراداً لنفسه او ينتهى الى مراد لنفسه والا لزم التسلسل في العلل الغائية وذلك باطل كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية بصريح العقل واتفاق العقلاء • وبسط هذا له موضع آخر واذا كان الفاعل بالاختيار يستلزم مراداً لنفسه محبوبا فلا بد ان يكون لما يتحرك فى السموات بارادته سواء كان هؤلآء الملائكة او ما يسمونه هم نفسا من محبوب مراد لذاته يكون هو الاله المعبود المراد بتلك الحركات وكذلك نفس الانسان حركتها بالارادة من لوازم ذاتها فلا بد لها من محبوب مراد لذاته وهو الاله وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله تعالى ويمتنع ان يكون غيره كما قد بسط هذا في موضع آخر وبين انه كما يمتنع ان يكون موجوداً بغيره بل هو واجب الوجود بنفسه فيمتنع ان يكون مراداً لغيره بل هو مراد لنفسه وكما يمتنع ان يكون للعالم ربان قادران يمتنع ان يكون للعالم إلهان معبودان فان كون احدهما قادراً يناقض كون الآخر قادراً لامتناع اجتماع القادرين على مقدور واحد وامتناع كون أحدهما قادراً على الفعل حين يكون الآخر قادراً عليه وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع

التكافي كذلك يمتنع ان يكون الهان معبودان محبوبان لذاتهما لان كون احدهما هو المعبود لذاته يناقضه ان يكون غيره معبوداً لذاته فان ذلك يستلزم ان يكون بعض المحبة والعمل لهذا وبعض ذلك لهذا وذلك يناقض كون الحب والعمل كله لهذا فان الشركة نقص في الحب ولا تكون حركة المتحرك بارادته له فلا يكون أحدهما معبوداً معمولا له الا اذا لم يكن الآخر كذلك فان العمل لهذا يناقض ان يكون له شريك فضلا عن ان يكون لغيره وكل من احب شيئين فانما يحبهما لثالث غيرهما والا فيمتنع ان يكون كل منهما محبوباً لذاته إذ المحبوب لذاته هو الذى تريده النفس وتطلبه وتطمئن اليه بحيث لا يبقى لها مراد غيره ولهذا يناقض ان يكون له شريك . والقول الثاني فى مقصود العبادات قول من يقول إن الله عرض الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت فان الا نعام بالثواب لا يحسن بدون التكليف لما فيه من الاجلال والتعظيم الذى لا يستحقه الا مكلف كما يقول ذلك القدرية كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل الكتاب من المسلمين وغيرهم وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية لطفا فى الواجبات العقلية وقد يقولون ان الغاية المقصودة التي بها يحصل الثواب هو العمل والعلم ذريعة اليه حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله تعالى يقولون انما وجبت لانها فى اداء الواجبات العقلية العملية والقول الثالث قول من يقول بل الله امر بذلك لا لحكمة مطلوبة ولا بسبب بل لمحض المشيئة وهذا قول الجبرية المقابلين للقدرية كالجهم والاشعرى وخلق كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم . والقول الرابع قول سلف الامة وائمتها وهو ان نفس معرفة الله تعالى ومحبته مقصودة

لذاتها وان الله سبحانه محبوب مستحق للعبادة لذاته لااله الا هو ولا يجوز ان يكون غيره معبودا محبوبا لذاته وانه سبحانه يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم ويفرح بتوبة التائب ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويذمهم وان في ذلك من الحكم البالغة وكذلك من الاسباب مايطول وصفه فى هذا الخطاب كما قد بسط فى موضعه اذ المقصود هنا التنبيه على ان المسلمين اكمل من غيرهم في العلوم النافعة والاعمال الصالحة واذا عرف مذاهب الناس في مقاصد العبادات فهم أيضا مختلفون في صفاتها فمن الناس من يظن ان كل ما كان اشق على النفس واشد اماتة لشهواتها فهو أفضل وهذا مذاهب كثير من المشركين والهند وغيرهم وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى وكثير من مبتدعة المسلمين • والقول الثاني قول من يقول ان افضلها ما كان ادعى الى تحصيل الواجبات العقلية. والثالث قول من يقول فضل بعضها على بعض لاعلة له بل يرجع الى محض المشيئة • والرابع وهو الصواب ان افضلها ما كان لله اطوع وللعبد انفع فما كان صاحبه اكثر انتفاعاً به وكان صاحبه اطوع لله من غيره فهو افضل كما جاء في الحديث خير العمل انفعه • وعلى كل قول فعبادات المسلمين اكمل من عبادات غيرهم • اما على الاول فاولئك يقولون كلما كانت الاعمال اشق على النفس فهى افضل ثم هؤلاء • قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين الهند وغيرهم ومن النصارى ومبتدعة هذه الامة ولكن يقال لهم الجهاد اعظم مشقة من هذا كله فانه بذل النفس وتعريضها للموت ففيه غاية الزهد المتضمن لترك

الدنيا كلها وفيه جهاد النفس في الباطن وجهاد العدو في الظاهر وتلك العبادات توجد من الضعفاء ومعلوم ان المسلمين اعظم جهادا من اليهود والنصارى فان اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه والنصارى لايجاهدون على دين. واما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطفافي الواجبات العقلية فلا ريب ان عبادات المسلمين كصلاتهم وصيامهم وحجهم ادعى الى العدل الذى هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم التي ابتدعوها فانها متضمنة للظلم المنافي للعدل .واما على قول نفاة التعليل ورد ذلك الى مشيئة الله فيكون الامر في ذلك راجعاً الى محض مشيئة الله وتعبد للخلق وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لامر الله الذي جاءت به الرسل يكون متعبدا بما امر الله به بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها اكابرهم من غير ان يأتيهم بها رسول من عند الله واما على القول الرابع فانما علم ان الله امر به يتضمن طاعة الله . وهذا انما يكون فى عبادات أمر الله بها وهى عبادات المسلمين دون من ابتدع كثيراً من عباداتهم اكابرهم .واما انتفاع العباد بها فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب فليتدبر الانسان عقول المسلمين واخلاقهم وعدلهم يظهر له الفرق بينهم وبين غيرهم ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال كالطهارة والاصطفاف والركوع والسجود واستقبال بيت ابراهيم الذى هو امام الخلائق والامساك فيها عن الكلام وما فيها من الخشوع وتلاوة القرآن واستماعه الذى يظهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب لكل متدبر منصف الى امثال ذلك من الامور التى يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم

واما حكم المسلمين في الحدود والحقوق فلا يخفى على عاقل فضله حتى ان النصارى في طائفة من بلادهم ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين اذ لم يكن لهم شرع عام يحكم به بين الناس وليس فى الانجيل حكم عام بل عامته الامر بالزهد ومكارم الاخلاق وهو مما يامر به المسلمون ايضاً وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين متوسطين بين اليهود والنصارى فى التوحيد والنبوات والحرام والحلال وغير ذلك مما يبين انهم اكمل من الامتين مع ان دلائل هذا كثيرة جدا وانما المقصود التنبيه على ذلك وحينئذ ففضل الامة يستلزم فضل متبوعها

(فصل) ومما يبين امر محمد صلى الله عليه وسلم ان من دعى الى مثل مادعي اليه لا يخلو من ثلاثة اقسام. اما ان يكون نبياً صادقاً مرسلا من الله كما اخبر عن نفسه بمنزلة نوح وابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسي تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) واما ان يكون ملكا عادلا وضع ناموسا سياسيا وقانونا عدليا ينتفع به الخلق ويحملهم به على السيرة العادلة ليبلغ علمه كما كان للامم من يضع لهم النواميس مثل واضعي النواميس من اليونان والهند والفرس وغيرهم

وان كان واضع الناموس مختصا بقوة قدسية ينال بها العلم بسهولة له وقوة نفسه يتصرف فيها تصرفات خارجة عن العادة ويكون له قوة تخييلية تمثل له في نفسه اشكالا نورانية واصواتاً يسمعها في داخل نفسه فان هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول ابن سينا وامثاله من المتفلسفة انها خواص النبي ومن قامت به كان نبياً . والنبوة مكتسبة عندهم ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ولم يصل بها الى قريب من درجة الصديقين اتباع الانبياء كالخلفاء الراشدين وحوارى عيسى واصحاب موسى جعلناها من هذا القسم اذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة بحسب ما معه من العلم والعدل فهذا القسم الثاني . واما ان يكون رجلا كاذبا فاجراً افاكا اثيما يتعمد الكذب والظلم أو يتكلم بلا علم فيخطئ خطأ من يتكلم بلا علم ومن يظن الكذب صدقا والباطل حقاً والضلال هدى والغي رشداً والظلم عدلا والفساد صلاحا وكل من دعى الخلق الي متابعته وطاعته على سبيل الحتم والايجاب بان يصدقوه فيما أخبر ويطيعوه فيما اوجبه وأمر به باطناً وظاهراً من غير ان يجبر احدا على اتباعه وتصديقه وطاعته ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه لافي الباطن ولافي الظاهر . لم يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة وذلك لانه اما ان يكون قصده الاثم والعدوان او قصده البر والعدل فان كان قصده الاول فهو ظالم فاجر ومثل هذا لايكون الا كاذبا عمداً او خطأً . وان كان قصده البر والعدل فلا يخلو مع ذلك اما ان يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لايحتمل النقيض عالما بان ما يأمر به هو عدل لايجوز لمن أمره ان يعصيه بوجه من

الوجوه • واما ان لايكون جازما بذلك فان كان جازما بذلك كان هذا هو النبي المعصوم الذي لايخبر الا بحق وصدق ولا يأمر الا بعدل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) بخلاف القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورائه فان هذا قد يأمر باشياء يجوز ان تكون المصلحة والعدل فى خلافها ويخبر باشياء باجتهاده يجوز ان تكون المصلحة والعدل في خلافها ويخبر باشياء باجتهاده يجوز ان يكون الامر فيها بخلاف ذلك ولا بد ان يغلط في بعض مايخبر به من العلميات ومايأمر به من العمليات فانه لامعصوم الا الانبياء ولهذا لم يجب الايمان بكل مايقوله بشر الا ان يكون نبياً فان الايمان واجب بكل مايأتى به النبي قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسي وعيسى وماوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين الآية واذا كان كذلك فمعلوم بالتواتر ان محمدا ذكر انه رسول كابراهيم وموسي وعيسى بل اخبر انه سيد ولد آدم وان آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة وانه لما اسرى به وعرج الى ربه علا على الانبياء كلهم على ابراهيم وموسى وهرون وعيسى ويحيي وغيرهم واخبر انه لانبي بعده وان امته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيامة وان الكتاب الذى انزل اليه احسن الحديث وانه مهيمن على مابين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك • وحينئذ فاذا كان عالماً بصدق نفسه فهو نبي رسول ومن قال هذا

القول وهو يعلم انه كاذب فهو من اظلم الناس واجرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء ٠٠ وان كان يظن صدق نفسه وليس كذلك فهو مخطئ غالط ملبوس عليه واذا كان كذلك فلا بد ان يخطىء فيما يخبر به من الغيوب ويظلم فيما أمر به من العدل ولا يتصور استمراره على هذا بل لابد ان يتبين له ولغيره انه صادق او كاذب ٠ فان من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق يكون من اجهل الناس واظلمهم وابعدهم عن التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر فان هذا بمنزلة من اشتبه عليه النبي الصادق بالنبي الكاذب وهذا من اجهل الناس واذا اشتبه عليه حال غيره فكيف بمن اشتبه عليه حال نفسه ولم يعلم هو مايقوله اصدق او كذب ٠ ومن كان جاهلا مع هذه الدعوى العظيمة التي لم يدع بشر مثلها ومع كثرة مايخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ويأمر به وينهى عنه من الامور الكلية والسنن العامة والشرائع والنواميس فلا بد ان يكون فيها من الضلال والغي مايبين لاكثر الخلق فاذا كان اخباره عن الماضي والمستقبل يصدق بعضها بعضاً والذي يأمر به هو الطريق الاقوم والكتاب الذي جاء به كتاب متشابه مثاني يشبه بعضه بعضا في الصدق قال تعالى (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فانه لو كان من عند غير الله لوجب ان يكون فيه تناقض لامتناع قدرة البشر على ان تخبر بهذه الاخبار وما فيها من الغيوب ويأمر بهذه الاوامر مع سلامة ذلك من التناقض ٠ ولهذا لايوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك فاذا كان

محمد صلى الله عليه وسلم قد علم بالاضطرار من سيرته انه كان يتحرى الصدق والعدل وانه ماجرت عليه كذبة قط وعلم انه كان جازما بما يخبر به مع عظم الاخبار وكثرتها وانه هو وحده قام يدعو الناس الى ماجاء به ومن عادة طالب الملك والرياسة ولو كان عادلا ان يستعين بمن يعينه كاقاربه واصدقائه ونحوهم وان يبذل للنفوس من العاجل مايرغبها به كالمال والرياسة ويرهب من خالفه ومحمد صلى الله عليه وسلم دعا الناس وحده وهو بمكة فآمن به المهاجرون ثم آمن به الانصار بالمدينة ثم آمن به أهل البحرين ولم يعط أحداً منهم درهما ولا كان معه مايخيفهم به لاسيف ولا غيره بل اقام بمكة بضع عشرة سنة وهو والمؤمنون به مستضعفون لم يكن له مال يبذله لهم ولا سيف يخيفهم به وكان أعظم من آمن به أبو بكر الصديق مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه ومحبتهم له وعلو قدره فيهم انفق ماله كله في سبيل الله حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك ؟ قال تركت لهم الله ورسوله ولم يعطه النبي صلى الله عليه وسلم درهما واحدا يخصه به ثم تولى الامر بعده وترك ما كان معه للمسلمين واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله ومات وهو فقير من فقراء المسلمين وتولى بعده عمر بن الخطاب وفتح أعظم ممالك العالم مملكة فارس والروم فقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر وأميره الكبير أبو عبيدة أزهد الخلق في ولايته الاموال وأعبدهم للخالق وأرحمهم للمخلوق وابعدهم عن هوى النفس ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه٠ ان لكل أمة اميناً وأمين هذه الامة أبو عبيدة ابن الجراح وأميره على فارس سعد بن أبي وقاص الذى كان مستجاب الدعوة

وكان من ازهد الخلق وكان آخر من بقى من أهل الشورى والناس يتنازعون فى الولاية وهو معتزل فى قصره بالعقيق لايزاحم أحداً فقال له بن عمر تركت الناس يتنازعون في الملك وجلست ههنا ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول • ان الله يحب العبد التقى النقى الخفى

(فصل)ومن آيات محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته في القرآن قصة الفيل قال تعالى (ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأ كول) وقد تواترت قصة أصحاب الفيل وان اهل الحبشة النصارى ساروا بجيش عظيم معهم فيل ليهدموا الكعبة لما أهان بعض العرب كنيستهم التي باليمن فقصدوا اهانة الكعبة وتعظيم كنايسهم فارسل الله عليهم طيرا أهلكهم عامتهم وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان جيران البيت مشركين يعبدون الاوثان ودينُ النصارى خير من دينهم فعلم بذلك ان هذه الآية لم تكن لاجل جيران البيت حينئذ بل كانت لاجل البيت أو لاجل النبي صلى الله عليه وسلم الذى ولد في ذلك العام عندالبيت اولمجموعهما وأى ذلك كان فهو من دلائل نبوته فانه اذا قيل انما كانت آية للبيت وحفظاً له وذبا عنه لانه بيت الله الذى بناه ابراهم الخليل • فقد علم انه ليس من اهل الملل من يحج الى هذا البيت ويصلي اليه الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى فرض حجه والصلاة اليه فاذا كان هذا البيت عندالله خيرمن الكنائس التي للنصارى حتي ان الله أهلك أهل الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس واهانة البيت • علم ان دين اهل هذا البيت خير من دين النصارى

والمشركون ليسوا خيرا من النصارى فتعين ان امة محمد صلى الله عليه وسلم خير من النصارى وذلك يستلزم ان نبيهم صادق والا فمن كانوا متبعين لنبي كاذب فليسوا خيرا من النصارى بل هم من شرار الخلق كاتباع مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وغيرهما وقال في القرآن (الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل) والابابيل جماعات في تفرقة فوج بعد فوج ترميهم بحجارة من سجيل أي من طين مستحجر وهى كلمة معربة أصلها بالفارسية سنك وكل بالفارسية هي الطين ويقولون فى الجمع كيلان اى اطيان لان الالف والنون فى الفارسية للجمع فيقولون مسلمان وفقيهان وعالمان اى مسلمون وعلماء وفقهاء ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون بها ويعرفون معناها والقرآن نزل بلغتهم العربية والمعرب عربي فجعلهم كعصف مأكول كالتبن الذى اكل وقوله الم تر استفهام فى معنى التقرير وهذا يقتضي ان هذا قد وقع وعلم به الناس ورواه وقد قررهم على ذلك لما فيه من الدلالة والبيان والانعام على الخلق

(فصل) ومن آياته الظاهرة التي في القرآن ما ذكره من ان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا بخلاف ما كانت العادة جارية به قال تعالى (قل أوحي اليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) الى قوله (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشداً) وقال تعالى (وما تنزلت

به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزلون) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأه على الناس وهم يقرأونه ولم ينكره احد ولا ارتاب به مؤمن ولا احتج به عليه كافر فدل على ان الناس علموا صدق ما اخبرت به الجن من ان السماء ملئت حرسا شديداً وشهبا وانهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع ومعلوم ان هذا امر يراه الناس بابصارهم فان امتلاء السماء بالشهب امر يراه الناس كلهم فلو لم يكن كذلك لكان الناس يكذبون بهذا مؤمنهم وكافرهم فان الجماعة العظيمة الذين لم يتواطئوا يمتنع اتفاقهم على الكذب وعلى التصديق بما يعلمون انه كذب وعلى كتمان مايعلمونه وعلى ترك انكار مايعلمون انه كذب وقد سمع القرآن الوف مؤلفة ادركوا مبعثه وشاهدوا احوال السماء فلو لم يكن هذا كان موجودا مع ان عامتهم كانوا مكذبين له ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين يمتنع اتفاقهم على كذب او كتمان او سكوت فلما لم ينكر ذلك احد بل تظاهرت الاخبار بمثل ما اخبر به القرآن من الرمى العظيم بالشهب الذي لم يعهد مثله حتى صاروا يشكون هل ذلك في الكواكب التي في الفلك او في غيرها وقالوا ان كان في كواكب الافلاك فهو خراب العالم فلما راوه فيما دونها علموا انه لامر حدث. ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء ارسلت علينا الشهب. قالوا ماذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق

الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا (انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فانزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً) وفى لفظ البخارى بنخلة قريباً من مكة وهو الصواب وقد ظن بعض الناس ان الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال والصواب انه كان يرمى بها كما هو الآن احياناً كما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عباس ورواه ايضاً أحمد في مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو في نفر فى الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال لهم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذى يرمي به في الجاهلية؟ قالوا كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ولد مولود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله اذا قضى في خلقه أمراً يسمعه أهل العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلم يزل التسبيح يهبط حتي ينتهى الى السماء الدنيا حتي يقول بعضهم لبعض لم سبحتم ؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم، فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا؟ فيسألون فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذى كان فيهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا فيتحدثون به فتسترقه الشياطين بالسمع على

توهم منهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من اهل الارض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان. وفي الصحيحين عن عائشة قالت قلت يارسول الله ان الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقاً. قال تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة وروي البخاري في صحيحه عن عائشة انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم وفي صحيح البخاري ايضاً عن أبي هريرة قال ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال اذا قضي الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعاً لقوله كانه سلسلة على الصفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معهاماية كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا الكلمة التي سمعت من السماء فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ورواه محمد ابن اسحاق عن الزهري وقال في آخره ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت الكهانة فلا كهانة ورواه معمر عن الزهري وقال فقلت للزهري أو كان يرمي بها في الجاهلية؟ قال نعم قلت يقول الله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية

قال غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطبري عن داود ثنا عاصم بن على ثنا على بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي وكان الوحي اذا أوحى سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمي بها على الصفوان فاذا سمعت الملائكة صلصلة الوحى خر لجباههم من في السماء من الملائكة فاذا نزل عليهم اصحاب الوحى قالوا ماذا قال ربكم؟ قال فينادون قال ربكم الحق وهو العلي الكبير قال فاذا نزل الى السماء الدنيا قالوا يكون فى الارض كذا وكذا موتاً كذا وكذا حياة وكذا وكذا جدوبة وكذا وكذا خصباً وما يريد ان يصنع وما يريد ان يبتدي تبارك وتعالى فنزلت الجن فاوحوا الى أوليائهم من الانس مما يكون في الارض فبيناهم كذلك اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بالكواكب فمنعوا فجعل لا يصعد احد الا احترق وفزع اهل الارض لما رأوا فى الكواكب ولم يكن قبل ذلك فقالوا اهلك من في السماء. وكان اهل الطائف اول من فزع فينطلق الرجل الى ابله فنحر كل يوم بعيرا لآلهتهم فينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة فينطلق صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة فقال لهم رجل ويلكم لاتهلكوا أموالكم فان معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء فاقلعوا وقد اسرعوا في أموالهم وكان ابليس قال حدث في الارض حدث فاتى من كل الارض بتربة فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمها فلما أتى بتربة تهامة قال ههنا حدث الحدث فصرف الله اليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً

حتى ختم الآية فولوا الى قومهم منذرين ورواه ابو زرعة عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه ورواه البيهقي عن حماد بن سلمة عن عطاء ايضاً فقد تبين انه لما كان في زمن المبعث ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً وقبل ذلك لم يكن الحرس شديداً بل كانت السماء مملوءة حرسا وشهباً كما هي الآن ترمي بها احياناً وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع اى يسترق احدهم مايسمعه كما يستمع المستمع الى حديث غيره مختفياً بسماعه مسترقا له فكانت الشياطين تسترق أى تستمع ماتقوله الملائكة فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم صار احدهم اذا استمع وجد الشهاب قد ارصد له فلم يستطع ان يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك

(فصل) وقد ذكرنا بعض آياته التي فى القرآن لان من اهل الكتاب من يقول لانصدق الا بما فى القرآن كما في التوراة والانجيل مافيهما من آيات موسى والمسيح اذ كان نقل القرآن عنه متواترا لايستريب فيه احد فنبهنا على بعض مافي القرآن مع ان آياته التى ليست فى القرآن كثيرة جدا وليس من شرط المنقول المتواتر ان يكون فى القرآن بل كما تواتر عنه من شريعته ماليس في القرآن وهو من الحكمة التي انزلها الله عليه كذلك تواتر عنه من دلائل نبوته ماليس فى القرآن وهو من آياته وبراهينه وقد قال تعالى فى غير موضع (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) فالحكمة منزلة عليه وهى منقولة في غير القرآن وقد تواتر عنه كون الصلاة خمسا والفجر ركعتين والمغرب ثلاثا والباقي اربع اربع والرباعية فى السفر ركعتان وتواتر عنه سجود السهو كذلك تواتر عنه انواع من المعجزات والاخبار المأثورة فى اصناف آياته وبراهينه كثيرة

جدا لايمكن احصاؤها وهي مشتملة على جنسى العلم والقدرة على انواع من الاخبار بالغيوب المستقبلة مفصلة كأنما رآها بعينه لم يأت منها خبر الا كما اخبر به وهذا أمر لم يكن قط الا لنبي اما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء فيكذبون كثيرا كما يصدقون احياناً ويخبرون بجمل غير مفصلة واما أهل الولاية والصلاح فاعظمهم كشفاً يخبر من ذلك بامور قليلة لاتبلغ عشر معشار ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بها مفصلة نخبره وعلى انواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة والآيات اما من باب العلم والخبر والمكاشفة • واما من باب القدرة والتأثير والتصرف وفي القرآن من الاخبار بالمستقبلات شيء كثير كقوله تعالى (الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد) فغلبت الروم فارس في بضع سنين وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى وكقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لايشركون بى شيئاً) وكان كما اخبر وروى الدارمى عن ابى بن كعب قال لما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه المدينة واواهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لايبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت مطمئنين لانخاف الا الله عز وجل؟ فنزلت (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الى آخر الآية وكان كذلك استخلف الله المؤمنين في الارض ومكن لهم دينهم في مشارق الارض ومغاربها وقال تعالى (هو الذى ارسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وكان كما اخبر ووعد وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) وكان كما اخبر وقال تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) فاخبر انهم لن يفعلوا وكان كما اخبر واخبر انه قال للمسيح (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وكان كما اخبر وانزل في مكة (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كما اخبر هزم الجمع وولوا الدبر وقال (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لايجدون ولياً ولا نصيرا) فكان كما اخبر وقال (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)وكان كما اخبر وقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفرا الى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب اطفاها الله) وكان كما اخبر وقال (لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وقال (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار) وقال (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) وكان كذلك فلم يقاتلوهم بعد نزول الآية الا انتصر عليهم المسلمون وما زال الاسلام في عز وظهور

حتى ظهر على اهل المشرق والمغرب وقال تعالى خطابا(لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب) وقال (قل ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين) فاخبر عن اليهود انهم لن يتمنوا الموت أبدا وكان كما اخبر فلا يتمنى اليهود الموت أبدا وهذا دليل من وجهين من جهة اخباره بانه لايكون أبدا ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت مع ان ذلك مقدور لهم وهذ من اعجب الأمور الخارقة للعادة وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لاظهار تكذيبه باظهار تمني الموت وقال في سورة المدثر (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سأصليه سقر وما ادريك ماسقر لاتبقي ولا تذر) وقال عن ابي لهب عمه تبت يدا أبي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب) فكان كما اخبر به مات الوليد كافرا ومات ابو لهب كافراً وقال في سورة الفتح وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين)وقال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون)فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً وقال (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله

جرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً اليما)وهذا كله وقع كما اخبر فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ودخلوا المسجد الحرام آمنين ودعيت الاعراب الي قتال الروم والفرس يقاتلونهم أو يسلمون فلا بد من القتال اوالاسلام ليس هناك هدنة بلاقتال ولااسلام كما كان يكون قبل نزول آية الجزية وقال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً) فدخل الناس فى دين الله افواجا بعد الفتح فما مات النبي صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام وقال تعالى عن المنافقين (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا ليخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون وكذلك كان فروى اهل التفسير والمغازى والسيران هذه الآية نزلت في المنافقين كعبد الله بن ابى وعبيد الله ابن نبتل ورفاعة بن تابوت ونحوهم كانوا يقولون لبنى النضير وهم اليهود حلفاؤهم لئن اخرجتم لنخرجن معكم الآية فاخبر الله عنهم انهم لن يفعلوا ذلك وكذلك كان وضرب الله لهم مثلا بالشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) كذلك المنافقون وبنو النضير

(فصل) وآياته صلى الله عليه وسلم قد استوعبت جميع انواع الآيات الفعلية والخبرية فاخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بامور باهرة لايوجد مثلها لاحد من النبيين قبله فضلا عن

غير النبيين ففي القرآن من اخباره عن الغيوب شيء كثير كما تقدم بعض ذلك وكذلك في الاحاديث الصحيحة مما اخبر بوقوعه فكان كما اخبر ففي الصحيحين عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك شيئاً يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فاراه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وفي صحيح مسلم عن ابي زيد عمرو بن أحطب قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ثم صعد المنبر فخطبنا حتي حضرت الظهر ثم نزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلي بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتي غابت الشمس قال واخبرنا بما كان وبما هو كائن فاحفظنا اعلمنا وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فشكي اليه الفاقة ثم أتى آخر فشكي اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة فقلت لم ارها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف احدا الا الله قال قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعارطي الذين سعروا البلاد ولان طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب اوفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن له الم ابعث اليك

رسولا فيبلغك • فيقول بلى • فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك •
فيقول بلى • فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى
الا جهنم • قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار
ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة. قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل
من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز
كسري بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه • قلت وهذا الذى أخبر
به من خروج الرجل ملء كفه من ذهب او فضة فلا يجد من يقبله
ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز • وفى صحيح مسلم عن جابر بن
سمرة عن نافع بن عتبة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
غزوة فاتي النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب
الصوف فوافقوه عند اكمة فانهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعد • قال فقالت لي نفسي آتيهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه قال ثم قلت
لعله نجي معهم فأتيتهم فقمت بينه وبينهم قال فحفظت منه أربع كلمات
اعدهن في يدى • قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون فارس
فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله • ثم تغزون الدجال فيفتحه الله •
وروى البخارى عن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك وهو في قبة ادم • فقال اعدوا اشياء بين يدى الساعة •
موتى وفتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ثم استفاضة
المال ثم يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لايبق بيت من
العرب الادخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم

تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر الفاً • قلت ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر ابن الخطاب ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام طاعون عمواس في خلافة عمر أيضاً ومات فيه معاذ بن جبل وابو عبيدة بن الجراح وخلق كثير وكان ذلك أول طاعون وقع في الاسلام فكان مما أخبر به حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتي كان أحدهم يعطىماية دينار فيسخطها حتي كانت الفرس تشترى بوزنها ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق من العرب بيت الا دخلته لما قتل عثمان واتسعت الفتنة بين المسلمين يوم الجمل وصفين وفي الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا الا تدعو الله لنا الا تستنصر لنا • قال فجلس محمراً وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بامشاط الحديد ما بين لحم وعصب مايصرفه ذلك عن دينه ويؤخذ فيحفر له الحفيرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنين مايصرفه عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخشى الا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون • وفي الصحيحين واللفظ للبخارى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتي تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانف كان وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتي تقاتلون قوما نعالهم الشعر • قلت وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما اخبر صلى الله عليه وسلم وأمر هذه الطوائف معروف فان قتال الترك من التتار وغيرهم الذين

هذه صفتهم معروف مشهور وحديثهم في أكثر من عشر آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين قبل قتال هؤلاء. الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم التي لو كلف من رآهم بعينه ان يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة • وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله علية وسلم انه قال لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى • وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ورآها الناس ورأوا اعناق الابل قد اضاءت ببصرى وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم • وفي الصحيحين عن ابي سعيد واسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم هلك كسرى ثم لايكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لايكون قيصر بعده ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله • وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله • وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن عصابة من المسلمين أو قال المؤمنين كنز آل كسرى الذي في الابيض • والابيض قصر كان لكسرى وفتح هذا الكنز سعد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما • وفي صحيح البخاري عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن الحسن ابن ابنته وهو يخطب على المنبر ان ابني هـذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين • قلت فوقع هذا كما أخبر

به بعد موت الرسول بنحو ثلاثين سنة وهو سنة أربعين من الهجرة لما اصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين نصف عسكر على ونصف عسكر معاوية • وفي الصحيحين عن ابن عباس ان رجلا اتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني رأيت الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل فارى الناس يتكففون منها بأيديهم فمنهم المستكثر والمستقل ثم اذا سبب واصل من الارض الى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم اخذ به رجل بعدك فعلا ثم اخذ به رجل آخر فعلا ثم اخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال ابو بكر يارسول الله بابي انت وامي لتدعني فلاعبره فقال اعبر• فقال ابو بكر اما الظلة فظلة الاسلام • واما الذي تنطف من السمن والعسل فهو القرآن حلاوته ولينه • واما مايتكفف فالمستكثر من القرآن والمستقل. واما السبب الواصل من السماء الى الارض فالحق الذى انت عليه فاخذت به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلوا ثم يأخذ به رجل فيعلو ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فاخبرنى يارسول الله اصبت ام اخطأت • فقال أصبت بعضاً واخطأت بعضاً قال فوالله يارسول الله اتخبرني بالذى اخطأت. قال لاتقسم • وفى الصحيحين عن ابي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذ ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتي ضرب الناس بعطن . وفي رواية فاستحالت الدلو غربا فى يد عمر

قال الشافعي رؤيا الانبياء وحي وقوله في نزعه ضعف قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب مع اهل الردة عن الافتتاح والمزيد الذى بلغه عمر في طول مدته . وفى الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ان امرأة سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئاً فأمرها ان ترجع اليه فقالت يارسول الله ارايت ان جئت فلم اجدك قال اى كانها تعني الموت قال فان لم تجديني فائتي ابا بكر • وروى ابو داود الطيالسى عن ابى ثعلبة الخشني وعن ابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكائناً خلافة ورحمة وكائناً ملكا عضوضاً وكائناً عتوة وجبرية وفساداً في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل . وروى ابو داود الطيالسى عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يارسول الله انى رأيت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتي تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتي تضلع ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منه شيء . وفى السنن عن سفينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا . فكان هذا العام تمام الثلاثين سنة من موته ودخل في ذلك خلافة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى . قلت وتمامها ستة أشهر التي استخلف فيها سيدنا الحسن السبط رضوان الله عليه وعلى سائر اصحاب رسول الله واهل بيته الطاهرين . وفي الصحيحين عن النبى صلي الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوى

لي منها. وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها واعطيت الكنزين الأحمر والابيض واني سألت ربي لأمتي ان لايهلكهم بسنة عامة وان لايسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال لي يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لايرد واني اعطيتك لامتك ان لااهلكهم بسنة عامة ولا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً. وهذا اخبر به في اول الامر واصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة وكان كما اخبر فان ملك امته انتشر في الشرق والغرب ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في الشرق والغرب اذ كانت امته اعدل الامم فانتشرت دعوته في الاقاليم التي هي وسط المعمور من الارض كالثالث والرابع والخامس وقد تقدم قوله هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده وذلك كسرى بن هرمز آخر الاكاسرة المملكين ثم ولي بعده ولاة مستضعفون فكان آخرهم يزدجرد واليه الاشارة باللفظ الآخر اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله • وهذا اخبر به وملك كسرى وقيصر اعز ملك في الارض وصدق الله خبره في خلافة عمر وعثمان فهلك كسرى وهو آخر الاكاسرة في خلافة عثمان بارض فارس ولم يبق بعده كسري ولم يبق للمجوس والفرس ملك وهلك قيصر الذي بارض الشام وغيرها ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارى وهو الذي يدعى قيصر • قال الشافعي كانت قريش

تمتاب الشام امتيابا كثيراً وكان كثير من معايشها منه وتأتى العراق فيقال لما دخلت فى الاسلام ذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم خوفها من انقطاع معايشها بالتجارة من الشام والعراق اذ فارقت الكفر ودخلت في الاسلام وخلاف ملك الشام والعراق لاهل الاسلام . فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسري فلا كسرى بعده فلم يبق بارض العراق كسرى يثبت له امر بعده وقال اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده فلم يكن بارض الشام قيصر فاجابهم على ما قالوا وكان كما قال قطع الله الاكاسرة عن العراق وفارس وقيصر عن الشام وقال فى كسرى . زق الله ملكه فلم يبق للاكاسرة ملك وقال في قيصر ثبت ملكه فثبت ملكه ببلاد الروم وتنحى عن الشام وكل هذا يصدق بعضه بعضاً . وفى الصحيحين عن سفيان بن زهير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . ثم تفتح الشام فيأتى قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح العراق فيأتى قوم متحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وفى رواية فيخرج من المدينة فاخبر صلى الله عليه وسلم بفتح اليمن والشام والعراق قبل ان يكون واخبر انه يخرج من المدينة اقوام يتحملون باهليهم ومن اطاعهم الي هذه الامصار ويطلبون الشريف وسعة الرزق قال والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وفى صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستفتح مصر وهى ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيراً وفي رواية فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحماً فاذا رأيتم

رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها فمر ابو ذر بعد فتح مصر بمدة بابني شرحبيل بن حسنه وهما يتنازعان فى موضع لبنة فخرج منها وفي صحيح البخاري عن سليمان ابن صرد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزونا وكذلك كان . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فتحت عليكم فارس والروم اى قوم انتم . قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما امرنا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم او غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض وفي صحيح البخارى عن ابى هريرة انه لما انزل الله (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الآخرين فقال لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس . وفي لفظ لو كان الايمان وفي لفظ العلم وكان كما اخبر فانه حصل في التابعين وتابعيهم وهلم جرا من ابناء فارس مثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد ابن جبر واضعاف هؤلاء من نالوا ذلك ولما نزل قوله تعالى (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) سئل عنهم . فقال هم قوم هذا واشار الى ابى موسى الاشعرى وقال اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن وفي الصحيحين عنه انه قال اتاكم أهل اليمن هم ارق قلوباً والين افئدة

الايمان يماني والفقه يماني والحكمة يمانية فلما ارتد من ارتد عن الاسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه فقاتل الصديق بهم أهل الردة وغلب بهم ابو بكر وعمر كسرى وقيصر وقال لعثمان بن عفان ان الله مقمصك قميصاً فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه • وفي الصحيحين عن ابي موسى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حوائط المدينة وهو متكيء يركز بعود فى الماء والطين اذا استفتح رجل فقال افتح وبشره بالجنة فاذا هو ابو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة فذهبت فاذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة على بلوي تصيبه فذهبت فاذا هو عثمان ففتحت وبشرته بالجنة وقلت له الذي قال فقال اللهم صبرا والله المستعان • وفى الصحيحين حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمران بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك ذلك الباب ان يكسر فسأله مسروق من الباب فقال عمر • وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها استشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذبه رواه أبو بكرة وقال فيه فاذا وقعت فمن كان له أبل فليلحق بابله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه • قال فقال رجل يارسول الله أرأيت ان لم يكن له أبل ولا غنم ولا أرض • قال يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع النجا اللهم هل بلغت • فقال رجل يارسول الله ارأيت

ان اكرهت حتى ينطلق بي الى احد الصفين أو احـد الفئتين فضربني رجل بسيفه أو نجي سهم فيقتلني قال يبوء باثمه واثمك ويكون من اصحاب النار . وفي صحيح ابى حاتم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب او فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي ويل الساعة فيها من الله يوم القيامـة . وفى الصحيحين عنه انه قال اني لارى الفتن تقع خـلال بيوتكم كمواقع القطر . وفى الصحيحين من غير وجه انه لما قال له ذو الخويصرة يامحمد اعدل فانك لم تعدل فقال ويحك قد خبت وخسرت ان لم اعدل . فقال بعض اصحابه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه يخرج من ضئضىء هذا اقوام يحقر احـدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم ان فيهم رجلا مخدج اليـد على عضده مثل البضعة من اللحـم تدور عليها شعرات وفى رواية في الصحيحين تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق وهؤلاء ظهروا بعـد موته بضع وعشرين سنة في أواخر خلافة على لما افترق المسلمون وكانت الفتنة بين عسكر على وعسكر معاوية وقتلهم على ابن أبي طالب واصحابه وهم ادنى الطائفتين الى الحق والطائفة الاخرى قتلوا عمار بن ياسر وهى الطائفة الباغية وكان علي قد اخبرهم بهذا الحديث وبعلاماتهم وطلبوا هذا المخدج فلم يجـدوه حتى قام علي بنفسه ففتش عليه فوجده مقتولا فسجد شكرا لله وفي الصحيح عنـه انه قال ستكون بعدى أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة

لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة وهؤلاء ظهروا بعده بمدة فكانوا يؤخرون الظهر الى وقت العصر ويؤخرون العصر الى اصفرار الشمس وفي الصحيحين عنه انه قال انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فلقوا بعده من استأثر عليهم ولم يعطهم حقهم • وفي الصحيحين عنه انه قال ستكون بعدي أمراء يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم • قالوا فما تأمرنا يارسول الله • قال أدوا اليهم حقهم واسئلوا الله حقكم • وفي الصحيحين عنه انه سارّ فاطمة فقال لها وهو في مرضه الذي توفي فيه اني اقبض في مرضى هذا ثم اخبرها انها أول اهله لحوقا به • وفي رواية واخبرها انها سيدة نساء المؤمنين • وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعكن بي لحاقا اطولكن يدا قالت فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت اطولنا يدا زينب لانها كانت تعمل بيدها وتصدق. وفي صحيح البخاري وغيره عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم • وفي صحيح البخاري عن أم حرام ايضاً قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا • قالت قلت يارسول الله انا فيهم قال انت فيهم. قالت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم • فقلت يارسول الله انا فيهم قال لا. وغزاها المسلمون في خلافة معاوية وكان يزيد اميرهم وكان في العسكر أبو أيوب الانصارى الذي نزل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته لما قدم المدينة مهاجرا ومات ودفن تحت سورها وذكروا انهم كانوا اذا اجدبوا كشفوا عن قبره

فيسقون ثم غزاها المسلمون من ثانية في خلافة عبد الملك غزاها ابنه مسلمة وحصروها عدة سنين وبنوا فيها مسجدا وفى الصحيحين عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمته وجعلت تفلى رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت مم تضحك؟ قال عرض على ناس من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة • فقالت أم حرام أدع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت مم تضحك . فقال عرض على ناس من أمتي كما قال في الاولى فقالت يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاولين • قال أنس فركبت البحر زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها لما خرجت من البحر فماتت وهذا كان في خلافة عثمان ومعاوية نائبه وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر واول ماغزوا البحر في خلافة عثمان وفتحوا جزيرة قبرص وجاؤا بسبيها الى دمشق وكان أبو الدرداء حيا بدمشق فجعل يبكي فقيل له مايبكيك ياابا الدرداء هذا يوم قد اعز الله فيه الاسلام . فقال انما أبكي انى رأيت هذه الامة كانت قاهرة ظاهرة فاضاعت امر الله فاصارها الله الى ماترون ما اهون العباد على الله اذا ضيعوا أمره • وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سألت ربى ثلاثا فاعطانى اثنتين ومنعني واحدة سألته ان لايسلط على أمتي عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها . وسألته ان لايهلكهم بسنة عامة فاعطانيها وسألته ان لايجعل باسهم بينهم فمنعنيها • وثبت

عنه في الصحيحين انه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة • وهذا اخبر به حين كانت أمته أقل الامم فانتشرت الامة فى مشارق الارض ومغاربها وكان كما اخبر به فان هذه الامة ولله الحمد والمنة لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف لم يصبها ما اصاب من قبلها من بني اسرائيل وغيرهم حيث كانوا مقهورين مع الاعداء بل ان غلبت طائفة فى قطر من الارض كان فى القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة ولم يسلط علي مجموعها عدوا من غيرهم ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن • وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم أرهما بعدُ قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة وعلى رؤسهن عمائم كاسنمة الجمال البخاتي يسمون العمامة سنام الجمل وفي صحيح مسلم عن اسماء بنت ابى بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون فى ثقيف كذاب ومبير وظهر الكذاب من ثقيف وهو المختار بن أبى عبيد الثقفي الذى اظهر التشيع والانتصار للحسين وقتل عبيد الله بن زياد وغيره من قتلة الحسين ثم اظهر انه يوحى اليه وانه ينزل عليه حتى قيل لابن عمر وابن عباس عنه قيل لاحدهما انه يوحى اليه وللآخر انه ينزل عليه • فقال احدهما وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال الآخر هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك اثيم) واما

المبير فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي وكان مبيرا سفاكا للدماء بغير حق انتصارا للملك عبدالملك بن مروان الذى استنابه. وفى الصحيحين عن ابى هريرة انه قال لقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي فيجمعه الى صدره فانه لن ينسى شيئاً سمعه • فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها الى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً سمعته منه • وفى الصحيحين عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش وفي لفظ الى اثنى عشر اميرا وفى رواية لابى داود الطيالسى كلهم يجتمع عليهم الامة وفي رواية فقالوا ثم يكون ماذا؟ قال ثم يكون الهرج قال ابو بكر البيهقى وفي الرواية بيان العدد وفى الثانية بيان المراد بالعدد وقد بين وقوع الهرج وهو القتل بعدهم وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد بن عبدالملك ثم وقع الهرج والفتنة العظمى وانما يزيدون على العدد المذكور اذا تركت الصفة المذكورة فيه اوعد معهم من كان بعد الهرج وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من انماط ؟ قلت يارسول الله وانى يكون لي انماط فانا اقول اليوم لامرأتى نحى عنك انماطك فتقول الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون لكم انماط ؟ وفى الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم أُريت انه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما فكرهتهما فاذن لي في نفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان بعدى • قال عبد الله احدهما العنسى الذى قتله فيروز الديلمي

باليمن والآخر مسيلمة . وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو مستقبل المشرق ها ان الفتنة
هاهنا ها ان الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وفي بعض طرق
البخارى قام خطيباً فاشار بيده نحو مسكن عائشة فقال وذكر الحديث
فالمشرق عن مدينته فيه البحرين ومنها يخرج مسيلمة الكذاب الذى
ادعي النبوة وهو أول حادث حدث بعده واتبعه خلائق وقاتله خليفته
الصديق وروى ابو حاتم في صحيحه عن جابر ابن عبد الله قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدى الساعة كذا بين منهم صاحب
اليمامة • ومنهم صاحب صنعا العنسى • ومنهم صاحب حمير . ومنهم الدجال
وهو اعظمهم فتنة وصاحب اليمامة هو مسيلمة قال وقال اصحابى قال هم
قريب من ثلاثين كذابا • وفي صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم
يزعم انه رسول الله وحتى يفيض المال وتظهر الفتن ويكثر الهرج • قالوا
وما الهرج يارسول الله ؟ قال القتل القتل وفي صحيح ابن حبان عن ابى
ذر قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا واردفني خلفه ثم
قال يا ابا ذر ارأيت ان أصاب الناس جوع شديد حتى لاتستطيع ان
تقوم من فراشك الي مسجدك كيف تصنع ؟ فقال الله ورسوله اعلم قال
تعفف قال يااباذر ارأيت ان اصاب الناس موت شديد حتى يكون
البيت بالعبد كيف تصنع ؟ قال الله ورسوله اعلم قال اصبر ياابا ذر ارأيت
ان قتل الناس بعضهم بعضاً حتي تغرق حجارة الذيت من الدماء كيف
تصنع ؟ قال الله رسوله اعلم قال اقعد فى بيتك واغلق عليك بابك

فقال أريت ان لم اترك؟ قال فائت من انت منه فكن فيهم قال فان اخذ سلاحي قال اذا تشاركهم فيه ولكن ان خشيت ان يروعك شعاع السيف فالق طرف رداك على وجهك يبوء باثمك واثمه وفيه عن ابن مسعود قال آتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من آدم فيها أربعون رجلا فقال انكم مفتوحون ومنصورون فمن ادرك ذلك الزمان منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . واما الفتوح التي فتحت عليهم والنصرة التي نصروا فقد اخبر به في اوائل مبعثه كما تقدم ذكره ووقع ما اخبر به وروى ابو حاتم في صحيحه عن ابن عباس قال مرض ابو طالب فأتته قريش واتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده وعند رأسه مقعد رجل فقام ابو جهل فقعد فيه فشكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ابى طالب فقالوا ان ابن اخيك يقع في آلهتنا . قال ماشان قومك يشكونك يابن اخى؟ قال ياعم انما اردتهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي لهم بها العجم الجزية فقال وما هى ؟ قال لااله الا الله فقاموا فقالوا اجعل الآلهة الهاً واحدا ؟ قال ونزلت (ص والقرآن ذي الذكر الى قوله ان هذا لشيء عجاب وفى صحيح بن حبان عن اسمعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم قال لما اقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلا فسمعت نباح الكلاب فقالت اى ماء هذا ؟ قالوا ماء الحوءب قالت ماأظنني الا راجعة قالوا مهلا يرحمك الله تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله بك . قالت ما اظنني الا راجعة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف باحداكن ينبح عليها كلاب الحوءب وفيه

ايضاً عن على ابن ابي طالب قال قال لي عبد الله ابن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز وأنا أريد العراق لاتات العراق فانك ان تأتهم اصابك ذنب السيف. قال على وايم الله لقد قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو الاسود فقلت فى نفسى ما رأيت كاليوم رجلا محاربا يحدث الناس بمثل هذا . وهذا وأمثاله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المستقبلات فوقع بعده كما اخبر ورأى الناس ذلك. وأما ما أخبر به مما لم يقع الى الآن فكثير وقد اخبر باشياء من المغيبات ووقعت فى زمانه ووجدت كما اخبر كما فى الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فكان كذلك • وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذى قلت له آنفاً انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا فاصابته جراحة وقد مات فقال النبي صلي الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينماهم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جرحا شديدا فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال الله أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى فى الناس انه لايدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر • ورواه سهل بن سعد وفى الصحيحين عن على رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوى

والزبير بن العوام والمقداد وكلنا فارس فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها أمرأة من المسلمين معها كتاب من حاطب الى المشركين فادركناها تسير على بعير لها حيث قلنا لها اين الكتاب ؟ فقالت ما معى كتاب قال فانخنا بها فالتمسنا الكتاب في رحلها فلم نر كتابا قال قلنا ما كذب رسول الله صلي الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أولنجردنك قال فلما رأت انى اهويت الى حجزتها وهى محتجزة بكساء اخرجت الكتاب من عقاصها فاخذنا الكتاب فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا ؟ قال لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهلهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم . فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق • فقال انه قدشهد بدرا ومايدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فكان في هـذا الكتاب أخبار المشركين بان النبي صلي الله عليه وسلم يريد غزوهم فاعلمه الله بذلك • وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس النجاشي فى اليوم الذى مات فيه نخرج الى المصلي وكبر اربع تكبيرات وفي رواية عن جابر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على اصحمة النجاشي وفى لفظ

من رواية ابى هريرة قال قد مات اليوم عبــد الله الصالح اصحمة فامنا
وصلى عليه وفى رواية عمران بن حصين قال ان اخالكم قد مات فصلوا
عليه يعني النجاشي • وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب قصة الصحيفة
ورواها عروة ابن الزبير ومحمد بن اسحاق بمعناه قال ثم ان المشركين
اشتدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كاشد ما كانوا حتى بلغ
المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء واجتمعت قريش في مكرها ان يقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى ابو طالب عمل القوم
جمــع بني عبد المطلب وامرهم ان يدخلوا رسول الله صلي الله عليه
وسلم شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم
فمنهم من فعله حمية • ومنهم من فعله ايمانا ويقينا . فلما عرفت قريش ان
القوم قد منعوا الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمعوا على ذلك واجتمع
المشركون من قريش اجمعوا امرهم ان لايجالسوهم ولا يبايعوهم ولا
يدخلوا بيوتهم حتي يسلموا رسول الله صلى الله عليــه وسلم للقتل
وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لايقبلوا من بني هاشم
ابداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل فلبث بنوا هاشم
في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الاسواق
فلم يتركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعاً الا بادروهم اليه فاشتروه يريدون
بذلك ان يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد ابن
اسحاق في روايته قال حتي كان تسمع اصوات صبيانهم يتضاغون من
وراء الشعب من الجوع وغدوا على من اسلم فاوثقوهم وآذوهم واشتد
البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا • قال قال موسى بن

عقبة في تمام حديثه وكان ابو طالب اذا اخذ الناس مضاجعهم امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتي يرى ذلك من
اراد مكرا به واغتياله فاذا نوم الناس امر احد بنيه او اخوته او بنى
عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتي بعض
فرشهم فينام عليه فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد
مناف ومن بني قصى ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء بنى
هاشم وراوا انهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمع امرهم
من ليلتهم على نقض ماتعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله
عز وجل على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم
الارضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق • ويقال كانت معلقة في
سقف البيت فلم تترك اسما لله عز وجل فيها الا لحسته وبقى مافيها من
شرك او ظلم او قطيعة رحم واطلع الله رسوله على الذى صنع بصحيفتهم
فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب فقال ابو طالب لا
والثواقب ما كذبنى فانطلق يمشى بعصابة من بني عبد المطلب حتي اتي
المسجد وهو حافل من قريش فلما راوهم عامدين بجماعتهم انكروا
ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتكلم ابو طالب فقال قد حدثت امور بينكم • لم
نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله ان يكون بينكم
وبيننا صلح • وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فى الصحيفة قبل ان يأتوا
بها فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لايشكون ان الرسول مدفوعا اليهم
فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم ان تقبلوا وترجعوا الى امر يجمع

قومكم فانما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطر الهلكة قومكم وعشيرتكم وفساد دينكم • فقال ابو طالب انما آتيتكم لاعطيكم امرا فيه نصف فان ابن اخي اخبرني ولم يكذبني ان الله عز وجل برىء من هذه الصحيفة التي في ايديكم ومحى كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم ايانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذي قال ابن اخي كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلمه ابدا حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه او استحييتموه. قالوا قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد اخبر خبرها فلما رآها قريش كالذي قال ابو طالب • قالوا والله ان كان هذا الا سحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا شر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعلى رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه فقال اولئك النفر من بني عبد المطلب ان اولى بالسحر والكذب غيرنا كيف ترون فانا نعلم ان الذي اجتمعتم علينا من قطيعتنا اقرب الى الخبث والسحر من امرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في ايديكم طمس الله ما كان فيها من اسم وما كان فيها من بغي تركه . افنحن السحرة ام انتم ؟ فقال عندذلك النفر من بني عبدمناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم . منهم ابو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن ابي امية ابن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي في رجال من اشرافهم ووجوههم نحن برآء مما في هذه الصحيفة • فقال ابو جهل هذا امر قد

قضى بليل وانشأ ابو طالب يقول فى ذلك الشعر في شأن صحيفتهم ويمتدح
النفر الذى تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي قال
موسى ابن عقبة فلما افسد الله صحيفة مكرهم خرج النبى صلى الله عليه وسلم
فماشوا وخالطوا الناس • وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود
قال انطلق سعد ابن معاذ معتمرا فنزل على أمية بن خلف ابي صفوان وكان
أمية بن خلف اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ
فقال سعد لامية انظر لى ساعة خلوة لعلي ان اطوف بالبيت قال انتظر
حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت • قال فخرج به قريباً
من نصف النهار فلقيهما ابو جهل فقال يا ابا صفوان من هذا الذي معك
قال هذا سعد فقال له ابو جهل الا اراك تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم
الصباه وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما والله لولا انك مع ابى
صفوان مارجعت الي اهلك سالماً • فقال له سعد وقد رفع صوته عليه
لئن منعتنى من هذا لامنعنك ماهو اشد عليك منه طريقك على المدينة
قال فقال له امية لاترفع صوتك على ابى الحكم سيد اهل الوادى
فقال سعد دعنا منك يا امية فوالله لقد سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول انه قاتلك. قال بمكة؟ قال لا أدرى ففزع لذلك أمية. فزعا شديدا
وقال والله مايكذب محمد فلما رجع أمية الى اهله قال يا أم صفوان ألم
ترى الى ماقال لى سعد؟ قالت وما قال لك؟ قال زعم ان محمدا اخبرهم
انه قاتلي فقلت له بمكة؟ فقال لا أدري. فقالت والله مايكذب محمد فقال
أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر استنفر ابو جهل الناس
فقال ادركوا غيركم قال فكره أمية ان يخرج فاتاه ابو جهل فقال يا ابا

صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد أهل الوادي تخلفوا معك فلم يزل ابو جهل حتي قال اذ غلبتني فوالله لاشترين اجود بعير بمكة • قال أمية يا أم صفوان جهزيني فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ماقال لك أخوك اليثربي؟ قال لا وما اريد ان اجوز معهم الا قريباً • قال فلما خرج أمية جعل لاينزل منزلا الا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتي قتله الله ببدر وعن كعب بن مالك قال كان أبي بن خلف اخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتله ان شاء الله عز وجل فاقبل أبي مقنعاً فى الحديد وهو يقول لانجوت ان نجى محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عمير وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فاتاه اصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور . فقالوا والله ما اجزعك انما هو خدش . فذكرهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقتل ابيا ثم قال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذي بى باهل ذي المجاز لماتوا اجمعون فمات الى النار ورواه موسي بن عقبة عن ابن شهاب الزهرى عن سعيد بن المسيب وذكره الواقدى باسناده وهذا لفظه وهو مما ذكره عروة بن الزبير فى مغازيه وابن اسحاق وغيرهما وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه ان عمير بن وهب الجمحي لما رجع فل المشركين الى مكة وقد قتل الله من قتل منهم • اقبل عمير حتي جلس الى صفوان بن

أمية في الحجر . فقال صفوان قبح الله العيش بعد قتلي بدر . قال اجل والله
مافي العيش خير بعدهم ولولا دين علي لاجد له قضاء وعيال لادع
لهم شيئاً لرحلت الى محمد فقتلته ان ملأت عيني منه فان لى عنده علة
اعتل بها اقول قدمت على انني أفدي هذا الاسير . ففرح صفوان بقوله
وقال له على دينك وعيالك اسوة عيالى في النفقة فحمله صفوان وجهزه
وامر بسيف عمير فصقل وسم فاقبل عمير حتي قدم المدينة فنزل بباب
المسجد وعقل راحلته واخذ السيف فعمد لرسول الله صلي الله عليه
وسلم فنظر اليه عمر ابن الخطاب وهو فى نفر من الانصار يتحدثون
فقال عمر عندكم الكلب هذا عدو الله الذى حرش بيننا يوم بدر وحذرنا
للقوم ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الحديث الى ان قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اقدمك ؟ قال
اسيرى عندكم ففادنا فى اسرائنا فانكم العشيرة والاهل . قال فما بال السيف
في عنقك ؟ قال عمير قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئاً انما نسيته
في عنقي حين نزلت . فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اصدقني
ما أقدمك ؟ قال ما قدمت الا فى اسيرى . قال فماذا شرطت لصفوان بن
أمية في الحجر ؟ ففزع عمير وقال ماذا شرطت ؟ قال تحملت له بقتلي على
ان يعول بيتك ويقضي دينك والله حائل بينك وبين ذلك . فقال عمير
اشهد انك رسول الله وان لا اله الا الله كنا نكذبك بالوحى وبما
يأتيك من السماء وهذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر لم
يطلع عليه احد غيرى وغيره فاخبرك الله به وذلك بقية الحديث . وفي
صحيح البخارى عن انس قال بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم

اقواماً من بنى سليم الى بنى عامر في سبعين • فلما قدموا قال لهم خالى اتقدمكم فان امنوني حتي ابلغهم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم والا كنتم منى قريباً • فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن النبي صلي الله عليه وسلم إذ اوماؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال فذت ورب الكعبة • ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل وآخر معه فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضى الله عنهم وارضاهم فكنا نقراء ان بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعى عليهم اربعين صباحا على رعل وذ كوان وعصية وبني لحيان الذين عصوا الله ورسوله وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة قال عنه عامر بن الطفيل لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتي اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض • وفي الصحيحين من حديث ابى حميد الساعدى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فاتينا وادى القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوها فخرصناها وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق • قال احصها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى فانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله . فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طي • وروي الامام احمد عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس بن عبد المطلب ابو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو احد بنى سلمة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اسرته يااباا اليسر؟ فقال لقد اعانني

عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل هيئته كذا وكذا • فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم • وقال للعباس ياعباس افد نفسك وابنى أخيك عقيل ابن ابى طالب ونوفل بن الحارث بن فهر قال فاني قد كنت مسلماً قبل ذلك وانما استكرهوني . قال الله اعلم بشانك ان يك ما تدعى حقاً فالله يجزيك بذلك واما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد نفسك . وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين اوقية ذهباً. فقال يارسول الله احسبها لي من فداى . قال لا ذلك شيء اعطانا الله منك • قال فانه ليس لى مال . قال فاين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند ام الفضل وليس معك احد غيركما فقلت ان أصبت فى سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا قال فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد من الناس غيري وغيرها واني اعلم انك لرسول الله • وفي صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر قال امرّ رسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة موتة زيد بن حارثة فان قتل زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة • قال بن عمر كنت معهم ففتشته يعنى بن رواحة فوجدنا فيما اقبل من جسده بضعاً وسبعين مابين طعنة ورمية . وروى البخارى عن انس ابن مالك قال نعى رسول الله صلي الله عليه وسلم زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل ان ياتيهم خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فاصيب ثم اخذها عبد الله ابن رواحة فاصيب وان عيني رسول الله صلي الله عليه وسلم لتذرفان ثم أخذها خالد بن الوليد سيف من سيوف الله حتي فتح الله عليهم

(فصل) واياته صلي الله عليه وسلم المعلقة بالقدرة والفعل والتاثير

انواع • الاول منها ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث وكمعراجه الى السماء فقد ذكر الله انشقاق القمر وبين ان الله فعله واخبر به لحكمتين عظيمتين احداهما كونه من ايات النبوة لما ساله المشركون آية فاراهم انشقاق القمر والثانية انه دلالة علي جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل على ما اخبرت به الانبياء من انشقاق السموات ولهذا قال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر) فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه اقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون سائر اجزاء الفلك اذ هو الجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لايمارى فيه وانه نفسه اذا قبل الانشقاق فقبوله محله اولى بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه السورة فى المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس مافيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره فعلم ان انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة . وفي صحيح مسلم ان عمر ابن الخطاب سال اباواقد الليثى ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاضحى والفطر فقال كان يقراء فيها بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق

القمر . ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة انه لولم يكن انشق لاسرع المؤمنون به الى تكذيب ذلك فضلا عن اعدائه الكفار والمنافقين ومعلوم انه كان من احرص الناس على تصديق الخلق له واتباعهم اياه فلولم يكن انشق لما كان يخبر به ويقرأه على جميع الناس ويستدل به ويجعله آية له .وفى الصحيحين عن انس بن مالك قال ان أهل مكة سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين وعنه قال ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فانشق القمر فرقتين زاد الترمذى فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب . وفي الصحيحين عن بن مسعود قال انشق القمر على عهد (رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا .وعن ابن مسعود أيضاً قال رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبى صلى الله عليه وسلم شقة على جبل أبي قيس وشقة على السويدا فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا مثل مارأيتم فقد صدق وان لم يكونوا رأوا مثل مارأيتم فهو سحر .قال فسئل السفار وقدموا من كل وجه فقالوا رأينا رواه البخارى ومسلم.وروى البخارى عن ابن عباس انه قال انشق القمر على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن ابن عمر في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر

ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل فقال وعلى هذا الجبل
فقال الناس سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال رجل ان كان سحركم
فلم يسحر الناس كلهم رواه الترمذي ، وكذلك صعوده ليلة المعراج الى
مافوق السموات وهذا مما تواترت به الاحاديث وأخبر به القرآن اخبر بمسراه
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وفي موضع
أخر بصعوده الى السموات فقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير) فاخبر هنا بمسراه ليلا بين المسجدين
وأخبر انه فعل ذلك ليريه من آياته . ومعلوم ان الارض قد رأى الناس
مافيها من الآيات فعلم ان ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس كما قال فى
السورة الاخرى (أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند
سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشي السدرة مايغشى مازاغ البصر
وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وفى الصحيحين عن ابن
عباس في قوله تعالى (وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) قال هي
رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان فى أخباره بالمسرى
ليريه من آياته بيان انه رأى من آياته مالم يره الناس وقد بين ذلك في
السورة الاخرى وانه رأي جبريل عند السدرة المنتهى عندها جنة
المأوى اذ يغشى السدرة مايغشى وانه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى
وذكرى فى تلك السورة المسرى لانه أمكنه ان يقيم عليه برهانا فانه
لما أخبرهم به فكذبه من كذبه وتعجبوا من ذلك سألوه عن نعته
وصفاته فنعته لهم لم يخرم من النعت شيئاً وأخبر خبر عيرهم التي كانت

في الطريق فظهر لهم صدقه وكان صدقهم في هذا آية على صدقه فيما غاب عنهم وكان قطع المسافة البعيدة في الزمن اليسير لاجل ماراه من الآيات التي تختص برؤيتها الانبياء وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولى أو تسخيرا الجن كما فى قصة بلقيس حيث قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) فان قطع الجسم الثقيل للمسافة البعيدة انما كان لما أوتيه سليمان من الملك كما كانت الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وهذا تسخير ملكي وقطع محمد صلى الله عليه وسلم كان لما أراه الله من الآيات التي ميزه بها على سائر النبيين وكان ذلك فتنة أى محنة وابتلاء للناس ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه وأحاديث المعراج وصعوده الى مافوق السموات وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ ورؤيته لما راه من الآيات والجنة والنار والملائكة والانبياء فى السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهى وغير ذلك معروف متواتر في الاحاديث وهذا النوع لم يكن لغيره من الانبياء مثله. يظهر به تحقيق قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فالدرجات التى رفعها محمد ليلة المعراج وسيرفعها فى الآخرة كالمقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون الذي ليس لغيره مثلها في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة وأبى ذر ومن رواية ابن عباس وأبي حبة الانصارى

وغيرهم فروى أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى بصره قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بالخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟ قال أقد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو قد أعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعى لي بخير. قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الي السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل

ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل أوقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه ؟قال قدبعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا ؟قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام فقال مافرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة. قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان أمتك لايطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت الى ربي فقلت رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسى عليه السلام فقلت حط عني خمسا. قال فان أمتك لايطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين يدي ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال لى يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له

حسنة فان عملها كتبت له عشر ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة. قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى عليه السلام فاخبرته .قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحيت منه وفي رواية قال فاتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم انزلت طست من ذهب مملوءة حكمة وايمانا فحشى بها صدرى وفى رواية فشق من النحر الى مراق البطن وقال عن البيت المعمور • فقلت ماهذا؟ فقال بناء بناه الله للملائكته يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك يقدسون الله ويسبحونه لايعودون اليه • وفى حديث أبى ذر فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فافرغها فى صدري ثم اطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن سماء الدنيا افتح قال من هذا ؟ قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم فلما علونا السماء فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى • قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح قال قلت ياجبريل من هذا ؟ قال آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار قال الزهرى وأخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصارى يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام.وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن

مسعود قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى
سدرة المنتهى وهى في السماء السابعة اليها ينتهي مايعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة مايغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثاً. أعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة
وغفر لمن لايشرك بالله شيئاً من امته المقحمات وعنه في قوله عزوجل
فكان قاب قوسين أو ادنى ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في
صورته وله ستمائة جناح ٠ وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتني قريش قمت في الحجر
فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وانا انظر اليه ٠ وفي
صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد رأيتني فى الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة ما كربت
مثلها قط قال فرفعه الله الى انظر اليه مايسألوني عن شيء الا انبأتهم
به. قلت وصعود الآدمي ببدنه الى السماء قد ثبت في أمر المسيح عيسى
ابن مريم عليه السلام فانه صعد الى السماء وسوف ينزل الى الارض
وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين فانهم يقولون ان المسيح صعد
الى السماء ببدنه وروحه كما يقوله المسلمون ويقولون انه سوف ينزل
الى الارض ايضاً كما يقوله المسلمون وكما أخبر به النبي صلى الله عليه
وسلم في الاحاديث الصحيحة لكن كثيراً من النصارى يقولون انه
صعد بعد ان صلب وانه قام من القبر ٠ وكثير من اليهود يقولون انه

صلب ولم يقم من قبره • وأما المسلمون وكثير من النصارى فيقولون انه لم يصلب ولكن صعد الى السماء بلا صلب والمسلمون ومن وافقهم من النصارى يقولون انه ينزل الى الارض قبل القيامة وان نزوله من اشراط الساعة كما دل على ذلك الكتاب والسنة • وكثير من النصارى يقولون ان نزوله هو يوم القيامة وانه هو الله الذى يحاسب الخلق وكذلك ادريس صعد الى السماء ببدنه وكذلك عند اهل الكتاب ان الياس صعد الى السماء ببدنه ومن انكر صعود بدن الى السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان • أحدهما ان الجسم الثقيل لايصعد وهذا فى غاية الضعف فان صعود الاجسام الثقيلة الى الهواء مما تواترت به الاخبار فى امور متعددة مثل عرش بلقيس الذى حمل من اليمن الى الشام في لحظة لما قال سليمان يا أيها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي ام تكون من الذى لايهتدون) ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكره لما كان يحمل البساط في الهواء وهو جالس عليه باصحابه. ومثل حمل قرى قوم لوط ثم القائها فى الهواء. ومثل المسري الى بيت المقدس الذى ظهر صدق الرسول بخبره ورجال كثيرون فى زماننا وغير زماننا يحملون من مكان الى مكان في الهواء. وهذا مما تواتر عندنا وعند من يعرف ذلك

وايضاً فمعلوم ان النار والهوى الخفيف تحركه حركة قسرية فيهبط والتراب والماء الثقيلان يحركان حركة قسرية فيصعد وهذا مما جرت به العادة • والشبهة الثانية ظن بعض المتفلسفة كارسطو وشيعته ان الافلاك لاتقبل الانشقاق وحججهم على ذلك في غاية الضعف فانهم قالوا لو كانت تقبل الانشقاق لكان المحدد للافلاك المحرك لها تحرك حركة مستقيمة والحركة المستقيمة تحتاج الى خلاء خارج العالم ولا خلاء هناك وهذه الحجة فاسدة من وجوه• منها انها تدل على ذلك فى الفلك الاعلى لا فيما دونه كفلك القمر وغيره وهذا مما اجابهم به الرازى وغيره• ومنها ان وجود الاجسام خارج الفلك كوجود الفلك فى حيزه فقول القائل ان ذلك يحتاج الى خلاء كقوله ان وجود الفلك فى حيزه يحتاج الى خلاء وقوله بنفى الخلاء عن حيزه فان كان الخلاء عدما محضا فهو منتف في الجانبين. وان قيل انه أمر وجودى لزم ان يحتاج اليه في الموضعين وحينئذ فيبطل القول بنفيه وبهذا يظهر جوابهم عن انكارهم انشقاق القمر فان عمدتهم فيه ان الفلك لايقبل الانشقاق وقد عرف فساد ذلك عقلا وسمعا وتواترت عن الانبياء انهم اخبروا بانشقاق السموات . وايضاح الرد على هؤلاء ، انمايثبتونه من ان الحركة لابد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات انما يدل على الافتقار الى جنس المحدد لايدل على الاحتياج الى محدد معين فاذا قدر انه خلق وراء المحدد محددا آخر وخرق الاول حصل به المقصود وهكذا عامة ادلتهم انما تدل على شيء مطلق لكن يعينونه بلا حجة فيغلطون في التعيين كدليلهم على دوام الفاعلية أو الحركة أو زمانها فان ذلك لا يدل

على الحركة الفلكية وان الزمان هو مقدار الحركة بل اذا كان الله
قد خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام كما اخبرت به الرسل
لم تكن تلك الايام التي خلق الله فيها السموات والارض هى مقدار
حركة الشمس التي هى مما خلق في تلك الايام بل قد أخبر الله تعالى
انه كان عرشه على الماء قبل ان يخلق السموات والارض واخبر انه
خلق السموات من دخان وهو بخار الماء فاذا كان قبل هذه الحركات
المشهودة حركات اخر لاجسام غير هذه الاجسام المشهودة لم يكن
هذا منا قضاً لما دل عليه العقل • وكذلك مايذكرونه فى قدم العالم فليس
مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما اخبرت به الرسل ولكن
قد تناقض مايظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل كما قد بسط فى
غير هذا الموضع • والنوع الثانى آيات الجو كاستسقائه صلى الله عليه
وسلم واستصحائه وطاعة السحاب في حصوله وذهابه بدعائه صلى الله
عليه وسلم ونزول المطر بدعائه. فى الصحيحين عن انس بن مالك
ان رجلا دخل المسجد فى يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب فاستقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قائماً ثم قال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت
السبل فادع الله يغثنا • قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم
قال اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا • قال انس ولا والله مانرى في السماء
من سحاب ولا من قزعة وان السماء لمثل الزجاجة وما بيننا وبين سلع
من دار فوالذى نفسي بيده ما وضع يديه حتي ثار السحاب أمثال
الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته • وفى رواية

أخرى فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال فلا والله مارأيت الشمس سبتاً قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب فاستقبله قائماً فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله ان يمسكها عنا • قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر • قال فما يشير بيده الى ناحية الا تفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادى قناة شهراً ولم يجيء احد من ناحية الا أخبر بجود • ومن هذا الباب نصر الله له بالريح التي قال الله فيها (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) قال مجاهد يعني ريح الصبا أرسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورها على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى اظعنتهم • وجنوداً لم تروها يعني الملائكة . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفي المغازي والسير والتفسير قصة الاحزاب وكيف أرسلت عليهم الريح الملائكة وانهزموا بغير قتال معروف • والنوع الثالث تصرفه في الحيوان الانس والجن والبهائم فروى عن عبد الله بن جعفر قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاسر الى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس • قال وكان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل فدخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه

النبي صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه وذفراه فسكن ثم قال لمن هـذا الجمل؟ فجاء فتى من الانصار فقال هو لى يارسول الله • فقال له النبي صلي الله عليه وسلم الا تتق الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الى انك تجيعه وتذيبه روا مسلم بعضه وبعضه على شرطه ورواه ابو داود وغيره وروى الامام احمد والدارمى وغيرهما عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم من سفر حتي اذا دفعنا الى حائط من حيطان بنى النجار اذا فيه جمل لايدخل الحائط احد الاشد عليه فذكروا ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم فجاء حتي اتى الحائط فدعى البعير فجاء واضعاً مشفره الى الارض حتي برك بين يديه • قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هاتوا خطامه فخطمه ودفعه الى صاحبه. قال ثم التفت الى الناس فقال انه ليس شيء بين السماء والارض الا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والانس . وروى الطبرانى عن جابر قال خرجنا فى غزوة ذات الرقاع حتي اذا كنا بحرة واقم عرضت امرأة بدوية بابن لها فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هذا ابني قد غلبنى عليه الشيطان. قال فادنيه منى فادنته منه. فقال افتحي فمه ففتحته فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اخس عدوا لله وانا رسول الله قالها ثلاث مرات ثم قال شأنك بابنك ليس عليه بأس فلن يعود اليه شيء مما كان يصيبه . وذكر قصة الشجرتين الى ان قال ثم خرجنا فنزلنا منزلا صحراء ديومة ليس فيها شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر ياجابر انطلق فانظر لى مكانا . يعني للوضوء فخرجت انطلق فلم اجد الا شجرتين متفرقتين لو انهما اجتمعتا سترتاه فرجعت الى

النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله والله مارايت شيئاً يسترك الا شجرتين مفرقتين ولو انهما اجتمعتا سترتاك . فقال النبي صلي الله عليه وسلم انطلق اليهما فقل لهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اجتمعا . قال فخرجت فقلت لهما فاجتمعتا حتي كأنهما في اصل واحد ثم رجعت فاخبرت النبي صلي الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي قضى حاجته ثم رجع فقال ائتهما فقل لهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لكما ارجعا كما كنتما كل واحدة الى مكانها فرجعت فقلت لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما ارجعا كما كنتما فرجعتا. ثم خرجنا فنزلنا في واد من اودية بني محارب فعرض له رجل من بني محارب يقال له غورث بن الحارث والنبي صلي الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يامحمد اعطني سيفك هذا فسله فناوله اياه ونظر اليه ساعة ثم اقبل على النبي صلي الله عليه وسلم فقال يامحمد من يمنعك مني؟ فارتعدت يده حتي سقط السيف من يده فناوله رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال ياغورث من يمنعك مني ؟ قال لا احد قال ثم اقبلنا راجعين فجاء رجل من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بعش طير يحمله وفيه فراخ وابواه يتبعانه ويقعان على يد الرجل فاقبل النبي صلي الله عليه وسلم على من كان معه فقال اتعجبون بفعل هذين الطيرين بفراخهما؟ زاد في رواية فربكم ارحم بكم من هذا الطائر بفراخه ثم اقبلنا راجعين حتى اذا كنا بحرة واقم عرضت لنا المرأة التي جاءت بابنها برطب ولبن شاة فاهدته له فقال مافعل ابنك هل اصابه شيء مما كان يصيبه قالت لا والذي بعثك بالحق مااصابه شيء مما كان يصيبه

وقبل هديتها ثم اقبلنا حتى اذا كنا بمهبط من الحرة اقبل جمل يرقل فقال اتدرون ماقال هذا الجمل. قالوا الله ورسوله اعلم. قال هذا جمل جاءني يستعدى على سيده يزعم انه كان يحرث عليه منذ سنين حتى اذا اجربه واعجفه وكبر سنه اراد نحره اذهب معه ياجابر الى صاحبه فائت به . فقلت ما اعرف صاحبه يارسول الله . قال انه سيدلك عليه قال فخرج بين يدي معنقا حتى وقف بى في مجلس بنى خطمة فقلت اين رب هذا الجمل . قالوا فلان فجئته فقلت اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معى حتى جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان جملك هذا يستعدى عليك يزعم انك حرثت عليه زماناً حتى اجربته واعجفته وكبر سنه ثم اردت نحره. فقال والذى بعثك بالحق ان ذلك لكذلك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيعنيه ؟ قال نعم يارسول الله . فابتاعه منه ثم سيبه فى الشجر حتى نصب سناما فكان اذا اعتل على بعض المهاجرين والانصار من نواضحهم شيء اعطاه اياه فمكث بذلك زماناً وهذا الحديث له شواهد اخرج اهل الصحيح منه قصة الشجرتين وقصة الذي شهر السيف على رسول الله عليه وسلم وقصة الطير رواه ابو داود الطيالسى وقصة الصبى ذكرها غير واحد وروى الامام احمد في مسنده عن يعلي ابن مرة الثقفى قال ثلاثة اشياء رأيتهن من رسول الله صلي الله عليه وسلم بينما نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه بالارض فوقف عليه النبى صلي الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير ؟ فجاء فقال بعنيه. فقال بل اهبه لك يارسول الله. فقال لا بل

بعنيه فقال بل نهبه لك وهو لاهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه يشكي الى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه . وفى رواية انهم ارادوا نحره ثم سرنا من منزلنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق الى هاتين الشجرتين فقل لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما ان تجتمعا فانطلقت فقلت لهما ذلك فانتزعت كل واحدة منهما من اصلها فنزلت كل واحدة الى صاحبتها فالتقتا جميعاً فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته من ورائهما ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بامره وأتته امرأة بصبي لها به لمم فقالت يارسول الله ان ابني هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه في كل يوم مرتين . فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في فيه وقال اخرج عدو الله انا رسول الله فبرئ فلما رجعنا جاءت ام الغلام بكبشين وشيء من اقط قالت والذى بعثك بالحق ما رأينا منه ريباً بعدك . فاخذ احد الكبشين والاقط ورد الكبش الآخر . وروى هذه القصة أبو يعلي الموصلي عن اسامة بن زيد رضى الله عنه ورواه الحاكم في صحيحه قال فيه سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت منه عجباً وذكر الحديث . وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمرأة لما اخرج الشيطان من ابنها اذا رجعنا فاعلمينا ماصنع ورواه الدارمي أيضاً وروى الدارمى عن ابن عباس ان امرأة جاءت بابن لها الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا . فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا فثع ثعة خرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى . وروى أبو داود الطيالسى عن ابن مسعود قال كنا مع النبي صلى الله

عليه وسلم في سفر فدخل رجل غيطة فاخرج منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول صلى الله عليه سلم واصحابه . فقال ايكم فجع هذه؟ فقال رجل من القوم انا اخذت بيضها . فقال رده رحمة لها . وروى الحاكم في صحيحه عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركبنا البحر فى سفينة فانكسرت السفينة فركبت لوحا من ألواحها فطرحني في اجمة فيها اسد فلم يرعني الا به . فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطأطأ رأسه وغمز بمنكبه شقي فما زال يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق فلما وضعني على الطريق همهم فظننت انه يودعني . وروى الامام احمد في مسنده وأبو يعلى الموصلي عن عائشة قالت كان لآ ل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد ولعب واقبل وادبر فاذا احس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم كراهية ان يؤذيه . ولفظه للامام احمد ورواه أبو نعيم وروى عنها احمد ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والانصار فجاء بعير فسجد له فقال اعبدوا الله ربكم واكرموا اخاكم ولو كنت آمرا احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها ولو امرها ان تنقل من جبل اصفر الى جبل اسود ومن جبل اسود الى جبل أبيض كان ينبغي لها ان تفعله رواه الامام احمد عن عفان وابن ماجه بعضه عن ابي بكر بن أبي شيبة عن عفان قال ثنا حماد بن سلمة ثنا ابى ثنا على بن يزيد ثنا سعيد عن عائشة وقصة هذا الجمل رواها جماعة من الصحابة وروي الامام احمد فى مسنده عن ابى سعيد الخدري قال

عدا الذئب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي ؟ فقال ياعجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الانس • فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بانباء ماقد سبق • قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتي دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق والذى نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه ما احدث اهله بعده .وروى الترمذى آخره وصححه قال البيهقى اسناده صحيح وله شاهد من وجه آخر ورواه احمد عن أبي هريرة قال وكان الراعى يهودياً فاسلم وقال فيه اعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم وفي الصحيحين عن أنس قال كان بالمدينة فزع فاستعار النبي صلي الله عليه وسلم فرساً لابي طلحة وكان يقطف فلما رجع قال ان وجدنا فرسكم هذا بحرا وكان بعد ذلك لايجارا • وفي الصحيحين عن سلمة بن الاكوع وسهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر انه ارسل الى على وهو ارمد العين فقال لاعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فبصق فى عينيه فبرىء كأن لم يكن به وجع قط واعطاه الراية فقال على يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال انفذ على رسلك حتي تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى

الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم. وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه قتادة بن النعمان انه اصيبت عينه في الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فسالت على وجنته فارادوا ان يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ودعاه وغمز حدقته براحته فكان لايدرى أى عينيه أصيبت فكانت احسن عينيه واحدهما وفي رواية فرفع حدقته حتي وضعها موضعها ثم غمزها براحته وقال اللهم اكسها جمالا فمات ومايدرى من لقيه اى عينيه اصيبت رواه عنه اهل المغازى وانشد ولده بحضرة عمر بن عبد العزيز وهو خليفة واقره من حضر ولم ينكروه .

انا ابن الذي سالت على الخد عينه * وردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاحسن حالها * فيا حسن ماعين ويا حسن مارد

فلولا انه كان معروفا عند التابعين لم يقروه وهم انما تلقوا هذا عن الصحابة• وفي صحيح البخارى عن البرآء ابن عازب قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى رافع اليهودى رجالا من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان فى حصن له بارض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ادخل •قال فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضى حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق

الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم اغلق الاغاليق
على ودخل قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان أبو
رافع يسمر عنده وكان فى علالى له فلما ذهبت عنه اهل السمر صعدت
اليه فجعلت كلما فتحت باباً اغلقت على من داخل قلت ان القوم لو نذروا بي لم
يخلصوا الي حتي اقتله فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادرى
اين هو من البيت قلت ابا رافع . قال من هذا؟ فاهويت نحو الصوت فضربته
ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فمكثت
غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال لامك
الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف . قال فضربته ضربة
أثخنته ولم اقتله ثم وضعت صيب السيف فى بطنه حتي أخذ فى ظهره
فعلمت انى قد قتلته فجعلت افتح الابواب باباً فبابا حتى انتهيت الى
درجة فوضعت رجلي وانا ارى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت في
ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامتى ثم انطلقت حتى جلست
عند الباب فقلت لا ابرح حتى اعلم اقتلته ام لا فلما صاح الديك قام
الناعى على السور ينعى ابا رافع فانطلقت الى اصحابى فقلت النجا النجا
قتل الله ابا رافع . قال فانتهينا الى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثناه
فقال ابسط رجلك . فبسطها فمسحها فكأنما لم يشكها قط . وفى البخارى
عن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت في ساق سلمة بن الاكوع اثر ضربة
فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة؟ قال هذه ضربة اصابتنى يوم خيبر
فقال الناس اصيب سلمة قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت منها حتى الساعة . وفى الترمذى

وغيره عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريراً اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله تعالى ان يعافيني • قال ان شئت صبرت فهو خير لك وان شئت دعوت الله • قال فادعه قال فامره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء • اللهم اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه فتقضيها الى اللهم فشفعه فى • وفي رواية قال يارسول الله ليس لي قائد وقد شق على وذكر الحديث فقال عثمان والله ماتفرقنا ولا طال الحديث بنا حتي دخل الرجل وكانه لم يكن به ضر قط • قال الترمذى حديث صحيح • النوع الثالث اثاره في الاشجار والخشب وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال كان المسجد مسقوفا على جزوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع المنبر وكان عليه سمعنا لذلك الجزع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت • وفي رواية فصاحت النخلة صياح الصبى • وفى الصحيحين عن جابر ان امرأة من الانصار قالت يارسول الله الا اجعل لك شيئاً تقعد عليه فان لى غلاما نجارا؟ قال ان شئت. قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع له فصاحت النخلة التى كان يخطب عليها حتى كادت ان تنشق فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت • وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر

به فاذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصنين من اغصانها فقال انقادي علىّ باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علىّ باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنصف فيما بينهما فلئم بينهما حتى جمع بينهما فقال التئما على باذن الله تعالى فالتأمتا عليه فخرجت احضر مخافة ان يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فتباعدت فجلست احدث نفسي فحانت مني لفتة فاذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق وذكر الحديث • وعن ابن عباس قال جاء رجل من بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرني الخاتم الذي بين كتفيك فانى من اطب الناس قال الا أريك آية؟ قال بلى • فنظر الى نخلة فقال ادع ذلك العذق فجاءه ينفر حتى قام بين يديه • فقال له ارجع فرجع • فقال العامرى يا آل بني عامر مارأيت اسحر منه • قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الدارمى ايضاً قال فجاءت النخلة تنفر بين يديه ثم قال لها ارجعي فعادت الى مكانها • وفي رواية الترمذى جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك نبي؟ قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد انى رسول الله؟ قال نعم • فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابى وروى الدارمي عن عبد الله بن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابى فلما

دنا منه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أين تريد؟ قال الى اهلى • قال هل لك فى خير؟ قال وما هو؟ قال تشهد ان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله • قال ومن يشهد على ماتقول؟ قال هذه السامة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بشاطيء الوادى فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثلاثا انه كما قال ثم رجعت الى منبتها ورجع الاعرابى الى قومه فقال ان اتبعونى اتيتك بهم والا رجعت فكنت معك • وفى الصحيحين عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت ابى يقول سألت مسروقاً من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟فقال حدثني ابوك يعنى عبد الله ابن مسعود انه قال آذنته بهم شجرة • وفى الترمذي عن على قال كنت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله رواه الحاكم في صحيحه • وروى الامام احمد عن أنس بن مالك قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة • فقال له ما لك؟ قال فقال فعل هؤلاء وفعلوا • قال فقال له جبريل أتحب انى اريك آية؟ قال نعم. فنظر الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الي مكانها • فقال لها ارجعي فرجعت حتي عادت الى مكانها فقال النبي صلى الله عليه وسلم حسبي ورواه أبو يعلي الموصلي في مسنده

(فصل) والنوع الرابع الماء والطعام والثمار الذى كان يكثر ببركته

فوق العادة وهذا باب واسع نذكر منه ماتيسر . أما الماء ففي الصحيحين عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى بماء فاتى بقدح رحراح فجعل القوم يتوضئون قال فحزرت مابين السبعين الي الثمانين وفي رواية عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مخارجه ومعه اناس من اصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجدوا مايتوضئون به فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح فيه ماء يسير فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم مد اصابعه الاربع على القدح ثم قال قوموا فتوضؤا وكانوا سبعين أو نحوه . وفيهما عن أنس ايضاً ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالزوراء والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد ثمة دعا بقدح فيه ماء فوضع فيه كفه فجعل ينبع بين اصابعه فتوضأ جميع اصحابه قال قلت كم كانوا يا اباحمزة؟ قال كانوا زهاء الثلاثمائة وفي رواية بماء لايغمر اصابعه • وفي الصحيحين عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من تحت اصابعه فتوضأ الناس حتي توضؤا من عند آخرهم • وفي الصحيحين عن جابر قال قد رأيتني مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل في اناء فاتى النبي صلي الله عليه وسلم فادخل يده فيه وفرج اصابعه ثم قال حي على الوضوء والبركة من الله . فلقد رأيت الماء يتفجر من بين اصابعه فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا الو ماجعلت في بطني منه فعلمت انه بركة • قلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال الفا واربعمائة

وفي صحيح البخاري عن جابر ايضاً قال عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلي الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه قال مالكم ؟ قالوا ليس عندنا مانتوضأ ولا نشرب الا مابين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا . قلت كم كنتم ؟ قال لو كنا مايةالف لكفانا كنا خمس عشرة ماية . وفي البخارى عن البراء بن عازب قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعدالفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم اربع عشرة ماية والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ماشئنا نحن وركابنا وكنا الفاً واربعماية أو اكثر من ذلك . وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة ماية وعليها خمسون شاة لاترويها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقيناوعن ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب بلال الماء ثم جاء فقال لا والله ماوجدت الماء . فقال النبي صلي الله عليه وسلم فهل من شن ماء ؟ فاتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعث يده عين . قال فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ . وعن جابر بن عبد الله قال غزونا أو سافرنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن يومئذ بضع عشرة ومايتين فحضرت الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في

القوم من طهور؟ فجاء رجل يسعى باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح فركب الناس ذلك القدح وقالوا تمسحوا تمسحوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكم حين سمعهم يقولون ذلك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الماء والقدح وقال بسم الله ثم قال اسبغوا الطهور . فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه فلم يرفعها حتى توضؤا أجمعون رواها الدارمي في مسنده • وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهر المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وروى مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعاً حتى اذا كان يوم اخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال انكم ستأتون غداً ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى اتي • فجئناها وقد سبقنا اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من

مائها شيئاً ؟ قالا نعم فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ماشاء الله ان يقول قال ثم غرفوا بايديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء قال وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر او قال غزير فاستقى الناس ثم قال يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماء هاهنا قد ملاء جنانا .وفي صحيح مسلم من حديث جابر الذي رواه عبادة بن الوليد وقد تقدم أوله في قصة الشجرتين وانقيادهما ثم افتراقهما ووضع الغصن على القبرين وقال في آخره فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بوضوء. فقال الا وضوء الا وضوء . قال قلت يارسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في اشجاب له فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شيء . قال فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد الا قطرة في عز لاشجب لو اني افرغه لشربه يابسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لم أجد فيها الا قطرة في عزلا شجب لو اني افرغه لشربه يابسه . قال اذهب فائتني به فاتيته به فاخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ماهو ويغمزه بيده ثم أعطانيه ثم قال ياجابر ناد لجفنة الركب . فقلت ياجفنة الركب فاتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة فقال خذ ياجابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت

حتى امتلأت • فقال ياجابر ناد من كانت له حاجة بماء. قال فاتى الناس فاستقوا حتى رووا قال فقلت هل بقى أحد له حاجة • فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى • وفى الصحيحين عن عمران بن حصين قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له فادلجنا ليلتنا حتى اذا كان وجه الصبح عرسنا فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس فكان اول من استيقظ منا ابو بكر الصديق وكنا لانوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يكون هو الذى يستيقظ لانا لاندري ما يحدث له في نومه ثم استيقظ عمر فجعل يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال ارتحلوا فسار بنا حتى ابيضت الشمس نزل فصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تصلي معنا ؟ قال أصابتني جنابة ولا ماء • قال له عليك بالصعيد فانه يكفيك فتيمم بالصعيد فصلى ثم عجلني في ركب بين يديه يطلب الماء وقد عطشنا عطشاً شديداً فبينما نحن نسير اذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء؟ فقالت ايهاه ايهاه لا ماء لكم • فقلت كم بين اهلك وبين الماء؟ قالت مسيرة يوم وليلة قلنا انطلقى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • قالت وما رسول الله فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها فاستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها فاخبرته مثل الذى اخبرتنا وأخبرته انها موتمة لها صبيان ايتام فأمر براويتها فانيخت فمج في العزلاوين العلياوين ثم بعث براويتها فشربنا ونحن أربعون رجلاً عطاشا حتى روينا وملأنا كل راوية وملأ

كل قربة معنا واداوة وغسلنا صاحبنا غير انا لم نسق بعيراً وهي تكاد
تنضرج من الماء يعني المزادتين ثم قال هاتوا ماعندكم فجمعنا لها من كسر
وتمر وصر لها صرة وقال لها اذهبي فاطعمي عيالك واعلمي انا لم نرزأ
من مائك شيئاً . فلما أتت أهلها قالت لقد رأيت أسحر البشر أو انه لنبي
كما زعم كان من أمره ذيت وذيت فهدى الله عز وجل ذلك الصرم
بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا . وفي الصحيحين عن أبي قتادة قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم
وتأتون الماء غداً ان شاء الله فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد
وذكر حديث النوم في الوادي فقال ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء
من ماء فتوضأ منها وضوء دون وضوء وبقي فيها شيء من ماء ثم قال
لابي قتادة احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبأ ثم قال أصبح الناس
فقدوا نبيهم فقال ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدكم لم يكن ليخلفكم وقال الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين أيديكم فان تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا . قال فانتهينا الى الناس
حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون يارسول الله هلكنا عطشاً
فقال لاهلك عليكم ثم قال اطلقوا لي غمري قال ودعا بالميضاة فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعدان رأى
الناس ما في الميضاة تكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسنوا الملاء كلكم سيروى . قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اشرب . فقلت لا

اشرب حتي تشرب يارسول الله. قال ان ساقي القوم آخرهم شربا فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فأتى الناس الماء جامين رواء قال عبد الله بن رباح انى لاحدث بهذا الحديث في مسجد الجامع اذ قال لى عمران بن حصين انظر كيف تحدث فانا أحد الركب تلك الليلة فقلت أنت أعلم. فقال ممن أنت ؟ قلت من الانصار قال انتم أعلم بحديثكم قال عمران لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أحداً حفظه كما حفظته وفي مسند الامام ورواه أبو يعلى الموصلى عن البرآء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتينا على ركي زمه قال فنزل ستة انا سابعهم أو سبعة انا ثامنهم. قال فادليت الى دلو ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شفتي الركى فجعلنا فيها ونصفها أو قريب ثلثها فرفعت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فكدت باناىء آخذ سقياً اجعله في حلقى فما وجدت قال فغمس رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فيها فقال ما شاء الله ان يقول فاعيدت الينا الدلو وما فيها قال فقدرأيت آخرنا أخرج مخافة الغرق قال وساخت وفي الحديث الذى رواه الامام أحمد والترمذي وابو داود وابن ماجة طرف منه عن زيادة بن الحارث الصدأي. قال في آخره ثم قلنا يانبى الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها واذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا وقد اسلمنا وكل من حوالينا عدو فادع الله فى بئرنا ان يسعنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نتفرق فدعا بسبع حصيات فعركهن في يده ودعافيهن ثم قال اذهبوا بهذه الحصيات فاذا اتيتم البئر فالقوا واحدة واحدة واذكروا اسم الله عز وجل قال الصداى ففعلنا ماقال لنا فما استطعنا

بعد ان ننظر الى قعرها. وروى الامام احمد عن ابن عباس قال اصبح رسول الله عليه وسلم ذات يوم وليس فى العسكر ماء فاتاه رجل فقال يارسول الله ليس في العسكر ماء. قال هل عندك شيء؟ قال نعم. قال فاتني به قال فاتاه باناء فيه شيء من ماء قليل قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه على فم الأناء وفتح اصابعه. قال فانفجرت من بين اصابعه عيون وامر بلالا فقال ناد في الناس الوضوء المبارك

(فصل) وأما تكثير الطعام ففى الصحيحين عن جابر قال لما حفر الخندق رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا فانكفات الى امرأتي فقلت لها هل عندك شيء فانى رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم خمصاً شديداً فاخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال فذبحت وطحنت ففرغت الى فراغى فقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاتفضحني برسول الله صلي الله عليه وسلم ومن معه. قال فجئت فساررته فقلت يارسول الله انا ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير عندنا فتعال انت ونفر معك. فصاح رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ياأهل الخندق ان جابراً قد صنع صوراً فحي هلابكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتي اجي، فجئت وجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك قال قد فعلت الذى قلت لى فاخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال ادعي لى خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فأقسم بالله لاكلوا حتي تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما

هي وان عجيننا ليخبز كما هو. وفي رواية قال جابر انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هـذه كدية عرضت فقال انا نازل فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثاً لايذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل فقلت يارسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي اني رأيت من رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئاً مافي ذلك صبر • قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لي فقم أنت يارسول الله ورجل ورجلان • قال كم هو ؟ فذكرت له. فقال كثير طيب • قال قل لهـا لاتنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتي آتي • قال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلي الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم • قالت هل سألك؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولاتضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم نزع فلم يزل يكسر ويفرق حتي شبعوا وبقي بقية • قال كل هذا واهد فان الناس اصابتهم مجاعة • وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال قال ابو طلحة لام سليم قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ فقالت نعم. فاخرجت اقراصاً من شعير ثم اخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه ثم ارسلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال فذهبت به فوجدته

جالساً في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك ابو طلحة؟ فقلت نعم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا. قال فانطلق وانطلقت معهم حتي جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا مانطعمهم • فقالت الله ورسوله اعلم • قال فانطلق أبو طلحة حتي لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هلمي يا أم سليم ماعندك • فأتت بذلك الخبز ففت وعصرت عليه ام سليم عكة لها فادمته ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم حتي اكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون وفي طريق البخارى ثمانون وقال في رواية ثم اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة وام سليم وانس وفضل فضلة فاهدينا ها لجيراننا .وفى صحيح مسلم عن سلمة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر فامرنا ان نجمع مافى ازوادنا يعني من التمر فبسط نطعاً فنثرنا عليه ازوادنا . قال فطيت فتطاولت فنظرت لحزرته كربضة شاة ونحن اربع عشرة مائة قال فاكلنا ثم تطاولت فنظرته لحزرته كربضة شاة وفى الصحيحين عن ابى هريرة وابي سعيد وسلمة ابن الاكوع واللفظ لمسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مسير قال! فنفدت

ازواد القوم حتى هموا بنحر بعض حمائلهم قال فقال عمر يارسول الله لو جمعت مابقي من ازواد القوم فدعوت الله عليها . قال ففعل فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره وذو النوى بنواه . قيل وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال يمصونه ويشربون عليه الماء قال فدعى عليها حتى ملأ القوم ازوادهم . قال فقال عند ذلك اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيها الا دخل الجنة . قال لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا يارسول الله لو اذنت لنا نحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا . قال فجاء عمر فقال يارسول الله ان فعلت قل الظهر وفى رواية ما بقاؤهم بعد ابلهم ولكن ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع لهم بالبركة لعل الله ان يجعل فى ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعى بنطع فبسطه ثم دعى بفضل ازوادهم . قال فجعل الرجل يجيء بكف ذرة وجعل الآخر يجيء بكف تمر وجعل الآخر يجيء بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير . قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم قال فاخذوا فى اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة (الحديث) وروى البخارى من حديث سلمة بن الاكوع بنحوه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فاصابنا جهد حتى هممنا ان نحر بعض ظهرنا فامرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا مزاودنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع قال فتطاولت لاحزره كم هو فحزرته كربضة العنز ونحن اربع عشرة مائة . قال فاكلنا حتى

شبعنا جميعاً ثم حشينا جربنا فقال نبي الله صلي الله عليه وسلم فهل من وضوء ؟ قال فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا بدعفقة دعفقة اربع عشرة ماية ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا هل من طهور ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فرغ الوضوء • وفي صحيح مسلم عن جابر ان ام مالك كانت تهدى للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذى كانت تهدي فيه للنبي صلي الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا قال فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبي صلي الله عليه وسلم. فقال عصرتيها . فقالت نعم • قال لو تركتيها مازال قائماً . وروى مسلم فى صحيحه عن جابر ايضاً قال جاء رجل الي النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلي الله عليه وسلم فقال لولم تكله لاكلتم منه ولقام لكم • وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب فدخل باهله قال فصنعت ام سليم حيسا فجعلته في تور من حجارة فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا امي اليك وهى تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يارسول الله • قال فذهبت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل . فقال ضعه ثم قال اذهب فادع فلانا وفلانا ومن لقيت وسمى رجالا قال فدعوت من سمى ومن لقيت قال الجعد وهو الراوى عن انس عددكم كانوا ؟ قال كانوا زهاء ثلاثمائة وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا انس هات التور قال فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه • قال فاكلوا حتى شبعوا قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم • فقال يا انس ارفع فرفعت فما ادرى حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت. قال وجلس طوائف منهم يتحدثون وذكروا نزول آية الحجاب • وروى البخارى عن أنس ايضاً ان ام سليم عمدت الى مد من شعير جشته وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها ثم بعثتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في اصحابه فدعوته قال ومن معي؟ فجئت فقلت انه يقول ومن معى؟ فخرج اليه ابو طلحة فقال يارسول الله انما هو شيء صنعته ام سليم فدخل فجيء به وقال ادخل عشرة حتى عد اربعين ثم اكل النبي صلي الله عليه وسلم ثم قام فجعلت انظر هل نقص منها شيء • وعن سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول قصعة من غدوة من الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة فقلنا ما كانت تمد؟ قال فمن اى شيء تعجب؟ ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الى السماء رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه الدارمي والحاكم فى صحيحه. وفى البخارى عن أبى هريرة انه كان يقول والله الذى لااله الا هو ان كنت لاعتمد على الارض من الجوع وان كنت لاشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ماسألته الا ليستتبعنى فمر ولم يفعل ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى وعرف مافى وجهى وما في نفسى

ثم قال يا ابا هر • قلت لبيك يارسول الله • قال الحق ومضى فاتبعته فدخل
فاستأذن فاذن لي فدخلت فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن
قالوا أهداه لك فلان أو فلانة • قال يا ابا هر قلت لبيك يارسول الله قال
الحق الى اهل الصفة فادعهم لي • قال واهل الصفة اضياف الاسلام
لا يأون الى أهل ولا الى مال اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول
منها شيئاً واذا أتته هدية ارسل اليهم واصاب منها واشركهم فيها فساءني
ذلك فقلت وما هذا اللبن فى اهل الصفة كنت احق ان اصيب من
هذا اللبن شربة اتقوى بها فاذا جاؤا أمرني فكنت انا اعطيهم وما
عسى ان يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله
بد فاتيتهم فدعوتهم فاقبلوا واستأذنوا فاذن لهم واخذوا مجالسهم من
البيت فقال يا ابا هر • قلت لبيك يارسول الله • قال خذ فاعطهم فاخذت
القدح فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروي ثم يرد علىّ القدح
حتى انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فاخذ
القدح فوضعه على يده فنظر الي فتبسم فقال يا ابا هر قلت لبيك يارسول
الله . قال بقيت انا وانت . قلت صدقت يارسول الله قال اقعد فاشرب
فقعدت فشربت فما زال يقول اشرب حتي قلت لا والذي بعثك بالحق
ما اجد له مسلكا . قال فارني فاعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب
الفضلة . وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه
فعجن ثم جاء رجل منفش الراس ثائر الراس طويل بغنم يسوقها

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابيعا ام عطية أو قال هبة • قال بل بيع فاشترى منه شاة فصنعت وامر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن ان يشوي وايم الله مافى الثلاثين ومائة الا من قد حزله النبي صلي الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا اعطاه وان كان غائباً اخباءله فجعل منها قصعة فاكلوا اجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قال

(فصل) واما تكثير الثمار ففي صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله ان اباه استشهد وترك ديناً وترك ست بنات فلما حضر جداد النخل قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد علمت ان والدى قد استشهد يوم احد وترك ديناً كثيرا وانى احب ان يراك الغرماء . قال اذهب فيبدر كل تمر على ناحية ففعلت ثم دعوته فلما نظروا اليه كأنهم اغروا بى تلك الساعة فلما رأى مايصنعون اطاف حول اعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال ادع لي اصحابك فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي امانته وانا ارضى ان يؤدي الله عن والدي امانته ولا ارجع الى اخواتى بتمرة فسلم الله البيادر كلها حتى اني لانظر الى البيدر الذى كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم كانها لم تنقص تمرة واحدة وفى رواية ان اباه ترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فابى ان ينظره فكلم جابر النبي صلي الله عليه وسلم ليشفع له اليه فجاءه وكلم اليهودى لياخذ تمر نخله بالذى له فابي فدخل رسول الله صلي الله عليه وسلم النخل فمشى فيها ثم قال لجابر جدله فاوف له فجدله بعد ماراح رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثين وسقا وفضل له سبع

عشرة وسقا فجاء جابر ليخبره بالذى كان فوجده يصلى العصر فلما
انصرف اخبره بالفضل • فقال اخبر بذلك ابن الخطاب فذهب جابر
الى عمر فاخبره فقال عمر لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليباركن فيها • وروى الامام احمد والترمذى وغيرهما حديث
مزود ابى هريرة قال احمد ثنا يونس ثنا حماد بن زيد عن المهاجر عن
أبى العالية عن أبى هريرة قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بتمرات
وقلت ادع الله لي فيهن بالبركة قال فصفهن بين يديه قال ثم دعا فقال
لي اجعلهن في مزودك وادخل يدك ولا تنثره قال فحملت منه كذا
وكذا وسقا في سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لايفارق حقويّ فلما
قتل عثمان انقطع من حقويّ فسقط رواه الترمذى عن عمران بن
موسى القزاز عن حماد بنحوه وقال حديث حسن غريب من هذا
الوجه ورواه الحافظ عبد الغنى وغيره من طريق أخرى عن محمد بن
سيرين عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
فاصابهم عوز من الطعام فقال يا اباهريرة عندك شيء ؟ قال قلت لا الا
شيء من التمر فى مزودى قال جيء به • فجئت بالمزود وقال هات نطعا
فجئت بالنطع فبسط فادخل يده فقبض على التمر فاذا هو احدى
وعشرون تمرة قال ثم قال بسم الله فجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى
أتى على التمر فقال به هكذا فجمعه فقال ادع فلاناً واصحابه فاكلوا
وشبعوا وخرجوا ثم قال ادع فلانا واصحابه فاكلوا وشبعوا وخرجوا
قال وفضل تمر فقال لي اقعد فقعدت فاكل واكلت قال وفضل تمر
فاخذه فادخله فى المزود فقال يا ابا هريرة اذا اردت شيئاً فادخل يدك

نخذ ولا تكفأ فيكفأ عليك . قال فما كنت اريد تمرا الا ادخلت يدي فاخذت منه خمسين وسقا في سبيل الله عز وجل وكان معلقاً خلف ظهري فوقع زمان عثمان فذهب ورواه من طريق يزيد بن أبي منصور عن أبيه عن أبي هريرة قال اصبت بثلاث بموت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وخويدمه وبقتل عثمان والمزود وما المزود كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم هل من شيء يا ابا هريرة ؟ فقلت نعم شيء من تمر في مزود • قال فائتني به فأتيته به فاخذ يده فاخرج قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فاكلوا حتي شبعوا فما زال يصنع كذلك حتي اطعم الجيش كلهم وشبعوا ثم قال خذ ماجئت به وادخل يدك واقبض ولا تكفه • قال أبو هريرة قبضت على اكثر مما جئت به ثم قال أبو هريرة الا احدثكم عما اكلت منه اكلت حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم واطعمت وحياة ابي بكر واطعمت وحياة عمر واطعمت وحياة عثمان واطعمت فلما قتل عثمان انتهب بيتي وذهب المزود وروى الامام احمد في مسنده ثنا يعلي بن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن دكين بن سعيد المدني قال أتينا رسول الله صلي الله عليه وسلم أربعين واربعماية نسأله الطعام فقال لعمر اذهب فاعطهم • فقال يارسول الله مابقي إلا آصع من تمر ما أرى تقيضني • قال اذهب فاعطهم . قال سمع وطاعة قال فاخرج عمر المفتاح من حجرته ففتح الباب فاذا شبه الفصيل الرابض من تمر فقال لنا خذوا فاخذ كل منا ما احب ثم التفت وكنت من آخر القوم وكأنا لم نرزأ تمره ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرق عن

عيسى بن يونس عن اسماعيل بن أبي خلد عن قيس بن أبي حازم عن دكين قال أبو عبد الله المقدسي واسناده على شرط الصحيح

(فصل)واما النوع الخامس تأثيره فى الاحجار وتصرفه فيهاوتسخيرها له ففي صحيح البخاري عن أنس قال صعدالنبي صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فقال اسكن وضربه برجله فليس عليك الا نبي وصديق وشهيدان وفى الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل ان ابعث انى لاعرفه الآن وفي الترمذى عن على قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله ورواه الحاكم فى صحيحه وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع فقال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فلما واجهنا العدو تقدمته فاعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو فرميته بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت الى القوم فاذاهم قد طلعوا من ثنية اخرى فالتقوا هم واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فولي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرجعت منهزما وعلى بردتان متزراً باحدهما مرتدياً بالاخرى فاستطلق ازارى فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأى ابن الاكوع فزعا فلما غشوا النبى صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من الارض واستقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انساناً الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة

فولوا مدبرين فهزمهم الله • وفى صحيح مسلم عن العباس ابن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار وولى المسلمون مدبرين طفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لايسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس نادى أصحاب السمرة فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها ياليبك ياليبك • قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج فقالوا يابني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الي قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمي وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب الكعبة قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى فوالله ماهو الا ان رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله وقد قال الله تعالى عن يوم بدر وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي) وروى ابن اسحاق عن جماعة منهم عروة والزهرى وعاصم بن عمرو وغيرهم قالوا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش هو وأبو بكر مامعهما غيرهما وقد تداني القوم

بعضهم من بعض فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من نصره ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد وابو بكر يقول بعض مناشدتك ربك يارسول الله فان الله سينجز لك ماوعدك من نصره وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم هب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا أبا بكر اتاك نصر الله عز وجل هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع (يقول الغبار) ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعبأ أصحابه وهيأهم وقال لا يعجلن رجل منكم بقتال حتى يؤذنه فاذا اكثبكم القوم يقول قربوا منكم فانضحوهم عنكم بالنبل• ثم تزاحم الناس فلما تدانى بعضهم من بعض خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من حصباء ثم استقبل بها قريشاً فنفح بها وجوههم وقال شاهت الوجوه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا عليهم يامعشر المسلمين. فحمل المسلمون وهزم الله قريشاً وقتل من قتل من اشرافهم واسر من اسر منهم• وفي حديث ابن ابى طلحة الوالبى عن ابن عباس قال له جبريل خذ قبضة من تراب فاخذ قبضة من تراب ورمى بها وجوههم فما من المشركين من احد الا واصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين

(فصل) النوع السادس من آياته تأييد الله له بملائكته قال الله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الآية وقال تعالى (اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال

تعالى في الخندق (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) وقال تعالى في حنين (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وقال تعالى (في الهجرة ثانى اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا) وقال تعالى في بدر (اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وفى الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلي الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم القبلة ثم مديديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لى ماوعدتني اللهم آتنى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه فالقاه عن منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة قال ابو زميل فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة سوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر الى المشركين

أمامه نخر مستلقياً فنظر اليه فاذا قد خطم انفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الانصارى فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وذكر الحديث وذكر البخاري في هذا الحديث فخرج يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر • وقال ابن اسحاق حدثني عبد الله ابن ابى بكر بن حزم عن بعض بنى ساعدة قال سمعت ابا اسد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصرى لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لاشك ولا اتمارى فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ان الملائكة تاتى الرجل فى صورة الرجل تعرفه وتقول له ابشروا فانهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم فلما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقة واقبل أبو جهل يحضض اصحابه ويقول لايهولنكم خذلان سراقة أياكم فانه على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزي لا نرجع حتي نقرن محمداً وأصحابه في الحبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً • وفى الصحيحين عن سعد بن ابى وقاص قال رأيت يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام • وفي الصحيحين عن عائشة قالت اصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش بن العرقة رماه في الاكحل فضرب

عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعوده من قريب فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح فاغتسل فاتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض عن رأسه من الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعناه اخرج اليهم • فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فاين؟ فأشار الى بني قريظة فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكم رسول الله صلي الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم الى سعد قال فاني احكم فيهم ان يقتل المقاتلة وان تسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم وفي بعض طرق البخاري فاتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار • وروى البخاري عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعاً في زقاق بنى غنم موكب جبريل صلوات الله عليه حين سار رسول الله صلي الله عليه وسلم الى بني قريظة • وفى المغازى من طريق ان الصحابة راوا جبريل في صورة دحية الكلبي وانه معتم بعمامة ارخى طرفها بين كتفيه وقال النبي صلي الله عليه وسلم بعثه الله الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويلقى الرعب فى قلوبهم • وروى البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب • وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كلاب فلم يجبني الى ماأردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا انا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل

فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بامرك فيما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الا خشبين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً * النوع السابع في كفاية الله له اعداءه وعصمته له من الناس وهذا فيه آية لنبوته من وجوه . منها ان ذلك تصديق لقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون) فهذا اخبار الله بانه يكفيه المشركين المستهزئين واخبر انه يكفيه أهل الكتاب بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فاخبره الله انه يكفيه هؤلاء المشاقين له من أهل الكتاب وأخبره انه يعصمه من جميع الناس بقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فهذا خبر عام بان الله يعصمه من جميع الناس فكل من هذه الاخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات . منها انه كفاه اعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة . ومنها انه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم

وغلبهم وانه كان وحده جاء هو بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم آلهتهم وتسفيه احلامهم والطعن في دينهم وهذا من الامور الخارقة للعادة. والمستهزؤن كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء العرب وكان أهـل مكة أعز الناس وأشرفهم يعظمهم جميع الامم أما العرب فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الامم فكانوا يعظمونهم به لاسيما من حين ماجرى لاهل الفيـل ماجرى كما كانت الامم تعظم بني اسرائيـل لما ظهر فيهم من الآيات ماظهر وهؤلآء بنواسماعيل بن خليل الله وهؤلآء بنواسحاق بن خليل الله وكلاهما ممن وعد الله ابراهيم في التوراة فيهم بما وعده من انعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم فكان أهل مكة معظمين لانهم جيران البيت ولانهم أشرف بني اسماعيل فان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفى محمدا من بني هاشم وكان قد عاداه أشراف هؤلآء كما عاد المسيح أشراف بنى اسرائيل وبدل هؤلآء وهؤلآء نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم وكذلك كفى الله محمدا من عاداه وانتقم منهم ولم ينفعهم انتسابهم ولا فضل مدينتهم فان الله انما يثيب بالايمان والتقوى لا بالبلد والنسب فقال تعالي (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون) وقال (وكاين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) وقال (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول

منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) وقد سمى أهل العلم بعض من كفاه الله من المستهزئين وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الامر المعظم الذى أكرم الله نبيه به في الصحيحين عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم؟ قيل نعم . قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته فما فاجاءهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه . فقيل له مالك؟ قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا ، أجنحة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنى منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله تعالى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) وفى الصحيحين من حديث البرآء بن عازب حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر من مكة الى المدينــة قال فيه سراقة بن مالك بن جعشم ونحن في جدد من الارض فقلت يارسول الله اتينا . قال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها فقال اني قد علمت انكما دعوتمـا علي فأدعو الى والله لكما ان ارد عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع لا يلقى أحدا الا قال قد كفيتم ماههنا فلا يلقى احدا الا رده وفى لفظ فساخ فرسه فى الارض الى بطنه ووثب عنـه وقال يامحمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان يخلصني مما انا فيه ولك على لاعمين على من ورائي . وفى الصحيحين عن ابن شهاب من رواية سراقة

نفسه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكردية كل واحد منهما لمن قتله أو اسره فبينما انا جالس فى مجلس قومى بني مدلج اذ اقبل رجل منهم حتي قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة انى رأيت آنفا اسودة بالساحل اراهما محمدا واصحابه • قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت بيتي فامرت جاريتى ان تخرج فرسى وهى من وراء اكمة فتحبسها على واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم وعثرت فى فرسى فخررت عنها فقمت عنها فاهويت بيدى الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم أم لا فيخرج الذي اكره فركبت وعصيت الازلام فقربت بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو لايلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكر تمام الحديث • وفي الصحيحين عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من

اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا أتاني وانا نائم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على راسي والسيف صلتا في يده . فقال من يمنعك مني ؟ قلت الله فسام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان ملك قومه فانصرف حين عفى عنه. فقال لا اكون في قوم هم حرب لك وفي صحيح الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال كان فلان يجلس الى النبي صلي الله عليه وسلم فاذا تكلم النبي صلي الله عليه وسلم اختلج بوجهه فقال له النبي صلي الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج حتي مات. وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال كان رجل نصراني فاسلم وقراء البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول مايدري محمد الا ما كتبت له فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم اجعله آية فاماته الله فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد واصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا له فاعمقوا ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول فحفروا له واعمقوا فلفظته الثالثة فعلموا انه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذا .وروى الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال حدثني يحيي بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما اكثر مارأيت قريشاً اصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مارأينا مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط قد

سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعاتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم . أو كما قالوا فبيناهم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتي استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما ان مر بهم غمزوه ببعض مايقول . قال فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال تسمعون يامعشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتي مامنهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن مايجد من القول حتي انه ليقول انصرف انصرف يا ابا القاسم انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم وما بلغكم حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون له انت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم . قال فيقول رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول ذلك . قال فلقد رأيت رجلا منهم اخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه . وذكر البخاري بعد حديث عروة عن عبد الله بن عمرو قال وقال عبدة عن هشام عن أبيه قيل لعمرو ابن العاص وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) قال المستهزؤن الوليد ابن المغيرة والاسود بن عبد

يغوث الزهري والاسود بن عبد المطلب ابو زمعة من بني اسد بن عبد العزى والحارث بن عيطل السهمي والعاص ابن وائل فاومي جبريل الى اكحل الوليد بن المغيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ماصنعت ؟ قال كفيته واومى الى الاسود بن عبد المطلب الى عينيه فقال ما صنعت؟ فقال كفيته واومى الى راس الاسود ابن عبد يغوث فقال ماصنعت؟ قال كفيته وأومى الى الحارث السهمي الى بطنه فقال ما صنعت؟ قال كفيته وأومي الى أخمص العاص بن وائل فقال ماصنعت ؟ قال كفيته. فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبله فأصاب اكحله فقطعها. وأما الاسود بن عبد المطلب فعمي فمنهم من يقول عمي هكذا ومنهم من يقول نزل تحت سمرة فجعل يقول يابني الاتدفعون عني؟ ويقولون مانرى شيئاً فجعل يقول هلكت ها هو ذا اطعن في عيني بالشوك فجعلوا يقولون مانرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الاسود فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث بن عيطل فاخذه الماء الاصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات. وأما العاص بن وائل فركب الى الطائف علي حمار فربض به فى شبرقة يعنى شوكة فدخلت في أخمص قدمه فمات وقيل دخلت في رأسه شبرقة فمات ورواه ابن ابى حاتم فى تفسيره ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا أبو عوانة ثنا أبو بشر عن سعيد وروى باسناده عن الربيع بن انس قال أراد صاحب اليمن ان يأوى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه الوليد فزعم ان محمدا ساحر واتاه العاص بن وائل فاخبره ان محمدا تعلم اساطير الاولين واتاه آخر فزعم انه كاهن وآخر انه شاعر وآخر زعم انه مجنون

فأهلكهم الله كل منهم اصابه عذاب سوى عذاب صاحبه وذكر
تفصيل عذابهم وروى مثله عن عكرمة . وقال محمد بن اسحاق ثنا
يزيد بن رومان عن عكرمة وغيره من العلماء ان جبريل اتي النبي صلي
الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى جانبه فمر به الاسود بن عبد المطلب فرمى فى وجهه
بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه
فاستسقى فمات منها. ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى جرح باسفل كعبه
كان اصابه لما مر برجل يرش نبله فخدش رجله وليس بشيء . فانتقض
فمات. ومر به العاص ابن وائل فأشار الى اخمص قدمه فذكر مثل
ماتقدم من رواية ابن عباس ورواه ابو زرعة من طرق كثيرة عن
جماعة من التابعين ومن المشهور عند اصحاب السير وغيرهم دعوته على
عتيبة بن ابى لهب وكان ابو لهب لما عادى النبي صلى الله عليه وسلم أمر
ابنيه ان يطلقا ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم قبل
الدخول وقال عتيبة لرسول الله صلي الله عليه وسلم كفرت بدينك
وفارقت ابنتك لاتحبيني ولا أحبيك ثم تسلط عليه بالأذى وشق قميصه
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلباً من كلابك
فخرج في نفر من قريش حتي نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء
ليلا فاطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول ويل اخى هو والله
آكلى كما دعا محمد عليّ قتلى وهو بمكة وانا بالشام فعدا عليه الاسد من
بين القوم وأخذ برأسه فذبحه وفى رواية هشام بن عروة عن ابيه قال
لما طاف الاسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم قاموا وجعلوا عتيبة فى

وسطهم فاقبل الاسد يتخطاهم حتي اخـذ برأس عتيبة فقدغه • وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم يصلي عند البيت وابو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل ايكم يقوم الى سلاجزور بني فلان فيأخذه فيضعه فى كتفى محمد اذا سجد .فانبعث اشقي القوم فاخـذه فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه • قال فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وانا قائم انظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلي الله عليه وسلم والنبي صلي الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتي انطلق انسان الى فاطمة فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تسبهم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثاً واذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللهـم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وذكر السابع لم احفظه فوالذى بعث محمدا بالحق لقد رأيت الذى سمى صرعي يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر .وعنه قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ودعى على ستة نفر فذكره وفى رواية غيران امية بن خلف كان رجلا ضخماً فقطعت اوصاله فلم يلق فى البئر وقال غيرتهم الشمس وكان يوما حارا ويدخل فى هذا الباب مالم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات وفى ذلك من القصص الكثيرة مايضيق هذا الموضع عن بسطه

وقد رأينا وسمعنا من ذلك مايطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعرضه وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ورفعه لذكره وما من طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب مافيه عبرة لاولى الالباب ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون اهل الكتاب انه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار الي أن يسب العدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو فانه يكون ذلك قريباً كما قد جربه المسلمون غير مرة تحقيقا لقوله تعالى (ان شانئك هو الابتر) ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الاكاسرة كل ممزق ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقى لهم ملكهم *النوع الثامن في اجابة دعوته واجابة الدعاء منه ماتكون اجابته معتادة لكثير من عباد الله كالاغناء والعافية ونحو ذلك • ومنه مايكون المدعو به من خوارق العادات كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة واطعام النخل في العام مرتين مع ان العادة في مثله مرة ورد بصر الذى عمي ونحو ذلك مما يأتي وما تقدم من أدعيته ومعلوم ان من عوده الله اجابة دعائه لايكون الا مع صلاحه ودينه ومن ادعي النبوة لا يكون الا من أبر الناس ان كان صادقا أو من أفجرهم ان كان كاذباً واذا عوده الله اجابة دعائه لم يكن فاجرا بل برا واذا لم يكن مع دعوى النبوة الا برا تعين ان يكون نبياً صادقاً فان هذا يمتنع ان يتعمد الكذب ويمتنع ان يكون ضالا يظن انه نبي وان الذى يأتيه ملك ويكون ضالا في ذلك والذى يأتيه الشيطان فان هذا حال من هو

جاهل بحال نفسه وحال من يأتيه ومثل هـذا لا يكون اضل منه ولا اجهل منه لان الله تعالى جعل بين الملائكة والشياطين وبين الانبياء الصادقين وبين المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق ما لا يحصيه غيره بل جعل بين الابرار والفجار من الفروق اعظم مما بين الليل والنهار ولان ما يأتي به الانبياء من الاخبار والاوامر مضادة من كل وجه لما يأتي به الشيطان ومن استقراء احوال الرسل واتباعهم وحال الكهان والسحرة تبين له مايحقق ذلك • والشيطان الذى يقول لمن ليس بنبي انك نبي صادق والله أرسلني اليك يكون من اعظم الناس كذبا والكذب يستلزم الفجور فلا بد ان يأمره بما ليس براً بل اثماً ويخبره بما ليس صدقا بل كذبا كما هو الواقع ممن تضله الشياطين من جهلة العباد وممن يزين له انه نبي او انه المهدى او خاتم الاولياء فكل هؤلاء لا بد ان تأمره الشياطين باثم ولا بد ان يكذب في بعض ماتخبره به تحقيقاً لقوله تعالى (قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل آفاك أثيم) وحينئذ فمثل هذا لا يكون مع دعوى النبوة من الابرار الذى عودهم الله اجابة دعائهم اجابة خارجة عن العادات بل لايكون مع دعوى النبوة الا من الافاكين الفجار وإذا كان صادقا في دعوى النبوة عالماً بانه صادق ثبت انه نبي •والانبياء معصومون من الاقرار على الخطأ فيما يبلغونه عن الله باتفاق الناس وحينئذ فكل مايبلغه عن الله فهو حق وهو المطلوب ومن كان يأتيه صادق وكاذب مثل ابن صياد ومثل كثير من العباد الذين لهم الهام من الملك ووسواس من الشيطان فمثل هذا اذا اخبره الشيطان بانه نبي ويقول انا أرسلني الله فلا بد ان تتبين له كذبة ولو

بعض الوجوه مثل ان يخبره بكذب فان مثل هذا الشيطان الذى قال
له انه نبي لابد ان يكذب فيما يخبره به ومثل اخبار الصادق له بأن هذا
كاذب فاذا اتاه الشيطان بالكذب لابد ان يخبره الصادق الذى يأتيه
بما يخالف ذلك بخلاف الاخبار بأمور جزئية اذ اخباره بانه نبي صادق
مع انه ليس كذلك يهلكه هلاكا عظيما ويفسد على الصادق جميع مايأتيه
به لأن ذلك يستلزم ان يصدق ذلك الكاذب في كل مايخبره به اذ قد
اعتقد انه نبي وحينئذ فلا يكون عنده كاذبا ولا يعرف انه كاذب فلا
يكون مثل ابن صياد ونحوه ممن يعرف انه يأتيه صادق وكاذب بل
أضل من هؤلاء من يظن ان كل مايأتيه فهو صادق ولهذا كل من
كان يأتيه أخبار ملكي صادق وأخبار شيطاني كاذب فلا بد ان يعرف
انه يأتيه كاذب لانه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب كما هو
الواقع ولهذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيراً وكذلك
العباد الذين لهم خطابات ومكاشفات بعضها شيطاني وبعضها ملكي يتبين
له الكذب فيما يأتيهم به الشيطان كما هو الواقع فلا يوجد شيخ عابد له
حال شيطاني الا ولا بد ان يخبره بكذب يظهر له انه كذب وحينئذ فاذا
صدق هذا الكاذب فى اخباره النبوة كان مصدقا للكاذب ولان الصادق
الذي يأتيه مخبراً له بالصدق ناصحاً له لابد ان يبين له ذلك فلا يصر على
اعتقاده ان من يأتيه صادق وهو في نفس الامر كاذب ولا يعلم انه
كاذب الا من هو افاك اثيم والله تعالى يقول (هل انبئكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل آفاك اثيم) فينزلها على الآفاك الاثيم وأما
بزول الشيطان مرة أو مرتين فقد يكون على من ليس بآفاك اثيم فان

من لم يكن مدعياً للنبوة فيمتنع ان يقره الصادق الذى يأتيه على ذلك بل لابد ان يبين له هـذا ان جوز ذلك فان الناس تنازعوا هل يجوز. ان يلقى الشيطان على لسان النبي ماينسخه الله ويمحوه ام لا يجوز ذلك وعلى كل حال يمتنع ان يقر على خطأ. والمقصود هنا ذكر بعض ادعية النبي صلى الله عليه وسلم التي شوهد اجابتها وقد تقدم ذكر بعض ادعيته مثل دعائه على الملاء من قريش فقتلوا يوم بدر والقوا فى القليب ومثل دعائه على عتيبة بن ابى لهب ومثل دعائه على الذى كذب عليه بأن يجعله آية ومثل دعائه لما قل الزاد وجمعوه على نطع فكثره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم فى غزوة تبوك ومثل دعائه في غزوة الخندق فكفى الطعام وهو صاع من شعير لالف نفر وكذلك دعاءه لما نزحت بئر الحديبية فكثر ماؤها حتي كفى الركب وهم الف وخمسماية وركابهم . وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره فابصر ودعاؤه في الاستسقاء فما رد يديه الا والسماء قد أمطرت ودعاؤه فى الاستصحا واشارته الى السحاب فقطع من ساعته ودعوته على سراقة بن جعشم لما تبعهم في الهجرة فغاصت فرسه فى الارض ودعاؤه يوم بدر ويوم حنين وقال الله له يوم بدر (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) وامثال ذلك. وفي الصحيحين عن جابر قال لما نزل (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت أرجلكم قال اعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم باس بعض. قال هاتان اهون او ايسر. وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ثلاثاً

فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة • سألته ان لا يهلك أمتي بسنة عامة فاعطانيها وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها فلن يزال الهرج الى يوم القيامة وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الاكوع قال جعل عمي يرجز ويقول

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك مااستغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
* وانزلن سكينة علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قالوا عامر قال غفر لك ربك • قال وما استغفر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد • قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبي الله لولا متعتنا بعامر . قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخط بسيفه وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
* اذا الحروب اقبلت تلهب *

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر اني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسل سيفه فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله وكانت فيها نفسه . قال سلمة فخرجت في نفر من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه • قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يارسول الله بطل عمل عامر . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم من قال ذلك ؟ قلت ناس من اصحابك • قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين • وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قالت ام سليم يارسول الله خادمك أنس ادع الله له • فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته • وروي البخاري قال دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أم سليم فاتته بتمر وسمن • فقال اعيدوا سمنكم فى سقائه وتمركم في وعائه ثم قام الى ناحية البيت فصلي غير مكتوبة فدعى لام سليم واهل بيتها. فقالت ام سليم يارسول الله ان لي خويصة فقال ماهى؟ قالت خادمك أنس قال فما ترك آخرة ولا دنيا الا دعى به اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه فاني لمن اكثر الانصار مالا وحدثتني ابنتي امينة انه دفن لصلبى الى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة وفي رواية لمسلم دعا لي بثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين وانا ارجو الثالثة في الآخرة وفي الترمذي وحسنه عن أبي خلدة قال قلت لابى العالية سمع أنس من رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال خدمه عشر سنين ودعي له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك. وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة قال كنت ادعو امي الى الاسلام وهى مشركة فدعوتها يوما فاسمعتنى في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يارسول الله انى كنت ادعو امي الى الاسلام وتابي على فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهدي ام أبى هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ام أبي هريرة . فخرجت مستبشرا بدعوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت
أمي خشف قدمي فقالت مكانك يا ابا هريرة وسمعت خضخضة الماء
فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب فقالت يا ابا
هريرة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاتيته
وانا ابكي من الفرح فقلت يارسول الله ابشر فقد استجاب الله دعوتك
وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وقال خيرا فقلت يارسول الله ادع الله
ان يحببني وامي الي عباده المؤمنين ويحببهم الينا . فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم حبب عبدك هذا يعني ابا هريرة وامه الى عبادك
المؤمنين وحبب اليهما المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بى ولا
يرانى الا أحبنى . وفي الصحيحين عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم
رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ماهذا ؟ قال يارسول
الله انى تزوجت امرأة . قال كم سقت اليها قال وزن نواة من ذهب . قال
فبارك الله لك أولم ولو بشاة . وفى الصحيحين انه لما قدم آخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصارى فعرض عليه
سعد بن الربيع ان يناصفه اهله وماله فقال له عبد الرحمن بارك الله لك
في اهلك ومالك دلني على السوق فما انقلب الا بسمن واقط ثم تابع
الغد وذكر الحديث فظهرت بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبلغ من مال عبد الرحمن ماقاله الزهري انه تصدق بار بعماية الف دينار
وحمل على خمسماية فرس في سبيل الله وخمسماية بعير فى سبيل الله . قال
وكان عامة ماله التجارة وقال محمد بن سيرين اقتسم نساء عبد الرحمن
ابن عوف ثمنهن فكان ثلاثماية وعشرين الفاً . وقال الزهري اوصى عبد

الرحمن لمن شهد بدرا فوجدوا مائة لكل رجل منهم اربعماية دينار وقال عبد الله ابن جعفر حدثتني ام بكر بنت المسور ان عبد الرحمن باع ارضاً باربعين الف دينار فقسمها في فقراء بني زهرة وفى المهاجرين وامهات المؤمنين. وقال محمد بن عمرو ابن أبي سلمة ان عبد الرحمن أوصى لامهات المؤمنين بحديقة قومت باربعماية الف وفي الترمذى وصححه ورواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بابى جهل بن هشام وكان عمر بن الخطاب احبهما الى الله فاسلم عمر وروي ان الدعوة كانت فى يوم الاربعاء فاسلم يوم الخميس واعز الله به الاسلام قال عبد الله بن مسعود مازلنا اعزة منذ اسلم عمر رواه البخارى وظهر من عز الاسلام فى امارته شرقا وغربا وفتح الشام والعراق ومصر وكسر عساكر كسرى وقيصر ماتحقق به اجابة الدعوة. وفى الصحيحين ان ابن عباس وضع للنبي صلى الله عليه وسلم لما أتي الخلاء وضوء فقال لما خرج من وضع هذا؟ فقيل ابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وفي رواية قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال اللهم علمه الكتاب وفى رواية الحكمة وظهرت اجابة دعوته حتى كان يسمى البحر. وقال فيه ابن مسعود لو ادرك ابن عباس اسناننا لما عشره منا احد وكان عمر يقدمه ويدخله مع اكابر الصحابة وعلم ابن عباس مشهور في الامة. وفى الصحيحين عن جابر قال كنت اسير على جمل قداعيا واردت ان اسيبه قال فلحقنى رسول الله صلي الله عليه وسلم فضربه ودعا له فسار سيرا

لم يسر مثله وفى رواية فقال لي مالبعيرك؟ فقلت عليل • قال فتخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم في حيزه ودعى له فما زال يسير بين يدى الابل قدامها فقال بريء بعيرك قلت بخير قد اصابته بركتك • قال فبعنيه وذكر الحديث • وفي الترمذي وغيره وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وفي لفظ اللهم اجب دعوته وسدد رميته فكان سعد لايرمي الا يصيب ولا يدعو الا اجيب . وروي الحاكم فى صحيحه عن على رضى الله عنه قال مرضت فعادني رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلى قد حضر فارحني وان كان متأخرا فارفعني وان كان بلاء فصبرني • فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم • فقمت فما عاد الى ذلك الوجع بعد . وفي الصحيحين عن أم خالد قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون نكسوه هذه الخميصة ؟ فسكت القوم فقال ائتوني بام خالد فاتى بي رسول الله صلي الله عليه وسلم فالبسنيها فقال ابلى واخلقى مرتين فجعل ينظر الى علم الخميصة ويشير بيده الى ويقول يا ام خالد هذا سنا • والسنا بلسان الحبشة الحسن فبقيت حتى ذكت وعن ابى يزيد عمرو بن اخطب الانصارى قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادن مني فمسح بيده على راسى ولحيتي ثم قال اللهم جمله وادم جماله • قال الراوى عنه فبلغ بضعاً وثمانين سنة وما فى لحيته بياض الانزر يسير ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتي مات رواه الامام احمد وقال البيهقى اسناده صحيح ورواه الترمذي وقال مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجهى ودعي لي قال عروة انه عاش مابة وعشرين سنة وليس في راسه الا شعرات بيض وقال

حديث حسن • وقال البخاري في تاريخه ثنا يعقوب بن اسحاق بن حنظلة ابن حنيفة بن حزيم قال قال حزيم يارسول الله اني رجل ذو سن وهذا أصغر بني فسمت عليه. قال تعال ياغلام فاخذ بيدي ومسح برأسي وقال بارك الله فيك أو بورك فيك فرأيت حنظلة يؤتي بالانسان الوارم فيمسح بيده ويقول بسم الله فيذهب الورم • وفي رواية والشاة والبعير ويذكر عن أبي سفيان واسمه مدلوك انه ذهب به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ومسح رأسه بيده ودعا له بالبركة فكان مقدم رأسه موضع يد النبي صلى الله عليه وسلم اسود وسائره أبيض ذكره أيضاً البخاري في تاريخه • وروى احمد في مسنده باسناده عن أبي العلى قال كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه الذي مات فيه فمر رجل في مؤخر الدار فرأيته في وجه قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح وجهه قال وكنت قبل مارأيته الا ورأيته كان على وجهه الدهان • وفي صحيح البخاري ان عبد الله بن هشام كان يخرج الى السوق فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان له اشركنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعى لك بالبركة فيشركهم فربما أصاب الراحلة كما هي فيبعث بها الى المنزل • وفي مسند الامام احمد عن عروة بن ابى قال عرض للنبي صلى الله عليه وسلم جلب فاعطاني ديناراً وقال اى عروة ائت الجلب فاشتر شاة فاتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار فجئت بهما أسوقهما فلقيني رجل فساومني فابتعته شاة بدينار فجئت بالدينار وجئت بالشاة فقلت يارسول الله هذا ديناركم وهذه شاتكم قال وصنعت كيف؟ فحدثته

الحديث فقال اللهم بارك له في صفقة يمينه • فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة فاربح أربعين الفاً قبل ان اصل الى اهلي رواه الامام احمد وفي لفظ آخر • قال الراوي عنه فكان لو اشترى التراب لربح فيه رواه البخاري عن أهل الدار عنه • وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع ان رجلاً اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له كل بيمينك • قال لا استطيع قال لا استطعت مامنعه الا الكبر • قال فما رفعها الى فيه • وروى مالك في موطائه عن زيد بن أسلم عن جابر عن عبد الله السلمي قال خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة بني انمار قال جابر فبينما انا نازل تحت شجرة اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هلم يارسول الله الى الظل • قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فقمت الى غرارة لنا فالتمست فيها فوجدت فيها جرو قثا فكسرته ثم قربته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من اين لكم هذا؟ قلنا خرجنا به من المدينة قال وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعي ظهرنا قال فجهزته ثم ادبر يذهب الى الظهر وعليه ثوبان له قد خلقا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما له ثوبان غير هذين؟ فقلت لي يارسول الله ثوبان في العيبة كسوته اياهما. قال ادعه فليلبسهما ثم ولى يذهب فدعوته فلبسهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله ضرب الله عنقه اليس هذا خير له؟ فسمعه الرجل فقال يارسول الله في سبيل الله . فقال في سبيل الله فقتل الرجل في سبيل الله • ورواه ابو زرعة عن سعيد بن سليمان عن الليث عن هشام بن سعيد عن زيد بن اسلم عن عطاء عن جابر

(فصل) في الطرق التي يبين بها ان هذه الاخبار تفيد العلم وهذه الاخبار . منها ماهو في القرآن . ومنها ماهو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فان كلا من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الامة جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف فما من طبقة من طبقات الامة الا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها ينقلها اكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن وقد نقلها وسمعها من الامة اكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن واكثر ممن سمع ونقل انه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو وممن سمع ونقل نصب الزكاة فرائضها . بل مواقيت الصلاة وأعدادها انما شاع نقلها للعمل الدائم بها . وأما هذه الآيات فنقلها اكثر ممن نقل مواقيت الصلاة من جهة الاخبار المعينة وذلك ان آيات الرسول كان كثير منها يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم الف وخمسماية نبع الماء من بين أصابعه وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها ولم يتركوا فيها قطرة فكثر حتي روى العسكر وكما شاهد العسكر فى غزوة ذات الرقاع الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت وملأ منها جميع العسكر وكما شاهد الجيش فى رجوعهم من غزوة خيبر المزادتين مع المرأة وقد ملؤا كل وعاء معهم وشربوا وهى ملاى كما هي وكما شاهدوا أهل خيبر وهم الف وخمسماية الطعام الذى كان كربضة الشاة فاشبع الجيش كلهم وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين الفاً في غزوة تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها حتي

كفاهم وشاهدوا الطعام الذى جمعوه على نطع فاخذوا منه حتى كفاهم وكما شاهد أهـل الخندق وهم اكثر من الف كثرة الطعام فى بيت جابر بعد ان كان صاعا من شعير وعناقا فاكلوا كلهم بعـد الجوع حتى شبعوا وفضلت فضلة . وكما شاهد الثمانون نفسا كثرة الطعام كما اكلوا في بيت ابى طلحة . وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء لما توضؤا من قدح والماء ينبع من بين أصابعه حتى كفاهم الوضوء وكذلك وليمة زينب كانت ثلاثمائة فاكلوا من طعام في تور من حجارة وهو باق فظن انس انه ازيد مما كان وكانوا يتداولون قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة كما في حديث سمرة بن جندب واهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل وكفاهم وفضل وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور ينقله بعض من شاهده الى من غاب عنه وكان استفاضـة آياته وشهرتها وتواترها في الامة أعظم من تواتر سجود السهو فى الصلاة فان هذا انما كان مرات قليلة ولم يحضره الا المصلون خلفه لتلك الصلاة وكذلك نقلهم لنصب الزكوة وفرائضها فان هذا انما سمعه منه طائفة قليلة ونقلوه وكذلك حكمه بالشفعة فيما لا يقسم وقضاءه بان دية الخطأ على العاقلة وقضاءه بان الولد للفراش وللعاهر الحجر ونهيه عن نكاح الشغار وتحريمه لطلاق الحائض وطلاق الموطوءة قبل ان يتبين حملها وان المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار وتوريث الجدة السدس ونهيه ان تنكح المرأة على عمتها وخالتها وقوله فيما سقت السماء العشر وما سـقى بالدوالى والنواضح نصف العشر وامثال ذلك وانما سمعها طائفة من الامة هم اقل بكثير ممن شاهد آياته ثم ان الامة متفقة على نقل ذلك

وهذه الاحكام متواترة عنه معلومة بالاضطرار من دينه فاذا كان مثل
هذه الامور تواتر في الامة واتفقت على نقله فكيف مما كان أشهر
وأظهر عند من عاينه وكان علمُ الذين رأوه به اظهر من علمهم بهذه
الاحكام وقد نقلوا ذلك الى من غاب عنهم فانه قطعاً يجب ان يكون
تواترُ هذه الآيات في الامة أعظم واظهر وهذا لا يكاد يوجد مسلم
الا وقد عرف كثيراً من هذه الايات وسمعها ونقلها الي غيره بخلاف
كثير من الاحكام المتواترة عنه المتفق على نقلها عند العلماء فان كثيراً
من الناس لايعرفها ولا سمعها واذا قال القائل هذه مما تتوفر الهمم
والدواعي على نقلها فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعي على
نقلها ولو كان كذلك لتواترت . قلنا وكذلك هو ولله الحمد توفرت
الهمم والدواعي على نقلها اكثر مما توفرت الهمم والدواعي على
نقل اكثر آيات الانبياء قبله واكثر مما توفرت الهمم والدواعي على
نقل الاخبار العجيبة من سير الملوك والخلفاء فان من تدبر نقل هذه
الآيات وجد شهرتها في كل زمان وظهور الاخبار بها أعظم من شهرة
ماينقل من آيات الانبياء وسير الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر
الهمم والدواعي على نقلها فان مثل هذا لايجب في كونه متواتراً ان
يتواتر عند كل احد من الناس فان اكثر ماتواتر عند كل أمة من أحوال
متقدميها قد لايسمعه كثير من الامم من غيرهم فضلا عن تواتره عندهم
حتى ان كثيرا من الامم الذين لايعرفون الأنبياء قد لايكونون سمعوا
باسماء الأنبياء ولا باخبارهم فضلا عن تواترها عندهم واكثر اتباع
الانبياء لم يتواتر عندهم من اخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم
حتى ان اكثر المسلمين لم يسمعوا باسماء خلفاء بني أمية وبني العباس واسماء

وزرائهم ونوابهم وقوادهم وبالحروب التى جرت بينهم ولا يعرفون الوقائع العظيمة من الحروب التي كانت بين المسلمين واعدائهم مثل يوم اجنادين ويوم مرج الصفر ويوم فحل ويوم اليرموك ومثل يوم الحرة ويوم مرج راهط وفتنة ابن المهلب وفتنة ابن الاشعث والقرا مع الحجاج وحرب مصعب ابن الزبير مع المختار بن أبي عبيد وفتنة المنصور مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بالمدينة ومع اخيه محمد بن ابراهيم بالبصرة ومثل جسر أبي عبيد ويوم القادسية بل وحربهم مع اهل الردة مع اتباع طليحة الاسدى ووفد براحة ومثل حديقة الموت مع اتباع مسيلمة الكذاب ولا يعرفون ان المسلمين فتحوا قبرص ولا حاصروا القسطنطينية مرتين مرة في زمن معاوية ومرة في زمن بني مروان وكذلك الفتن التى كانت بين المسلمين لا بل اكثر العامة لم يسمعوا بابي مسلم صاحب الدعوة وبعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس وما جرى لهما من الحروب مع عساكر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ولم يسمعوا ايضاً بدخول عبد الرحمن بن هشام الى الاندلس وما جرى له فيها ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد الامين والمأمون مع ان هذه الامور هي متواترة عند اهل العلم بالسير واخبار الناس والتواريخ وظهور هذه الآيات التي هى دلائل النبوة واعلامها مشهورة بين الامة عامتها وخاصتها في كل زمان اعظم من ظهور هذه الاخبار المتواترة فهى احق ان تجعل متواترة من هذه ونقلة هذه الآيات من خاصة اهل العلم وكتب الحديث والتفسير والمغازى والسير وكتب الاصول والفقه التى توجد فيها هذه الاخبار اصح نقلا باتفاق اهل العقل والعلم من كتب التواريخ

المرسلة فان تلك كثير من اخبارها منقطع الاسناد وفيها من الاكاذيب مالا يحصيه الا الله وان كان أصل القصة قد يكون متواترا وهذه الآيات المشهورة فى الامة كثير من أجناسها متواتر عند العامة وكثير من آحادها متواتر عند خاصة أهل العلم بل الفقهاء والمتكلمون او اكثرهم لا يعرفون عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها اعداءه وهى وقائع مشهورة كل منها متواتر تواترا ظاهراً عند اهل العلم مثل يوم بدر ويوم احد ويوم الخندق وغزوة بنى المصطلق وغزوة خيبر وفتح مكة ويوم حنين وحصار الطائف فكثير من اهل العلم فضلا عن العامة وان كانوا سمعوا بهذه الاسماء أو بعضها فلا يعرفون أنها كانت قبل الآخر ولا يعرفون بأى بقعة كانت تلك الغزاة بل ولا يعرفون من كان العدو فيها ولا كيف كانت بل اكثر العامة لا يميزون بين بدر وحنين بل يقول قائلهم يوم بدر وحنين ويظنون ان ذلك يوم واحد وانها غزاة واحدة ولا يعرفون انهما غزاتان بينهما نحو ست سنين كانت بدر في السنة الثانية من الهجرة وكانت حنين فى السنة الثامنة بعد فتح مكة وان بدرا مكان بين مكة والمدينة شامى مكة ويمانى المدينة وحنين واد قريب من الطائف شرقي مكة وانما قرن بينهما في الاسم لان الله انزل فيهما الملائكة وأيد بها نبيه والمؤمنين حتى غلبوا عدوهم مع قوة العدو فى بدر ومع هزيمة اكثر المسلمين اولا بحنين وامتن الله بذلك فى كتابه في قوله (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وفى قوله (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها)
حتى بعض اكابر ائمة الفتيا المشهورين قال له صاحبه لما انكر عليه
طلب علم السير تسكت والا سألتك قدام الناس أيهما كانت قبل بدر أو
أحد فاني اعلم انك لاتعلم ذلك مع انه من المتواتر الذي لايستريب فيه
من له أدنى معرفة بالاخبار ان أحدا كانت بعد بدر وفي بدر انتصر
المسلمون على الكفار ويوم احد استظهر الكفار بل وكثير من علماء
المسلمين الاكابر لايعلمون ماهو متواتر عند اهل الكتاب بل وعند
غيرهم من علماء المسلمين مثل خراب بيت المقدس مرتين ومجيء بخت
نصر الى بيت المقدس أولا والله سبحانه ذكر في القرآن المرتين فقال
(وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن
علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم
وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا)وكانت
الاولى بعد سليمان وكانت الثانية بعد زكريا ويحيي والمسيح لما قتلوا
يحيي بن زكريا الذي يسميه اهل الكتاب يوحنا المعمداني وكثير من
المذكورين بالعلم يظن ان بخت نصر هو الذي قدم الشام لما قتل يحيي
ابن زكريا وهذا عند اهل العلم من اهل الكتاب وعند من له خبرة
من علماء المسلمين باطل والمتواتر ان بخت نصر هو الذي قدم في
المرة الاولى وكذلك كون شعيب النبي كان حمو موسى عليه السلام

كما تقوله طائفة من الجهال والمتواتر عند اهل الكتاب وعند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم خلاف ذلك وعند النصارى من اخبارهم واخبار علمائهم وملوكهم المتواترة مالا يعرفه المسلمون واليهود وعند المسلمين من اخبار علمائهم وملوكهم المتواترة مالا يعرفه اكثر الامم بل عند كل طائفة من المسلمين من اخبار شيوخهم وامرائهم وبلادهم المتواترة مالم يسمع به غيرهم وليس هذا بمنزلة من ادعى خبرا لم يكن يعرف فى الذين شاهدوا تلك القضية كما لو ادعى مدع ان النبى صلى الله عليه وسلم حج بعد الهجرة اكثر من حجة وانه كان يصوم شهر رمضان بمكة وانه كان بمكة أذان أو انه كان في عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات أو انه كان يؤذن للعيدين أو انه كان يخطب للعيدين قبل الصلاة أو انه كان يصلي بالمدينة اكثر من عيد أو انه كان يصلي في السفر اربعا أو انه صلى بمنى صلاة عيد يوم النحر أو انه نص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو غيره بالخلافة نصا ظاهرا مشهورا أو انه عزل أبا بكر عن الامارة في الحجة وولى عليا أو انه صلى بهم في مرض موته غير أبي بكر ونحو ذلك من الاخبار التي يعرف انها كذب وباطل لتواتر نقيضها ولانها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره مع انه لم يكن له ذكر في الزمن المتقدم . وكذلك ماينقله كثير من اهل الجهل مثل مايجعلونه من معجزات الرسول أو غيره ولا يوجد منقولا عند اهل العلم باحواله بل يكذبون ناقله مثل قول كثير من العامة ان الغمام كان يظله دائما فهذا لايوجد فى شيء من كتب المسلمين المعروفة عند علمائهم ولا نقله عالم من علمائهم

بل هو كذب عندهم وان كان كثير من الناس ينقله وانما نقل ان الغمامة اظلته لما كان صغيرا فقدم مع عمه الى الشام تاجرا ورآه بحيرا الراهب ومع هذا فهـذا لايجزم بصحته وكذلك ماينقله بعضهم من انه كان اذا وطيء أثر قدمه في الحجر وفي الرمل لم يكن يؤثر فهذا لم ينقله اهل العلم باحواله ولا واحد منهم بل هو كذب عليه • وكذلك ماينقله طائفة من الناس من كثرة القتل بحروبه والمغازى الكثيرة التي يذكر مثلها صاحب الكتاب الذى سماه بنقلات الانوار ويقال له البكري فهذا لما كان اكثرها لايوجد في كتب المسلمين المعروفة ولا نقلها علماؤهم بل قد تواتر مايخالفها كانت كذبا ظاهرا عند اهل العلم باحواله وان كان كثير من الناس الجهال باحواله قد يصدق بها • ومثل ماينقله طائفة من الناس انه كان فى غزاة خيبر نصب على بن أبى طالب يده ليمر الجيش عليها وان البغلة مرت عليها فقال لها قطع الله نسلك فانقطع نسلها فهذا ليس في شيء من كتب اهل العلم باحواله ولا نقل ذلك واحد منهم وانما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب أو جاهل ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين ويعلمون انه تواتر نقيضه وانه لم يكن فى غزوة خيبر بغلة واحدة ولم يكن بمكة ولا بالمدينة بغلة الا بغلته التي اهـداها له المقوقس النصرانى ملك مصر والاسكندرية وانما اهداها له بعد فتح خيبر لما كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاسلام وهو انما ارسل الي ملوك الطوائف بعد الحديبية وخيبر لما رجع من خيبر ويعلمون ان البغلة لم تزل مقطوعة النسل لم يكن لها نسل قط • وكذلك ماينقله بعض الكذابين من ان طائفة

من اهل البيت سبوا واركبوا جمالا فنبت لها سنامان وانها البخاتي فهذا مما اتفق اهل المعرفة بالاخبار عنه على انه كذب ولم يسب المسلمون قط في وقت من الاوقات احدا من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لافي خلافة بني أمية ولا في خلافة بني العباس والجمال البخاتي مازالت هكذا لم يتجدد لها السنام في الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم لما ذكر مايحدث النساء بعده قال على رؤسهن كاسنمة البخت • وكذلك مانقله طائفة من اهل العلم من ان الشمس ردت لما فاتت عليا صلاة العصر لكون النبي نام في حجره صلى الله عليه وسلم وجعل بعضهم هذا من المعجزات وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين التي يعتمدون على مافيها من المنقولات لا الصحاح ولا المساند ولا التفسير ولا المغازي ولا السير ولا غير ذلك بل بين اهل العلم بالحديث ان هذا كذب وليس له اسناد واحد صحيح متصل بل غايته ان يروي عمن لا يعرف صدقه ولم يروه الا هو مع توفر الهمم والدواعي على نقله فعلموا انه كذب وهذا باب واسع يبين ان علماء المسلمين يميزون المنقولات الصدق والكذب فيردون الكذب وان كان فيه من فضائل نبيهم واعلامه وفضائل اصحابه وامته ماهو عظيم ويقبلون الصدق وان كان فيه شبهة واشكال وقد يحتج به المنازعون لهم وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول اهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم واهل الاهواء لايكتبون الا مالهم ومن ذلك مغازي حمزة الشائعة بين كثير من جهال الناس لايوجد في شيء من كتب العلم بل قد تواتر عند اهل العلم ان حمزة لم يشهد غزوة الا غزوة بدر ثم غزوة احد وقتل يوم احد شهيدا قتله وحشي بن حرب

وهذا متواتر عند اهل العلم وما كان من هـذه الآيات والمعجزات فى الصحاح بل وكثير ممـا لم يخرجه البخاري ومسلم فهذه عامتها مما يقطع اهل العلم بالحديث بصحتها ويثبتون ذلك وهذا عنـدهم مستفيض متواتر وان كان بعض ذلك قد لايتواتر ويستفيض عنـد غيرهم فان الاخبار قد تتواتر وتستفيض عند قوم دون قوم بحسب عنايتهم بهـا وطلبهم لها وعلمهم بمن اخبر بها وصفاتهم ومقاديرهم وما دل من الدلائل على صدقهم واهل العلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم واقواله وافعاله وسيرته واسباب نزول القرآن ومعانيه وغير ذلك لهم بهذا من العـلم وعندهم به من اليقين مالا يوجد مثله لغيرهم كما أن اصحاب مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابى حنيفة وداود وغيرهم عند كل طائفة من اقوال متبوعهم ونصوصه واخباره مايقطعون به وان كان غـيرهم لايعرف ذلك • والاطباء عندهم من كلام ابقراط وجالينوس ومحمد بن زكريا وامثالهم مايقطعون به وغيرهم لايعلم ذلك • واهل الهيئة عنـدهم من كلام بطليموس والرصـد الممتحن المـأموني وثابت بن قرة وابى الحسـين الصوفي مايعلمونه وغـيرهم لايعلم ذلك بحيث يجزم هؤلآء وهؤلآء بكثير من مذاهب اهـل الطب والحساب وتجارب الاطباء وارصـاد اهل الحساب • وغيرهم لايعـلم ذلك وعند اهـل الـكتاب كاليهود من اخبار هلال وسماى وغـيرهما من شيوخهم مالا يعلمه غيرهم وعند النصارى من أخبار الحواريين ومن أخبار قسطنطين والمجمع الاول بنيقيه والمجمع الثانى والثالث والرابع والخامس وغير ذلك من مجامعهم وأخبارهم مايقطع به علماؤهم وان كان غيرهم

لا يعلمون ذلك . وأهل العلم بايام الاسلام يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر وعثمان ومغازيهم كوقعة أجنادين ومرج الصفر وغيرها في خلافة أبي بكر وكوقعة اليرموك وجسر ابى عبيد وهزيمة الفرس وفتح مصر وغير ذلك مما كان في زمن عمر بن الخطاب ما يقطعون به وان كان غيرهم لا يعرفون ذلك . وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك وحوادث الوجود بل أهل العلم بالرجال يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عمر وابن عباس وابي سعيد وأبى هريرة وعبد الله بن مسعود وانس بن مالك وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وعلقمة والاسود وغير هؤلاء مما لا يعلمه غيرهم . وأهل العلم بالنحو يعلمون من حال سيبويه والأخفش والمبرد والزجاج والفراء والكسائى ما لا يعلمه غيرهم . والقراء يعلمون من قراءة ابى عمرو وابن كثير وحمزة والكسائى وابن عامر ويعقوب بن اسحاق والاعمش وخلف بن هشام وابى جعفر مالا يعلمه غيرهم فاذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو القرآت بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم ما لا يعلمه غيرهم ويقطعون بذلك فكيف بمن هو عند اتباعه أعلا قدراً من كل عالم وارفع منزلة من كل ملك وهم أرغب الخلق فى معرفة أحواله وأعظم تحريا للصدق فيها وأردُّ للكذب منها حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة في أخبار جميع من روى شيئاً من أخباره وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه وما يتصل بذلك من جرح وتعديل ودققوا في ذلك وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لاحد من الامم ولا لاحد من هذه الامة الا لاهل

الحديث فهذا يعطى انهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعه وانهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه فاذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون الا صدقا فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق أولى اذ لا يكون ما جزموا بصدقه الا صدقا . وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها وجزموا بذلك وانما تنازعوا في أحاديث قليلة منها وعامة ما ذكرناه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم التى في الصحاح هى من موارد اجماعهم المستفيضة عندهم التى يجزمون بصدقها ليست من موارد نزاعهم فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء ويعلم خبرة أهله من كان خبيراً بهم فهذه طريقان فى تصديق هذه الآثار . التواتر العام . والتواتر الخاص * الطريق الثالث التواتر المعنوى وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف فان الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة بحكايات يشترك مجموعها فى أمر واحد كما سمعوا أخباراً متفرقة تتضمن شجاعة عنترة وخالد بن الوليد وأمثالهما وتتضمن سخاء حاتم ومعن بن زائدة وأمثالهما وتتضمن حلم الاحنف ابن قيس ومعاوية بن ابى سفيان وأمثالهما وتتضمن شعر أمرىء القيس والنابغة ولبيد وأمثالهم من المتقدمين وشعر الفرزدق وجرير وعمر بن ابى ربيعة وأمثالهم من المولدين وشعر ابي نواس والمتنبي وابي تمام وامثالهم من المحدثين بل وسمعوا أقوالا وفتاوى متفرقة تتضمن فقه مالك والثورى والليث بن سعد وابى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغيرهم من العلماء وأخبارا

متفرقة تتضمن العدل وحسن السيرة من عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما من ولاة الامر وسمعوا أخباراً متفرقة تتضمن الزهد عن مثل الحسن البصري والفضيل بن عياض وعامر ابن عبد الله ومالك بن دينار وابراهيم بن ادهم وغيرهم من الزهاد وسمعوا اخباراً متفرقة تتضمن معرفة ابقراط وجالينوس ونحوهما بالطب فيحصل بمجموع الاخبار علم ضروري بان الشخص موصوف بذلك النعت وان كان كل من الاخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم وان كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر • ومن هذا الباب العلم القطعي بالاعيان والموت ونحو ذلك مما يحصل به استفاضة توجب العلم القطعي كعلم الناس بأن خديجة وعائشة ونحوهما من امهات المؤمنين وان فاطمة وزينب من بنات النبي صلى الله عليه وسلم وان عائشة بنت ابي بكر الصديق وان ابا بكر وعمر وعثمان تولوا الخلافة بعده وان ابا بكر وعمر دفنا في حجرته • واذا عرف هذا فهذه الاحاديث واضعاف اضعافها هي اضعاف اضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء، ونقلتها اجل واكثر وافضل من نقلة هؤلاء، وهي كلها تتضمن ان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان يجري على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة ما لا يعرفه نظيره عن احد من الناس وعلم المسلمين بهذا اعظم من علم اهل الكتاب بما ينقلونه عن آيات موسى وعيسى وغيرهما فان نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم غير القرآن اضعاف اضعاف نقلة التوراة والانجيل فضلا عن غيرهما من اخبار الانبياء فان التوراة لم تكن جميعها محفوظة لعموم بني اسرائيل كما يحفظ القرآن عامة المسلمين وعند خراب بيت المقدس

قل من يحفظها جداً حتى تنازع الناس في تواتر نقلها • وكذلك الانجيل نقلته اقل بكثير من نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم فاذا قال النصارى هؤلاء كانوا صالحين وكان لهم آيات ايضاً كما يذكرونه من آيات الحواريين فاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوهم صالحون ولهم من الآيات اعظم مما للحواريين وغيرهم من الامم وفيهم من كان يحمل العسكر على الماء ومن كان يشرب السموم القاتلة ومن يحيي الله الموتى بدعوته ومن يكثر الطعام والشراب وكتب كرامات الاولياء فيها من ذلك اعظم مما عند اهل الكتاب وهم ينقلون اخبار الانبياء والصالحين من كتب عندهم مثل كتاب اخبار الحواريين وكتاب سفر الملوك ونحو ذلك ومايذكرون من حجة في صحة نقلها الا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم واصحابه والتابعين اظهر واقوى * الطريق الرابع ان يقال هذه الآيات التي ذكرنا بعضها كانت تكون بمحضر من الخلق الكثير كتكثير الطعام يوم الخندق فانه كان اهل الخندق رجالهم ونساؤهم الوفا • وكذلك نبع الماء من بين اصابعه وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية وكانوا يومئذ الفاً وخمسماية وكلهم صالحون من اهل الجنة لايعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة على النبي صلى الله عليه وسلم • وكذلك تكثير الماء والطعام فى غزوة خيبر كانوا الفاً وخمسمايه وفي تبوك كانوا الوفا مؤلفة وكان بعض من حضر هذه المشاهد ينقل هذه الآيات قدام آخرين ممن حضرها وينقلها لاقوام فيذهب اولئك فيخبرون بها اولئك ويصدق بعضهم بعضا ويحكي هذا مثل ما حكي هذا من غير تواطيء وتشاعر وادنى احواله ان يقره ولا ينكر عليه روايتها ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية

التي جبل الله عليها عباده وبموجب ما كان عليه سلف الامة من اعتياد الصدق وتحريه واعتقادهم ان ذلك واجب ومن شدة توقيهم الكذب على نبيهم وتعظيمهم ذلك اذ قد تواتر عنه عندهم انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار • فنحن نعلم انهم لم يكونوا يقرون من يعلمون انه يكذب عليه ومن اخبر عنه بما كانوا مشاهدين له وكذب عليه فقد علموا انه كذب عليه فلما اتفقوا على الاقرار على ذلك وعلى تناقله بينهم من غير انكار احد منهم لذلك علم قطعاً ان القوم كانوا متفقين على نقل ذلك كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة وان كان جمهورهم ليس منتصباً لتلقين القرآن بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا الملقن ولا ينكر بعضهم على بعض القراءة وهذا يعلم هذا الصلاة ان الظهر في الحضر اربع ركعات والمغرب ثلاث والفجر ركعتان وهذا يقر هذا فلما كان بعضهم يقر بعضا على نقل ذلك علم اتفاقهم على نقل ذلك وهذا غاية التواتر • فكذلك مانقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه يبين ذلك ان ما انكره بعضهم رده على الآخر ولم يوافقه عليه وان كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين كتنازعهم هل كان يجهر بالبسملة ام لايجهر بها وهل كان يداوم على القنوت في الفجر ام كان يقنت احياناً للنوازل ام قنت مرة ثم تركه فهذا من اهون الأمور وايسرها اذ كلهم متفقون على صحة صلاة من قنت وعلى صحة صلاة من لم يقنت ومن جهر ومن خافت ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول تنازعوا في الحكم فعلم بذلك ان ما كان مشهورا في الامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره احد من علمائها كانت الامة

متفقة على نقله كنقلهم للقرآن وللشرائع الظاهرة المشهورة وان نقل ذلك اعظم من نقل سائر اخبار الانبياء والعلماء والملوك والزهاد . وكذلك حجه فانهم كلهم متفقون على ماتواتر عنه من انه لم يحج بعد الهجرة الا حجة واحدة وهي التي تسمى حجة الوداع وإنما عاش بعدها نحواً من ثلاثة أشهر وانه لما حج أمر أصحابه كلهم الا من ساق الهدي منهم اذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة ان يحل من عمرته وانه لم يعتمر هو ولا احد من أصحابه الذين حجوا معه بعد الحج الا عائشة وحدها وانه هو نفسه لم يحل من حجه ولا أحد ممن ساق الهدى معه وانما اشتبه على بعضهم بعض الفاظه او بعض الامور التي تخفى على اكثر الناس وكان الصحابة ينقلون تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرادهم بالتمتع انه قرن بين العمرة والحج فظن بعض الناس انهم أرادوا انه اخر الاحرام بالحج الى ان قضى العمرة وروى بعض الصحابة انه افرد الحج فظن بعض الناس انه حج واعتمر بعد الحج وهذا لم يقله احد من العلماء بل اتفقوا على انه لم يعتمر بعد الحج وروى بعض الصحابة انه قرن فظن بعض الناس انه طاف طوافين وسعى سعيين وهذا لم ينقله احد عنه وكان من اسباب غلط كثير من الناس انهم كانوا يستعملون تلك الالفاظ في معان غير ما استعملته فيها الصحابة فغلط بعض الناس على بعض الصحابة واما مافعله في الحج مشهوراً فهو متواتر لم يختلف فيه النقل ولا علماء النقل ومن تدبر هذه الطريق افادته علما يقينياً قطعياً بصحة هذه الآيات عن محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الطرق المتقدمة فانا قد ذكرنا ان ما كان الناس احوج الى معرفته يسر

الله دلائله للناس اعظم من تيسير غيره وحاجة الخلق الى تصديق الرسول اشد من حاجتهم الى جميع الاشياء اذ بذلك تحصل سعادتهم فى الآخرة ونجاتهم من العذاب وبه يحصل صلاح العباد في المعاش والمعاد*الطريق الخامس ان نقول مامن صنف من اصناف العلماء الا وقد تواتر عندهم من الآيات مافيه كفاية فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب السير والمغازى والتواريخ مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وان لم يكن هذا مقصوداً منها وانما المقصود الاحكام لكنهم فى ضمن مايروونه من الاحكام يروون فيها من الآيات ماهو متواتر عندهم . وكتب الاصول والكلام مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف وهذه الطريق وغيرها مثل طريق الاقرار والتصديق وطريق التواتر المعنوى وطريق تصديق أهل الحديث والعلم بها وغير ذلك يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة وهذا أقل مايكون ويستدل بها على تواتر جنس جنس كتواتر تكثير الطعام وتواتر تكثير الطهور والشراب وعلى تواتر نوع نوع منها كتواتر نبع الماء من بين أصابعه وتواتر اشباع الخلق العظيم من الطعام القليل وتواتر شخص شخص منها كتواتر حنين الجذع اليه وامثال ذلك وكلما امعن الانسان فى ذلك النظر واعتبر ذلك بامثاله واعتبر واعطاه حقه من النظر والاستدلال

ازداد بذلك علماً ويقيناً وتبين له ان العلم بذلك اظهر من جميع مايطلب من العلم بالاخبار المتواترة فليس في الدنيا علم مطلوب بالاخبار المتواترة الا والعلم بايات الرسول وشرائع دينه اظهر من ذلك وما من حال أحد من الانبياء والملوك والعلماء والمشائخ المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته الا والعلم بأحوال محمد صلى الله عليه وسلم اظهر من العلم به وابين ونقله اكمل واتم وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن كالعلم بالبلاد البعيدة كعلم أهل الشام بالعراق وخراسان والهند والصين والاندلس وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر وعلم اهل الهند بالعراق والشام وامثال ذلك من علم أهل البلاد بعضهم بحال بعض الا وعلم الانسان بحال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وماهم عليه من الدين وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه أظهر من علمه بهذا كله وهذا مما يبين انه ليس فى الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة الا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الامر تحقيقاً لقوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان انما هو بما يظهره من آياته وبراهينه وذلك انما تم بالعلم بما ينقل عن محمد من آياته التى هى الادلة وشرائعه التي هي المدلول المقصود بالادلة فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبيانا على كل دين كما اظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين والحمد لله رب العالمين كما انه مامن دليل عقلي يستدل به على مدلول الا والادلة على آيات الرب

اكثر واكثر والحمد لله رب العالمين * الطريق السادس ان العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الاخبار وجردوا لذلك كتباً مثل كتاب دلائل النبوة للفقيه الحافظ ابى بكر البيهقى وقبله دلائل النبوة للشيخ الحافظ ابى نعيم الاصبهاني وقبله دلائل النبوة لابى الشيخ الاصبهانى ولابى القاسم الطبراني وقبلهما دلائل النبوة للامام الحافظ ابى زرعة الرازي وللشيخ المصنف أبى بكر عبد الله بن ابى الدنيا وللامام ابي اسحاق الحربي وللمصنف الحافظ ابي جعفر الفريابى وما صنفه الشيخ العالم أبو الفرج ابن الجوزي فى كتابه المسمى بالوفا فى فضائل المصطفى وما صنفه الحافظ ابو عبد الله المقدسى في دلائل النبوة وهؤلاء وغيرهم يذكرون مايذكرون بالاسانيد المعروفة والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة وهؤلاء منهم من يميز فيما يذكره من الاحاديث بين مافي صحيحى البخارى ومسلم وما في غيرهما وان كان صحيحاً أيضاً كالبيهقى وابن الجوزي والمقدسى • ومنهم من يذكر ذلك جميعه بأسانيده وقد يتكلم على الاسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه الى ان يذكر مارواه البخاري ومسلم كابي زرعة شيخ مسلم وابى الشيخ وابي نعيم وغيرهم • وآخرون يذكرون مايذكرونه معزوا مسنداً الى من رواه وان لم يذكروا اسناده كما يفعله القاضى عياض السبتي في كتابه المسمي بالشفا بتعريف حقوق المصطفى • ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك وطرق اخرى يبين صحته كما يفعله كثير من النظار كالقاضى عبد الجبار والجاحظ والماوردى القاضى وسليم الرازى الفقيه واضعاف هؤلاء • وهذه الكتب فيها من

الاحاديث المتضمنة لآيات نبوته وبراهين رسالتـه اضعاف اضعاف
الاحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه مثل حجة الوداع وعمرة الحديبية
وصد المشركين له ومصالحته اياهم وحله هو واصحابه بالحديبيـة
ورجوعهم ذلك العام وفتح خيبر عقب ذلك وعمرة القضية وعمرة الجعرانة
ومثل حصاره لاهل الطائف قبل ذلك وفتح مكة قبل ذلك ومثـل
غزوة النصارى عام تبوك وارساله جيشاً لغزوهم بموتة من مشارق
الشام قريباً من الحصن المسمى بالكرك ومثل غزو اليهود بخيبر وغزو
اليهود قبل ذلك لمن كان عند المدينة مثل بني قينقاع والنضير وقريظة
ومثل ارساله ابا بكر أميراً على الحج سنة تسع ونبذه العهود ومناداته
ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومثل هجرته مع
ابى بكر وغلامه عامر بن فهـيرة ورجل ثالث كان دليلا لهم ومثـل
ماتواتر عنه انه كان يصلي بالمسلمين يومي العيدين الفطر والنحر بالمصلى
خارج المدينة لم يكن يصلي العيد فى مسجده الا مرة نقل انه صلى في
المسجد لاجل المطر ولم يكن على عهده يصلي أحد بالمدينة صلاة العيد
الا خلفه لم يكن يصلي صلاتى عيد على عهده وعهد ابى بكر وعمر
وعثمان واول من فعل ذلك علي بن ابى طالب لمـا كثر الناس وضعف
أقوام عن الخروج الى الصحراء استخلف من يصـلي بهم في المسجد
وكما تواتر عنه انه كان يصـلي الجمعة باذان واقامة لا يؤذن لها الا اذا
قعد على المنبر وكذلك كان الامر على عهد ابي بكر وعمر فلما كان في
أثناء خلافة عثمان كثر الناس فامر بالنداء الثالث على دار قريبـة من
المسجد من جهة المشرق يقال لها الزوراء وكما تواتر ان مسجده بناه

باللبن وسقفه بجذوع النخل وكانت حجر ازواجه قبلي المسجد وشرقيه فلما كثر الناس زاد فيه عمر ثم زاد فيه عثمان وبناه بالقصة والحجارة ثم في امارة الوليد أمر نائبه عمر بن عبد العزيز ان يشترى الحجر ويزيدها في المسجد فدخلت حجرة عائشة التي دفن فيها هو وابو بكر وعمر في المسجد من حينئذ وانما كانت في حياته خارجة عن مسجده الى سنة احدي وتسعين وقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد• يحذر مافعلوا• قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وكما تواتر عنه انه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وكما تواتر عنه انه كان يضحي في عيد الاضحى بل تواتر عند اهل العلم باحواله تروكه المشهورة كما تواترت افعاله المشهورة فتواتر انه لم يكن يؤذن للعيدين ولا للكسوف ولا للاستسقاء وانه صلى في الكسوف ركعتين في كل ركعة صلاة طويلة وتواتر انه كان يطوف بالبيت سبعاً ويصلي ركعتين بعد الطواف وكان يسعى بين الصفا والمروة سبعاً ولم يكن يصلي بعد السعي بالصفا والمروة ركعتين وتواتر انه كان يواصل وينهى اصحابه عن الوصال ويقول انى لست كهيئتكم انى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وانه لم يفرض صوماً الا صوم شهر رمضان ولم يفرض الحج على المستطيع الا مرة في العمر وانه فرض الصلوات الخمس على كل بالغ عاقل الا الحائض والنفساء وانه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة وكان الحيض يؤمرون بقضاء الصوم ولا يؤمرون بقضاء الصلاة وانه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة وامر بالوضوء عند الصلاة لمن بال أو تغوط أو خرج منه ريح أو مذي

وانه رخص في الاستجمار بثلاثة احجار ونهى عن الاستجمار باليمين ونهى عن الاستجمار بالعظم والبعر وقال انها زاد اخوانكم من الجن وانه لم يكن يجمع المسلمين لاعلى سماع كف ولا دف ولا رقص ولا صعق لا هو ولا اصحابه عند سماع القرآن بل كانوا توجل قلوبهم وتقشعر جلودهم وتدمع عيونهم وانه لم يكن على عهده وعهد خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان وعلى تعاد امرأة مطلقة الي زوجها بنكاح يقصد به التحليل ظاهرا بل لعن المحلل والمحلل له لان ذلك ربما فعل سرا وانه امر بعيادة المريض وتشييع الجنازة وافشاء السلام واجابة الدعوة وانه كان يصلي على الميت وكان يكبر عليه اربع تكبيرات وقد كان احياناً يكبر سبعاً أو خمساً وامر بتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وانه حرم كل مسكر وحرم بيع الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين والصاع بالصاعين من الحنطة والشعير والتمر والزبيب وانه أمر بصدقة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير وانه اباح الدواء وقال تداووا عباد الله فانه لم ينزل داء الا نزل له دواء الا السام . والسام الموت وانه كان يتداوى بالحجامة وغيرها وكذلك ماتواتر عنه من احاديث سوى مافي القرآن من صفة الجنة والنار وذكر العرش والملائكة والجن وارساله الى الثقلين وما ذكره من اسماء الله وصفاته وما اخبر به من فتنة الانسان في قبره ومن عذاب القبر ونعيمه ومن دخول من يدخل النار من اهل الكبائر من أمته وخروجهم من النار بشفاعته وشفاعة غيره ومن ذكر حوضه وما اخبر به من رؤية الله يوم القيامة ومحاسبة الله للعباد وغير ذلك وما تواتر عنه من انه كان

يرسل رسلا الى الملوك يدعوهم الى الايمان بالله وبما جاء به كما ارسل الى ملوك اليمن والى ملوك الشام ومصر والعراق والى ملوك المشركين واليهود والنصارى والمجوس بعد ماحارب اليهود مرة بعد مرة وماتواتر عنه من انه كان اذا سافر من المدينة استخلف خليفة وانه كان يستكتب كتاباً يكتبونه له وانه كان يركب الخيل والابل والبغال والحمير وانه رجم الزاني المحصن مرة بعد مرة وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر وانه كان يصلي في السفر الرباعية ركعتين ركعتين وانه جمع بين الصلاتين الظهر والعصر بعرفة وفي مزدلفة جمع بين المغرب والعشاء وانه كان يصلي بمنى ركعتين ركعتين وانه أمر المسلمين كلهم في حجة الوداع ان يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة الا من ساق الهدى فانه امره ان يبقى على احرامه وانه هو لم يحل من احرامه ولا اعتمر بعد الحج لاهو ولا أحد ممن حج معه الا عائشة لكونها كانت حائضاً وان شهر رمضان فرض في السنة الثانية من الهجرة فصام تسع رمضانات وانه كان له اربع بنات وثلاثة بنين وكان يكنى باكبر أولاده القاسم فيدعى ابا القاسم وانه تزوج بنتي ابي بكر وعمر وانه زوج عثمان بابنتيه وزوج عليا بنتا وانه آمن به من اعمامه حمزة والعباس ولم يؤمن به لا ابو لهب ولا أبو طالب مع ان أبا طالب كان يحوطه ويذب عنه وانه استخلف أبا بكر ليصلي بالناس لما مرض وثقل عن الصلاة لم يصل احد باذنه مع حضوره غير أبي بكر في مرض موته ولما ذهب ليصلح بين بني عمر ابن عوف وانه كان من خواص اصحابه العشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابو عبيدة

ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وغير هؤلاء كعبد الله بن مسعود
وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وابي
طلحة وابي ايوب واسيد بن حضير واضعاف هؤلاء . وانه بايعه تحت
الشجرة الف وار بعماية أو وخمسماية وهم الذين انزل الله فيهم (لقدرضى
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل
السكينة عليهم) وانه لما قدم المدينة بني مسجدا كان في شماليه صفة يأوى
اليها الغرباء وان المهاجرين والانصار كلهم اسلموا طوعا بلا رغبة ولا
رهبة وان المهاجرين آذاهم الكفار إيذاء عظيما حتى هاجر منهم طائفة
الى الحبشة عند النجاشى وان النجاشى آمن به وانه لما مات اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بموته يوم مات وانه صلى عليه باصحابه في المصلى
كما يصلى على الميت الحاضر وانه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة
ويخطب في العيد بعد الصلاة وكان يؤذن للجمعة وللصلوات الخمس ولا
يؤذن للعيدين ولا لغير الصلوات الخمس وان بلالا كان يؤذن له بالمدينة
هو وابن ام مكتوم الاعمى وكان سعد القرظ يؤذن لاهل قبأ واقام
ابا محذورة يؤذن لاهل مكة . وكما تواتر عنه وعن خلفائه انهم لم يكونوا
بمني يصلون صلاة عيد بل يرمون جمرة العقبة وينحرون كما أمر اهل
الامصار ان يصلوا ثم ينحروا الى امثال هذه الامور مما هى متواترة
عند كل من كان عالما باحواله . ومنها ماهو المتواتر عند جميع الامة . ومنها
ماهو متواتر عند جمهورها وليس منها شيء الا وتواترت آياته وبراهينه
التي لم تذكر فى القرآن اعظم من تواتر هذه الامور والكتب المصنفة
فى آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الاحاديث اضعاف اضعاف

مايوجد من الاحاديث فى مثل هـذه الامور بل في كل صنف من اصناف آياته من الاحاديث اضعاف مايوجد فى مثل ذلك كتواتر اخباره بالغيوب المستقبلة وتواتر تكثيره للطعام مرات متعددة وتواتر تكثيره للطهور والشراب مرات متعددة اما بنبع الماء من بين اصابعه واما بفيضان الينبوع الذى يضع فيه بعض آثاره واما بفيضان المـاء من الوعاء الذى يبرك فيه والماء باق بحاله لم ينقص . فالاحاديث المتواترة فى مثل هذه الانواع اكثر من الاحاديث المتواترة في مثـل تلك الامور التى هى متواترة ولهذا كان شهرة هذه فى الامة وفى اهـل العلم باحواله اعظم من شهرة كثير من تلك الامور . والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة فى الاحاديث اعظم من تواتر أمور كثيرة هى متواترة عند الامة أو عند علمائها وعلماء اهل الحديث وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن فان تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من انواعها وصفاتها ماهو مبسوط في غير هذا الموضع حتى بينوا ان مافي القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات وهذان غير مافى كتب اهل الكتاب من الاخبار به وهذه الاجناس الثلاثة غـير مافى شريعته التى بعث بها وغير صفات امته وغير مابذل من المعرفـة بسيرته واخلاقه وصفاته واحواله وهذا كله غير نصر الله واكرامه لمن آمن به وعقوبته وانتقامه ممن كفر به كما فعل بالانبياء المتقدمين فان تعداد اعيان دلائل النبوة مما لايمكن بشرا الاحاطة به اذ كان الايمان به واجباً على كل احـد فبـين الله لـكل قوم بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبـين لقوم آخرين كما ان دلائل الربوبية وآياتهـا

اعظم واكثر من كل دليل على كل مدلول ولكل قوم بل ولكل انسان من الدلائل المعينة التي يريه الله اياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف اعيانها قوم آخرون قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق) والضمير في ذلك عائد الى القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء كما يدل على ذلك القرآن بقوله (قل ارأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق) وقد قيل ان الضمير عائد الى الله والصواب الاول كما قال (قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به) وهذا هو القرآن ثم قال بعد ذلك سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ثم قال (اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فاخبر انه سيري الناس في انفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية المشهودة والمعقولة ما يتبين ان الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق فيتطابق العقل والسمع ويتفق العيان والقرآن وتصدق المعاينة للخبر واذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذي جاء به صادقا وان الله انزله وانه يجب التصديق لما أخبر والطاعة لما أوجبه وأمر وذلك يتضمن اثبات الصانع وتوحيده واسماءه وصفاته واثبات النبوات واثبات المعاد وهذه هي أصول العلم والايمان التي علقت بها السعادة والنجاة

(فصل) وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبل مولده وبعد مماته لاتختص بحياته فضلا عن ان تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدى كما ظنه بعض أهل الكلام بل لابد من آيات في حياته

تدل على صدقه تقوم بها الحجة وتظهر بها المحجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح مامن نبي من الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة . وقد قال تعالى فى سورة ابراهيم (كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الي صراط العزيز الحميد) الى قوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله) الى قوله (الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى) الآية فاخبر ان قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله اتتهم رسلهم بالبينات فعلم انهم جاؤا بالبينات وقال (وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وقال تعالي (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذاباً اليما وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيراً) فاخبر انه سبحانه ضرب الامثال لجميع هؤلاء الذين ارسل اليهم وأهلكهم فلم يعاقبهم الا بعد ان اقام عليهم الحجة وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس

ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) فاخبر انه لم يرسل الا رجالا يوحى اليهم لم يرسل اليهم ملائكة ولا نساء وانه أرسلهم بالبينات • والزبر جمع زبور وهى الكتب فان منهم من انزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذى قبله وقال تعالى (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير) أخبر انه ليس أمة من الامم الا خلا فيها نذير كما قال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ثم اخبر ان الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به كقوله (وملائكته وجبريل وميكال فان الزبر من البينات والكتاب المنير من الزبر وهو كقوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) فان الهدى من العلم والكتاب المنير من الهدى وبين انه اخذ الذين كفروا بربهم وهذا انزله ليبين عاقبة المكذبين ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال فقد كذب الذين من قبلهم وهذه السورة مكية ثم انزل في آل عمران وهي مدنية في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول والمؤمنين به وتثبيتهم وتعزيتهم لما اصابهم من المكذبين يوم احد وغيره فقال (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة

من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) اى يخوفكم اولياءه كما قاله جمهور العلماء ثم قال ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً) وسياق الكلام في بيان ان الكفار لا يضرون الله ولا عباده المؤمنين بل ضررهم على انفسهم وان ما حصل لهم من نعمه انما هو استدراج واملاء الى ان قال (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوه وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) بين سبحانه ان هذا القول منهم مع انه كذب فلم يقولوه الا دفعاً للحق لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك اذ قد جاءهم رسل من قبله بالآيات البينات والقربان الذى تأكله النار ومع هذا قتلوهم والكلام فى مثل هذا الجنس الذى يوالى بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً كاليهود الذين هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك ولهذا يخاطبهم بصيغة الخطاب كقوله (واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون) الى قوله (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فالخطاب لجنس بنى اسرائيل وان كان الذين عاينوا ذلك ماتوا ثم قال وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) فحذف هنا الفاعل وبنى الفعل للمفعول اذ المقصود هنا تسلية الرسول وتعزيته لا ذكر عقوبة المكذبين

فلهذا كانت هذه اخص من تلك

(فصل)ومن آيات الأنبياء اهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم فهذا من اعلام نبوتهم ودلائل صدقهم كاغراق الله قوم نوح لما كذبوه وكاهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر واهلاك قوم صالح بالصيحة واهلاك قوم شعيب بالظلة واهلاك قوم لوط بقلب مدائنهم ورجمهم بالحجارة وكاهلاك قوم فرعون بالغرق وقد ذكر الله هـذه القصص فى القرآن في غير موضع وبين انها من آيات الانبياء الدالة على صدقهم كما ذكره فى سورة الشعراء لما ذكر قصة موسى قال(ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) ثم ذكر قصة ابراهيم وقال فى آخرها ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك ماجعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ومن لسان الصدق بالثناء والدعاء لهم ولمن آمن بهم كما قال تعالى فى قصة نوح (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وكذلك فى قصة ابراهيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) اى تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون وكذلك في قصة موسى وهرون سلام على موسى وهرون وسلام على الياسين وكذلك في قصـة ابراهيم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال في قصة فرعون (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لايرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم

في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) ولهذا قال تعالى لقد
كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب وقال لمحمد صلي الله عليه وسلم
فاصبر ان العاقبة للمتقين فاخبر ان العاقبة للمتقين ثم انه ماوقع لهؤلاء
وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل تارة ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة
كما قال عن أهل النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير
كما ذكر الله الطريقين في قوله ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى
عزيز الذين إن مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) ثم قال وان يكذبوك فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين
من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة
وقصر مشيد) ثم قال (افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون
بها او آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور وقال تعالى (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا
فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد) وقال تعالى (اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وآثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا
بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) وقال تعالى (أولم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد قوة وآثارا

في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب) وقال تعالي (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال لما قص قصص نوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وموسى في سورة هود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد) ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وفى سورة الحجر (ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين ثم قال وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين) والامام المبين هو الطريق المستبين الواضح • بين سبحانه ان هذه وهذه كلاهما بسبيل الناس يرونها بابصارهم فيعلمون بذلك مافعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ودلالة نصر الله للمؤمنين وانتقامه من الكافرين على صدق الانبياء من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم فكون هذا فعل لاجل

هذا أو كون ذاك سبب هذا هو مما يعلم بالاضطرار عند تصور الامر على ماهو عليه كانقلاب العصا حية عقب سؤال فرعون الآية وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية وامثال ذلك والسؤال المشهور الذى يورد فى هذا الموضع على قول من ينفى التعليل في افعال الله او يجوز على الله كل فعل حيث قيل لهم على اصلكم لايفعل الله شيئاً لاجل شيء وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة لاجل تصديق الرسول ولم عاقب هؤلاء لتكذيبهم له؟ ولم انجا هؤلاء ونصرهم لايمانهم به اذ كان لايفعل شيئاً لشيء عندكم وقالوا لهم ايضاً اذا جوزتم على الرب كل فعل جاز ان يظهر الخوارق على يد الكاذب ويقال لهم ايضاً انتم لاتعلمون مايفعل الرب الا بعادة أو خبر الانبياء فقبل العلم بصدق النبي لايعلم شيء بخبره والعادة انما تكون فيما تكرر كطلوع الشمس ونزول المطر ونحو ذلك والاتيان بالخارق للتصديق ليس معتادا* فيقال في جوابه هذا السؤال ان كان متوجهاً فانما يقدح في قول هؤلاء الذين يقولون لايفعل شيئاً لاجل شيء ويجوزون عليه فعل كل شيء ممكن لاينزهونه عن فعل من الافعال وليس عندهم قبيح وظلم الا ما كان ممتنعاً مثل جعل الشيء موجودا معدوما وجعل الجسم في مكانين ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة فى ابطال مذهبهم وقالوا قولهم يقدح في العلوم الضرورية ويسد باب العلم بصدق الرسل قالوا اذا جوزتم ان يفعل كل شيء فجوزوا ان تكون الجبال انقلبت ياقوتا والبحار لبناً ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة بطلانه وجوزوا ان يخلق المعجزات على يد الكذابين وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلاء ببيان فساد قولهم ولكن المقصود ان هذا

السؤال ان كان متوجهاً فانما يقدح فى قول هؤلآء، لايقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلآء، وهؤلآء، وان الله سبحانه وتعالى نجى موسى ونصره لصدقه ونبوته وايمانه واهلك فرعون لتكذيبه • وكذلك نصر محمدا ومن اتبعه على من كذبه من قومه ونصر نوحا على من كفر به ونصر المسيح على من كذبه ونصر سائر الرسل واتباعهم المؤمنين كما قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) كما لايقدح فيما علم بالاضطرار من ان الله ينزل المطر فى ابانه لسقي المزارع وانه يسوق النيل لسقي ارض مصر وانه جعل اعضاء الانسان بما فيها من المنافع كالبطش باليدين والمشى بالرجلين والنظر بالعينين والسمع بالاذنين والنطق باللسان وجعل ماء العين ملحا لكونها شحمة والملوحة تمنعها ان تذوب • وماء الاذن مرا ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ • وماء الفم عذباً ليطيب الطعام والشراب وجعل ماء البحر مالحاً لبقاء الانام فانه لو كان عذباً فيموت فيه من الحيوان العظيم فيفسد الريح فيموت الآدميون والبهائم بهذه الريح الى مالا يحصى من حكمة الله المشهودة في خلقه • ونفاة التعليل يقولون نحن نعلم ان هذا مقارن لهذا بحكم العادة التى اجراها الله وان لم يخلق شيئاً لشيء، وكذلك من نفى الاسباب مع نفى التعليل ايضاً يقولون نحن نعلم انه يخلق هذا عند هذا لابه فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب عندهم لكن يبقى عليهم ان هذا لايعلم الا بالعادة ولا عادة فلا جرم رجعوا الى فطرتهم من ان هذا أمر معلوم بالاضطرار وان كان

مناقضاً لاصلهم الفاسد وضربوا له مثلا بالملك الذى اظهر مايناقض عادته
لتصديق رسوله • لكن يقال لهم الملك يفعل فعلا لمقصود فامكن ان يقال
انه قام ليصدق رسوله وانتم عندكم ان الله لايفعل شيئاً لشيء فلم يبق
المثل مطابقاً ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع تارة يقولون المعجز
دل على الصدق لئلا يفضى الى تعجيز الرب فانه لادليل على الصدق
الا خلق المعجز فلولم يكن دليلا لزم ان يكون الرب غير قادر على تصديق
الرسول الصادق وهذه طريقة الاشعري فى اكثر كتبه واحد قوليه
وسلكها القاضى ابو بكر احياناً وابو اسحاق الاسفرائني وابو بكر ابن
فورك وابو محمد بن اللبان وابوعلى بن شاذان والقاضى أبو يعلي وغيرهم
والثاني قالوا نحن نعلم بالاضطرار انه فعل هذا لاجل التصديق كالمثل
المضروب وهذا هو القول الآخر وهى طريقة أبى الحسن الاشعرى في
اماليه وهي طريقة ابي المعالي واتباعه كالرازي وغيره وتنازعوا هل يمكن
خلق ذلك علي يد كذاب؟ فقيل لايمكن لانه لو امكن لجاز وقوعه وقيل
بل هو مقدور لكن نعلم انه لايفعله كما نعلم انه لايفعل كثيرا من
الخوارق المقدورات كقلب الجبل ياقوتاً والبحر زيبقاً • قالوا فنحن نجوز
اشياء ونعلم بالضرورة انه لايفعلها فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة
ان لايعلم انتفاء وقوعها بل قد علم عدم وقوعها بالاضطرار وان كنا
نقول انها ممكنة مقدورة • وظهور المعجزات علي يد الكذاب فى دعوى
النبوة من هذا الباب عندنا • وقالوا المعجز علم على صدق الانبياء فيمتنع
ان يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه وهذا القول حق لكن
منازعوهم يقولون هو يستلزم نقيض مانفوه من كون الله يخلق شيئاً

لشيء ويخلق شيئاً بشيء وما قالوا من كونه يجوز عليـه فعل كل شيء
وكان ما ذكروه من الحق دليـلا على ان الخلق يعلمون مايعلمونه من
حكمة الرب ومراده بمـا يخلقه لامر آخر وانه سبحانه منزه عن ان
يفعل شيئاً لايجوز منه فعل كل شيء وهم يقولون هنا قد يكون الشيء
ممكناً جائزا مع العلم بانه غير واقع كانقلاب الجبال ياقوتاً والبحر زيبقاً
وموت اهل البلد كلهم فى لحظة ومصير الاطفال علماء حكماء في لحظة
واحدة وعلى هـذا الجواب يعتمدون كثيرا كما يذكره القاضى ابو بكر
والقاضى ابو يعلى وابو المعالي والرازى وغيرهم ثم انهم يقولون فى العقل
انه علوم ضرورية كالعلم بوجوب الواجبات وامتناع الممتنعات وجواز
الجائزات فالممتنعات كانقلاب دجلة دما وامثال ذلك من الامور العادية
فيجعلون العادات واجبة تارة وممتنعة أخرى مع انه لاسبب يوجب لاهذا
ولا هذا ويقولون نعلم ان هذا جائز ممكن لايتوقف علي سبب ولا له
مانع كالآخر ثم نعلم ان هذا واقع وهذا غير واقع لمجرد العادة مع ان
خرق العادة ليس له عندهم ضابط بل كل مايخرق من العادات معجزات
للانبياء فيجوز ان يكون عندهم للولي وللساحر والفرق بينهما عندهم
التحدى أو عدم المعارضة وكذلك المتفلسفة الملاحـدة الذين يقولون
اسباب الآيات القوى الفلـكية والقوى النفسانية والطبيعية وهذه كلهـا
مشتركة عندهم بين الانبياء والسحرة لـكن النبى يقصد الخير والعدل
والساحر يقصد الشر والظلم وكذلك أولئـك الذين وافقوا جهما علي
اصله فى القدر لافرق عندهم بين كرامات الاولياء وخوارق السحرة
لـكن الولي مطيع لله والساحر غير مطيع لله هذا عمدة هؤلاء النفاة

للحكمة والاسباب في افعال الله تعالى • وجمهور الناس يخالفونهم ويقولون هذا القول فاسد بل نفس تصوره كاف في العلم بفساده فانه اذا تماثل هذا وهذا من كل وجه فمن أين يعلم وجود هذا أو وجوبه وعدم هذا أو امتناعه ؟ واذا قيل مستندى العادة • قيل له منازعوك يقولون هذا باطل من وجهين • احدهما انك انت تجوز انتقاض العادة وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به ولا حكمة انتقضت لاجلها بل لافرق عندك بين انتقاضها للانبياء والاولياء والسحرة وغير ذلك ولهذا قلتم ليس بين معجزات الانبياء وكرامات الاولياء والسحرة فرق الا مجرد اقتران دعوى النبوة والتحدي بالمعارضة مع عدم المعارضة مع ان التحدى بالمعارضة قد يقع من المشرك بل ومن الساحر فلم يثبتوا فرقا يعود الى جنس الخوارق المفعولة ولا الى قصد الفاعل والخالق ولا قدرته ولا حكمته • والثاني ان العادة لابد لها من اسباب وموانع يعلم بها اطرادها تارة وانتقاضها أخرى وبهذا يظهر الجواب عما قالوه من ان انقلاب الجبل ذهباً والبحر زبقاً والاناسى قرودا ونحو ذلك ممكن معلوم الجواز مع العلم بانه لم يقع فانهم يقال لهم الناس لايسلمون لكم ان هذا ممكن الا مع لوازمه وانتفاء اضداده وحينئذ فيقال لم قلتم ان هذ لايستلزم اسباباً تكون قبله وموانع ترتفع كسائر مايحدثه الله من الامور الخارقة للعادة فانه لايحدث شيئاً الا باحداث اسباب ودفع موانع مثال ذلك غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب بل انزل الله ماء السماء وانبع ماء الارض كما قال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب

السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر) وكذلك عاد لما اهلكهم ارسل الريح الصرصر سبع ليال وثمانية ايام حسوماً كما قال تعالى (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعي كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) وكذلك ثمود قال لهم صالح ياقوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود)وكل ماوجد فى العالم من خوارق العادات آيات الانبياء وغيرها لم يأت منها شيء الا باسباب تقدمته فآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد ان القاها اما عند أمر الله له بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النار الخارقة واما عند مطالبة فرعون له بالآية واما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتي اغراق فرعون كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجير الماء من الحجر كان بعد ان ضرب الحجر بعصاه واستسقاء قومه اياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتي نبع الماء من بين الاصابع اى تفجر الماء من بين الاصابع لم يخرج من نفس الاصابع وكذلك البئر كان ماؤها يكثر اما

بالقائه سهماً من كنانته فيها وأما بصبه الماء الذى بصق فيه فيها وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله الى أمثال ذلك • فاما جبل ينقلب ياقوتا بلا اسباب تقدمت ذلك فهذا لا كان ولا يكون وكذلك نهر يطرد يصبح لبنا بلا اسباب تقتضي ذلك يخلقها الله فهذا لا كان ولا يكون ومن قال ان الشيء ممكن فهذا يعنى به شيئان يعنى به الامكان الذهني والامكان الخارجي فالامكان الذهنى هو عدم العلم بالامتناع وهذا ليس فيه الا عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع غير العلم بالامكان فكل من لم يعلم امتناع شيء كان عنده ممكناً بهذا الاعتبار لكن هذا ليس بعلم بامكانه ومن استدل على امكان الشيء بانه لو قدر لم يلزم منه محال من غير بيان انتفاءلزوم كل محال كما يفعله طائفة من أهل الكلام كالآمدي ونحوه لم يكن فيما ذكره الا مجرد الدعوى • وأما الثانى وهو العلم بامكان الشيء فى الخارج فهذا يعلم بان يعلم وجوده أو وجود نظيره أو وجود ماهو أقرب الى الامتناع منه فاذا كان حمل البعير للقنطار ممكناً كان حمله لتسعين رطلاً اولى بالامكان وبهذه الطريقة يبين الله في القرآن امكان مايريد بيان امكانه كاحياء الموتى والمعاد فانه يبين ذلك تارة ببيان وقوعه كما اخبر ان قوم موسى قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون وكما أخبر عن المقتول الذي ضربوه بالبقرة فاحياه الله كما قال واذ قتلتم نفساً فاداراتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) وكما اخبر

عن الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حـذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكما أخـبر عن الذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعـد موتها فاماته اللهماية عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الي حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير) واخبر سبحانه بنظير ذلك في قصة ابراهيم حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولـكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعـة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم واستدل سبحانه بمـا هو أعظم من ذلك وهو النشأة الاولى وخلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهـم وقال ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقـة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعـد علم شيئاً وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) فاستدل سبحانه على امكان الاحياء بابتداء خلق الحيوان وبخلق النبات وذكر ذلك فى القرآن في غـير موضع وبسط هـذا له موضع آخر والمقصود ان قول القائل هذا ممكن لايحتاج الى دليل لا يكفى فى العلم بامكانه عدم العلم بامتناعه والله سبحانه على كل شيء قدير . والممتنع

ليس بشيء باتفاق العقلاء وكل ماخلقه الله فلا بد ان يخلق لوازمه ويمتنع اضداده وإلا فيمتنع وجود الملزوم بدون اللازم ويمتنع اجتماع الضدين وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق ولا اضداده المنافية لوجوده • فالجزم بامكان وجوده بدون العلم بلوازمه وامكانها واضدادها وانتفائها جهل والله سبحانه قادر على تغيير ماشاءه من العالم وهو يشق السموات ويسير الجبال ويبسها بساً فيجعلها هباء منبثاً الى أمثال ذلك مما اخبر الله به كما يخلق سائر مايخلقه بما يسره من الاسباب وهذا مبسوط فى موضع آخر والمقصود هنا ان آيات الانبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم فقبل مثل اخبار من تقدم من الانبياء ومثل الارهاصات الدالة عليه • وأما حين المبعث فظاهر واما في حياته فمثل نصره وانجائه واهلاك أعدائه واما بعد موته فمثل نصر اتباعه واهلاك اعدائه كما قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال للمسيح اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وقال يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) ومحمد صلى الله عليه وسلم جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه وحين مبعثه وفى حياته وبعد موته والى قيام الساعة فان

ذكره الى الساعة وذكر كتابه والبشارة بذلك موجود فى الكتب المتقدمة كما قد بسط فى موضعه وقد تقدم بعض ذلك والخليل دعا به فقال فى دعائه لذريته (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) ولما ولد اقترن بمولده من الآيات ماهو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة وكان يحصل له فى مدة نشأته من الآيات والدلائل امور كثيرة قد ذكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها. ومثل ما شوهد من أحواله في صغره واما انتصار الله له ولاتباعه واعلاء ذكره ونشر لسان الصدق له واهلاك اعدائه واذلال من يحاده ويشاقه واظهار دينه على كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان فهذا مما يطول وصف تفصيله قال تعالى (قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) وقال تعالى (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار) والانبياء صلوات الله عليهم واتباعهم المؤمنون وان كانوا يبتلون في اول الامر فالعاقبة لهم كما قال تعالى لما قص قصة نوح (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل

النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان المشركون حينئذ اعداءه لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب بينكم وبينه؟ قالوا الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة وندال عليه الاخرى • فقال كذلك الرسل تبتلي وتكون لها العاقبة • فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنين ثم لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الاسلام . فان قيل فمن الانبياء من قد قتل كما أخبر الله ان بنى اسرائيل يقتلون النبيين بغير حق وفي اهل الفجور من يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه علي المتدينين كما سلط بخت نصر على بنى اسرائيل وكما سلط كفار المشركين واهل الكتاب احيانا على المسلمين قيل اما من قتل من الانبياء فهم كمن يقتل من المومنين في الجهاد شهداً) قال تعالى (وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) ومعلوم ان من قتل من المؤمنين شهيدا فى القتال كان حاله اكمل من حال من يموت حتف انفه قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) ولهذا قال تعالى (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) أي أما النصر والظفر وأما الشهادة والجنة ثم الدين الذى قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة • من قتل منهم كان شهيدا ومن عاش منهم كان منصوراً سعيدا وهذا غاية

ما يكون من النصر اذ كان الموت لابد منه فالموت على الوجه الذي تحصل بها سعادة الدنيا والآخرة اكمل بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لافي الدنيا ولا في الآخرة . والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم وفعلوا الاسباب التي بها قتلوا كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت اما انهم قصدوا الشهادة واما انهم قصدوا مابه يصيرون شهداء عالمين بان لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وببقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وقيل فيهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقد اخبر سبحانه ان كثيرا من الانبياء قتل معه ربيون كثير اي الوف كثيرة وانهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وان الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فاذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الانبياء ففيه لهم ولاتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين احيانا هو سبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فان تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار وهذا من آيات النبوة واعلامها ودلائلها فان النبي اذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم

الله واظهرهم على المخالفين له فاذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم
فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجودا وعدما من غير سبب
يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجودا وعدما من غير
مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بان المدار علة للدائر • وقولنا من غير
مزاحمة وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين
ان نصر الله واظهاره هو بسبب اتباع النبي وانه سبحانه يريد اعلاء
كلمته ونصره ونصر اتباعه على من خالفه وان يجعل لهم السعادة ولمن
خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وان من اتبعه كان سعيدا ومن
خالفه كان شقياً ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فانه من
دلائل نبوة موسى اذ كان ظهور بخت نصر انما كان لما غيروا عهود
موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود
موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما قال
تعالى (وقضينا الي بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين
ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس
شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة
عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم
ان يرحمكم وان عدتم عدنا) فكان ظهور بني اسرائيل على عدوهم تارة
وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم
وآياته وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور

عدوهم تارة هو من دلائل رسالة محمد واعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من اعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب احيانا فان أولئك لايقول مطاعهم اني نبي ولا يقاتلون اتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من أولئك ان يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون بانا انما نصرنا عليكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وايضا فلا عاقبة لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الانبياء واتباعهم وبين ظهور بعض الكفار على المومنين او ظهور بعضهم على بعض • وبين ان ظهور محمد وامته على اهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الاوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بنى اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين وهذه الاية مما اخبر بها موسى وبين ان الكذاب المدعي للنبوة لايتم امره وانما يتم أمر الصادق فان من اهل الكتاب من يقول محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك • وهذا قياس فاسد فان بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن فى ظهوره اتمام لما ادعاه من النبوة ودعااليه

من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة ودينا دعا اليه ووعد اهله بسعادة الدنيا والاخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والاخرة ثم نصره الله واظهره واتم دينه واعلا كلمته وجعل له العاقبة واذل مخالفيه فان هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها وقد يغرق فى البحر امم كثيرة فلا يكون ذلك دليلا على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فانه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما اخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من ان الكذاب لايتم امره وذلك بان الله حكيم لايليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير ان يبين كذبه ولهذا اعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الالهية بعض الخوارق كان معها مايدل على كذبه من وجوه . منها دعواه الالهية وهو أعور والله ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء . والله تعالى لايراه أحد حتي يموت وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الثلاث فى الاحاديث الصحيحة فاما تأييد الكذاب ونصره واظهار دعوته دائماً فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك ايضاً بالحكمة فحكمته تناقض ان يفعل ذلك اذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) فاخبر ان سنة الله التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين . والايمان المستلزم لذلك يتضمن

طاعة الله ورسوله فاذا نقص الايمان بالمعاصى كان الامر بحسبه كما
جرى يوم احد وقال تعالى واقسموا الله جهد ايمانهم لئن جآءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً
استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله
فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة
الله تحويلا) فاخبر ان الكفار لا ينظرون الا سنة الاولين ولا يوجد
لسنة الله تبديل لاتبدل بغيرها ولا تحول فكيف النصر للكفار على
المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم؟ وكذلك قال فى المنافقين وهم الكفار
فى الباطن دون الظاهر ومن فيه شعبة نفاق (لئن لم ينته المنافقون والذين
فى قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التى قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) والسنة هى العادة فهذه عادة الله
المعلومة فاذا نصر من ادعى النبوة واتباعه على من خالفه اما ظاهراً
واما باطنا نصراً مستقراً فان ذلك دليل على انه نبي صادق اذ كانت
سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالانبياء الصادقين على الكافرين
والمنافقين كما ان سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها • ومن ادعي
النبوة وهو كاذب فهو من اكفر الكفار واظلم الظالمين قال تعالى (ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء
ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) وقال تعالى (فمن أظلم ممن كذب على
الله وكذب بالصدق اذ جاءه) وقال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا) أو كذب بالحق لما جاء وقال تعالى ومن ظلم ممن افترى على الله

كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين) ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال ان الله يملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) وقال ايضاً في الحديث الصحيح عن ابى موسى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة وتميلها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الارز لاتزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وان عظمت دولته فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له فى العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعا كدولة الاسود العنسى ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم • وأما الانبياء فانهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فان الله انما يمكن العبد اذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه اي فراخه فآزره أي قواه فاستغلظ فاستوى على سوقه اى قوايمه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الامور وسنة الله فى أوليائه وانبيائه الصادقين وفي اعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين

دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبي الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) وقال تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب) وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً يوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا يعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(فصل) ومما ينبغي ان يعرف ان الادلة نوعان نوع يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه • ونوع يحض مع ذلك على الرغبة فيه أو الرهبة منه فالاول من جنس الخبر المجرد • والثاني من جنس الحث والطلب والارادة والامر بالشيء والنهى عنه وذلك كمن علم ان في المكان الفلاني جمادات أو حيوانات أو نبات ليس له فيها غرض لاحب ولا بغض فليس هو بمنزلة من علم ان في المكان الفلاني صديقه وولده ومحبوبه وماله وأهله وأهل دينه وفى المكان الفلاني عدوه ومبغضه ومن يقطع عليه الطريق ويقتله ويأخذ ماله • فكذلك دلائل النبوة هى كلها تدل على

صدق النبي ثم يعلم مايخبر به النبي من الامر والنهي والوعد والوعيد لانه اخبر عن الله بذلك وهو صادق فيما يخبر به فهذا طريق صحيح عام واما اثبات نبوة الانبياء بما فعله بهم وباتباعهم من النجاة والسعادة والنصرة وحسن العاقبة وما جعله لهم من لسان الصدق ومافعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب وسوء العاقبة واتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة فهذا يدل مع صدق الانبياء على الرغبة في اتباعهم والرهبة من مخالفتهم ففيه العلم بصدقهم والموعظة للخلق والوعظ هو امر ونهي بترغيب وترهيب قال تعالى (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتاً واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطاً مستقيما) اى ولو انهم فعلوا مايوعظون به ومايؤمرون به وقال (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً ان كنتم مؤمنين) اى ينهاكم الله ان تعودوا لمثله وهذه الطريق اكمل وابلغ في حصول المقصود فانها تفيد العلم بصدقهم والرغبة في اتباعهم والرهبة من خلافهم وتفيد ثبوت صحة الدين الذي دعوا اليه وسعادة اهله وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة اهله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المجامع الكبار كصلاة العيد بقاف واقتربت الساعة لما فيهما من بيان ذلك وسورة قاف كان يقراء بها في الجمعة فانها جامعة لاثبات النبوات والمعاد مع مافيها من التوحيد واصول الشرائع وبيان حال متبعي الانبياء ومخالفيهم في الدنيا كما قال تعالى فيها (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كلٌ كذب الرسل فحق وعيد

(فصل) ومما ينبغي ان يعلم ان الله اذا ارسل نبياً وأتى بآية دالةعلى صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآية ثانيةلم تجب اجابته الى ذلك بل وقد لاينبغي ذلك لانه اذا جاء باية ثانية طولب بثالثة واذا جاء بثالثةطولب برابعة فانطلب المتعنتين لاامد لهومعلوم انه من قامت عليه حجة بينة فى مسئلةعلم او حق من حقوق العباد التي تخاصمون فيها لو قال انا لا اقبل حتى تقوم عليه حجة ثانيةوثالثة كان ظالماًمتعدياً ولم تجب اجابته الى ذلك ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك بل اذاقامت البينة بحق المدعى حكم له بذلك ولو قال المطلوب اريد بينة ثانيةوثالثة ورابعة لم يجب الى ذلك • فحق الله الذي اوجبه على عباده من توحيده والايمان به وبرسله أولى اذ اقام بينة اوجبت على الخلق الايمان برسله ان لايجب اجابة الطالب الى ثانية وثالثة ثم قد يكون فى تتابع الايات حكمة فيتابع تعالى بين الايات كما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بايات متعددة لعموم دعوته وشمولها فان الادلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان اوكد واظهر وايسر لمعرفة الحق فقد يعرف دلالة احد الادلة من لايعرف الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذاوقد يرسل الانبياء بايات متتابعة ويقسى قلوب الكفار عن الايمان لتتابع الايات اية بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيكون ذلك سبباً لايمانهم كما فعل بايات موسي وآيات محمد كما ذكر فى التوراة انه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياتهوكما صدالمكذبين عن الايمان بمحمد حتي يعارضوه ويمانعوه ويسعوا فى معارضته والقدح فى آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام

ظهور آياته وبراهينه بخلاف مالو اتبع ابتداء بدون ذلك فانه قد كان يظن انهم قادرون على معارضته وكذلك ايضاً يكون في ذلك من يقينه وصبره وجهاده ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ماينالون به عظيم الدرجات فى الدنيا والآخرة وقد تقتضى الحكمة ان لا يرسل بالآيات التى توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله فى كتابه من ان الكفار كانوا يقترحون على الانبياء آيات غير الآيات التى جاؤا بها فتارة يجيبهم الله الى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة وتارة لا يجيبهم لما في ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور اهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون انه يفعل للحكمة ومن لم يعلل افعاله يرد ذلك الى محض المشيئة ويقول اقترن بالمراد المصلحة والمفسدة عادة وسنة من الله وان لم يفعل هذا لهذا وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبة منه فى ايمانهم بها فيجاب بان الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم اقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما فعل بفرعون وابى لهب وغيرهما لما فى ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد تبين انه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها او لوجود المفسدة قال تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وقال تعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات

الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الاتخويفاً) بين سبحانه انه انما منعه ان يرسل بالآيات الا تكذيب الاولين بها الذى استحقوا بها الهلاك فاذا كذب بها هولاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال وهذا المعنى مذكور فى عامة كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالاسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بأحسان فقد ذكر المفسرون مارواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهباً وان ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا قال فقيل له ان شئت تستأني بهم نجتبي منهم وان شئت ان نؤتيهم الذي سألوا فان كفروا اهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال لا بل استأني بهم فانزل الله هذه الآية(وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون رواه أحمد والنسائي من حديث جرير عن الاعمش وروى الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى أنبأنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن لك قال وتفعلون ؟ قالوا نعم • قال فدعا فاتاه جبريل فقال ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت أصبح الصفا لهم ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين • وان شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة • قال بل باب التوبة والرحمة • وروى ابن ابي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن يعنى البصرى في قوله (وما منعنا ان نرسل بالآيات

الا ان كذب بها الاولون (قال رحمة لكم أيتها الامة انا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها اصابكم ما أصاب من قبلكم • وفى الانجيل ان اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح الامة الفاجرة تطلب آية ولا تعطى الا مثل آية يونان يعنى ذا النون وقد كانت الآيات يأتى بها صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا يؤمنون بها قال تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم وما تأتيهم من ايات الا اعرضوا عنها وانهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ماجاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هى تكذيب الرسول فان الله يقول وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) واخبر بشدة عن قوة كفرهم بأنه لو انزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين وبين سبحانه انه لو جعل

الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل اذ كانوا لايطيقون ان يروا الملائكة فى صورهم وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم ان الرسول بشر لا ملك وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجير او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وهذه الآيات التي اقترحوها لو اجيبوا بها ولم يؤمنوا بها آتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم . وأيضاً نهى مما لا يصلح الاتيان بها فان قولهم حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا يقتضى تفجير الينبوع بأرض مكة فيصير واديا ذا زرع والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذى زرع لئلا يكون عنده ماترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله واذا كان له جنة من نخيل واعناب ففجر الانهار خلالها تفجيرا كان في هذا من التوسع فى الدنيا مايقتضى نقص درجته وانخفاض منزلته . وكذلك اذا كان له بيت من زخرف والزخرف الذهب وأما اسقاط السماء كسفاً فهذا لا يكون الى يوم القيامة وهو لم يخبرهم ان هذا يكون الا يوم القيامة . فقولهم كما زعمت كذب عليه الا ان يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسدا وأما الاتيان بالله والملائكة قبيلا فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه اخذتهم الصاعقة قال تعالى (واذ قلتم ياموسى لن

نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثنا كم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) واما انزال الكتاب فقد قال تعالى (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظاً فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاو بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربى وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً اليما) بين سبحانه ان المشركين سألوه انزال كتاب وان اهل الكتاب سألوه ذلك وبين سبحانه ان الطائفتين لايؤمنون اذا جاءهم ذلك وانما سألوه تعنتاً فقال عن المشركين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • وذكر عن اهل الكتاب انهم سألوا موسى اكبر من ذلك وهو رؤية الله جهرة فقال (يسألك اهل

الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وانهم عبدوا العجل لما قال ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وان الله آتى موسى سلطاناً مبيناً ورفع الطور فوقهم وقال لهم لاتعدوا في السبت واخذ منهم ميثاقا غليظاً كما قال وآتينا موسى سلطاناً مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظاً وانهم مع هذا نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا النبيين بغير حق الى امثال ذلك وانه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات احلت لهم فكان في هذا من الاعتبار لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة المكذبة بك الذين لايهتدون اذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها لم يك في مجيئها منفعة لهم بل فيها مايوجب استحقاقهم عقوبة الاستئصال اذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها وتلك وتغليظ الامر عليهم فكان ان لاينزل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال اعظم رحمة وحكمة وقد عرض الله على محمد صلى الله عليه وسلم ان يهلك قومه لما كذبوه فقال بل استأني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً كما في الصحيحين عن عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان اشد عليك من يوم أحد؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان اشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت على وجهي وانا مهموم فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فاذا فيها جبريل فناداني

فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .فناداني ملك الجبال فسلم علي وقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعثني اليك لتأمرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين؟ فقال بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً اخرجاه ولهذا لما طلب من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذبه احدا من العالمين قال تعالى (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مومنين قالوا نريد ان نا كل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لا ولنا وآخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلا يهلك الله جميع المكذبين كما اهلك قوم نوح وكما اهلك عاداً وثمود واهل مدين وقوم لوط وكما اهلك قوم فرعون واظهر آيات كثيرة لما ارسل موسي ليبقى ذكرها وخبرها في الارض اذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك امة بعذاب الاستئصال بل قال تعالي (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس بل كان بنوا اسرائيل لما يفعلون مايفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم اذ كانوا لم يتفقوا على الكفر ولهذا لم تزل في الارض أمة من بنى اسرائيل باقية قال تعالى

لما ذكر بني اسرائيل (وقطعناهم في الارض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقد قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) فكان من حكمته ورحمته سبحانه وتعالى لما ارسل محمدا ان لايهلك قومه بعذاب الاستئصال كما اهلكت الامم قبلهم بل عذب بعضهم بدون ذلك من انواع العذاب كما عذب طوائف ممن كذبه بانواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون فعذب الله كل واحد بعذاب معروف وكالذى دعى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فكان يحترس بقومه فجاءه الاسد فتخطى الحلقة حتى اخذه من وسطها فقتله وامثال ذلك مما هو موجود الى زماننا هذا وقال تعالى للكفار قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا) فاخبر انه يعذب الكفار تارة بعذاب من عنده وتارة بايدى عباده المؤمنين بالجهاد واقامة الحدود وتارة بعذاب غير ذلك فكان يعذبهم بمثل هذه الاسباب مما يوجب ايمان اكثرهم كما جرى لقريش وغيرهم فانهم لما كذبوه لو اهلكهم كما اهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة به عنهم ولم يبق لهم ذرية تؤمن به بخلاف ما اذا عذب بعضهم بانواع من العذاب ولو بالهزيمة والاسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فان فى هذا من اذلالهم وقهرهم مايوجب

عجزهم مع بقاءهم والنفوس اذا كانت قادرة على كمال اغراضها فلا تكاد
تنصرف عنها بخلاف ما اذا عجزت عن كمال اغراضها فان ذلك مما يدعوها
الى التوبة كما يقال من العصمة ان لاتقدر فكان ما وقع بهم تعجيزا
وزاجرا وداعياً الى التوبة ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك لم يقتل منهم الا
قليل وهم صناديد الكفر الذين كان احدهم فى هذه الامة كفرعون
في تلك الامة كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أبي جهل
هذا فرعون هذه الامة • وقد ذكر الله لموسى في التوراة انى اقسى قلب
فرعون فلا يؤمن بك لاظهر اياتي وعجائبي • بين ان في ذلك من الحكمة
انتشار آياته الدالة على صدق انبيائه في الارض اذ كان موسى قد اخبر
بتكليم الله له وبكتابة التوراة له فاظهر الله من الآيات ما يبقى ذكرها
فى الارض وكان فى ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون ما اوجب ان
اهلكه وقومه اجمعين وفرعون كان جاحدا للصانع منكرا لربوبيته
لايقر به فلذلك أتى من الآيات بما يناسب حاله • واما بنوا اسرائيل مع
المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الاول فلم يحتاجوا الى مثل ما احتاج
اليه موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجا الى تقرير جنس
النبوة اذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثبت ذلك وقومه كانوا مقرين
بالصانع وانما كانت الحاجة داعية الى تثبيت نبوته ومع هذا فاظهر الله
على يديه من الآيات مثل آيات من قبله واعظم ومع هذا فلم يأت
بآيات الاستئصال التى يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما استحقه
قوم فرعون وهود وصالح وشعيب وغيرهم فلهذا يبين الله فى القرآن
ان هذه الآيات اذا جاءت لاتنفعهم اذ كانوا لايؤمنون بها ولكن تضرهم

اذ كانوا يستحقون عـذاب الاستئصال اذا كذبوا حينئذ ومع وجود المانع وعدم المقتضي لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة ومن لم يعلل فلا يطلب سبباً ولا حكمـة أو يطلب سبباً بلا حكمة بل يرد الامر الى محض المشيئة قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وهو يعلم ان قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الاولين فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وقال تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وقال تعالى عن اهـل الكتاب (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وقال تعالى (اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر) ذكر هذا فى سورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر واعراضهم عن الآيات وقولهم هذا سحر مستمر وتكذيبهم واتباع اهوائهم فقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل أمر مستقر ثم قال ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر) اي من أنباء الغيب وما اخبر به مافيه مزدجر اى مايزجرهم عن الكفر اذ كان في تلك الانباءآت بيان صدق الرسول والانذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ولهذا يقول عقيب القصة فكيف كان عذابى ونذر اى كيف كان عذابى لمن كذب

رسلي وكيف كان انذاري بذلك قبل مجيئهم يبين صدق قوله الذي
اخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم ثم ذكر قصة المكذبين كنوح
وهود وصالح ولوط الى قوله ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا باياتنا
كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر)فان قوم فرعون كذبوا بجميع آيات
موسى وجميع آيات الانبياء قبله وكذبوا بالآيات الدالة على وجود
الرب وقدرته ومشيئته اذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا
باياته كلها ثم قال اكفاركم ايتها الامة التي أرسل فيها محمد خير من
اولئكم الذين كذبوا نوحا وهودا وصالحا ولوطا وموسى ام لكم براءة
في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر وذلك ان كونكم لا تعذبون
مثل ماعذبوا اذا كذبتم اما ان يكون لكونكم خيراً منهم فلا
تستحقون مثل ما استحقوا اولكون الله اخبر انه لا يعذبكم فتكون
لكم البراءة فى الزبر فتعلمون ذلك بخبره بان مايفعله الله تارة يعلم
بخبره وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله . فاما ان تكونوا علمتم هذا
من هذا الوجه أو من هذا الوجه هذا ان نظر الى فعل الله الذي
لاطاقة للبشر به وان نظر الى قوة الرسول واتباعه فيقولون نحن جميع
منتصر فانهم اكثر ومنتصر اقوى من محمد واتباعه كما قال تعالى واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير
مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئياً
أى اموالا ومنظرا فقال تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر أخبر بهزيمتهم
وهو بمكة في قلة من الاتباع وضعف منهم ولا يظن احد بالعادة المعروفة
ان أمره يظهر ويعلو قبل ان يهاجر الى المدينة وقبل ان يقاتلهم وكان

كما اخبر فانهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا الادبار وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين قال تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لايجدون ولياً ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وحيث ظهر الكفار فانما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص ايمانهم ثم اذا تابوا فكمل ايمانهم نصرهم الله كما قال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم) فاذا كان من تمام الحكمة والرحمة ان لايهلكهم هلاك الاستئصال كما اهلك المكذبين وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال كما اهلك الامم قبلهم كما قال اكفاركم خير من أولئكم كان ان لا يأتي بما يوجب عذاب الاستئصال مع اتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة اكمل في الحكمة والرحمة اذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدى والبيان والحجة على من كفر وما امتنع منه دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما اوجب بقاء جمهور الامة حتى يتوبوا ويؤمنوا ويهتدوا فكان في ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة مالم يكن في رسالة رسول قبله صلوات الله عليهم اجمعين والحمد لله رب العالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين

(فصل) جماع الكلام في النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر فان قول القائل اني رسول الله اليكم خبر من الاخبار وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته الينا هو بالاخبار. والخبر تارة يكون مطابقا لمخبره

كالصدق المعلوم انه صدق وتارة لا يكون مطابقاً لمخبره كالكذب المعلوم
انه كذب وغير المطابق مع التعمد كذب ومع اعتقاد انه صدق لم يكن
معذورا كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ والمحدث بلا علم يسمى كاذباً أيضاً
كقوله صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل ابن بعكك وقوله
لمن قال بطل عمل عامر بن الاكوع لما قتل نفسه خطأ كذب من
قال ذلك انه لجاهد مجاهد • وقد تكون المطابقة فى عناية المتكلم وقد يكون
فى افهام المخاطب اذا كان اللفظ مطابقاً لما عناه المتكلم ولم يطابق افهام
المخاطب فهذا ايضاً قد يسمي كذباً وقد لا يسمى ومنه المعاريض لكن
يباح للحاجة وان كان الخبر لم يحصل به المقصود بل يكون مأمورا
بالسكوت عنه الا مع البينة فقد يسمى كاذباً كقوله تعالى لولا جاؤا عليه
باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) والمقصود
هنا ان الخبر قد يعلم انه صدق وقد يعلم انه كذب وقد لا يعلم واحد
منهما والعلم بانه صدق له معنيان احدهما ان يعلم انه مطابق لمخبره من
غير جهة المخبر كمن اخبرنا بامور نعلم انها حق بدون خبره • والثانى ان
يعلم ان المخبر به صادق فيه وقد يجتمع الامران بان يعلم ثبوت ما اخبر
به ويعلم انه صادق فيه وقول محمد اني رسول الله هو من هذا الباب كما
سنبينه ان شاء الله وكذلك كونه كذبا قد يراد به انه على خلاف مخبره
وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب وقد يعني به ان صاحبه يتعمد الكذب
ولهذا كانت الاحاديث المعلوم بطلانها على نوعين تارة يعلم ان صاحبها
تعمد الكذب • وتارة يكون قد غلط والصحابة لم يعرف فيهم من يتعمد
الكذب على النبي صلي الله عليه وسلم وكذلك جمهور التابعين لم يعرف

فيهم من كان يتعمد الكذب ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف انه كان فيها من يتعمد الكذب بخلاف غيرهم من اهل الاهواء كالخوارج فانه لم يكن فيهم من يعرف بالكذب بل يقال هم من اصدق الناس حديثاً والرجل الفاسق المعروف انه يكذب لابد ان يصدق فى بعض اخباره ولا يكون في الناس من لايخبر الا بكذب ولهذا قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وفي القراءة الاخرى فتثبتوا فامر بالتبين والتثبت اذا اخبر الفاسق بخبر ولم يأمر بتكذيبه بمجرد اخباره لانه قد يصدق احياناً ولما أمر سبحانه بالتبين والتثبت في خبر الفاسق دل ذلك على انه لايجوز تصديقه بمجرد اخباره اذ كان فاسقاً فقد يكذب ولا يجوز ايضاً تكذيبه قبل ان يعرف انه قد كذب وان كان فاسقاً لان الفاسق قد يصدق وهذا كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا) فامرهم بالتبين والتثبت فى الجهاد وان لايقولوا للمجهول حاله لست مؤمناً يبتغون عرض الحياة الدنيا فيكون اخبارهم عن كونه ليس مؤمنا خبرا بلا دليل بل لهواء انفسهم ليأخذوا ماله وان كان ذلك فى دار الحرب اذا القى السلام وفي القراءة الاخرى السلم فقد يكون مؤمناً يكتم ايمانه كما كنتم انتم من قبل مؤمنين تكتمون ايمانكم فاذا القى اليكم السلام فذكر انه مسالم لكم لامحارب فتبينوا وتبتوا لاتقتلوه ولا تأخذوا ماله حتى تكشفوا امره هل هو صادق ام كاذب وهذا خبر يتضمن دعوى له فان المدعى مخبر والمنكر مخبر والشاهد مخبر والمقر مخبر وكما

نهاهم عن تكذيب المدعى بلا علم نهاهم عن تصديق المنكر المتهم الذي
يرمي البريء بلا حجة وتبرئته وتزكيته بلا علم فقال تعالى (انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم ان الله لايحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله
بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ أو يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فانما يكسبه على
نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او إثما ثم يرم به بريئاً
فقد احتمل بهتاناً وإثما مبيناً ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما) وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامى لمن عرف منه
الخير فقال (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا
هذا افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بافواهكم
ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه
قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) وقد قال تعالى
ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان

عنه مسئولا) وهـذا نهى عن التكلم بلا علم وهو عام في جميع انواع الاخبار وهو يتناول ما اخبر به الانسان وما قد يعتقده بغير الاخبار من الدلائل والآيات والعلامات ليس له ان يتكلم بلا علم فلا ينفي شيئاً الا بعلم ولا يثبته الا بعلم ولهذا كان عامة العلماء على ان النافي للشيء عليه الدليل على ماينفيه كما ان المثبت للشيء عليه الدليل على ثبوته وحكى عن بعض الناس انه قال النافي ليس عليه دليل وفرق بعضهم بين العقليات والشرعيات فاوجبه في العقليات دون الشرعيات وهؤلاء اشتبه عليهم النافي بالمانع المطالب فان من اثبت شيئاً فقال له آخر انا لا اعلم هذا ولا أوافقك عليه ولا اسلمه لك حتى تأتي بالدليل كان هذا مصيبا ولم يكن على هذا المانع المطالب بالدليل دليل وانما الدليل على المثبت بخلاف من نفى ما اثبته غيره فقال له قولك خطأ والصواب في نقيض قولك ولم يكن هذا كذا فان هذا عليه الدليل على نفيه كما على ذلك المثبت الدليل على اثباته واذا لم يأت واحد منهما بدليل كان كلاهما متكلما بلا حجة ولهذا كان من اثبت شيئاً أو نفاه وطلبت منه الحجة فلم يأت بها كان منقطعاً في المناظرة واذا اعترض المعترض عليه بممانعة أو معارضة فاجاب عنها انقطع المعترض عليه وثبت قول الاول وان لم يجب عن المعارضة انقطع المستدل اذا كان الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم ولو اقام دليلا قطعياً فعورض بما لا يفيد القطع كان له ان يقول ماذكرته يفيد العلم والعلم لا يعارضه الظن والبينات لا تعارض بالشبهات التي هي من جنس كلام السوفسطائية فهو سبحانه نهى عن الكلام بلا علم مطلقا وخص الكلام على الله بقوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي

بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله مالا تعلمون) ونهى عن اتباع خطوات الشيطان واخبر انه يامر بالقول على الله بلا علم فقال (يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وكذلك ذم من يجادل ويحاج بلا علم كقوله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير) وقال (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) وقال تعالى ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لاتعلمون وقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا يتناول خبر كل فاسق وان كان كافرا لايجوز تكذيبه الا ببينة كما لايجوز تصديقه الا ببينة وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم . وفي رواية فاما ان يحدثوكم بحق فتكذبوه واما ان يحدثوكم بباطل فتصدقوه وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة من امساك الانسان عما لايعلم انتفاؤه وثبوته هو مأثور عن غيره من الانبياء كما جاء عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه . وعامة عقلاء

بني آدم على هذا ولهذا لايجوز ان يصدق بخبر منقول عن الرسول أو غيره الا بدلالة تدل على صدقه ولا يجوز ان يكذبه الا بدلالة تدل على كذبه وعلى هذا العلم والدين وقد تكلم العلماء وصنفوا كتباً كثيرة في الجرح والتعديل في الرجال والاحاديث فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط فهذا هو العدل المقبول خبره . ومنهم من يكون صدوقا لكنه قد لايحفظ ولا يضبط فيقولون فى مثل هذا هو صدوق تكلم فيه من قبل حفظه . ومنهم من عرف بالكذب واذا روى الحديث من هو سيء الحفظ أو من قد يكذب لم يحكموا بذلك الحديث ولم يثبتوه . ثم تارة يقوم الدليل على كذبه وتارة يتوقفون فيه لايعلمون اصدق ام كذب ومثل هذا لايعتقد ولا يثبت ولا يحتج به كالشاهد الذي شهد للمدعي وليس بعدل مرضي أو هو خصم او متهم ظنين فهذا اذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معنى ذلك الحكم بكذبه او خطائه بل معنى ذلك انه لاتقوم به حجة ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه . والمدعى عليه اذا كان صاحب يد أو ذمته بريئة فمعه حجة ترجح جانبه وقد ضم اليها الشارع اليمين كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه فاذا لم يكن مع المدعي الا مجرد دعواه فجانب المنكر اقوى من جانبه لان معه ان الاصل في الايدى أنها محقة والاصل براءة الذمة ولكن قد يكون المدعى صادقا ولا يكون له حجة وهذا كثير جدا فلا يدفع بمجرد الاصل بل يحلف المنكر فيكون يمينه مع الاصل حجة فيكون انكار هذا مقابلا لدعوى هذا كلاهما خبر

لم يعلم صدقه فتعارضا ويرجح المنكر بالاصل فيبقى على ما كان لا يسلم للمدعي ما أدعاه بمجرد دعواه ولا تنقطع مطالبته للمدعى عليه لانه لم يأت بحجة تدفعه فاذا حلف المنكر كانت يمينه حجة فصلت الخصومة وقطعت الدعوى • واذا لم يأت المنكر باليمين بل نكل عنها ولا اتى المدعي بحجة وقف الامر عند أكثر العلماء • وعند بعضهم يقضى على المنكر بالنكول فيجعل نكوله اما بدلا لماطلب واما اقرارا به • والا كثرون يقولون بل يرد اليمين على المدعي الطالب الذى يقول انه يعلم صدق نفسه فيما ادعاه وانه عالم بما ادعاه فيقال له احلف وخذ فان حلف أخذ والا دفع • ثم من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوى • ومنهم من يحكم بالنكول فان كان المنكر يقول لا اعلم ما أدعى به وكل من الطائفتين يذكر آثاراً عن الصحابة • والمنقول عن الصحابة يدل على التفصيل وهو أظهر الاقاويل وهو انه ان كان المنكر هو العالم دون المدعي كما اذا ظهر في المبيع عيب وقد بيع بالبراءة فقال المشتري انا لم اعلم به فانه هنا يقال له كما قال عثمان بن عفان لابن عمر رضى الله عنهما احلف انك بعتــه وما به ذا يعلمه فان حلف والا قضى عليه بالنكول كما قضى عثمان على ابن عمر بالنكول عليه • وان كان المدعي يقول انه يعلم ما ادعى به كمن ادعى على آخر ديناً أو عيباً فقال انا لا اعلم ما ادعيته احلف وخذ فانه يقال له كما قال عمر ابن الخطاب انصفك خصمك احلف وخذ • فان لم يحلف لم يعط شيئاً والبينة في الدعاوى عند اكثر العلماء هي ماتبين الحق وتظهره وتوضحه كالدليل والآية والعلامة فمتى ترجح جانب أحدهما حلف مثل ان يقيم المدعي شاهداً فانه يحلف مع شاهده ويقضى له بشاهد ويمين كما

مضت به سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو قول أكثر العلماء ومنهم من يقول اليمين دائماً في جانب المدعى عليه وكذلك لو كان في دعوى القتل لوث ولطخ وشبهة وهو علامات ترجح جانب المدعي فان أولياء المقتول يحلفون خمسين يميناً ويقضى لهم بذلك عند أكثر العلماء كما مضت بذلك السنة وكذلك في اللعان اذا حلف الزوج وشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ووكدها بالخامسة فقد اقام بينة على دعواه فان التعنت المرأة وشهدت أربع شهادات مؤكدة بالخامسة انه كاذب تعارضت البينتان والشهادتان فلم يحكم بقول واحد منهما لا يحكم بانه قاذف ولا يحكم بانها زانية • وان نكلت فلم تحلف فأكثر العلماء يقولون يحكم بانها زانية وتعذب على ذلك كما دل عليه القرآن لانه اجتمع شهادة الزوج ونكولها عن المعارضة كما اجتمع في القسامة العلامة والايمان وكما اجتمع الشاهد واليمين وكما اجتمع في جانب المنكر الاصل واليمين فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة وبسطه له موضع آخر • والمقصود هنا ان الخبر ان قام دليل على صدقه او كذبه والا بقي مما لم نصدقه ولم نكذبه وأهل العلم بالحديث اذا قالوا هذا الحديث رواه فلان وهو مجروح أو ضعيف أو سيء الحفظ أو ممن لم تقبل روايته ونحو ذلك فهو كقول القائل هذا الشاهد مجروح أو سيء الحفظ أو ممن لا تقبل شهادته وهذا يفيد انه لا يحكم به ولا يفيد الحكم بأنه كاذب بل قد يمكن انه صادق فلا يقال انه كاذب الا بحجة • وان قالوا عن الحديث انه ضعيف فهذا مرادهم اى انه لم يثبت ولا يحتج به ولا يجوز الحكم بصدقه ليس مرادهم انه بمجرد ذلك يحكم بكذب الناقل وينفي مانقله ويقول

ان هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي بل ان قام دليل على انتفاء ما اخبر به حكمنا بذلك والا سكتنا لم ننفه ولم نثبته فهذا اصل يجب معرفته فان كثيرا من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه وبين مالم يثبته لعدم دليل اثباته بل تراهم ينفون مالم يعلموا اثباته فيكونون قد قفوا ما ليس لهم به علم وقالوا بأفواههم ماليس لهم به علم وهذا كثير في أهل الاستدلال والنظر وأهل الاسناد والخبر فمن الاولين طوائف يطلبون الدليل على ثبوت الشيء فاذا لم يجدوه نفوه ومعلوم ان عدم العلم ليس علماً بالعدم • وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود الا اذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك اما بعلم او ظن غالب فمن هؤلاء من يقول في صفات الله مالم يقم دليل قطعي على اثباته والا وجب القطع بنفيه لان صفات الله لا تثبت الا بالقطع • وخالفهم في ذلك جمهور الناس وقالوا كما لا يجوز القطع في الاثبات الا بدليل قطعي فلا يجوز القطع في النفي الا بدليل قطعي على النفي فكما لم يجز ان يثبت الا بعلم فلا ينفي الا بعلم • والنافي عليه الدليل كما على المثبت الدليل قال هؤلاء هذه المسائل مبناها على القطع فانه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن فاذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي • فقيل لهم هذا حجة عليكم فانكم اذا نفيتم مالم تعلموا نفيه تكلمتم بالظن واذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم في القطعيات بلا قاطع نفيا كان الكلام او إثباتاً وليس يعلم في الادلة الشرعية أو العقلية ان كل مالم يقم دليل سمعي او عقلي على اثباته فانه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم • ومن هنا اخطأ كثير من النظار في نفي كثير من صفات الرب وأحكامه

وأفعاله حيث لم يعلموا دليلا قطعياً يثبتها فنفوها وكانت ثابتة فى نفس الأمر وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي يثبتها ولو قدر عدم علم الناس كلهم بها فلله علم لم يعلمه العباد ولله اسماء استأثر بها في علم الغيب عنده لم يعلمها الناس وليس اذا لم يعلم ثبوت الصفة يجب ان يعلم انتفاؤها بل قد يظن ثبوتها أو انتفاؤها وقد يشك في ذلك فلا يعلم ولا يظن واحدا منهما • والواجب على الانسان ان يقول لما يعلمه اعلمه ولما يظنه اظنه ولما يشك فيه اشك فيه والله تعالى لم يوجب على الانسان ان يقطع بانتفاء شيء إن لم يعلم انه منتف فمن قال انه اوجب علينا القطع بانتفاء مالم نقطع بثبوته ولا انتفائه فقد غلط وهذا بخلاف ما يناقض صفات الاثبات فان هذا يجب نفيه عن الله فقد علم بالادلة العقلية ان الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص مثل انه حي قيوم بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه خالق كل شيء وربه ومليكه وانه غني عن كل ماسواه بكل وجه • فكل من قال قولا يناقض هذا علم انه باطل كالذين قالوا ان له شريكا أو ولداً أو انه يشفع عنده الشفعاء بغير اذنه ونحو ذلك مما يناقض الكمال المعلوم له • وما كان من الامور مستلزما لوازم لو كان موجوداً فانه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم كالامور التي لو كانت موجودة لوجب ان ينقل نقلا متواتراً شائعاً فانه يقول بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم كما لو قال قائل انه بنى بين العراق والشام أو بين الحجاز والشام مدينة أعظم من بغداد والموصل وأصبهان ومصر دورها ثلاثة أيام ونحو ذلك فانه يعلم كذبه فان هذا مما تتوفر همم الناس على نقله لو كان موجوداً فاذا

لم يستفض هذا وينتشر علم ان المخبر به كاذب • وكذا لو ادعي مدع انه يوم الجمعة أو العيد قتل الخطيب ولم يصل الناس يوم الجمعة ولم يستفض هـذا وينتشر أو ادعي انه قتل بعض الملوك علانيـة بين الناس ولم يستفض هذا ولم ينتشر او ادعي انه بعث نبي بين المسيح ومحمد صلي الله عليه وسلم أو بعد محمد جاء بكتاب مثل القرآن او الانجيل واتبعه خلق كثير وكذبه خلق كثير فانه يعلم كذب هذا اذ مثل هذا لابد ان يستفيض وينتشر وكذلك لو ادعى ان قريشاً أو غيرهم عارضوا القرآن وجاؤا بكتاب يماثل القرآن وانهم أظهروا ذلك وابطلوا به حجة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بكذبه لان مثل ذلك لو وقع لـكان مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله • وكذلك لو ادعي ان محمداً أمر بحج غير البيت العتيق أو أوجب صوم شهر غـير شهر رمضان أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى أو أمر بالاذان والاقامة لغـير الصلوات الخمس أو انه قال علانية بين الناس لابى بكر أو للعباس أولعلي أوغيرهم هذا هو الخليفة من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا او ان علياً دعا الى نفسه في خلافة الثلاثة وأمثال هـذه الامور التي لو وقعت لـكان لها لوازم فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ثم هذه اللوازم منها جلي ومنها خفي يعرفه الخاصة فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب احاديث لايقطع غـيرهم بكذبها لعلمهم بلوازم تلك الاحاديث وانتفاء لوازمها كما يقطع من يعلم مغازي النبي صلي الله عليه وسلم انه لم لم يقاتل في غزوة تبوك وان غزوات القتال انمـا كانت تسعة مغازى وانه لم يغز بنفسه الى اليمن ولا العراق ولا جاوز تبوك بعد النبوة وانه

لم يحج بعد الهجرة الا حجة الوداع ولم يصم الا تسع رمضانات وهكذا يعلمون ان فلانا اخطأ فى هذا الحديث على فلان لانهم قد علموا من وجوه ثابتة ان ذلك الحديث انما رواه على صورة معينة فاذا روى غير الثقة ماينافض ذلك علموا بطلان ذلك وانه أخطأ أو تعمد الكذب مثل مايعلمون كذب من زاد فى قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسبق الا في خف او حافر او نصل فزاد بعض الناس فيه او جناح لما رأى بعض الامراء عنده حماما فعلموا انه كذب تقربا الى ذلك الامير وكما يعلمون كذب من روى ان مسيلمة وقومه كانوا مؤمنين بالله ورسوله وانما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوه الزكاة فانهم قد علموا بالتواتر ان مسيلمة ادعي النبوة واتبعه قوم على ذلك وانه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يقول من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ويعلمون انه كان له مخاريق وانه ظهر كذبه من وجوه متعددة وان أبا بكر الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه في دعوى النبوة وقاتلوا قومه على ردتهم عن الاسلام واتباعهم متنبئاً كاذباً لم يقاتلوهم على كونهم لم يؤدوا الزكاة الى ابى بكر . وكذلك الاسود العنسى الذى ادعى النبوة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقتل في حياته كل منهما عرف كذبه بتكذيب النبي الصادق المصدوق لهما وبما ظهر من دلائل كذبهما مثل الاخبار الكاذبة التي تناقض النبوة ومثل الاتيان بقرآن مختلق يعلم من سمعه انه لم يتكلم الله به وانما هو من تصنيف الآدميين كما قال ابو بكر الصديق لهم لما تابوا من الردة

وعادوا الى الاسلام اسمعوني قرآن مسيلمة فلما اسمعوه اياه قال ويحكم اين يذهب بعقولكم ان هذا كلام لم يخرج من آل . اى لم يخرج من رب . ومثل ما كان يفعله ويأمر به من الفجور والكذب ومثل اطلاع أخص الناس على انه كان يكذب ويستعين بمن يختلق له الكذب ومثل انه كان يعدهم بان جبريل اخبره بانه سينصر فلما حقت الحقائق قال لهم انه لاجبريل لكم فقاتلوا على احسابكم الى أمثال هذه الامور التي تدل على كذب الكاذب . فالصدق له دلائل مستلزمة له تدل على الصدق . والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر الا بدليل وما لم يعلم صدقه ولا كذبه ولا ثبوته ولا انتفاؤه فانه يجب الامساك عنه ويقول القائل هذا لم اعلمه ولم يثبت عندي ولا اجزم به ولا احكم به واستدل به ولا احتج به ولا ابني عليه مذهبي واعتقادي وعملي ونحو ذلك . لا يقول هذا اقطع بكذبه وانتفائه وان كنت اقطع ان من أثبته تكلم بلا علم فالقطع بجهل مثبته المعتقد له غير القطع بانتفائه فمن قطع بشيء بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطئه وان لم يقطع بانتفاء ما اثبته في نفس الامر كمن حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت في خبره فمن حكم وقطع بخبره من غير دليل يدل على صدقه حكمنا بان هذا متكلم حاكم بلا علم وان لم يحكم بكذب الشاهد المخبر لكن لايجوز للانسان ان ينفي علم غيره وقطع غيره من غير علم منه بالاسباب التي يعلم بها ويخبر فانه كثيراً ما يكون للانسان دلائل كثيرة تدل على صدق شخص معين وثبوت أمر معين وان كان غيره لايعرف

شيئاً من تلك الدلائل وهذا أيضاً مما يغلط فيه كثير من الناس ينظرون في أنفسهم ومبلغ علمهم فاذا لم يجدوا عندهم مايوجب العلم بذلك الامر جعلوا غيرهم كذلك من غير علم منهم بانتفاء اسباب العلم عند ذلك الغير وقد يقيمون حججاً ضعيفة على ان غيرهم لايعلم ذلك مثل مايفعله كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار ومن لم يساوهم فى نظرهم وادلتهم وقوة اذهانهم لايعلم ماعلموه • وكثير من الناس يعلم بالاخبار والنقل والاستدلال بذلك اموراً كثيرة ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين والمخبر به وكمال معرفتهم بذلك لايعلم ماعلموه فلهذا كان لاهل النظر العقلي طرق لايعرفها اهل الاخبار • ولاهل الاخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد المعقول ولهذا كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته والاستدلال على ذلك أمور كثيرة لايعرفها أهل الحديث والآثار وعند هؤلاء من الاحاديث المتواترة عندهم والآثار المستفيضة عندهم ما يعلمون بها صدق الرسول وان كان اولئك لايعرفونها بل طرق معرفة الصانع وتصديق رسوله قد يكون لكل قوم منها طريق او طرق لايعلمها آخرون وهم مشتركون في الاقرار بالله وبرسوله ولكل قوم طرق وادلة غير طرق الآخرين وادلتهم بل ما تواتر عندهم من أحوال الرسول قد يكون المخبرون لهؤلاء الذين تواتر عندهم ما أخبروهم به من آياته وشرائعه غير المخبرين لاولئك كما كان الصحابة المخبرون لاهل الشام بآيات الرسول وبالقرآن وشرائع الاسلام غير الصحابة المخبرين لاهل العراق ولكن خبر هؤلاء يصدق خبر هؤلاء

وان كان كل من الطائفتين لا يعلم اعيان اولئك الذين أخبروا اولئك
وهكذا سائر العلوم قد يكون الذى علم هؤلآء الفقه او النظر أو
النحو أو الطب غير الذى علم هؤلآء وان اشترك الجميع فى جنس
الفقه والنظر والنحو والطب وعلم هؤلآء ماعلمه هؤلاء من الاعيان
والانواع مع ان طريق هؤلآء ليس طريق اولئك وان اشتركوا في
النوع • وعامة ما يعلمه الناس بالحس هو من هذا الباب فان الانسان
يحس بأحوال نفسه من جوعه وعطشه وشبعه وريه وحبه وبغضه
وشهوته ونفرته وألمه ولذته بل يحس بأعضائه كبطنه وفرجه ولا يحس
بأحوال غيره ولكن يشتركان فى الجنس العام فيشتركون فى جنس
الاحساس بجوعهم وشبعهم وقد يشتركون في غير مايحسونه كاشتراكهم
في رؤية الشمس والقمر والهلال والكواكب وقد غلط فى مثل هذا
طائفة من المتكلمين في المنطق اليونانى فزعموا ان العلوم التجريبية
والتواترية والحدسية ان جعلوها قسما غير التجريبية فان فيهم من يجعل
الحدسية نوعا من التجريبية • ومنهم من يجعلها جنسا آخر فزعم هؤلاء
ان هذه العلوم مختصة لاتقوم بها الحجة على من لم يعلمها دون الحسيات
والوجدانيات والعقليات وليس كذلك بل كما ان هذه تكون مشتركة تارة
ومختصة اخرى فكذلك الحسيات فان اهل كل زمان ومكان يعلمون
بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان وأحوال أهله ما لا يشركهم
فيه غيرهم وكذلك الوجدانيات فان من ابتلي بالغرائب فى الامور
السياسية والبدنية يعلم منها مالا يشركه فيه غيره • وكذلك العقليات فان
من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع فيعلم القدر المشترك الذى

هو الحد الاوسط ويعلم من تعلق الحكم به مالم يعلمه غيره • فاجناس العلوم وطرقها منها ماهو مختص • ومنها ماهو مشترك والمشترك منه مايشترك فيه جنس بني آدم . ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطائفة فهذا أصل جامع ينبغى معرفته لمن تكلم فى هذ الباب

(فصل) واذا كان جنس من يخبر الخبر قد يكون كاذباً وقد يكون صادقاً فقد علم انه ليس كل واحد اخبر بخبر يصدق مطلقاً ولا يكذب مطلقاً فلم يقل احد من العقلاء ان كل خبر واحد أو خبر كل واحد يكون صدقاً أو يفيد العلم ولا انه يكون كذبا بل الناس يعلمون ان خبر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم انه صدق وان كان خبر واحد وقد يقوم الدليل علي كذبه فيعلم انه كذب وان أخبر به الوف اذا كان خبرهم عن غير علم منهم بما اخبروا به او عن تواطىء منهم على الكذب مثل اخبار اهل الاعتقادات الباطلة بالباطل الذى يعتقدونه واما اذا اخبروا به عن علم منهم بما أخبروا به فهؤلاء صادقون في نفس الامر ويعلم صدقهم تارة بتواتر اخبارهم من غير مواطأة ولو كانا اثنين فان الاثنين اذا اخبرا بخبر طويل اسنداه الى علم وقد علم انهما لم يتواطئا عليه ولا هو مما يتفق في العادة تماثلهما فيه في الكذب او الغلط • علم انه صدق وقد يعلم صدق الخبر الواحد بانواع من الدلائل تدل على صدقه ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن بخبره يعلم بها صدقه • وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق بحيث يعلم قطعاً انه لايتعمد الكذب كما يعلم علماء اهل الحديث علماً يقينياً قطعياً ان ابن عمر وعائشة وابا سعيد وجابر بن عبد الله وأمثالهم

لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وامثالهم بل يعلمون علماً يقينياً ان الثورى ومالك وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى واحمد بن حنبل والبخارى وابا زرعة وابا داود وامثالهم لا يتعمدون الكذب فى الحديث وقد تكون الدلائل صفات فى المخبر به مختصة بذلك الخبر أو تنوعه يعلم بها ان ذلك المخبر لا يكذب مثل ذلك الخبر كحاجب الامير اذا قال بحضرته لعسكره ان الامير قد اذن لكم في الانصراف أو أمركم ان تركبوا غدا او قال قد امر عليكم فلاناً ونحو ذلك فانهم يعلمون انه لم يتعمد الكذب في مثل هذا وان لم يكن بحضرته فكيف اذا كان بحضرته وان كانوا قد يكذبونه في غير هـذا وقد تكون الدلائل سماع من شاركه فى العلم بذلك الخبر وأقروه عليه فان العادة كما قد تمنع التواطوأ على الكذب فانها قـد تمنع التواطوأ على الكتمان واقرار الكذب والسكوت عن انكاره فما توفرت الهمم والدواعى على ذكره والخبر به يمتنع ان يتواطأ اهل التواتر على كتمانه كما يمتنع في العادة ان تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعى على نقلها في الحج او الجامع او العسكر وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه ثم لا ينقل ذلك أحد. واقرار الكذب والسكوت عن رده اعظم امتناعا فى العادة من الكتمان فان الانسان فى العادة قد تدعوه نفسه الى ان يسكت عما رآه وسمعه فلا يخبر به ولا تدعوه نفسه الى ان يكذب عليه ويخبر عنه بما يعلم انه كذب عليه فيقره ولا ينكره اذ كانت عادة الناس الى

تكذيب مثل هذا ابلغ من عادتهم في الاخبار بما راوه. وكذلك اذا كذب في قضية وبلغ ذلك من شاهدها. فتوفر الهمم على تكذيب هذا اعظم من توفرها علي اخبارهم ابتداء بما وقع فاذا كانت من القضايا التي يمتنع السكوت عن اظهارها. فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعا وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره فان الانسان قد يرى حمرة وجهه فيميز بين حمرته من الخجل والحياء وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم وبين حمرته من الحمام وبين حمرته من الغضب وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل وبين صفرته من الحزن والخوف وبين صفرته من المرض فكما ان سحنته ووجهه يعرف بها احوال بدنه الطبيعية من امراضه المختلفة حتى ان الاطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته لايحتاجون مع ذلك الى نبض وقارورة فكذلك تعرف احواله النفسانية هل هو فرح مسرور اومحزون مكروب ويعلم هل هو محب صديق مريد للخير أو هو مبغض عدو مريد للشر كما قيل

تحدثني العينان ما القلب كاتم * والعين تشهد من عيني محدثها
ان كان من حربها أو من اعاديها

وكما قيل ولا خير في السحناء * والنظر الشزر ثم اذا تكلم دل كلامه على ابلغ مما يدل عليه سيما وجهه كما قال تعالى عن المنافقين (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) وان معرفتهم بالسيما معلقة المشيئة والمنافق الكاذب يقول بلسانه ماليس في قلبه فيبين انه في لحن قوله يعلم انه كاذب وقال في حق المؤمنين (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وقال في حق الكافر عتل بعد ذلك زنيم أى له زنمة من الشر

أي علامة يعرف بها وقد روي عن عثمان بن عفان انه قال ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه • وقد بسطنا الكلام على هذه فى مسئلة الايمان وبينا ان مايقوم بالقلب من تصديق وحب لله ورسوله وتعظيم لابد ان يظهر على الجوارح وكذلك بالعكس ولهذا استدل بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن كما فى الحديث الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال الا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب • وكما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لمن رآه يعبث في الصلاة لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه • ومن هذا الباب قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقوله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء وقوله ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة) فان الارادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد • والسفر في غزوة بعيدة لايكون الا بعدة ومن هذا الباب ان عثمان قال لعمر لما شاوره في المراة التي اقرت بالزنا اني أراها تستهل به استهلال من لايعرف انه حرام فانه لما رآها تجهر بما فعلته وتحكيه من غير اكتراث تبين له انها لم تعتقد تحريمه وانه يذم وتعاقب عليه ووافقه عمر وعلي وغيرهما على ذلك والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يعرف بها وكذلك الكاذب الفاجر وكلما طال عمر الانسان ظهر هذا الأثر فيه حتى ان الرجل قد يكون فى صغره جميل الوجه فاذا كان من اهل الفجور مصرا على ذلك يظهر عليه فى آخر عمره من قبح الوجه ما أثره باطنه

وبالعكس وقد روي عن ابن عباس انه قال ان للحسنة لنورا فى القلب وضياء فى الوجه وقوة في البدن وسعة فى الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن وبغضا في قلوب الخلق وقد يكون الرجل ممن لايتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة في الله أو في رسله أو فى دينه أو عباده الصالحين وتكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك فيؤثر ذلك الكذب الذى ظنه صدقا وتوابعه في باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من الفترة والسواد مايناسب حاله كما قال بعض السلف لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان ان سواد البدعة لفي وجهه • وهذه الامور تظهر يوم القيامة ظهورا تاما كما قال تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون وقال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون وقال ابن عباس وغيره تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة والمقصود ان مافي القلوب من قصد الصدق والمحبة والبر ونحو ذلك قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علما ضروريا من ابلغ العلوم الضرورية وكذلك مافيها من قصد الكذب والبغض والفجور وغير ذلك • والانسان يرافق في سفره من لم يره قط الا تلك الساعة فلا يلبث إذا رآه مدة وسمع كلامه ان يعرف هل هو مامون يطمئن اليه أو ليس كذلك وقد يشتبه عليه ذلك فى أول الامر وربما

غلط لكن العادة الغالبة انه يتبين ذلك بعد لعامة الناس وكذلك الجار يعرف جاره والمعامل يعرف معامله ولهذا لما شهد عند عمر بن الخطاب رجل فزكاه آخر قال هل انت جاره الادني تعرف مساءه وصباحه؟ قال لاقال هل عاملته في الدرهم والدينار اللذين يمتحن بهما امانات الناس قال لاقال هل رافقته في السفر الذي تنكشف فيه اخلاق الناس؟ قال لاقال فلست تعرفه وروي انه قال لعلك رأيته يركع ركعات في المسجد. وذلك ان المنافق قد يظهر الصلاة فمن لم يخبره لايعرف باطن امره كما قيل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه * ما للفريسة لا تقع
واذا الفريسة خيات * ذهب التنسك والورع

فاذا كان كذلك فمن نباه الله واصطفاه للرسالة كان قلبه من افضل القلوب صدقا وبرا ومن افترى على الله الكذب كان قلبه من شر القلوب كذبا وفجورا كما قال عبد الله بن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لرسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه واقامة دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء وقال عبد الله بن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لايؤمن عليه الفتنة أولئك اصحاب محمد ابر هذه الامة قلوباً واعمقها علما واقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم واذا كان من اعظم بل اعظم اهل زمانه صدقا وبرا

فانه لابد ان يظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه ما يناسب ذلك كما ان الكاذب الكافر لابد ان يظهر علي وجهه وفلتات لسانه مايناسب ذلك وهذا يكون تارة حين اخباره بما يخبر به وتارة موجودا في غير تلك الحال فان الرجل اذا جاء وقال ان السلطان او الامير أو الحاكم أو الشيخ أو فلانا ارسلني اليكم بكذا فانه قد يقترن بنفس اخباره من كيفيته وحاله مايعلم به انه صادق أو كاذب وان كان معروفا قبل ذلك بالصدق أو الكذب كان ذلك دلالة أخرى وقد يكون ممن يكذب ولكن يعرف انه صادق في ذلك الخبر دع من يستمر على خبر واحد بضعاً وعشرين سنة مع اصناف الناس واختلاف احوالهم. ومما ينبغي ان يعلم ان الناس تختلف احوالهم فى المعرفة والخبرة والنظر والاستدلال فى جميع المعارف فقد يتفطن الانسان لدلالة لايتفطن لها غيره وقد يتبين له مايخفى على غيره حتى الانبياء يتفاضلون كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) والمقصود ان العلم بصدق الصادق وكذب الكاذب كغيرهما من المعلومات قد يكون ضروريا وقد يكون كسبياً نظرياً وهو ليس من الضروريات الكلية الاولية كالعلم بان الواحد نصف الاثنين بل من العلم بالامور المعينة كالعلم بحمرة الخجل وصفرة الوجل وعدل العادل وظلم الظالم ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علما ضرورياً واذا كان استدلاليا فالمعرفة بالعلم لاتحصل بمجرد وجود الدليل فى نفسه بل لابد من معرفة القلب به والناس متفاضلون في ذلك والدليل ابدا هو ما استلزم المدلول

فكل ما كان مستلزما للشيء كان دليلا عليه لكن لابد من معرفته ومعرفة
انه مستلزم ثم اذا حصل العلم صار ضروريا وقد يكون ضروريا بلا
واسطة دليل معين وليس العلم بالمغيبات كالعلم بصدق هذا وكذب هذا
مما يحتاج فيه الى القياس الشمولي فان ذلك انما يفيد بتوسط قضية كلية
والمعينات قد لا يحتاج فيها الى ذلك وان كان لابد فيها من خبره بحال
ذلك المعين واذا كان القائل اني رسول الله إما ان يكون من خيار
الناس وأصدقهم وأبرهم وأفضلهم وأما ان يكون من شرار الناس
واكذبهم وأفجرهم والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة لاتكاد
تنضبط كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا وكانت المعرفة بذلك
قد تحصل عند سماع خبر هذا وخبر هذا ورؤية وجهه وسماع كلامه
وما يلزم ذلك ويقترن به من بهجة الصدق ونوره ومن ظلمة الكذب
وسواده وقبحه فتبين بذلك ان كثيراً من الناس يحصل لهم علم ضروري
بان هذا النبي صادق وهذا المتنبي كاذب بمثل ذلك من قبل ان يروا
خارقاً للعادة منفصلا عنه وقول بعض المتكلمين مالم يكن خارقا للعادة
فلا اختصاص للنبي به فلا يدل • فيقال له لفظ خرق العادة لفظ مجمل وان
نفس دعوى النبوة صدقا وكذبا ليس هو أمراً معتادا ولم يقع هذا
الا فى أفراد من العالمين وهو اقل بكثير من الاخبار بالمغيبات فان هذا
أكثر في الوجود من دعوى النبوة اذ كل نبي يخبر بالمغيبات وليس
كل من أخبر بها كان نبياً وهؤلاء الذين يقولون هذا يقول اكثرهم
اوكثير منهم ان دعوى النبوة والتحدي والمعجز مجموعها هو المختص
بالنبي والا فهم يقولون ان ما كان معجزة لنبي جاز ان يظهر على يدي

ولي او ساحر وانما يفرق بينهما دعوى النبوة مع التحدي وعدم المعارضة ومنهم من ينكر خرق العادة ان يظهر على يد غير نبي ومنهم من لا يفرق بين الولي والساحر الا ببر هذا وفجور هذا. ومنهم من يطرد ذلك في النبي لا سيما متفلسفة اليونان منهم فانهم من اجهل الناس بامر النبوة اذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الانبياء وما جاؤا به من الآيات والبراهين والعلم بصفاتهم وانما اخذوها من القياس على المنامات فجوزوا فيها مثل ما يجوز على النائم من الاحلام والتخييل وما يصيب اهل المرة السودا مما يشبه ذلك وهذا هو الموجود في عامة اتباع ارسطو ولكن متأخروهم كابن سينا ضم الى ذلك تصرفه في هيولي العالم لما بلغه من خوارقهم الفعلية التي لم يكن يعرفها اولئك اذ كان علم ارسطو هو بما كان يعلمه قومه من اليونان وهم أمة من أولاد يافث لم يكن فيهم ما في أولاد سام كهود وصالح وغيرهما ثم أولاد ابراهيم الخليل الذي وعده الله ان يجعل في ذريته النبوة والكتاب حتى يكون علم النبوة مشهورا فيهم وقد جعل الله تعالى من زمن الخليل في ذريته النبوة والكتاب كما أخبر بذلك في القرآن وهم يعني الفلاسفة لم يكونوا من ذريته ولا كانوا خبيرين باحوال ذريته وقد ذكر طائفة منهم كمحمد بن يوسف العامري وصاعد بن عباد الاندلسي ان اساطينهم اربعة ابندقلس ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطن قدموا الشام واستفادوا من بني اسرائيل ولهذا لم يكن من هؤلاء من قال بقدم العالم. بخلاف ارسطو قالوا فانه لم يقدم الشام وذكر هؤلاء كمحمد بن يوسف العامري وغيره ان اول من لقب بالحكمة لقمان وان ابندقلس استفاد منه ومن اتباع داود

عليه السلام فانه كان في زمن داود واذا كان هذا قول هولاء النظار من اهل الكلام والفلسفة فمجرد خارق العادة عندهم ليس وحده مستلزما للنبوة حتي يكون وحده دليلا بل لابد ان ينضم الى ذلك التحدى وعدم المعارضة ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم كابى الحسن واتباعه هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب ؟فقيل لايجوز لانه علم النبوة فيمتنع ان يتخلف عنه مدلوله كسائر الادلة • وقيل بل يجوز ولكن الله لايفعله ثم قيل لانه يستلزم عجزه عن تصديق الرسول اذ لاطريق لنا اليه الا المعجز عندهم وقيل بل هو مقدور ممكن ولكن نحن نعلم اضطرارا انه لايفعله مثل كثير مما يمكن في العادة ونعلم ان الله لا يفعله وجميع من جمع بين القولين وقال مجموع مايدل على النبوة وهو الخارق السالم عن المعارض مع التحدى يمتنع ان يكون لغير نبي بخلاف جنس الخارق • فقيل لهذا الامتناع اما ان يكون عاديا واما ان يكون لاستلزامه العجز عن تصديق النبي وذلك ممتنع فانما كان ممتنعاً لاستلزامه امراً ممتنعاً واذا كان انقلاب العادة ليس عندك ممتنعاً فلا بد لك من ذلك الجواب وهو القول بانا نعلم ضرورة ان ذلك لم يكن ثم اذا علمت ان هذا علم ضروري وان العلم بدلالتها على الصدق أمر ضروري كالمثل الذي ضربته في ارسال الملك رسولا وقول رسوله ان كنت صادقا فغير عادتك بقيامك ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول فان ذلك يوجب العلم الضرورى بصدق الرسول • وقيل لك الملك نعلم عادته ونعلم انه فعل ذلك للتصديق والرب عندك لم يخلق شيئاً لشى •• فقلت بل يخلق شيئاً مقارنا لشيء كالعاديات وهذا منها فقيل لك العاديات قد تكررت فقلت

قد تعلم ذلك بلا تكرر وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية كدلالة اللفظ على قصد المتكلم وقلت قد تعلم قصده اضطرارا من غير سبق مواضعه وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت انه يعلم بها صدق الرسول وان كانت حقاً فجمهور الناس يقولون انك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لاجل كذا ويقولون القول بانه خالق المعجزة له قصد التصديق مع القول بانه لا يخلق شيئاً لاجل شيء تناقضاً فقلت لا يشترط في العلم الضروري العلم بانه يفعل كذا لاجل كذا فقيل لك هب انه كذلك لكن لا يحصل العلم الضروري مع العلم بما يناقضه والمقصود ان ما يذكره هؤلاء وامثالهم من النظار بل وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومة اشد منهم واصوب فيما ينفونه فان الانسان بما يثبته اعلم منه بما ينفيه وشهادته على الاثبات اقوى من شهادته على النفي وان كان النفي قد يكون معلوما لكن غلط الناس فيما ينفونه ويكذبون به اكثر من غلطهم فيما يثبتونه ويصدقون به ولهذا قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله) ولهذا تجد من سلك طريقاً من الطرق اما في اثبات العلم بالصانع واما في العلم بالنبوة أو العلم بالمعاد أو غير ذلك واحد يقول لا طريق الا هذا الطريق يخطيء في النفي اكثر من خطأ في الاثبات ومنهم هؤلاء فانهم قد ينفون من العلم والطرق مايعلمه غيرهم بالاضطرار ويثبتون مايقولون انه معلوم بالاضطرار وقد يكون غيرهم اصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه بل وفيما يثبتونه ولهذا كان الذين اتفقوا انه لا طريق الا المعجزات يتنوعون في وجه دلالتها فيثبت هؤلاء وجها يستدلون به وينفون طريق غيرهم وبالعكس فاذا

قالوا ما سوى الخارق للعادة ليس يختص بالنبي فلا يدل على نبوته • قيل لهم الدليل هو الذي يكون مستلزماً للمدلول يلزم من تحققه تحقق المدلول ولفظ الخارق للعادة فيه اجمال كما تقدم وحينئذ فنفس انباء الله للنبي واصطفائه لرسالته واقداره على التلقي من الملك هو من خوارق العادات وذلك من المعجزات التي اعجز الله الخلق ان يفعلوه وهو مختص بالانبياء وهذا الوصف اجل وأعظم قدرا من غيره من الخوارق والمستلزم لهذا الخارق لا يكون الا خارقا وهو الدليل اذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم والمعتاد الذى يوجد بدون النبوة لا يكون دليلا • وأما ما لا يوجد الا اذا وجدت النبوة فهو دليل فقد تبين ان كل ما يدل على صدق الرسول وهو خارق للعادة يكون آية ونبوة على صدقه وأما ما يكون خارقا للعادة ولا يستلزم النبوة فليس يكون دليلا وقد يكون الشيء معتادا بدون النبوة ومع النبوة يكون خرقا للعادة بحيث يكون وجوده مع النبوة خرقا للعادة بخلاف وجوده مجرداً عنها لان النبوة خرق للعادة فلا يكون مستلزماً لها إلا خارق للعادة فقول القائل لا يعلم صدقه الا بالمعجزة وهو الخارق للعادة ان أراد به المعنى العام وهو ما يستلزم صدقه بطل تخصيصه ذلك بما يخالفه منفصلا عنه من الآيات • وان أراد بذلك نوعا مخصوصاً مع اشتراك الجميع فى الدلالة ظهر بطلان قوله • واما مايوجد بدونها كما يوجد معها كالامور التى تكون للصادق في دعوى النبوة والكاذب فى دعوى النبوة فهذه لا تدل وما يظهره الله على يد النبى من الانواع التي بها يعرف صدقه ليس فيها شيء يكون للكاذب بل الكاذب لا يكون له من الادلة الا مايستلزم

كذبه فكل مايدل على كذب الكاذب لايدل على صدق الصادق وبالعكس فان دليل الكذب مستلزم له ودليل الصدق مستلزم له وهما ضدان يمتنع ان يكون مدعى النبوة نبياً صادقا او متنبئاً كاذباً والضدان لايجتمعان فيمتنع ان يكون شيء واحد يدل على الضدين فتبين ان دليل الصدق يمتنع ان يدل على الكذب ودليل الكذب يمتنع ان يدل على الصدق وهذه القاعدة ينتفع بها في مواضع ٠ منها ان كثيراً من الناس اذا رأوا الكاذب وسمعوا كلامه تبين لهم كذبه تارة بعلم ضروري وتارة بعلم استدلالي وتارة بظن قوى وكذلك النبي الصادق اذا رأوه وسمعوا كلامه فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري أو نظري وقد يكون أولا بظن قوى ثم يقوى الظن حتى يصير يقينياً كما فى العلوم بالاخبار المتواترة والتجارب فان خبر الاول يفيد نوعا من الظن ثم يقوى بخبر الثانى والثالث حتي يصير يقينياً وهذه الطريق سلكها طوائف من الناس وممن نبه على ذلك القاضى عياض قال القاضى عياض اذا تأمل المتأمل المنصف ماقدمنا من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته قال وكفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذى وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبدالله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب رواه غير واحد كعبد الوهاب الثقفى ومحمد بن جعفر وابن أبى عدى ويحيي بن سعيد عن عوف بن ابى جميلة الاعرابى عن زرارة بن ابى

اوفي عن عبد الله بن سلام وعن ابى رمثة البلوى قال اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم ومعى ابن لي فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم في صحيحه وغيره عن ابن عباس ان ضمادا قدم مكة وكان من
ازد شنؤة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون
ان محمداً مجنون. فقال لو اني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على
يدى. قال فلقيته فقال يا محمد اني ارقى من هذه الريح وان الله يشفي على
يدى من شاء الله فهل لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمداً
عبده ورسوله أما بعد فقال اعد علي كلماتك هؤلاء . فاعادهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال فقال لقد سمعت قول الكهنة
وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء . ولقد
بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومى. الحديث. وقال
جامع بن شداد كان فينا رجل يقال له طارق فاخبر انه رأى النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه؟ قلنا هذا البعير قال
بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا
بعنا من رجل لاندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير
رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر ولا يخيس بكم فاصبحنا فجاء
رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا
التمر وتكتالوا حتي تستوفوا ففعلنا. وفى خبر الجلندى ملك غسان لما

بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فقال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامى انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز بالموعود وأشهد انه نبي • وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) هو مثل ضربه الله لنبيه يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآناً كما قال ابن رواحة

لو لم يكن فيه آيات مبينة　　　كانت بديهته تأتيك بالخبر

قلت وايمان خديجة وابي بكر وغيرهما من السابقين الاولين كان قبل انشقاق القمر وقبل اخباره بالغيوب وقبل تحديه بالقرآن لكن كان بعد سماعهم القرآن الذى هو نفسه آية مستلزمة لصدقه ونفس كلامه وأخباره بانى رسول الله مع مايعرف من أحواله مستلزم لصدقه الى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه بل خديجة قالت له كلا والله لايخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرئ الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره وتلعب الشيطان به • وابو بكر كان من أعقل الناس وأخبرهم وكان معظماً في قريش لعلمه واحسانه وعقله فلما تبين له حاله علم علماً ضرورياً انه نبي صادق وكان أكمل أهل الارض يقيناً علماً وحالا وكذلك هرقل ملك النصارى لما أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام سأل عن عشرة خصال كما في الصحيحين عن ابن عباس قال حدثني ابو سفيان بن حرب من فيه الى في قال انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هدنة قال فبينا انا

بالشام اذ جيء بكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل
قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم
بصرى الى هرقل فقال هرقل هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي ؟قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على
هرقل فاجلسنا بين يديه قال ايكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي ٠ قال ابو سفيان فقلت انا؟ فاجلسوني بين يديه واجلسوا أصحابي
خلفي فدعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه قال فقال أبو سفيان وايم الله لولا
مخافة ان يؤثر علي الكذب لكذبت عليه ثم قال لترجمانه سله كيف
حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان من آبائه من
ملك ؟قلت لا ٠ قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
قلت لا قال ومن اتبعه أشراف الناس امضعفاؤهم؟ قلت بل ضعفاؤهم
قال ايزيدون ام ينقصون؟ قلت لا بل يزيدون ٠ قال فهل يرتد أحد منهم
عن دينه بعدان يدخل فيه سخطة له؟ قال قلت لا قال فهل قاتلتموه؟ قلت نعم
قال فكيف كان قتالكم اياه؟ قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا
يصيب منا ونصيب منه . قال فهل يغدر؟ قلت لا ونحن منه على مدة
ماندري ماهو صانع فيها. قال فوالله ما امكنني من كلمة ادخل فيها شيئاً
غير هذه ٠ قال فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال قلت لا قال لترجمانه
قل له اني سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذا الرسل
تبعث في احساب قومها وسألتك هل كان من آبائه من ملك فزعمت
ان لا فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه ٠ وسألتك

عن اتباعه اضعفاؤهم ام اشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال ؟فزعمت ان لافقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب ويكذب على الله ٠ وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا فكذلك الايمان اذا خالط بشاشة القلوب وسألتك هل يزيدون ام ينقصون ؟فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة وسألتك هل يغدر فزعمت ان لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت ان لا فقلت لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله ثم قال بم يأمركم؟ قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف قال ان يكن ما تقول فيه حقاً انه لنبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو اعلم اني اخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ماتحت قدمي ثم دعى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان

تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وفي رواية فماذا يأمركم به قال يأمرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وآداء الامانة فقال هذه صفة نبي وما استدل به ملك النصارى هرقل من العلم بصفاته هو استدلال على عينه فان الناس في النبوة على درجات ٠٠ منهم من يحتاج الى ان يعلم جنس النبوة فيصدق بجنس الرسل من البشر لا يكذب بالجنس كما كذب بذلك من كذب به من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ولهذا يقول تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين لان تكذيبهم لم يكن لشخص واحد بل كانوا مكذبين لجميع الرسل وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكية كقوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) فاحتج بانزال كتاب موسي لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات الدالة على صدقه والانجيل تبع للتوراة ثم قال (وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) لما قام من الآيات الدالة على نزوله ولهذا يذكر سبحانه في السور المكية من تثبيت أمر الرسل وآياتهم وبراهينهم ونصرهم وحسن عاقبتهم ومن ضلال مخالفيهم وجهلهم وغيهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما فيه عبرة ٠ ومن الناس من يقر بالرسل فى الجملة لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة ارسالهم كالملاحدة واهل البدع الذين يعظمون الانبياء مع اعتقادهم فى الباطن ما يناقض بعض ما جاؤا به لشبهات انعقدت فى قلوبهم ظنوها علوماً عقلية وهى مناقضة لما اخبرت به الرسل فيحتاجون الى ان يوفقوا بينهما

وهؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احساناً وتوفيقاً اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغاً) وقد اخبر الله انه جعل للانبياء من يعاديهم من الانس والجن فقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون افغير الله ابتغى حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) وهؤلاء الذين عندهم ماينافض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف أهل التخييل من الملاحدة المتفلسفة والباطنية الذين يقولون ان الرسل أخبروا من أمر الايمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الامر فخيلوا الى الجمهور ماينتفعون به ويعدون هذا من فضائل الرسل وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع . وأهل التحريف والتأويل الذين يأولون كلامهم على ما يخالف مرادهم ويزعمون انهم

أرادوا ذلك المعنى مع أنه ليس في كلامهم ما يدل على ارادة ذلك المعنى بل كلامهم يدل على ارادة خلافه • وأهل التجهيل الذين يقولون ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسول ولا غيره وانما هو يعلمه الله وحده وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع . واما من قال ان الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذى بينه الله لهم بكلامه ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه كما استأثر بعلم غيب الساعة فهذا قول السلف والأئمة وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان الكلام في النبوات تارة في جنسها وتارة في شخص النبي المعين وهرقل ملك الروم لم يكن محتاجاً الى الايمان بجنس النبوات فانه كان من اهل الكتاب واهل الكتاب يقرون بجنس النبوة فانهم يقرون بنبوة نوح والخليل وموسى وانبياء بني اسرائيل والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والانجيل • والذين يحتاجون الى معرفة النبي المعين نوعان نوع عرفوا انه يبعث نبي وقد يعرفون بعض نعوته فيحتاجون ان يعرفوا عينه وهرقل وامثاله من اهل الكتاب كانوا من هذا النوع فكانوا يعلمون ان نبياً سيبعث وانما كان حاجتهم الى أن يعرفوا هل هو هذا النبي المذكور ام غيره ؟ فيكون ما يحتاجون اليه من دلائل صدقه أيسر مما يحتاج اليه من لا يؤمن بالرسل أو لا يعرف ان نبياً سيبعث ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدرى هل يبعث نبي ام لا يحتاج ان يعلم ان هذا المعين هل هو من جنس الانبياء الصادقين أو من جنس المتنبئين الكاذبين وهذا يعرف بما يخصه من آيات صدقه وباعتبار ماجاء به الانبياء قبله فان اصول ذلك مما لا يمكن اختلاف الانبياء فيه وهي

الامور التي لاتقبل النسخ كالاخبار عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهذا مما لايمكن اختلاف الانبياء فيه اذ كان كل ما يخبر به النبي فهو صدق والاخبار الصادقة لاتتناقض ولا تقبل النسخ ولكن قد يكون بعض الانبياء اعلم ببعض ذلك من بعض وفي كلام بعضهم من الاخبار ببعض ذلك ماليس فى كلام بعض • وما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم هو اكمل واكثر مما اخبر به موسى والمسيح صلوات الله وسلامه عليهم وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض اخبار الانبياء كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما اخبروا به وهذا ممتنع بل لابد ان يكون المعارض العقلي خطأ ليس بمعقول صحيح أو السمعي لم يثبت عنهم ولفظه أو دلالته وكذلك الاخبار لابد ان يكون أحد الخبرين كذباً أو غير دال على مناقضة الخبر الآخر . وأما الاصول الجامعة كالامر بعبادة الله وحده لاشريك له وبر الوالدين والصدق والعدل وتحريم الاجناس الاربعة وهي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق والاشراك بالله وان يقال عليه غير الحق وذلك مثل ما ذكره في سورة الانعام والاعراف وبني اسرائيل • وقد تنازع الناس في مثل هذا هل يمكن نسخه وتنوع الشرائع فيه ؟ على قولين فمن جوز ان يأمر الله بكل شيء وينهى عن كل شيء رد ذلك الى محض المشيئة لا الى صفات تقتضي الامر بهذا دون هذا فانهم جوزوا دخول النسخ فى هذا وتنوع الشرائع فيه كما يقوله جهم بن صفوان والاشعرى ومن وافقه من اصحاب مالك والشافعي واحمد وان كانوا قد يقولون انه لم يقع فيه نسخ • واما جمهور الناس من السلف والخلف فانهم

لا يجوزون دخول النسخ فى هذا ولا تنوع الشرائع فيه ولهذا كان دين الانبياء واحدا كما قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) وقال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفي الصحيحين عن ابى هريرة عن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وهذا مبسوط في موضع آخر والحمد لله رب العالمين تم الكتاب آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ يقول مصححاه وناشراه ﴾

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات • والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل المبعوث رحمة لكافة المخلوقات • وبعد فقد تم طبع كتاب الجواب الصحيح • لمن بدل دين المسيح • تصنيف الامام الحجة الثقة المحدث المجتهد تقى الدين احمد بن تيمية الحرانى الدمشقى • رفع الله فى الدارين درجاته • واعاد علينا من جزيل بركاته • وقد أوشك هذا الكتاب ان يفقد من الوجود • لقلة نسخه بل لا يوجد فى قطر من الاقطار نسخة تامة • وقد بذلنا غاية الجهد للحصول على ذلك املا بالنفع العام حتى وفقنا الله لنسخة السيد الشريف المحقق نقيب أشراف مدينة بغداد أطال الله بقاه • ونفع الناس بفضله وتقواه • ثم توفقنا للجزء الاول من الكتاب المذكور عند الفاضل المحترم الشيخ عبدالسلام الامير • وايضاً لثلاثة اجزاء عند صاحب الفضل والسعادة لطيف باشا سليم • وكل تلك الاصول صحيحة مقروء بعضها على المؤلف وبعضها عليه قرأة بعض الافاضل كالحافظ بن حجر واضرابه وبهذا جاءت نسختنا غاية في الصحة والاعتناء . راجين من الله حسن المعونة انه على كل شيء قدير

نبذة من ترجمة المؤلف اثبتناها هنا لضيق المقام وسأطبع كتاب
الرد الوافر تأليف الحافظ ابن ناصر الدين الدمشق في جزء على
حدته استقصي به ترجمة المؤلف ومنشأه وأحواله ومؤلفاته وقيامه
بنصرة الدين وما كادته به حساده وما اعترفت له به من الفضل ائمة
عصره وما امتحن به من منشأه لوقت وفاته وعلى هذا الكتاب
تقاريظ كثيرة من الحفاظ بخطهم نسخته بيدي من المكتبة العمومية
فى الاستانة العلية حرسها الله من كل آفة وبليه وسهل نشره آمين

هو شيخ الاسلام وحافظ الانام المجتهد فى الاحكام تقى الدين ابو العباس
احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر
بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى ولد بحران (من اعمال العراق) يوم الاثنين
عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستماية وقدم به والده وباخويه
عند استيلاء التتر على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين وستماية فاخذ
الفقه والاصول عن والده وسمع عن خلق كثيرين منهم شمس الدين
وزين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر وقراء العربية على بن عبد القوي
وفهم كتاب سيبويه وعنى بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند
مرات واقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه واحكم اصول الفقه
والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم ونظر
في الفلسفة وبرز فى ذلك على اهله ورد على رؤسائهم واكابرهم ومهر
في هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة
وتضلع فى علم الحديث وحفظه حتى قالوا ان كل حديث لم يعرفه ابن
تيمية فهو ليس بحديث وامده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة

الادراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه والف فى أغلب العلوم التأليفات العديدة وصنف التصانيف المفيدة في التفسير والفقه والاصول والحديث والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة وله الفتاوي المفصلة وحل المسائل المعضلة ومن تصانيفاته التي تبلغ ثلاثمائة تصنيف تعارض العقل والنقل اربع مجلدات. الجواب الصحيح رداً على النصارى اربع مجلدات (وهو هذا) شرح عقيدة الاصفهاني مجلد . الرد علي الفلاسفة اربع مجلدات . كتاب اثبات المعاد والرد على ابن سينا . كتاب ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات . كتاب اثبات الصفات مجلد . كتاب العرش. كتاب رفع الملام عن الائمة الاعلام . كتاب الرد على الامامية رداً على ابن المطهر الحلى مجلدين كبيرين . كتاب الرد على القدرية . كتاب الرد على الاتحادية والحلولية . كتاب فى فضائل أبي بكر وعمر . كتاب تفضيل الأئمة الاربعة . كتاب شرح العمدة في الفقه اربع مجلدات . كتاب الدرة المضيئة في فتاوي ابن تيميه . كتاب المناسك الكبرى والصغرى . الصارم المسلول على من سب الرسول . كتاب في الطلاق . كتاب فى خلق الافعال . الرسالة البغدادية . كتاب التحفة العراقية . كتاب اصلاح الراعى والرعيه . كتاب فى الرد على تأسيس التقديس للرازى في سبع مجلدات . كتاب في الرد على المنطق . كتاب الفرقان . كتاب منهاج السنة النبوية . كتاب الاستقامة في مجلدين (وغير ذلك مما ساجمعه في الرد الوافر) قال الحافظ الذهبي وما ابعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسماية مجلد وترجمه فى معجم شيوخه بترجمة

طويلة منها . وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي فلو حلفت بين الركن والمقام اني مارائت بعيني مثله وانه مارأى مثل نفسه لما حنثت انتهى وكان طاب ثراه اسود الراس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمتي اذنيه عيناه لسانان ناطقان ربعة من الرجال بعيد مابين المنكبين جهوري الصوت توفى سنة سبعماية وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعده الحرام فى السجن (راجع ترجمته في كتاب جلاء العينين تقف على سر محنته) فاخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوماً مشهودا لم يعهد بدمشق مثله بكى الناس عليه بكاء شديداً وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مراراً وحزر من حضر جنازته بمايتى الف ومن النساء بخمسة عشر الف وقرئت له ختمات كثيرة ورثى بقصائد بليغه

انتهى باختصار من من جلاء العينين

مصطفى القبانى الدمشقى



﴿ فهرست الجزء الرابع من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ﴾

صحيفه

صحيفه

بنبوة محمد عليه السلام

٣٩ فصل وقد ذكرنا انا قومه المعادين له أشد العداوة مازالوا معترفين بصدقه الخ — وهو يتضمن سؤال هرقل ملك الروم لوفد قريش عن نسب النبي وأخلاقه ومعاملته ووقائعه مع المخالفين له وكانوا إذ ذاك لم يؤمنوا به واخبارهم هرقل عن ذلك كله بما يعرفونه من أحواله وإجابة هرقل لهم بأن هذه صفة الرسول المكتوب عندنا وغير ذلك من المعجزات التي أوجبت ايمان أعدائه به واندهاشهم من آياته وذكر شيء من معجزاته الواردة في القرآن والتي تعلم بالعقل • وفيه محادثة طويلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض كبار الاحبار حيث سأله جملة اسئله واجابه فيها الرسول بما يعرفه في الكتب القديمة وآل امرها الى اسلامه جيداً وعصابة اخرى من اليهود كذلك وقد اجابهم واسلموا وهو مبحث فيه من غرائب العقول وعجائب النقول مايأخذ بالالباب

٦٢ فصل ولما كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى جميع الثقلين الخ يتضمن ذكر انواع من المعجزات تناسب طبقات الناس على اختلافهم فى الاستعدادات

٦٦ فصل في اظهار معجزاته الخ يذكر فيه ان اصل آيات الانبياء تسمى بالآيات لا بالمعجزات وانها بهذا الاسم ادل على المقصود من لفظ المعجزة وقد ذكر في جميع الكتب السماوية بهذا اللفظ وقد افاض القول في الاستدلال على ذلك بآيات من القرآن

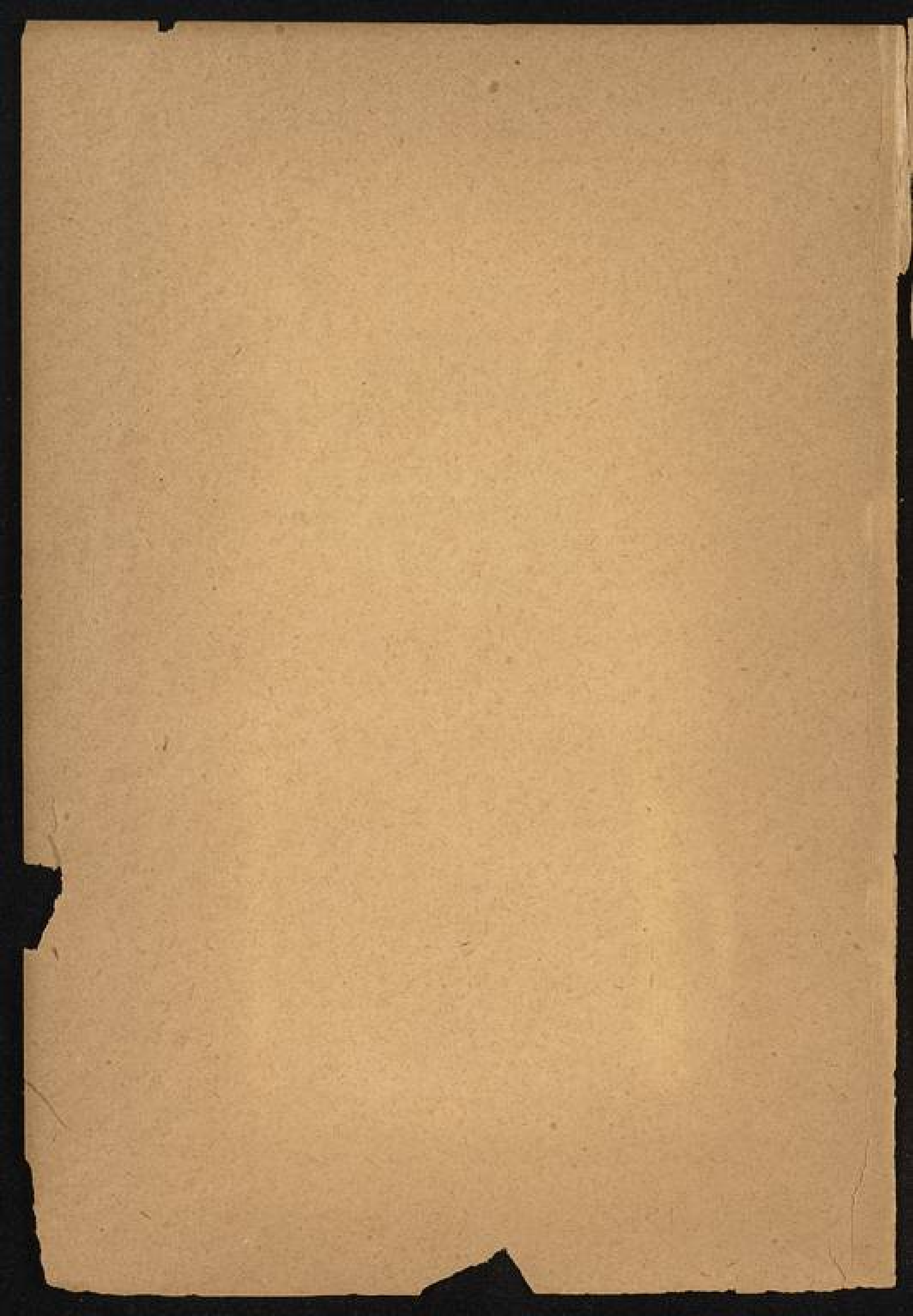
صحيفه

صحيفه

يتضمن ذكر انواع الخبر من الصادق والكاذب وتفسير الخبر الصادق والكاذب والصدق والكذب والمذاهب في الصدق والكذب والمعتمد منها والتكلم على انواع ليست من الكذب كالتعريض والتجريد وغيرها

٣٠٣ فصل واذا كان من يخبر الخبر قد يكون كاذباً وقد يكون صادقاً الخ يتضمن تفصيل صحة الخبر وطرق الصدق والكذب سواء كان ذلك خبر واحد أو جماعة وأمثلة ذلك





بيان الكتب التى تم طبعها بمعرفتنا بالمطبعة الاميرية

شرح تحرير الاصول مع شرح منهاج الاصول. كشف الاسرار مع نور الانوار وقمر الاقمار. شرح تهذيب الكلام مع حاشية المحاكمات. شرح المسايرة لابن الهمام مع حاشية القاسم شروح التلخيص يعني عروس الافراح ومواهب الفتاح والايضاح وشرح السعد وحاشية الدسوقي عليه. شفاء السقام للسبكي. آراء مدينة الفاضلة للفارابي. مشكاة الانوار للغزالي فتاوي الغياثية مع فتاوي ابن نجيم. الحكمة في مخلوقات الله للامام الغزالي. محك النظر له. الاقتصاد في الاعتقاد له القسطاس المستقيم له. فيصل التفرقة له. تأسيس النظر للدبوسي ما بعد الطبيعة لابن رشد. الكلم الروحانية لابن هندو

تحت الطبع بمطبعة بولاق

شروح المفتاح للسعد والسيد والقطب. حواشي البيضاوي للسيوطي وعبد الحكيم وجلبي. حواشي شرح الشمسية للسيد وعبد الحكيم والدسوقي وعصام والجلال وتقرير الشربيني على عبد الحكيم وشرح السعد على الشمسية



